اعلم ان الرابعة وما يليها من الخامسة في هذا المجلد ثلث كتاب المفهم
وبقي ثلثان اولان لتمام المفهم ٢

المجلد الرابعة من المفهم في شرح تلخيص صحيح مسلم

تصنيف الامام الحافظ ابي العباس احمد
ابن عمر القرطبي رحمه الله تعالى

يليه من الكتب

كتاب اللباس " كتاب الادب " كتاب الرقى والطب "
كتاب الرويا " كتاب النبوات " وبعده مناقب الصحابة ٥

هديه
من كتب فقير الورى احمد رحيم مسلم
الماكر الى نصاريب ٥

من كتب الصيد الغفير
احمد الترغباي

MILLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM V. Carullah
ESKİ KAYIT 352
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

كتاب اللباس قوله حلة سيراء

وتقدم ذكر الحلة في الجنائز والسيراء المخطط بالحرير شبهت بالسيور لخطوطها قاله الاصمعي والخليل وغيرهما والرواية حلة سيراء بتنوين حلة ونصب سيراء على ان يكون صفة للحلة قاله ابن مالك وغيره فيما قال وقيل سيراء بمعنى مسيرة فيما قال الخطابي حلة سيراء كقولك ناقة عشراء بمعنى لا يكون الحلة ويضيفها الى سيراء وذكر الدراوردي ان سيراء وذكر لقدرته على لبس ثوب علم وتقبيله وهو على فراش واحد اضافه انسي الى صفته كقولهم ثوب خز على ان سيراء قال في المشارق نقلا عن بعضهم وانما سيراء لتنزل منزلة مسيرة والله اعلم وقوله لو اشتريت هذه فلبستها للوفود واقراره له صلى الله عليه وسلم على هذا القول يدل على شهرة وعينة التجمل للوفود ومجامع المسلمين التي يقصدها اظهار رجال الاسلام والاعلام على الفقر وقوله انما يلبس هذه في رواية الحريري من لا خلاق له في الاخرة هو الخلاق هنا فيه الحظ والنصيب والقدر ويعني بذلك لباس الكفار والمشركين في الدنيا وهم الذين لا حظ لهم في الاخرة واختلف الناس في لباس الحرير هل هو ممنوع ومحجور على الاطلاق وهو مشهور العلماء على منعه للرجال واباحته للنساء وهو الصحيح لهذا الحديث وما في بابه وهي كثيرة واما اباحته للنساء فدل عليه قوله في هذا الحديث انما بعثت بها اليك لتشققها خمرا بين نسائك ولما خرجه النسائي من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم اخذ حريرا فجعله في يمينه وذهبا في شماله ثم قال ان هذين حرام على ذكور امتي حل لاناثهم قال علي بن المديني

حديث حسن ورجاله معروفون وهذا كله في الحرير الخالص المصمت

واما الذي سداه حرير ولحمته غيره فجوزه مالك رحمه الله ذهب ابن عمر واصحابه ابن عباس رضي الله عنهم واما الخز فاختلف فيه على ثلاثة اقوال الحظر والاباحة والكراهة وكل المذهب على الكراهة واختلف فيه ما هو فقيل هو ما سداه حرير قال ابن حبيب لسن تنسج الخز وسداه حرير ولحمته قطن او غيره فرق الا الاتباع فانه حكى اباحة الخز عن خمسة وعشرين من الصحابة رضي الله عنهم منهم عثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعبد الله بن عباس وخمسة عشر تابعيا وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لنسوانا بعيبه الخز وقيل في الخز انه يشبه الحرير والسيريه وبقره يشبهه الحرير والقز وقوله فكساها عمر اخا له مشركا بمكة قيل انه كان اخاه لامه ذكره السهيلي وفيه ما يدل على جواز صلة القريب المشرك وما يدل على ان عمر رضي الله عنه لم يعرف من مذهبه ان الكفار يخاطبون بالفروع اذ لو اعتقد ذلك لما كساه اياها وفي كره عليه واختلف في علة تحريم الحرير للرجال فقال الابهري هي التشبه بالنساء وقيل ما يجره من الخيلاء وقيل التشبه بالكفار لان لا حظ لهم في الاخرة وهو الذي دل عليه الحديث وقوله انما بعثت بها اليك لتنتفع بها اي ما لا ردا حا مفسرا في بعض طرقه ولم يقل الذي صلى الله عليه وسلم لعمر مثل الروماني لاسامة ولا لعلي لتشققها خمرا بين نسائك ولو سمع ذلك عمر رضي الله عنه لما سمح منه منع النساء من الحرير وقوله لعلي رضي الله عنه شققها خمرا بين فواطمك قال ابن قتيبة

بنت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت اسد بن هاشم ام علي
رضي الله عنه وهي اول هاشمية ولدت لهاشمي قال ولا اعرف الثالثة
قال الازرقي وهي فاطمة بنت حمزة الشهيد رضي الله عنهما وقد
روى ابو عمر بن عبد البر وعبد الغني الحافظ من حديث محمد بن عمر قال
علي رضي الله عنه فشققت منها اربعة اخمرة حمار الفاطمة بنت
اسد ام علي وحمار الفاطمة بنت محمد وحمار الفاطمة بنت حمزة رضي الله
عنهن قال ابن دريد ابن زياد وتسمية الرابعة قال بعض المتاخرين
الرابعة فاطمة امراة عقيل بن ابي طالب لانهن صاهرن علي رضي الله
عنه وقد رتبها بالمناسبة وقيل فاطمة بنت الوليد بن عتبة وقيل
فاطمة ابنة عتبة **قوله** اسرع بعيادة المريض وهي زيارته وتفقده
قال عاد المريض يعوده عيادة وتشميت العاطس بالشين المعجمة
وهو الدعاء له اذا عطس وحمد الله تعالى اسامع ان يقول له يرحمك الله
وسمي الدعا تشميتا لانه اذا استجيب للمدعو له فقد زال عنه الاذى
تشمت له عروق الاحبة وقد قال بالسين المهملة قال ابن الانباري يقال
تشمت فلانا وشمت عليه وكل داع بالخير تشمت ومشمت قال ثعلب
الاصل السين من التسمت وهو التعرض ومنه الحديث فدعا لها فعطست
وشمتت عليها **وابراز المقسم** هو اجابته الى ما حلف عليه ولا كفارة
عليه اذا كان على امر جايز وهو المطلوب لعائشة على ظاهره وتخليصه
منه واجابة الداعي تعم الوليمة وغيرها لكن اوكد الدعوات الوليمة
وقد يعم الطعام وهو وافشا السلام اشاعته والاخص به من يعرف
دون من لم يعرف وانشاد الضالة هو التعريف بها ونشدتها طلبتها
يقال نشدت الضالة طلبتها وانشدتها عرفتها والمياثر جمع ميثرة

وهي

وهي ما خوذة من الوثارة وهي اللين والنعمة ومنه قولهم فراش وثير
اي وطي لين وثيرة واو انقلبت ياء لانكسار ما قبلها
كميثران وميعاد واصلت فيها قال الكسائي يقال ما كان الشيء
يصنعه لا زواجهن من الارجوان الاحمر وهو من الديباج على شكل جلم
وكانه من مراكب العجم والارجوان هو الصوف مثلث الهمزة وضم
الجيم قال الجوهري عن ابن الاعرابي هي حاشية تخرز كالقه السرج
وقال غيرهما هي اغشية السروج من الحرير وقيل هي جلود السباع
قال الشيخ رحمه الله قال كانت حريرا فوجه النهي واضح وهو
تحريم الجلوس عليها فانها حرير ولباس ما يفرش الجلوس عليه
وعلى هذا حمل القاسم اصحابنا وعمم مالك فاكره الجلوس من
اصحابنا فانه اجازه ولم ير الجلوس على الحرير لباسا ولا بأس بشيء
قال لباس كل شيء بحسبه وقد قال انس رضي الله عنه فمت الى حصير
لنا قد اسود من طول ما لبس وامائر كانت عندنا الميثرة
من جلود السباع ووجه النهي عنها انها حرير ومن لا يعمل
الذكاة فيها وهو امر التوثيق فيها عند اصحابنا او لانها لا تدبغ
عندنا واما ما كانت عندهم من الارجوان الاحمر فوجه النهي
عنها انها تشبه الحرير او انها كانت من زي العاجم يعني
من باب الذريعة وقد اليوم يعرفها والله اعلم والقسي بضم القاف
وقد اختلف في ضبطها وهي منسوبة الى القس قرية من قرى مصر
مما يلي الفرما وهي مطلعة بالحرير قال الجوهري هي ثياب من كتان
مضلعة بالحرير وقيل انه القزي ابدلت الزاي سينا والاسبرق فارسي
معرب وهي غليظ الديباج والسندس ما رق منه
والديباج خشن من الحرير والاستبرق والسندس من انواعه والديباج

فارسي معرب وجمع دهاقين وهم الرؤساء وقيل الكثير المال والنعم
من الدهقنة وهي الامتلاء والكثرة يقال دهقن فلان دهقنة من المال
اي اعطاه نبه وادهقته الامر املأته وقوله باب ما رخص فيه
من الحرير منع عبد الله العلم الحرير في الثوب انما كان لانه تمسك بعموم
النهي عن لبس الحرير وكانه لم يبلغه حديث عمر رضي الله عنه الذي
رواه عنه سويد بن غفلة الاتي في اخر الباب وانصواب اعمال
دلك المخصص في النهي العام ولاجل هذا المخصص قال ابن حبيب
انه يرخص وليس العلم والصلاة منه وان عظم قال الشيخ
ويعني بقوله وان عظم اذا بلغ اربع اصابع الذي هو غاية الرخصة
المذكورة في الحديث وروي عن مالك خلاف في قدر الاصبع من الحرير
يكون في الثوب فمعنى كرهه واجازه اخرى وقول ابن عمر رضي الله
عنهما في الجواب عن رجب نذر ان يصوم الابد فمات اذا افطر
صوم الابد فاما فقد لا يفطر صوم رجب فله فاجرا وهذا
يؤذن بان قتل عنه وانما قال ذلك لقول من يقول ذلك ويفتي به
الصحيح الاختلاف في صوم الابد وقوله واما مبشرة الازواد فمعنى
مبشرة عبد الله ما ذاقي ازواد يعني انه كان يستقل مبشرة الازواد
فقد نحرها وقد استقل قول من فسر المشرة المنهي عنها بالسمن
ازواد والازواد بفتح الهمزة ذكرها الجوهري وقول اسما
رضي الله عنها هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه دليل على جواز
العلم من الحرير فان الجبة كانت مكفوفة بالحرير وقد الاحتجاج لذلك اذا كان العلم من الحرير المصمت
الحد في الثوب فاجاز فان العلم بالجواز اولى ولا يلتفت لقول من قال
ان ذلك الحرير وضع في الجبة بعد موته النبي صلى الله عليه وسلم لانه لو كان ذلك

لما احتجت

كاتب

لما احتجت به اسما ولكان المواضع معروفا عندهم فان الاعتناء بتلك الجبة
كان شديدا وحفظهم لها عظيما لانها من اثار رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتداولة عندهم للتذكر والتبرك والاستشفاء ببعد ذلك الاحتمال
بل يبطله ما يدل عليه قولها هذه كانت عند عائشة رضي الله عنها الى اخر الكلام
فتامله فانه يدل على ذلك دلالة واضحة وقولها مكفوفة
كانها من كفة اللسان وهو الكساء الغليظ وقولها خسروانية بالخاء
المنقوطة من فوقها هي رواية ابن ماهان وبالحاء رواه غيره
وهي في الحالين منسوبة الى اسم عجمي كما قالوا كسروانية فتنبه لها
الى كسرى والله اعلم ووقع في بعض الروايات وفرجيها مكفوفين
منسوبين على اصار رجل اي ولت فرجيها مكفوفين وعند الخشني
وغيره وفرجاها مكفوفان مرفوعا على الابتداء والخبر والواو
حالية واكبيده ذومة هو سلكا يلة الذي لبسي صلى الله عليه
وسلم في حال بشرته ثم اسلم بعد ذلك واكبيدون تصغيرا كبر
وهو في الاصل سواد يضرب الى الغبرة وذومة رواها المحدثون
بضم الذال وصمها وحكاه ابن دريد بالفتح قال والمحدثون يقولونه بالضم
وهو خطأ منه دليل على جواز قول هذا المشركين ويقدم في الجهاد
وقوله انه ليس من كدي ولا كد أبيك يعني به مال المسلمس وهو صحيح
يفسره الحال في الكد السعي والتعب وقوله فاشبع المسلمس مما تشبع منه
اي لا تستأثر عليهم بشيء ولا تختص به دونهم امره ان يسوي بين نفسه
وبين الناس فيما يأخذه من مال المسلمين نفسه وحذره عن التنعم وهو الترفه
والتوسع وعن زي اهل الشرف يعني رسم المحوس اذ لا يغني به مشرك
العرب فان زي العرب كله واحد مشرك مسلم والزي ما تزيا الانسان به

اى يتزين ولذلك يوضع الى النساء وشبهه اللباس بما قال حالفوا المشركين
باسبالكم لا تشبهون وفى اخر ما بهم لا تصبغون وفى اخر حالفوا المجوس جزءا
الشوارب واوفوا اللحا ومن هنا كره مالك رحمه الله ما حالق فيه بعض
العرب حملة واحدة ولبوس الحرير لباسه تعالى لبس المتقون لعلكم تشاؤن ولبوسكم
وما روى عمر مسلم حرمه على عثمان هذا وما فيه انا نا كتاب عمر رضى الله
عنه ولحق بادر بيحان مع عتبة بن فرقد ما فيه اما بعد فانذروا
وارتدوا وانتعلوا واتقوا الحفاف والسراويلات وعليكم بلباس
ابيكم اسمعيل وايا كم وزى العجم وعليكم بالشمس بادها حماكم العرب
وتمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا واقطعوا الركب وانزوا
وارموا على الاغراض وقوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلى بحر
الحرير الا هكذا رافعا اصبعيه السبابة والوسطى يعنى الاعلام وقوله
قرنتها ازرار الطيالسة الازرار جمع زر وهو ما يزر به
الثوب بعضه على بعض ومنه ازررت على كذا بمعنى ويعنى به اطراف
الطيالسة وهى جمع طيلسان وهو الكساء والثوب الذى له علم
او كانا كانت لها الاعلام من حرير وقوله فما علمنا انه يعنى به الاعلام
كذا رواية انا نصرفى والاصل ومعنى ذلك انا لم نتردد ولم نتبطى
ورواه الطبرى وكسره ما علمنا الا انه يريد الاعلام وهو واضح وكذا
رواه قاسم بن اصبغ واما حديث سويد بن غفلة الذى قال فيه الا
موضعا اصبعين او ثلاث او اربع فذكر الشعبى الا قتادة قال وهو مرسل
ورواه جماعة من الائمة الحفاظ موقوفا على عمر رضى الله عنه قوله وقد
تقدم فى اول الباب ذكر الخلاف فى العلم ومقداره ٥ ومن باب
من لبس ثوب حرير خلقا وسموا نزعه اول حامر رضى الله عنه لبس رسول الله

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم قباء من ديباج ٥ لكان سرا للباس منه صلى الله عليه
وسلم على ان يحرم الحرير لما لبسه اعلم بالتحريم فجعله سرعا ويدخل
على هذا قوله تعالى يحسبه جبريل صلى الله عليه وسلم واوشك معناه
اسرع وقوله اوشك ما نزكته كذا وقع فى بعض روايات مسلم
اوشك وعند بعضهم فذا وشك وهو كلام عربى مستقيم وهو ابلغ
والله اعلم ما اوشك ما نزكته على حمة التعجب فسقطت ما عند
بعضهم وتحققت بقوله عند اخرين ودلالة هذا الحديث على منتهى
الترجمة واضحة والقباء والفروج كلاهما ثوب ضيق الكمين ضيق
الوسط مشقوق من خلف لتشمر فيه للحرب والاسفار وقوله لا ينبغى
هذا للمتقين اى للمومنين حاشاهم ثم الذين يخافون الله تعالى واتقوه
بايمانهم وطاعتهم له والفروج قيد بفتح الفاء وضمها والضم المعروف
واما الراجح فمنعه على كل حال وكفف والله اعلم واوشك اسرع
وقاربت وقوله هنا تلفظ الماضى وهو اكثر الاضمى ايعار بن
هذه اللفظة بحر المستقبل حاصة كقولك يوشك يخرج الشتاء وهو
قال الخليل انما يقال وهذا الحديث يصحح قول الخليل ٥

ومن باب الرخصة فى لباس الحرير للعلة ٥ رخص النبى
صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن والزبير رضى الله عنهما فى لباس الحرير لحكة
او للقمل هو دليل على جواز ذلك للضرورة وبه قال جماعة من اهل العلم وبعض
اصحاب مالك واما مالك فمنعه قال ابو عمر والحديث واضح الحجة عليه
الا ان يدعى الخصوصية بهما ولا يصح او لعل الحديث لم يبلغه ٥

ومن باب النهى عن لبس القسى والمعصفر قوله
راى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبين معصفرين المعصفر

المصبوغ بالعصفر وهو صبغ احمر وقوله صلى الله عليه وسلم ان هذين من ثياب
الكفار فلا تلبسهما يدل على ان علة النهي عن لباسهما التشبه بالكفار
وقوله في الرواية الاخرى اشك اسرتقر بعد انه شعر بانه انما كرههما
لانهما من لباس النساء وظاهرهما انهما علتان في المنع ويحتمل ان يكون
العلة مجموعهما وقد اختلف العلما في جواز لبس المعصفر فروي كراهته
عن ابن عمر واجازه جماعة من الصحابة والتابعين والفقهاء وهو قول
مالك والشافعي وكره ما اشتدت حمرته عطا وطاوس وابيحا ما خف
منها ومرقبعضهم بين ان يتخذ هن فيجوز او تلبس فتكره وهو قول ابن عباس
والطبري وكره بعض اهل العلم جميع الوان الحمرة وقد صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه لبس حلة حمرا وقد لبس النبي صلى الله عليه وسلم ما صبغ بالصفرة
على ما جا عن ابن عمر رضي الله عنهما فلا وجه لكراهة الحمرة مطلقا وانما المكروه
العصفر للرجال والمزعفر لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك للرجال
وكره العصفر بعض اهل العلم مطلقا واجازه مالك تمسكا بحديث ابو عمر المتقدم
وقد حمل بعضهم النهي على المحرم قال الشيخ رحمه الله وهو الذي يبعد
لان الرجال والنسا ممنوعون من التطيب في الاحرام فلا معنى لتخصيصه
بالرجال وانما علة الكراهة في ذلك انه صبغ النسا وطيب النسا وقد
قال صلى الله عليه وسلم طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النسا
ما ظهر لونه وخفي ريحه والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم بل احرقهما
ما لفظه الزوجر والزجر ومن باب جواز العقوبة في الاموال ولم نسمع
باحد قال بهذا كله والله اعلم وقد تقدم الكلام على باقي الحديث ٥ ترجم باب
لبلس الحمرة ٥ وفي نسخة بخطه موتى بها سر اليمن وسمت بالحمرة
لانها تخمر اي تستر بقية والتخمير التزيين والتحسين والمكلمة التي

تراكت

تراكت حمله حتى صار كالبيد والبزة واحد المروك وهو كساء مربع
من صوف او خز او قطن قاله الخليل قال ابن الاعرابي وابو زيد
هو الازار وقال الحنفاجي هو كساء يؤتزر به ويرحل ويروى بالحا
المهملة وبالجيم فبالجا سه صوت الرجال وبالجيم سه صوت الرحال والرحل
صوت التراجيل وهي القدور ومنه قالوا سيرك تراجيل على الاضافة
والوساد ما توسد عليه اي يتكا عليه وجعل تحت الرأس والضجاع
ما يضطجع عليه وهو الفراش وقول ابن عباس المتقدم فاضطجعت
في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوكز لها
معناه انهم وضعوا رؤوسهم على الوسادة على بلك الصفة وعبر عن ذلك
بالاضطجاع والاتكاء جميعا قال الخليل هو طمارة الفراش وقال
ابن دريد هو ما تسترته (القتوذ) وهو في حديث عائشة رضي الله عنها
ثوب ستر له شهوتها وهو القرام وفي حديث عائشة وقد يكون
من حرير وعهن وقد سمى نمرقة في بعض طرق حديث عائشة رضي الله عنها
وقد عبر عنه بالستر في حديث بعضها وهذا كله يدل على انها اسما لمسمى واحد
وسياتي حديث عائشة بعد ان شا الله وقول جابر رضي الله عنه اتى لنا
اياك استبقاء لذلك معناه من ابن يكون لنا اياك وقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما انها ستكون له سرا بل صدقة صلى الله عليه
وسلم فانها اخبار عن غيب وحدث كما اخبر عنه وقول جابر رضي الله
عنه لامرأته تحتي عني تمهدي فانما قال ذلك لما علمه من مخافة ابتذاله
في الدنيا واهمال الثمالة لانه حقير اذ لبس في الحديث ما يدل عليه واستدلالها
عليه بقوله صلى الله عليه وسلم اما انها ستكون له سرا هو استدلال بتقرير النبي صلى الله
عليه وسلم على اتخاذ الاتماط لانه لما اخبر بانها ستكون ولم ينه عن اتخاذها

انتها

ما زاد فعلها على الغير واحتقره وهو الخير المذموم والبزدا بالبرد آ
والازار وهو اعلى طريقة تشبيه العمر بالعمر والعمر بتحلل المحتف
به مع تحرك واضطراب قاله الخليل وغيره وتغيير هذا الحديث
ترك الامر بتحميل المؤاخذة على الذنوب وان تحمد المرء نفسه
وثوبه وهيئته حرام وكبيرة وقوله صلى الله عليه وسلم ارفع
ازارك دل على ان هذا لا تقبل بنكر وان امتثل ما مور من فاعله
على ما وهو او قوله زد حمل له على الاحسن والاولى وهذا
كما بينه في الحديث الاخر اذ قال ازرة المومن الى انصاف ساقيه
لا حناح عليه فيما بينه وبين الكعبين فما اسفل من ذلك ففي النار وقوله
فما زالت تلك الحرة اي اخص الهيئة التي امر بها النبي صلى الله عليه وسلم
واحافظ عليها وتعني بها ازرته الى انصاف ساقيه كما قال في عقبه
الحديث وفي لباسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء وقال الحكيمي
دليل للمشيوخة غير انه صلى الله عليه وسلم لم يعود لك منه دايما
ولا في كل لباسه بل في العمامة حاجة لان اذا امر الامام بلباس ذلك
وجب امتثاله وارخاؤه كرخي العمامة من خلفه دليل على استحسان
ذلك مع انها عادة العرب يعني بالكرخي الاعلى والاسفل ومنه دليل
على تحسين الهيئة وحال الحكيمي وتجمعات الناس ومن باب النهي
عن تختم الرجال بالذهب اصطناع النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الذهب
ولبسه اياه قال ذلك قبل التحريم معدود من باب النسخ كما مر الحديث
ومعدود تحريمه على الرجال الا ما روي عن علي وعبد الله بن عمر الرخص وخطاب
وهو خلاف شاذ مردود بالنصوص وكل منهما لم يسلفهما التحريم والله اعلم
وقوله واجعل فصه من داخل وايما دخر النبي صلى الله عليه وسلم ولم تبعها

دل ذلك على جواز الاتخاذ وقوله صلى الله عليه وسلم فراش للرجل
وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان دليل على جواز اتخاذ
الانسان من الفرش والآلة ما يحتاج اليه وتترفه به من غير اسراف
لان الافضل ان يكون له فراش يختص ولامرأته فراش فقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له الا فراش واحد وبين عائشة
رضي الله عنها وكان فراشنا ما كان عليه وكحسان عليه ما تنهار واما
فراش الضيف فيتعين للضيف احداثه له لانه من باب اكرامه والقيام
بحقه ولانه لا يتاتى له شرعا الاضطجاع ولا النوم مع الضيف
والقيله على فراش واحد ومقصود هذا الحديث ان الرجل اذا اراد ان
يتوسع في الفرش فمائته نلاث والرابع لا يحتاج اليه وهو من باب
السرف وفقه هذا الحديث ترك الاكثار من الآلات والامور المباحة
والترفه بها وان يقتصر على حاجته ويسمى الرابع للشيطان ذم له
لكن لا يدل على تحريم اتخاذه واما هذا من باب قوله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان ليتحمل الطعام الذي لا يذكر اسم الله عليه والبيت الذي لا يذكر الله
فيه ولا يدل ذلك على التحريم لذلك الطعام كما تقدم والله اعلم ٥
ومن باب من جر ثوبه خيلاء قوله لا ينظر الله الى من جر
ثوبه خيلاء ٥ يعني لا ينظر الله نظر رحمة وقد تقدم هذا في الايمان
والخيلاء والمخيلة التكبر وقد تقدم ايضا والمسبول في الحلاء من الخا
وقد تقدم تفسيرها والثوب تعم الازار والرداء والقميص فلا يجوز جر
شيء منها والتجر الاشر ويجر معه الكبر وخيلاء وفخر امصدر
نصب المصدر الذي هو مفعول من اجله ٥ والجاب الرجل نفسه نحو
ملاحظته لها يعجب الحال والاستحسان مع يقتضيان مقت الله تعالى

فان فعل

على جعل الفص من داخل لانه اعون للنقش واصون للنقش وانقشه
من التغيير ويجوز ان يجعل فصه من ظاهر الكف وقد روى ان النبي صلى الله عليه
وسلم نقشه وجعله للخاتم في السبابة يدل على جوازه وقد روي
من حديث انس رضي الله عنه انه تختم في الخنصر من يده اليسرى وكل
جايز الا ان مالكا راى ان التختم في اليسار اولى لان لباس الخاتم من الافعال
التي تتناول باليمين فيجعله في الشمال باليسار اذ ليس من الافعال الخسيسة
بل يتناوله قوله صلى الله عليه وسلم اذا البستم وتوضاتم فابدوا بايامنكم
وقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي كرح الخاتم من يده بعد ان رمى به الى جمرة
من نار فجعلها في يده فجعلها في يده يدل على تغليب التحريم وان لباس خاتم
الذهب من الكبائر الذي يحد تغييره وقول الرجل لصاحبه خذ خاتمك انتفع
به يدل على انهم علموا ان المحرم انما هو لباسه لا اتخاذه ولا الانتفاع به
وسر الاختلاف عنه في الخاتم هل لباسه للساحات وهو الخلاف او الى الذهب
والفضة هل اتخاذها محرم لانه لا يجوز استعمالها لا فرق وقد
الخلاف في ذلك وقول الرجل لا والله لا اخذه ابدا مبالغة في طاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيجوز ان الرجل قد فهم ان النهي لم يتحقق من المساجيس
لا انه اضاعه فانه صلى الله عليه وسلم قد نهاه عن اضاعة المال وقوله
اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب هم انهم اتخذوا خاتما
من ورق فلبسه الخاتم له صلى الله عليه وسلم على اتخاذ الخاتم السيد الوجه
انس رضي الله عنه ان انه لما اراد ان يكتب الى كسرى وقيصر والنجاشي
وقيل له انهم لا يقرؤون كتابا الا مختوما اتخذ الخاتم ليختم به هذا هو
المقصود الاول فنهم انه جعله في يده مستحبا له حفظا وصيانة
من ان يتوصل اليه غيره ولذلك منع من ان ينقش احد على نقشه فان

اذا

اذا نقش غيره مثله اختلطت الخواتم وارتفعت الخصوصية
وحصلت المفسدة التي امنوا منه وقد بالغ بعض اهل السلام فمنعوا الخواتم
لغير ذوي سلطان منه وقد اجمع العلما على جواز التختم بالورق على الجملة
للرجال خلافا للخطابي وغيره للنساء التختم بالذهب لانه من زي الرجال فان
لم يحزن ذهبا فلمصفرته من زعفران او شبهه وقوله ونقش فيه
محمد رسول الله فيه دليل على جواز نقش اسم صاحب الخاتم على خاتمه
الا ان يكون اسمه محمدا فلا يجوز النقش عليه للنهي عن رد كل وعلى
جواز نقش اسم الله تعالى عليه او كلمة حكمة او كلمات من القرآن اذا
نقش عليه اسم الله وجعله في شماله مثل يدخل به الخلاء ويستنجي
بشماله خفف سعيد بن المسيب ومالك وبعض اصحابه وروي عنه
الكراهة وهي الاولى وكون الخلفاء تداولوا خاتم النبي صلى الله عليه
وسلم انما كان لكثرة ما ثار النبي صلى الله عليه وسلم واقتدائهم به
واستحبابهم لحاله حتى كانه حق معلوم ولم تزل امرهم مستقيما
متفقا عليه في المدة التي كان في ذلك الخاتم فلما فقد احدث
الناس على عثمان رضي الله عنه وكراهة القتر ما هو معروف ولا زال
الهرج الى يوم القيامة ببير اريس معروفة

بيرة

وقوله فيه فص حبشي يعني حجر حبشيا وقد روي انه كان فصه منه
وخرجه البخاري من حديث ابن عمر وعوانة من حديث جابر ليس بخلاف كان
للنبي صلى الله عليه وسلم خواتم فص احدها حبشي والاخر فصه منه
وقد روي انه تختم بعض عقيق وكل ذلك صحيح وقول انس رضي الله عنه
انه راى بريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابهة ما واحد انهم ان الناس اصطنعوا
الخواتم من ورق فلبسوها فطرح النبي صلى الله عليه وسلم خاتمه وطرح

ما لم يقرؤ

الناس خواتيمهم ٥ هذا الحديث من رواية ابن سماك عن انس وهو
وهم من ابن سماك عند جميع اهل الحديث وانما الثابت ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم وخاتم الرهن كما تقدم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
قاله القاضي عياض قوله كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه
واشار الى الخنصر من يده اليسرى لا خلاف بين العلماء وفي الآثار
ان اتخاذ خاتم الرجال في الخنصر اولى لانه اخفظ له من المسبحة
ولانه لا يشغل اليد عما تتناوله من اشغالها بخلاف غيرها من
الاصابع والخنصر هي الاصبع التي بين الوسطى والبنصر
وقال جمهور اهل اللغة هي بكسر الخاء وضمها وكذلك البنصر وهي اصغر الاصابع
قال الشيخ ولو تختم في البنصر لم يكن ممنوعا وانما الذي هي
عنه في حديث علي رضي الله عنه الوسطى والتي تليها من جهة الابهام
وهي التي يسمى المسبحة والسبابة ٥ ومن باب الانتعال
وقوله صلى الله عليه وسلم استكثروا من النعال فان الرجل لا يزال
راكبا ما انتعل هذا الكلام بليغ ولفظ صحيح حيث لا نسخ على منكر له
ولا مؤنس تنبيه له وهو ارشاد الى المصلحة وتنبيه على ما يخفف
المشقة قال الحافي المراد للمشي بالنعل من الآلام والمشقات والعثار
والوحل ما يقطعه عن المشي ويمنعه من الوصول الى مقصوده كالراكب
المتنعل فانه لا يحصل له ذلك فهو موهم شبيه فيصل الى مقصوده كالراكب
فلذلك شبهه بالراكب حيث قال لا يزال راكبا ما انتعل وقوله اذا
انتعل احدكم فليبدأ باليمنى واذا خلع فليبدأ بالشمال هذا على
ما تقدم من استحباب اليمنى فانه اذا انتعل بها اولا فقد قدمها
في الصبا بنعل لليسرى وكذلك اذا خلعها اخيرا فقد لقي عليها

فراشها

فراشها وصانها ونظفها وقد يقدم هذا على الذي قوله لينعلهما جميعا
او ليخلعهما جميعا ٥ هذا الحكم لمن انقطع شسع احد نعليه ونحوه
عن ان يمشي في نعل واحدة لا رذلك من باب التشويه والمثلة
ولانه مخالف لزي اهل الوقار وقد يحمل المشي وهذا الحكم في الحر
الشديد هذا وفي حديث ابي هريرة الذي قال فيه اذا انقطع
شسع نعل احدكم فلا يمش في الاخرى حتى يصلحها وهذا اشد عملا وابلغ
في ذلك فعلل مالك بكا هذا الحديث ان من انقطع نعله لم يمش
في الاخرى لئلا تقف معها وان كان في ارض حارة لتحفهما والا دعى يصلح
الاخرى الا في الوقوف الخفيف والمشي اليسير وقد رخص بعض
السلف في المشي في نعل واحدة وهو قول مردود بالنصوص المذكورة
والاجماع في ان اوامر هذا الباب وتواهيه انما هي من الآداب المحمدة
وليس شيء منها على الوجوب والا لكثر عدد معتبر بقوله من العلماء
والله اعلم ومن باب السعي في اشمال الصماء قول علي رضي الله عنه
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشمال الصماء الاشمال الالتفاف
وهو ان يخالف طرفي ثوبه على احد شقيه او على عاتقه واختلف اللغويون
والفقهاء في تفسير اشمال الصماء فقال الاصمعي هو ان يشمل بالثوب
حتى يجلل جميع جسده ولا يرفع منه جانبا قال القتيبي انما قيل لها
الصماء لانه اذا اشتمل بها سدت على يديه ورجليه المنافذ كلها
كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع وقال ابو عبيد واما
تفسير القتيبي هو ان يشمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه
من احد جانبيه فيضعه على احد منكبيه وعلى هذا يكون انما نهى
عنه لانه مؤد الى كشف العورة وعلى تفسير اهل اللغة انما نهى لخافة

ان يعرض له شي يحتاج الى رده بيده فلا يحر الى ذلك سبيلا **وقوله** وان يحتبي بثوب واحد كان شفاعي فرجه ه كانت عادة العرب ان يحتبي الرجل بردائه فيشده على ظهره وعلى ركبتيه فان عليه ازارا او لم يكن فان لم يكن ازار انكشف فرجه بما يلي السماء من كان مشتملا عليه متتبعا وهو حرام وفي كتاب الصلاة **وقوله** وسعى ان يرفع الرجل احدى رجليه على الاخرى مستلقيا وقد قال بعض اهل هذه الحاله مطلقا بعض فقهاء اهل الشام وقائلهم لم يبلغهم فعل النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الحاله اوتأولوها والاولى الجمع بين الحديثين فيحمل النهي على ما اذا لم يكن على عورته شي يستترها ويحمل فعل النبي صلى الله عليه وسلم لها على انه كان مستور العورة ولا شك انه استلقى استراحه اذا كان مستور العورة وقد اجازها مالك وغيره للرجل ه

ومن باب ضم الشعر والنهي عن تسويده قوله اتى بابي قحافة يوم فتح مكة هو ابو بكر الصديق رضي الله عنهما واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم اسلم يوم فتح مكة وله محمد ومات في المحرم سنة اربع عشرة من الهجرة وهو ابن سبع وتسعين سنة بعد وفاة ابنه النبي بكر رضي الله عنه باشهر والثغامة نبت ابيض الزهر والثمر شبه بياض الشيب به قاله ابو عبيدة وقال ابن الاعرابي هو شجره تنبت كانها الثلج **وقوله** صلى الله عليه وسلم غيروا هذا الشيب امر بتغيير الشيب قال به جماعة من الخلفاء والصحابة رضي الله عنهم لكن لم يوجد الى الله على الوجوب وانما هو مستحب وقد راى بعضهم ان ترك الخضاب افضل وقد اتى الشيب افضل من تغييره فتمسكوا بذلك نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تغيير الشيب

على ما

على ما ذكره وبانه صلى الله عليه وسلم لم يغير شيبه (اختضب قال الشيخ رحمه الله وبعد القول ليس بشي اما الحديث الذي ذكره فليس بمعروف ولو كان معروفا فلا يسلم ان النهي الى هذا الحديث واما قولهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخضب فليس بصحيح فقد صح عنه انه خضب بالحنا وبالكتم على ما مضى وبابي ان شاء الله **وقوله** واجتنبوا السواد امر باجتناب السواد وكريهة خلافه متفق على ان كما فيه رضي الله عنه ومالك رحمه الله ه قال الشيخ رحمه الله وصوابه الخاء من بعد الحديث وهو خطاء قال وانه من باب التدليس على السنا وبانه سواد في الوجه فكره لانه تشبه بعض اهل النار وقد روي اسود اوجه انه صلى الله عليه وسلم قال في بعض ما ان قوما يخرجون في اخر الزمان يومئ يخضبون بالسواد لا يرحلون الجنة والكرون ريحها عمر انه لم يسمع ان احدا من الصحابة رضي الله عنهم قال بتحريم وذلك قد روي عن جماعة من السلف انهم كانوا يخضبون بالسواد منهم عمر وعثمان والحسن والحسين وعقبة بن عامر ومحمد بن علي وعلي بن عبد الله بن عباس وعروة بن الزبير وابن سيرين وابو بردة بن ابي موسى وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال هو اشكر للزوجة واذهب للعدو **قال** الشيخ رحمه الله ولا ادري عزيزا ولا عن جرت اي في فتنة ما هو فاقل ورايته الشراحه كما ذكره الله تعالى **قال** الشيخ واما الصباغ بالحنا بحتا او بالحنا والكتم فلا ينبغي ان يختلف فيه لصحة الاحاديث بذلك بحيث انه قد قال بعض العلماء ان الامر بذلك محمول على حالين اذ انما عادة البلد ممن كانت عاده موضعه ترك الصبغ بحر وجه عن المعتاد وسمرة

تقبح وتكره وتابيهما اختلاف فحال الناس في شيبهم مرت شتتة تقبه
في احد بيضا منها مصوغة وبالعكس فمن قبحه الخضاب اجتنبه
ومن حسنه استعمله وللخضاب فائدتان احداهما تنضيف الشعر
مما يعلق به من الغبار والوخام والاخرى مخالفة اهل الكتاب
لقوله صلى الله عليه وسلم خالفوا اليهود والنصارى فانهم لا يصبغون
قال الشيخ رحمه الله ولعل هذا الصباغ بعد السواد لما سيأتي في قوله
اجتنبوا السواد والله اعلم وقد تقدم الكلام على النهي عن التزعير
وسيأتي النزول ومخالفة اهل الكتاب ان شاء الله تعالى؟

قوله

ومن باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب او صورة الملائكة هنا
والناس عموما والمراد به الخصوص فان الخطة ملازمة للانسان
هذا قال بعض علمائنا والظاهر العموم والمخصص ليس بقاطع وذلك
قوله كلب وصورة فلاما للعموم في سياق النفي وقد ذهب بعض
العلما الى ان المراد به الكلاب التي لم يؤذن في اتخاذها فيستثنى من ذلك
كلب الصيد والماشية والزرع واما الصورة فمرادنا التماثيل
من دوات الارواح ويستثنى من ذلك الصورة المرقومة كما هو عليه
في الحديث على ما مأتي وانما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه التمثال
لان متخذها في بيته قد تشبه بالكفار الذين يتخذون الصور في بيوتهم
ويعظمونها فحرمت الملائكة ذلك منه فلم يدخل بيته تحببا اليه
وبغضا عليه واصله في العصي الذي هو الكلب المانع للملائكة من الدخول
بدهنه كما نقله الى انه النجاسة وهو من جملة من قال بنجاسة الكلب
وتابيد في ذلك نضحه صلى الله عليه وسلم موضع الكلب قال الشيخ رحمه الله
هذا ليس براجح وانما هو بتقدير احمال تعارضه احمالات اخر احدها

اساس الشد اكس كما قدما في بعض الحرب وتابعها اشتخبات
والحفاء استقذار بعاد وتالثها النجاسة الى تتعلق بها
ما هانا كلسا وتلطخ سا مذكور بحسنة تما يعلق بها الا عيانا
والمخالف يقول هي نجسة الاعيان وعلى ما قلناه يجب ان يقال
انه صلى الله عليه وسلم شد في طهارة موضعه لاحتمال ان يكون
اصابه من النجاسة الملازمة لها الغالبة شي فنضحه لان النضح
طهارة للمشكوك فيه فلو تحقق اصابة النجاسة الموضع لغسله
كما فعل بول الاعرابي ولو كان الكلب نجسا لعينه لا لما يعلق به
لما احتاج الى غسله كما لا يحتاج الى غسل الموضع او الثوب الذي
يمر عليه عكم ميتة او نجاسة لا رطوبة فيها وعلى هذا فقد
وقد الاحتمال الاول ان يعتبر ما لم يعارضه الاحتمالات متعارضة
والاصل قائم والامر حاسم وقوله فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوميء فامر بقتل الكلاب وقد رواه جميع الرواة فاصبح فامر
مرتبا بالفاء التعقيب فيدل ذلك على ان امره بقتل الكلاب في ذلك
اليوم فلما حل امتناع جبريل صلى الله عليه وسلم من دخول بيته
ويحتمل ان يكون ذلك لمعنى اخر غير ما ذكرنا ويحتمل ان ذلك ابتداء كان
ليتقطعوا عما كانوا الفوه من الانس بالكلاب والاعتناء بها
واتخاذها في البيوت المبالغة في اكرامها واذا كان ذلك كثرت
وكثر ضررها بالناس من الترويع والجرح وكثر تنجيسها للديار
والازقة فامتنع جبريل من الدخول لاجل ذلك واخبره النبي صلى الله
عليه وسلم وامر بقتل الكلاب فانزجر الناس عن اتخاذها وعما كانوا
اعتادوه منها والله اعلم ومنه من الفقه ان الكلاب يجوز قتلها

لانها من السباع وكل ما كان في بعضها منفعة وكانت من نوع المنابذ
سوى مما لا يضر منها وقوله حتى انه يامر بقتل كلب الحايط الصغير
ويترك كلب الحايط الكبير يعني الدليل على جواز اتخاذ ما ينتفع به
من الكلاب في غير الحوايط وعمر ما الا ترى ان الحايط الكبير لما
كان يحتاج الى حفظ حوانيه تركه كلبه ولم يقتله بخلاف الحايط
الصغير منها فانه امر بقتل كلبه لانه لا يحتاج الحايط الصغير الى كلب
فانه تخفيف من عمر كلب الشر جوانيه وقول بشير لعبيد الله الخولاني
الم يحدثنا وانت يومئذ يعني زيد بن خالد ودليل انه ايا دخل منزل
زيد فراى الستر فيه صور ذكر بشير عبيد الله الخولاني الحديث
الذي حدث به زيد عن ابي طلحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله لا تدخل الملايكة
بيتا فيه صورة وقال ابو طلحة فزد ذكر ذلك فتحلا له قوله
صلى الله عليه وسلم الا ما كان رقما في ثوب فاستثنى المرقوم من الصور
فحصل منه ان الملايكة لا تمتنع من دخول بيت فيه صورة مرقومة
ومن هنا فهم القاسم بن محمد جواز اتخاذ ما في الثوب مثلنا فيما
حكيناه عنه ترجيحا لهذا الحديث على حديث عايشة او نسخا له وبه
قال والجمهور على المنع فمنهم من منعه تحريما وهو مذهب ابن شهاب
ترجيحا لحديث عايشة على حديث زيد والجمهور حملوه على الكراهة
وهو الاولى ان شاء الله تعالى وليس بناهي التحريم فما قل مما كثر منه
منه على الكراهة وحديث زيد لا يقتضي الجواز وانما مقتضاه ان الملايكة
تدخل البيت الذي فيه الصور المرقومة خلاف الصور ذوات الظل
فانها لا تدخل بيتا فيه وسياتي وجه حكمة غير انه تكرر لما رواه

ابو داود

امود اود من حدث ابي طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني جبريل صلى الله عليه وسلم فقال اتيتك البارحة فلم يمنعني
ان اكون دخلت الا انه كان على الباب تماثيل وكان في البيت قرام
فيه صور وكان في البيت كلب وذكر الحديث وهذا الدليل دلالة
واضحة ان الملايكة لا تدخل بيتا فيه صورة مرقومة وبهذا
يرتفع التعارض والمخلص منه الترجيح ولا شك في ترجيح
حديث مسلم والتمسك به على ما قررناه اولى والله اعلم

وفي باب قراءة الستر الذي فيه التماثيل

حديث عايشة رضي الله عنها كثرت رواياته واختلفت العاده
حتى يتوهم انه مضطرب وليس كذلك لانه ليس فيه تناقض
وانما كانت القضيه مشتملة على كل ما نقل من الكلمات والاحوال
المختلفة لكن نقل بعض الرواه ما سقط عنه غيره ويحترز كل
منهما بما تيسر له من العباره عن تلك القضيه ويجوز ان يصور
هذا لك الاختلاف في عزاء واحد في اوقات مختلفه والاقرب ما قلناه
فانه اذا جمعت تلك الروايات كلها اتضحت وكملت الحكايه عن
تلك القضيه وعلى هذا التصور مع هذا اختلاف كلمات القصه
المتحدة في القرآن فانه تعالى يذكرها في موضع وجيزه وفي آخر
مطوله ويأتي بالكلمات المختلفه الالفاظ مع اتفاقها على المعنى
المراد منكر مثل هذا في الاحاديث وقولها ما حرت بمكانها ستر ته
على الباب هذا الذي عبرت عنه في الروايه الاخرى
بالدرنوك وهو بكسر الدال وفتحها وهو الستر الذي كان فيه
تماثيل الخيل ذوات الاجنحة والباب يراد به هنا باب البيت

المذكوره في الروايه الاخرى وهو بيت صغير تشبه المخدع
وقال الاصمعي هي شبه الطاق تجعل فيه الثياب وقيل شبه الخزانه
الصغيره وهذه الاقوال متقاربه وقولها ستر ته على الباب
اي ستر به الباب اي جعلته سترا على الباب وقولها فلما
راى النبي عرفت الكراهيه في وجهه اما عرفت الكراهة
في وجهه لانه تكره وجهه ووقفوا لم يدخل خوفا حاق الطريق
الاخرى لما رات ذلك الحال فاقت فقدمت في اعتذارها النويه
ثم سالته عن الذنب فاسالم تعرفه فعنر ذلك هتك النبي وهتكه
محصل من مجموع هذه القرائن ان اتخاذ الثياب الى هذا الشكل
محرم رقما كان هذا او صبغا وهو مذهب ابن شهاب فانه منع
الصور على العموم واستعمال ما هي فيه ودخول البيت الذي
هي فيه رقما كانت او غيره في ثوب او حائط لمنتشر او لا ممتهن
ممسكا بعمومات هذا الباب وما ظهر من هذا الحديث وذهب
اخرون الى جواز كل ما كان رقما في ثوب ممتهن او لا معلقا كان
اولا وهو مذهب القاسم بن محمد تمسكا بحديث زيد بن خالد الجهني
قال الا ما كان رقما في ثوب وذهب اخرون الى كراهة ما كان هذا
معلقا وغير ممتهن لان ذلك مظانه من اعظم الصور ويعبد بها
كالصنم وما كانت الحاجة تدعو اليه لعذر والحاصل من مذاهب العلما
في الصور ان ما كان منها ذا ظل فصنعته واتخاذه حرام وينكر
يجب تغييره ولا يختلف في ذلك الا ما ورد في لعب البنات - وصغار
البنات وما لا يبقى من الصور كصور الفخار التي يلعب بها الولدان
كبيران المتهور في لعب البنات جواز اتخاذها للرخصة في ذلك لهن

كره مالك

كره مالك شرا الرجل لها لاولاده لانها من اخلاق اهل المروات
والفضل عند الناس المشهور منها لا يبقى المنع واما ما كان رقما او صبغا
مما لبس له ظل فالمشهور فيه الكراهة وقولها فجبذه حتى هتكه
يدل على ان ما جمع على غير الوجه المشروع لا مالية له ولا حرمة
وان من كسر منها او اتلف شيئا من الصور لم يلزمه ضمان وقوله
ان الله لم يامرنا ان نكسو الحجارة والطين يعلم منه طريقة ستر
الحيطان بالستر لان ذلك من الترف وفضول زهرة الدنيا
التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان نمد اعيننا اليها بقوله تعالى
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ولذلك قال في الرواية الاخرى ما لي ولها
دخلت وذكرت الدنيا وهذا الستر هو الذي كان على الباب وقاته
صورة تعرض في صلاته كما قال في البخاري فانه لا تزال تصاويره
تعرض لي في صلاتي ويعد مجموع هذه الروايات ان يمتد هذا الستر
انما كان بعد تكرار دخول النبي صلى الله عليه وسلم ورويته له
وصلاته اليه فلما تبين له حكمه امتنع من دخول البيت فهتكه
وقد فعل سلمان الفارسي رضي الله عنه نحو هذا لما تزوج الكندية
وجاء ليدخل فوجد حيطان البيت قد بليت فلم يدخل وقال ابشري
لذل الجمود بيتنكم ام تحولت الكعبة في بيتك فان بلى فلا ذلك
ودعا ابن عمر لابي ايوب رضي الله عنهم فرأى ستر اعلى الحجار فقال
ما هذا فقالت لنا علينا عليه النساء فقال من كنت اخشى عليه فلم اكن اخشى
عليك والله لا اطعم لكم طعاما فرجع ذكره البخاري وقد اخرجت
عائشة رضي الله عنها المنع من ستر حيطان البيوت وما جر الى الميل

الى زينة الدنيا وعن اتخاذ الصور المرقومة ومن الصلاة الى ما شغل
عنها وقول عائشة رضي الله عنها فقطعنا منه وسادتين حشوتهما
ليفنا يحتمل ان يكون هذا التقطيع ازال شكل تلك الصور
وانكلها فيزول الموجب للمنع ويحتمل ان يكون تلك الصور او بعضها
باقيا لكنها لما استهتنت بالعود عنها سامح فيها وقرر هذا
الى كل احتمال منهما كما يفهمه من العلماء والحق ان كل ذلك محتمل وليس
احد الاحتمالين بأولى من الآخر ولا معين لاحدهما فلا حجة في الحديث
على واحد منهما واما الذي بعده بعد الحديث حوار اتخاذ النمارق
والوسائد في البيوت وقول عائشة رضي الله عنها انها اشترت
نمرقة فيها تصاوير يكون اراد ان بالنمرقة فيها الستر
الذي يلزم ذكره وسمته نمرقة لانه آل امره الى النمرقة كما سمى
العنب خمرا مآله والنمارق هي اصل الوضع الوسايد والمرافق
ومنه قوله تعالى ونمارق مصفوفة وقال الشاعر

كهول وشبان حسان وجوههم على سرر مصفوفة ونمارق ٥

فخبر ان هذا التاويل بعده قولها في تفسير الخبر لما قال لها النبي
صلى الله عليه وسلم ما بال هذه النمرقة فقالت محبة اشترتها
لك تقعد عليها وتوسدها فهذا يصرح بان هذه النمرقة غير
الستر وان هذا حديث آخر بعد ذلك وحينئذ يستفاد منه ان
الصور لا يحرم اتخاذها في الثياب وان كانت ممتهنة وهو
احد القولين كما قدمناه وقوله وكانت لنا قطيفة كنا نقول
عليها حرير ودنا لبسناها القطيفة كساء زغبر وفيه دليل
على جواز لبس الثوب منه العلم من الحرير وقد تقدم القول فيه

ولم يرد

والمراد في شيء من الاحاديث ان هذا الثوب الذي عاتبه بالدرهم
والقرام والتمط انه كان حريرا وذلك النمرقة ملاحفة في شيء
من ذلك لعدم الملك على قوله انه يحرم افتراش بساط الحرير وراى
ان ذلك لباشا لها وهذا قول شاذ به عن جميع العلماء فانهم راوا
ذلك لباشا منهما عنه ولباس كل شيء بحسب ما جرت العادة
باستعماله والله اعلم ومن باب اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون

قوله اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون هو مقتضى هذا
ان يكون في النار واحد يزيد عذابه على المصورين وهذا معارض بمواضع
اخر منها قوله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقوله صلى الله
عليه وسلم اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه وقوله اشد
الناس عذابا يوم القيامة امام ضلالة وشله فشرح وجه التلقيق
ان الناس اذا اضيف اسم اشد اريد بهم كل نوع الناس بل بعضهم
المشاركون في ذلك المعنى المتوعد عليه بالعذاب فرعون اشد الناس
المتعبين الا الائمة عذابا ومن يقتدى به في ضلالة بدعة ومن صور صورة
ذات الارواح اشد عذابا ممن يصور ما ليس بذي روح ان تنزل على قول
من راى تحريم تصوير ما ليس بذي روح وهو مجاهد وان انتزل عليه
محمول على المصورين الذين يصورون الاصنام للعبادة كما كانت
الجاهلية تفعل وكما تفعل النصارى فان عذابهم يكون اشد ممن
يصورها لا للعبادة وهكذا يعتبر هذا الباب والله اعلم وقول
ابن عباس رضي الله عنهما المستفيد من الصور اذن مني ثلاثا ووضعه
يده على راسه مبالغة في استحضار دقته وفقه وفي تسبيعه وتغليظه
لامر ما لقنه اليه وقوله صلى الله عليه وسلم كل مصور في النار يجعل

على مصور وان الارواح تدل قوله يقال لهم احيوا ما خلقتم **وقوله**
خلقه ان ينفخ فيها الروح ومن هنا راى ابن عباس ان تصوير ما ليس له
روح يحرم مطلقا والاخبار به وهو مذهب جمهور السلف والخلف
وخالفهم في ذلك مجاهد فقال لا يجوز تصوير شيء من ذلك لظاهر سواء كان
له روح او لم يكن متمسكا بدليل قوله تعالى ومن اظلم ممن ذهب يخلق
خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة وليخلقوا شعيرة فعم بالذم
والتقدير والتقبيح كل من تعاطى تصوير شيء مما خلقه الله تعالى ويدل
على الحرمة على ان المراد بالخلق والتصوير انما تعلق بالمصورين من حيث تشبههم
بالله تعالى في خلقه ويعاكسوا مشاركة فيما انفرد الله به من الخلق والاختراع
وهذا يرجح حجة مجاهد وقد استثنى الجمهور من التصوير لعب البنات
لعدم وشذ بعض الناس فمنعها ورأى ان اباحة ذلك منسوخة بعموم النهي
وهو مرجوح من ذلك مطالب بتحقيق التعارض قبل التاريخ واستثنى بعض
اصحابنا من ذلك النهي ما يبقى كتصوير الشجر والشمس وما شاكل ذلك وهو
مطالب بدليل التخصيص وليس له على ذلك ظاهر وانما هو تفكر خاص
يرده المعنى الذي قررناه والظواهر **وقوله** كلف ان ينفخ فيها الروح
وليس ينافي ان الروح ذلك وخلقه ولا يقدر على الامتثال بوجه
على كل حال ويستفاد منه جواز التكليف بالمحال في الجملة وان ذلك
لا يخرجه عن كونه تكليفا لكن ليس مقصود هذا التكليف طلب الامتثال وانما مقصوده
تعذيب المكلف واظهار عجزه كما تقدم مبالغة في توبيخه واظهار قبح
فعله والله اعلم **ومن باب الاجراس وقلايد في اعناق الدواب**
قوله لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس هو بضم الجيم وبعدها راء
وقد تقدم ان مقصود الشرع مباعدة الكلاب وان لا تتخذ في حضر ولا سفر

وذلك

وذلك للعلل التي تقدم ذكرها وهو مجمع لمن منع اتخاذ الكلاب
لحراسة الزروع والامتعة من السراق في الاسفار وهو قول احمد **قال الشيخ**
واجاز مشايخ من حنفية اتخاذها لحراسة المتنزه من التلفة
والظاهر ان المراد بالكلب غير المأذون في اتخاذه فما عدا لان
المسافر قد يحتاج الى حفظ ما بيديه ودوابه ورحله وكذلك يضطر
الى اتخاذها كما يضطر المقام في الحضر لزرعه وضرعه والجرس
ما علق في اعناق الابل ما له طلقة والذي نصرت به وهو يقع الراء
وجمعه اجراس وما الجرس بضمتين راء وهو الصوت الخفي يقال
بفتح الجيم وكسرها وهذا مما يدل على كراهة اتخاذ الاجراس في الاسفار
وهو قول مالك وغيره **قال الشيخ** وينبغي ان لا تقصر الكراهة
على الاسفار بل هي مكروهة في الحضر ايضا لقوله صلى الله عليه
وسلم الجرس مزامير الشيطان ومزامير الشيطان مكروهة
سفرا وحضرا كمزامير الشيطان والصغير منها كالكبير
اشابيس قاحان والصغير هو الكبير ووجه الفرق ان الكبير
يقع به التشويش على الناس وبه تحصل المشابهة بالنصارى عابهم
بمشغلون المواقيت بضربهم وصفرهم **وقوله** تماثيل او صور يحتمل
ان يجوز هذا استخدام بعض الرواة ويحتمل ان يريد بالتماثيل ما كان قائم الشخص
وبالصور ما كان رقما ويكون او بمعنى الواو او يحمل على التنويع والله اعلم
وقوله لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر او قلادة الا قطعت
يعني بالوتر وتر القوس والاعني لقول من قال يعني بذلك الوتر الذي هو
الدل وهو كلب الماء لبعده لنفاسه وغنى **وقول** مالك اراه قال من العين
يعني اسهم كانوا يعتقدون تعليق الاوتار وقسيهم في اعناق الابل من العين

فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقطعها لاجل توقع ذلك منها نعم قول
مالك خصوصية ذلك بالتوتير ولذلك اجازه ابن القاسم بغير التوتير
وقال بعض اصحابنا ممن قلد بعيره شيئا مكروها فيه خرز ان كان
للجمال فلا باس به واختلف العلما في تقليد البعير وغيره من الحيوان
والانسان بالنس شعار وذم اتخذ تخافة العين فمنهم من نهى عنه
ومنعه قبل الحاجة واجازه عند الحاجة اليه ومنهم من اجازه قبل
الحاجة وبعدها كما يجوز الاستظهار بالتداوي قبل نزول المرض
وقال بعض مالك ان الامر ينقطع الاوتار اما ان خافة ان يختنق به البعير
عند الركض او يحتبس بعض من اعضان الخز كما اتفق لناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقدها وجبرها فرجعت شجرة والله اعلم
وقوله من وتير او قلادة هو شك من بعض الرواة فانه لم يحفظ
قوله من وتير او كلامه ويحتمل ان يكون او تنويعا فيجوز المنهي
عنه القلادة الاوتار وبعضها والاولى ما قاله مالك والله اعلم ٥
وفي باب النهي عن وسم الوجوه ٥ تنبيه صلى الله عليه
وسلم عن الضرب في الوجه وعن الوسم فيه دليل على احترام هذا العضو
وتشريفه على سائر الاعضا الظاهرة وذلك لانه الاصل في خلقة الانسان
وعمدة من الاعضا خادم له لانه الجامع للحواس التي تحصل بها الادراكات
المشتركة بين الانواع المختلفة ولانه اول الاعضا في النهوض والمقابلة
والتحدث والقصد ولانه مرحل الروح ومخرجه ولانه مقر الجمال والحسن
ولانه ميزان الحيوان كله ناقصه وخيرا فقه ولما كان بهذه المثابة
احترمه الشرع ونهى عن ان يتعرض له بامتهانه ولا تقبيح ولا تشويه
وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم برجل يضرب عبده فقال اتقوا الوجه

فان

فان الله خلق آدم على صورته اي على صورة المضروب ومعنى ذلك
والله اعلم ان المضروب من ولد آدم ووجهه فوجهه في اصل الخلقة
ووجه آدم مشرف مشرف اذ قد شرفه الله بان خلقه بيده ونفخ
فيه من روحه واقبل عليه بملائكته واسجد له ملائكته واذا
كان هذا الوجه تشبيه ذلك الوجه ينبغي ان يكرم فاحترامه
والمنع من ذلك المحاني النهي عن الوسم والوسم ذلك المعنى فان الله
لا اسمه يعني الحمار الا اقصى شيء من الوجه مما لغة في الاستقبال
والاحترام والوسم الكي بالنار واصله العلامة يقال وسم الشيء
توسيما اذا اعلمه بعلامة يعرف بها ومنه التسمة العلامة ومنه
قوله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود ويعرف الرواية
الوسم بالسين المهملة وقد رواه بعضهم بالشين المعجمة وهو وهم
كان الوسم انما هو غير الشفاه او الاذن بالابرة وتسويدها بالنور
وهو الكحل او ما شابهه والوسم كي وقد يكحل ايضا مكان الاخر
والجاحرتان موخر الورك يقال المشرفان ما بين الدبر وشبيه بذلك لان
الجمر وهو البعير يقع عليهما وقوله والله لا اسمه الا اقصى شيء من الوجه
كما مر سابقا هذا الحديث في كتاب مسلم ان الفايل هو ابن عباس راوي
الخبر وليس كذلك لما جزم به من رواية البخاري في التاريخ ومن رواية
ابي داود وضعفه ان القايل هو العباس والد عبد الله رضي الله عنهما
وهو اول من روى في الجاحرتين لابيته والمنشم البيطار الطبرسما
الابل التي تحمل عليها وهذه الاحاديث كلها تدل على جواز كي الحيوان
لمصلحة العلامة في كل الاعضا الا في الوجه وهو مستثنى من تعذيب
الحيوان بالنار لاجل المصلحة الراجحة واذا كان كذا فينبغي ان يقتصر

منه على الحقيقة الذى يحصل به المقصود ولا سالغ فى التعدد ولا التشويه
وهو الاختلف الفقهاء فيه ان شاء الله وفيه ما يدل على استحسان احراج
المولود الذكر عند ولادته لمن يتحنك بريقه دعوته من العلماء والصلحاء
ويشهى لذلك المرجو بركته ان يحنك الصبى بتمر ان قدر او بما تيسر
منزلته فالرطب والتبن كما كانت العادة الجارية عندنا
بالاندلس لتيسر ذلك والمحروم منه يوم السابع وذلك مدلول على
مقتضى هذا الحديث فانه اخرج الترمذى وغيره قبل ان يجيب لبنا او غيره
والاول واسم والاول احسن فقد اتانا النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضى الله عنهم وقول انس رضى الله عنه وعليه خميصة "جوتثيته"
الخميصة كساء اسود مربع وقال الاصمعى الخمايص ثياب خز
او صوف معلمة كانت من لباس الناس واختلف الرواة فى جوتثيته
فروى العذرى بالحا المهملة وبعد الواو الساكنة مثناة فوقية مفتوحة
بعدها نون وروايه الصورى جوتثية بضم الحا وكسر النون بعد
الواو وعند الفارسى فجوتثيه بضم الحا المعجمة وسكون الواو وسكون
الثاء مثلثة بعدها مثناة فوقية مفتوحة وروايه الحمادى فجرتثيه مسموعه
الى جرثت رجل من قضاعة وضبطها ابو عبيد فجوتثية بضم الحا
المهملة وسكون الواو بعدها وكسر الجيم وبالسين ومع هذا
الاختلاف نحصل من هذه الالفاظ على تحقيق واشبه ما قيل ما رواه
الحمادى والمرتد اصله للابل فيحمل ان كان مرتدا للابل او ازيلت
منه الغنم ويحتمل ان يكون استعارة لخطيرة الغنم وكونه صلى الله
عليه وسلم يسم الابل والغنم بيده يدل على تواضعه صلى الله عليه وسلم
وعلى ان الفضل فى امتثال الرجل نفسه فى الاعمال التى لا تزرى بالانسان

شرعا

شرعا وخصوصا اذا كان ذلك فى مصلحة عامة كما وسم صلى الله عليه
وسلم ابل الصدقة بيده ويحتمل ان يكون ما شرته لابنى بيده لمرفق
بالغلام فى الوسم ولا يبالغ فى المعالجة والله اعلم

ومن باب النهى عن القزع وعن وصل الشعر فى الحاج القزع ان يحلق
راس الصبى فى مواضع ويترك الشعر متفرقا وقد سمى عنه
وقزع راسه تقزيعا اذا حلق شعره وبقيت منه بقايا
فى نواحى راسه ورجل مقزع رقيق شعر الراس متفرقه
قال والقزع قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة قال الليث
رحمه الله لا خلاف انه اذا حلق من الراس مواضع وابقيت مواضع
انه القزع المنهى عنه لما عرف من اللغة كما بيناه ولتفسير نافع
له لذلك واختلف فيما اذا حلق جميع الراس وترك منه موضع
كشعر الناصية او نحوها اذا حلق موضع وحده وبقى اكثر الراس
مع ذلك مالك وراه من القزع المنهى عنه وقال ابن نافع امر
القصة واقفا للاغلام فلا باس به واختلف فى المعنى الذى لاجله
كره مفصل لانه من زى اهل البطالة والفساد وفى كتاب ابى داود
انه زى اليهود وقيل لانه تشويه وقال بعده العلة اشبه لدليل
ما رواه النسائى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى صبيا حلق بعض شعره وترك بعضه فنهى عن ذلك
وقال اتركوه كله او احلقوه كله وقول المراة ان لى ابنة عريسا
هو تصغير عروس قلبت الواو ياء وادغمت عليها ياء التصغير وادغمت
احداهما فى الاخرى وقال العروس للذكر والانثى يقال رجل عروس وامراة
عروس وامراة عروس من نساء عرائس والعرس بالكسر امراة الرجل

ولبوة الاسد والجمع اغراس ومنه قول الشاعر يا ترفقين لها اخر واعراس
والجصبة نعم الحاء وسكون الصاد مرض معروف تشبه الحصبة
وقولها تمرق شعرها اى تتشقف وفى رواية اخرى تمرك وكلاهما
بمعنى واحد يقال مرق الصوف عن الاهاب تمرق مرقا وتمرق
واسرق ويقال مرط شعره تمرطه مرطا اذا تشقه والمراط
ما سقط منه وتمرط شعره تمرطا تمرطا اذا تساقط ووصل
الشعر هو ان يضاف اليه شعر آخر تنشز به والواجلة هى التى
تفعل ذلك والمستوصلة هى التى تستدعى من يفعل ذلك بها
وفى الحديث نهى عن الوصل الشعر بالشعر وفيه قال مالك وجماعة
العلماء معنى الوصل بكل شئ من الصوف والخرق وغيرها
لان ذلك كله فى معنى وصله بالشعر والمعمول فى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان تصل المراة شعرها وتوشذ الشئ بعد ما حاز وصله
بالصوف والخرق وما اشبه شعر وهو محجوج بما تقدم واباح اخرون
وصع الشعر على الراس وما قالوا انما نهى عن الوصل خاصة وهو
كما مر به محضه واعراض عن المعنى وتوشذ قوم ما حازوا الوصل
مطلقا وتاولوا الحديث على غير وصل الشعر وهو قول باطل
وقد روى عن عائشة ولم يصح عنها رضى الله عنها ولا دخل فى هذا النهى
ما يتخذ من الشعر خيوط الحرير الملونة وما لا شبه الشعر ولا يتشزر
وانما يفعل ذلك للتجمل والزينة والمتنمصات جمع متنمصة وهى التى
تقلع الشعر من وجهها بالمنماص وهو الذى يقلع به الشعر وساك عليها
النامصة والمتفلجات جمع متفلجة وهى التى تفعل الفلج فى اسنانها
اى تباعدها المنضدة الاسنان خلقة فلا صنعة وفى كتاب مسلم

الواشرات

الواشرات وهى جمع واشرة وهى التى تشر اسنانها اى تصع لها
اشرا وهى التحزيزات التى تكون فى اسنان الشبان تفعل ذلك المراة
الكبيرة تشبه بالشابة وقد وقع فى رواية ابى عوانة الاموزى اخر رواه مسلم
مكان الواشمة والمستوشمة الواشية والمستوشية بالباء الساكنة
من تحصها مكان الميم وهى من الوشى اى نقش المراة بعسمها بما تفعله
بها من التنميص والتفليج والاشر وغير ذلك وباليم اشهر
وهذه الامور كلها قد شدت الاحاديث بالعن من يفعلها وبانها
من الكبائر واختلف فى المعنى الذى لاجله نهى عنها فعلل لانه من باب
التدليس وقيل من باب تغيير خلق الله الذى تحمل الاستمتاع عليه وباشر
به كما قال تعالى لتجدن اشد الناس عداوة لذين امنوا اليهود
والذين اشركوا وهو الذى اوهما الله قوله صلى الله عليه وسلم
المغيرات خلق الله تعالى ولذلك قال علماؤنا بهذا المنهى عنه المنوع
على فعله اما هو ما محرم ما قبائحه من باب تغيير خلق الله تعالى
فاما ما لا محرم ما فيها فالتجمل والتزين به للنساء قد اجازه العلماء
مالك وغيره وكرهه مالك للرجال واجاز مالك ايضا ان تنتفى المراة
بدينها بالحناء وروى عن عمر رضى الله عنه انكاره للخضاب واما ان تخضب
بالسواد كلها او تدع واشر مالك عنه عن عمر رضى الله عنه قال العاصى
عصاص وحاجبه ناتئتى عن بسر بالحناء ذكره صاحب المعالم
قال ابو جعفر الطبرى فى هذا الحديث انه لا يجوز لامراة تغيير شئ
من خلقها الذى خلقها الله تعالى عليه بزيادة او نقص التماس الحسن
لزوج او غيره سواء تجت اسنانها او وشرتها او حال لها سن زائدة اما
فان لثتها او اسنان كوال فتقطع اضراسها وذلك لا يجوز لخلق لحية

وشارب او عنقة ان نتفته لها ان قال لك تعسر لخلق الله تعالى
قال الماوي وما ذكره ان من خلق باصبع زائدة او عضو
زائد لا يجوز له قطعه ولا نزعه لانه من تغيير خلق الله الا ان يحمل
ذلك الزوج ايذاء نحو لمه فلا باس بنزعه عنها او تعسر وصول ان
مسعود للمراة وما لا فلا من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
دليل على جواز الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في اطلاق اللعن
على من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم معينا كان او غير معين لان الاصل
ان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يلعن الا من يستحق ذلك بخبر ان هذا
يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انما من مسلم سببته او جلدته
او لعنته وليس لذلك باهل فاجعل ذلك له كفارة وطهرا ويؤخذ منه
انه صلى الله عليه وسلم قد لعن من ليس باهل للعنة وقد اشكل هذا على
كثير من العلماء واجابوا بالانفصال عن ذلك باجوبة متعددة وذكرها
القاضي عياض في كتاب الشفا واشبه ما ينفصل به عن ذلك ان قوله
ليس لذلك باهل في علم الله واعني بذلك ان هذا الذي لعنه النبي صلى الله
عليه وسلم انما لعنه لسبب صدر منه تقتضي اباحة لعنه لكنه قد
يكون مسلم من يعلم الله تعالى من حاله انه يقلع عن ذلك السبب
ويتوب منه بحيث لا يضره وهذا هو الذي يعود عليه سبب النبي
صلى الله عليه وسلم اياه ولعنه له بالرحمة والطهور والكفارة وهي
لا يعلم الله منه ذلك فاراد دعاءه صلى الله عليه وسلم زيادة في شقوته
وبعثه للعنة والله اعلم وقوله وهو في كتاب الله قصد المراة
من هذا القول ان لعن المذكورات في الحديث منصوص عليه في القرآن
فقالت لعل قراءتها ما بين لوحي المصحف فلم اجده وقوله لها لئن كنت

قراءته

قراءته لقد وجدتيه بزيادة يا بنى الرواية وهى لغة معروفة
مما ادا اتصل بتا ضمير الواحدة المؤنثة ضمير غايب
ويعنى بقراءته تدبر ترتيبه ووجه استدلاله على ذلك بالاية
انه فهم منها تحريم مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم فيما امر به
ونهى عنه ان مخالفة مستحق للعنة وهاولا المذكورات مستحقات
للعنة وقول المراة لابن مسعود فانا ارى على امراتك شيئا من هذا الان
تعنى انها رات على امراته عن وقت قريب من وقت كلامها معه
حتى كانه في الوقت الحاضر المعتبر عنه بالان شيئا من تلك
الامور المذكورات في الحديث واقرب ما مذكور تلك الشي التنميص
وهو الذي يزول بنبات الشعر عن قريب ولو دام زمنا كثيرا
او تفليجا لما زال وقوله اذهبي فانظري يعني انه لما راى على امراته
شيئا من تلك بعد ما فارقت محله وسقت في ازالته حتى زال
فرجعت المراة لم تر عليها شيئا من تلك فصدق قوله فعلمه
وهذا يتعين على الرجل ان ينكر على زوجته متى راى عليها
شيئا محرما ويمنعها من وطئها كما قال عبد الله رضي الله عنه انما
انه لو كان ذلك لم نجامعها هذا كما مر هذا اللفظ ولكن لم يجتمع
معها في دار ولا بيت بانا ما يجران او يقلان كما قال تعالى واللاتي
تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن
واذا كان هذا الحال حق الزوج فكيف بحق الله احرى واولى

وتاب النهي عن الزور وهو ما يشبه الشعر

والقصة من الشعر ما كان منه على الجبهة قاله الاصمعي وقول
معوية رضي الله عنه يا اهل المدينة اين علماؤكم سمعت من معونة

على حسم التذكير لاهل المدينة مما يعلمونه واسعفا نه على ما رام
تغييره من ذلك لاهل حرمة ان يعلموا مما لم يعلموا فانهم اعلم الناس
بما حادث النبي صلى الله عليه وسلم لاسيما في ذلك العصر ويحتمل ان
يكون ذلك منه لان عوام اهل المدينة اول من احدث الزور
كما مال في الرواية الاخرى ايتم فتراخوتم ترتب شهود تثنى
الزور فنادى اهل العلم ليوافقوه على ما سمعه من النبي صلى الله
عليه وسلم من النهي عن ذلك فيشعر من احداث ذلك من العوام
وقد فسر بعضهم الزور المنهي عنه في هذا الحديث بالحرق
التي يكتب بها شعور النساء ومن يقوله الا وهو الزور وزاده
قتادة وضوحا والزور في هذا الحديث هو القائل والشهادة
بالكذب واصل التزوير التمويه بما ليس بصحيح وهذا الحديث صحيح
واضح على ابطال قول من قصر التحريم على وصل الشعر كما تقدم
وسائر ذلك على اعتبار احوال اهل المدينة عندهم وانما مرجع
الكتب عليه في الاحكام وصوب بعضهم مالك على ان اجماع اهل المدينة
حجة وقد حققنا ذلك في الاصول وقوله انما هلكت بنو اسرائيل
حين اتخذ هذه نساؤهم يفهم منه ان ذلك كان محرما عليهم وان نساءهم
ارتكبوا ذلك المحرم فاقرهن على ذلك حالهم ما استوجب الكل
العقوبة بذلك وبما ارتكبوه من المحارم وقوله صنفان من اهل
النار لم ارهما اي لم يوجد في عصره منهما احد لظهور اهل ذلك
العصر الكفر وتضمن ذلك ان ذينك الصنفين سيوجدان وقد ذلك
كان فانه خلف بعد تلك الاعصار قوم يلازمون المواظبة على الامور
ان يقوم بها في الحدود قصد التعذيب الناس كما يفعل ولاة امور

جلد او تعزير

جلد او تعزير يعتبر والمشروع في ذلك في الصفة والمقدار وربما
افضى بهم الهوى وما جبلوا عليه من الظلم الى ايقاع المضروب
او تعظيم عذابه وغيره احوال الشرك بالمغرب والعوائد
في هذه البلاد وعلى الجملة فهم سخط الله في الجملة عاقبه الله
بهم شر ان خلقه غالبا نعوذ بالله من سخطه في الدنيا والاخرة
وقوله ونساء كاسيات عاريات تميل برؤسهن كاسنمة البخت العائمة
لهذا الحديث من احاسن معجزاته صلى الله عليه وسلم فانه اخبر
عن امور لم تكن في عصره ولا قربه ثم كانت كما اخبر عليه الصلاة
والسلام فالكاسيات العاريات قيل في معناهن انهن كاسيات
من نعم الله عاريات من شكرها وقيل كاسيات من الثياب عاريات
من الاتقاء الرقاق الرقيقة التي لا تستر ما تحتها وقيل كاسيات
من لباس التقوى عاريات من لباس التقوى الذي قال الله
تعالى فيه ولباس التقوى ذلك خير فالشيخ رحمه الله ورضي عنه
في ايراده الفرد المشترك بين النوعين اذ كل واحد منهما
عار وأما اختلفان بالاضافة وقوله مميلات مائلات مرادفات
لقوله في الرواية في هذا الحديث المتقدم مميلات على مائلات وكلاهما
من الميل بالمساءة بفتح ومعنى ذلك انهن يملن في انفسهن تثنيا
وتغنجا وتصنعا ليملن غيرهن من الرجال فيميلوا اليهن وتفتتنهم
وعلى هذا فمعنى مائلات ان تتقدم على مميلات لان تختص في
انفسهن بتقدم في الوجود على امائلة من وجه وذلك لان احداث
المجهمة لا يلزم ترتيبها الا ترى انها تعطف بالواو والواو
جامعة بغير ترتيبة الا ان الاحسن تقدم مائلات على مميلات
لانه سببه كما سبق وقوله رؤسهن كاسنمة البخت العائمة
جمع سنام وسنام كل شيء علاه والبخت جمع بختية وهي ضرب

من الابل عظام الاسنمه شبه روسهن تعالما وبعض من طعابر شعورهن
على اوساط روسهن تزيدا ونصفا ومن بعضهن كل ثمار عشر سه
شعور رهن والعامله الروايه فيها بالياس من الميل يعني ان اعلى السنام
مثل بعيره تحمله شد اعالى ما ارتفع من الشعر من ذلك وقال الوقشي
صوابه بالثا المثلثه اى المرتفعه الظاهره وقد يقدم العول على
كو قوله لا يرد على الحنفه وعلى قوله فدادا وهو كنايه
عن حسن ماله عام ثمانين فصاعدا مصرا وعولها مثل على من جناح ان يشبع
من سال زوجي بما يعطني سالته مثل يجوز لها ان تظهر لضرتها
انه زوجها ومحتشما او اعظما ما من ماله اكثر مما تستحقه
او اكثر مما اعطى ضرتها افتخارا عليها وايهاما انها عنده
احظى منها. فاجابها على امر عليه وسلم بما يقتضي المنع من ذلك
بمثال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور واصل التشبع تتعل
من الشبع وهو الذي يظهر التشبع وليس بشبعان وكثيرا ما
يأتي هذه الصيغه بمعنى التعاطي كالتكثر والتصنع وسلم من
هذا الكلام ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى المراة ان تتظاهر وتتكاثر
بما لم يعطها زورا لانه شبيه بفعلها ذلك مما نهى عنه وهو ان يلبس
الانسان ثوبي زور او اختلف المتاولون هل الثوبان مجموعان
على الحقيقه او على المجاز على سواء على الاول دون معناه انه
شبيه بما اخذ توهم لضرته بغير اذنه فليس مظهرا ان له ثيابا
ليس مثلها للمظهر له رجل بل شبيه بما من يلبس ثياب الزهاد وليس
منهم وعلى الوجه الثاني قال الخطابي ان ذكر الثوبين هنا كناية
عن حاله وملبسه والعرب تكني بالثوب عن حال لابسه والمعنى

والمعنى انه بمنزله الكاذب القابل بما لم يكن وقيل هو الرجل
في الحي يكون له ضئة فاذا احتيج اليه في شهادة زور
شهد بها فلا يرد لاجل ضئته وحسن ثوبه فاضيفت شهادة
الزور الى ثوبيه اذ كان سببها قال الشيخ رحمه الله واني
نسي من بعد الوجوه قال المقصود فيحصل منه ان يشبع المراة
على ضرتها بما لم يعطها زورا وهذا محرم لان شبه بمحرم وانما كان
ذلك محرما لانه يتصرف في ملك الغير بغير اذنه ورنا واتى
للضرة من يسمه الزوج الى انه اثرها عليها وهو لم يفعل وكل
ذلك محرم ﴿ثبات الادب﴾ ومن باب
احب الاسما الى الله وانعتها اليه ٥ قوله احب اسمائكم
الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن انما كانت هذه الاسما احب
الى الله تعالى لانها تضمنت ما هو وصف واجب للحق تعالى وهو
الالهية والرحمانية وما هو وصف الانسان وهو واجب له وهو
العبودية والافتقار فاضيف العبد الفقير للاله الغني اضافة
حقيقة فصدقت افرادهن الاسما الاضافية وشركت بقيه
الاضافة التركيبية بحصلت لسائر الافضليه الاجنبيه ويلحق
بهذين الاسمين كل ما قارن مثلهما مثل عبد الملك وعبد الصمد وعبد الغني
وقوله ان اخنع اسم عند الله اى اذل والخنوع الخضوع والذل يقال
اخنعتني اليك الحاجة ومنه دعا القنوت وتخنع لك اى تذلل
وتخضع وقد يقال على الجور والريبة يقال دخل خانع ابي هريرة
فاجر ومنه قول الاعشى ولا تزولي الى عارا تقيم حنينا ٥
قال الشيخ رحمه الله وهذا رابع للمعنى الاول لان الفاجر المريب

خابع وذلك تسمر اسمر واخشع ناوضع اى اذل واخس واراد
بالاسم هنا المسمى بدليل ما قال فى الرواية الاخرى لغبيط رحل
ولغبيته والغبيط المضاف الى الله تعالى هو عبارة عن غضبه ومن
لوازم ان غضب الله تعالى عبارة عن عقوبته المنزلة بمن يستحقها
والاخبث من الخبث وهو الاستزال والخشة والردآءة ومرومر
هذه الرواية واغبطه معطوفا على اخشه من الغبط مجازا
مكروا اندبه بعض العلما الى ان ذلك وهم والصواب واغشط
بالنون والطا المهملة اى اشد والغشط شدة المكروه قال
الشيخ رحمه الله والصواب التمسك بالرواية ونكروا الوهم الى
الائمة الحفاظ وتمم لا تنبغى المبادرة اليه ما وجد للكلام
وجه ويمكن ان يحمل على افادة تقرار العقوبة على المسمى بذلك
الاسم وبعضها كما قال تعالى فى حق اليهود فباؤا بغضب على
غضب اى بما يوجب العقوبة بعد العقوبة وبذلك يحصل الله تعالى
سلم عاقبهم فى الدنيا بانواع من العقوبات والعذاب الاخرة اشق
وحاصل هذا الحديث ان المسمى بهذا الاسم قد انتهى من التكبر الى
الغاية التى لا تنبغى لمخلوق وانه قد تعاطى ما هو حاصل بالاولى
الحق اذلا يصدق هذا الاسم بالحقيقة الا على الله تعالى فهو
على ذلك من الاذلال والاخساس والاستزال بما لم يعاقب بمثله احدا
من المخلوقين فالملك هو الله تعالى وحده لا شريك له والملك
اعم من الملك والمالك هو الذى له الملك والملك
اعم من المالك اخص وحلاسا راجع الى الله تعالى والاملاك
هنا جمع ملك بالضم وهو فى الصحاح والملك منصور من ملك يملك
والجمع الملوك والاملاك والاسم الملك وقول سفيان مثل

شاهان شاه وانما ربيه ملك الاملاك وقد جاء **لا تسموا**
باسمى ولا تكتنوا بكنيتى قوله صلى الله عليه وسلم
تسموا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى صدر هذا القول عن النبى صلى الله
عليه وسلم ان صح ما روى انس رضى الله عنه انما قاله حين نادى
رجل ما ابا القاسم فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل لم اعنك
فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك القول ومره كانه نهانى فى الاحترام
والتعزير المامور به فلما كانت الكنية نابى القاسم مودية الى ذلك
تنهى عنها وتتابع هذا المعنى بما نقل ان اليهود كانت تنادى به
هذه الكنية ازراء بالنبى صلى الله عليه وسلم فالنهى
فان قيل فيلزم على هذا ان تمتنع التسمية بمحمد وقد فرق بينهما فاجازه
فى الاسم ومنعه فى الكنية فالجواب انه لم يجز احد من الصحابة رضى الله
عنهم بمجترى ان ينادى به باسمه اذ الاسم لا توقير فى النداء به بخلاف
الكنية فانى النداء بها احتراما وتوقيرا وانما كان ينادى به باسمه
لاجلاف العرب ممن لم يؤمن او آمن ولم يرسخ الايمان فى قلبه فالذين نادوه
من وراء الحجرات يا محمد اخرج لنا فانزل الله تعالى فيهم ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فمنعت الذريعة فيما كانوا ينادونه
به وبما لم يكن ينادونه به وعلى هذا المعنى ينحمل النهى عن ذلك
مخصوصا بحياته وقد ذهب الى ذلك بعض اهل العلم وقد روى عن على
رضى الله عنه قال يا رسول الله ان ولد لى بعدك غلام اسميه باسمك
واكنيه بكنيتك قال نعم واما حرمت حلالا ولا يقتضى ان النهى عن ذلك
انما كان لان ذلك الاسم لا ينصرف على غيره حيث قال عليه ولد لى غلام فسميته
بقوله تسموا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى فانى انا ابو القاسم افسم بينكم

وفي الرواية الاخرى ما بعثت الكم قاسما يعني انه هو الذي يقسم الاموال
في المواريث والغنائم والدعوات والفي وغير ذلك من المقادير فيقسم بين الناس
بحكمه ويقسم نشبه وليس ذلك لاحد الا الله فلا يطلق هذا الاسم بالحقيقة
الا عليه وعلى هذا التاويل الثاني فلا يختص احد باسم القاسم لانه وان
ولا يعرف به والى هذا ذهب بعض السلف واهل الظاهر وزادت
طائفة اخرى من السلف منع التسمية بالقاسم لئلا يخدعوا به في القاسم
وذهبت طائفة ثالثة من السلف ايضا الى ان الممنوع انما هو الجمع بين
اسمه وكنيته واستدلوا على ذلك بما رواه الترمذي عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يجمع احد بين اسمه
وكنيته وسمى محمد انا القاسم قال حديث حسن صحيح وعلى هذا فيحمل ان
يكنى باسم القاسم من لم يسم اسمه محمدا وذهب الجمهور من السلف والخلف
وفقهاء الامصار الى جواز ذلك فله ان يجمع بين اسمه وكنيته وله ان يسمي
بما شاء من الاسم والكنية شاء على ان كل ما عدم اما منسوخ واما مخصوص
به صلى الله عليه وسلم واحتجوا على ذلك بما رواه الترمذي وصححه من حديث
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبما رواه ابو داود وعن عائشة رضي الله عنها قالت
جاءت امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ولد لي غلاما
فسميته محمدا وكنيته باسمك فذكر لي ان تذره ذلك فقال ما الذي احل
اسمي وحرم كنيتي او ما الذي حرم كنيتي واحل اسمي وبما تقدم الفتح بما ثبت
ان جماعة كثيرة من السلف وغيرهم سموا اولادهم بمحمد وكنوه بكنيته جمعا
وتفرقا وكان هذا كان امرا معروفا معمولا به في المدينة وغيرها فقد
صارت احاديث الاباحة اولى لاوجهين احدهما بالصحة لاحاديث المنع والثاني
بالعمل المذكور والله اعلم وقد تشتت طائفة فمنعوا التسمية بمحمد جملة

متمسكين في ذلك بما روى عن ابي صلى الله عليه وسلم انه قال تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي وبما كتب عمر رضي الله عنه الى الكوفة من قوله لا تسموا
احدا باسم نبي وبامره جماعة بالمدينة بتغيير اسمائهم محمدا والجواب
عن ذلك اما الحديث فغير معروف عند اهل النقل وعلى تسليمه
فمقتضاه النهي عن لعن من اسمه محمد لا عن التسمية به وقد قدمنا النصوص
الدالة على اباحة التسمية بذلك بل قد روى عن ابي صلى الله عليه وسلم احاديث
كثيرة تدل على الترغيب في التسمية بمحمد كقوله صلى الله عليه وسلم ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وقوله صلى الله عليه وسلم ما اجمع
قوم في مشورة فسمى رجل اسمه محمد فلم يرجلوه فعما الا لم يبارك لهم
فيما ومثله كثير واما امر عمر رضي الله عنه فقال لعسيب انه سمى رجلا
قولا ان اخبيه محمد بن زيد الخثعمي فقال الله يرحمك يا محمد وصفح بذقنه
عمر به وقال لا اراني رسول الله تشتم بذقني والله لا دعى محمدا ابدا
وعند ذلك والله اعلم خشي لاهل الكوفة وامر اهل المدينة بما سبق
ثم انه ذكر له جماعة سماهم النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك تترك الناس
من ذلك **تنبيه** الاصل في الكنية ان يكون للرجل ان يكنى باسم ابنه
ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم باسم القاسم فانه كان له ولد يسمى القاسم
من خديجة رضي الله عنها وكانه كان اول ظهور اولاده وعلى هذا فلا ينبغي
ان يكنى احد حتى يكون له ولد يكنى باسمه لكن قد اجاز العلماء خلاف هذا الاصل
وكنوا من ليس له ولد لحديث عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه
وسلم كل صواحباتي لهن كنى ولي كنية فقال اكتني باسم ابنك عبد الله
وقد كنى النبي صلى الله عليه وسلم الصغير فقال يا ابا عمير ما فعل النغير
وقد قال عمر رضي الله عنه يحلبوا اكنى اولادكم وابناءكم لا تسرع اليهم القاب السوء

وحديث المغيرة يدل على ان مراد من روى ان النبي صلى الله عليه وسلم انما سمى اخت هرون
باخ لها كان اسمه ذلك وسيأتي مزيد من هذا في تفسير اسماء ما قيل لها
لهاد ذلك لانها شبهت بهرون اخي موسى في عبادته وشكله وهذا
ما يدل على جواز التسمية باسماء الانبياء والله اعلم ومن باب

ملخص المعارضة

ما كثره ان يسمى به الرقيق قوله اجمع الكلام الى الله اريم اي احقه قبولا
واكثره ثوابا ويعني بالكلام المتضمن الاذكار والدعاء والقرآن من الكلام
وانما كانت هذه الكلمات كذلك لانها تضمنت تنزيهه عن كل ما يستحيل عليه
ووصفه بكل ما يجب له من اوصاف كماله وانفراده بوحدانيته واختصاصه
بعظمه وتقدمه المفهومين من اكبريته ولتفصيل هذه الجمل علم اخر وقوله
لا ضرك بأيهن بدأت يعني ان تقديم بعض هذه الكلمات على بعض لا ينقص
شيئا منها ولا يوقف قبولها لانها كلمات جامعة لصفات مباركات وقوله
لا تسمين غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجيحا ولا افلح فان اسمي محكي عن
تسمية العرب بهذه الاسماء لكنه على جهة التنزيه وليل قول جابر رضي الله
عنه في الحديث الاتي اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان ينهى ان يسمى بهذا قبل ويسره
بأفلح ويسار ورباح ونجيح وذلك لم سمعت يعني اراد ان ينهى عن ذلك
نهي تحريم والا فقد صرح النهي عنه على ما تقدم لاكنه على وجه الكراهة
التي معناها ان ترك المنهي عنه اولى من فعله لان التسمية بتلك الاسماء
تؤدي الى ان يسمع ما يكرهه كما نص عليه بقوله فانك تقول أثم هو
فلا يكون فلا يقول لا وبالنظر الى هذا المعنى فلا يخرج هذه الجملة
خاصة بالعبيد بل تتعدا الى الاحرار ولا مقصورة على هذه الاربعة
الاسماء بل تتعدى الى ما في معناها والى هذا اشار جابر في حديثه بقوله
ونحو ذلك وحينئذ يكون فيما فائدة تخصيص الغلام بالذكر ويجيب

تعدى

فيكون ناسخا والجواب ان هذا التقدير يلزم منه ان لا يصدق قول
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان ينهى عن ذلك فانه قد وجد
النهي ولا يبقى وجه صادق فلا بد من تأويل لفظه وما ذكرناه اولى
وما ذكر من تسمية سوالي النبي صلى الله عليه وسلم وغيره سلك الاسما
مصحح لان ذلك جائز وعابه ما ترك منه الاولى فكم من اولى فرشوعنه
الشريعة ترفقه وارباب نفوسه اجر كثير وخير جزيل عملا بالمسامحة
والتيسير وتركا للتشديد والتعسير وقوله اراد النبي صلى الله
عليه وسلم ان ينهى ان يسمى بقيل هكذا في الصحيح الرواية وهو في بعض
النسخ يتبعل وكذا نه بخط والاول اولى رواية ومعنى ٥ د
وفي باب تغيير الاسم بما هو اولى منه تبديل النبي صلى الله عليه
وسلم اسم عاصية بجميلة والعاصي بن الاسود بمطيع ونحو ذلك
سنة ينبغي ان يقتدى به فيها فانه كان يكره قبيح الاسما والتغيير
به ويحب حسن الاسما ويتفاءل به وفي كتاب ابي داود عن بريدة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شيء وكان
اذا بعث عملا ما سأل عن اسمه فاذا اعجبه اسمه فرح به ورؤي بشر
ذلك في وجهه وان كره اسمه رؤي كراهة ذلك في وجهه وفي
الترمذي عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
خرج لحاجة يعجبه ان يسمع يا راشد يا نجيح واما تغييره برة فلوجهين
احدهما انه كان يكره ان يقال خرج من عند برة اذ كانت المسماة بهذا
الاسم زوجته وهي التي سماها جويرية والثاني لما فيه من تزكية الانسان
نفسه فهو مخالف لقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى
ويجري هذا التحري في الكل ما فر حتى في هذه الاربعة من تعتقهم انفسهم
بالتقوى

بالتقوى التي تقتضي التزكية كزكي النفس وحي الدين وما اشبه ذلك
من الاسما الجارية في هذه الازمان التي يقصد بها المدح والتزكية
لكن لما كثرت قبائح المسميين بهذه الاسما وهذه الازمان ظهر
تخلف هذه النعوت عن اكثرهم صارت لا تفيد شيئا من امل
موضوعاتها بل ربما يستحق منها في بعض المواضع او في بعض
الاشخاص نقيض موضوعاتها فيصير الحال وبعكس الحال ويسمى
العزيز المعلك بالمهان والحقير بالجليل جملا بالخلاف الاسم
مع القبح باستقباح المسمى ومن الاسما ما خيره الشرع مع
حسن معناه وصدقه على مسماه لكن منعه الشرع حماية واحترازا
لاسما الله تعالى وصفاته كما يتسمى احدهما في كتاب ابي داود
عن رباح بن يزيد انه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة مع قومه سمعهم يكنونه بابي الحكم فدعاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل هو الحكم واليه الحكم فلم
تكنى ابا الحكم فقال ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت
بينهم فرضي كلا الفريقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما احسن هذا فما لك من الولد قال لي شريح وعبد الله
قال فمن اكبرهم قلت شريح قال فانت ابو شريح وفي حديث اسامة
وجزيز لما قسما بين التشمة ما سما الله تعالى وحولها سمت برة الى
كان هذا الاسم يدل على التزكية لانه في اصله اسم علم لجمع فقال البر
كالفجار اسم علم للفجور وللذكر قال النابغة الذبياني د
انا اقتسمنا خطتينا بيننا فحملت برة واحملت فجار ٥

ومن باب تسمية المولود وتحنيكه والدعاء له قوله
كان له بنى كلهم ان يشتكى اى اصابه ما يشتكى منه وهو المرض الا انه
خصت منه شكوى هذا اصله لكنه قد كثرت تسمية المرض بذلك
وهذا الحديث دال على فضل ام سليم وتثبتها وصبرها عند الصدمه
الاولى وكمال عقلها وحسن تعلقها لزوجها وقولها مراسكن ما كان
هذا اسلوب الغنية عن الكذب فانها اوهمته ان الصبى يسكن
ما فارقه بالكلية فلما عرفها ان موته ولما فهمه ابو طلحة
من سكون مرضه وهدوئه ليلا تفاجئه بالاعلام بالمصيبة فيتغص
عليه عشته وتنكدر عليه وقته فلما حصلت راحته من تعبه وطاب
عيشه باصابة لذته اتى ان يخبر بسببها ان يكون لهما حزن وخلت بما
فانه عز فيه بذلك فبلغها الله امنيتها واصلح ذريتها وقولها
داروا الصبى اى ادفنوه من مواراة الشئ وهى تغطيته وقوله اعرستم
الليلة هو كناية عن الجماع يقال اعرس الرجل باهله اذا اتاها
وبذلك اذا غشيها ولا يقال عرس الا اذا اقام عندها وقد يطلق
ان العرس الزوجة والعروس يقال على كل واحد من الزوجين وفى هذا
الحديث ما يدل على اجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى عظم مكانته
وكرامته عند الله وكم له منقبة حتى قد حصل بذلك العلم القطعى والنفس
الضرورى وذلك انه لما دعا لام سليم بزوجها ولدت له من ذلك
الشباب عبد الله وكان من افاضل الصحابة ثم ولد له عشرة من الاولاد
الفقها العلما اسحق بن عبد الله بن ابى طلحة واخوته العشرة كلهم
موصوفون بالاستيعاب واحاديث هذا الباب كلها متوارده
على ان اخراج الصغار عند ولادتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وتحنيكهم

بالتمر

وكم

بالتمر كان سنة معروفة معمولا بها فلا ينبغى ان يفعل غير ذلك
اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم واغتناما لبركة الصالحين ودعائهم
والتحنيك بما فعل بمضيغ التمر فى حنك الصبى وقوله وبزقت
عبد الله بن الزبير بريق فمه وحنكه بيده عبد الدعاء
له كما كان صلى الله عليه وسلم يمسح رءوس عبد الدعاء له ودليل على
استحباب ذلك وبعده على حمله التبرك بما لامسه وقبول
الدعاء ومعنى صلى الله عليه دعا له بالخير والبركة كما جاء فى الرواية
الاخرى فسماه وقد ظهرت بركة ذلك على عبد الله بن الزبير
رضى الله عنهما فانه كان من افضل الناس واشجعهم واعلمهم فى خلافته
رضى الله عنه وقتل قاتله وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله
وما بعثه له فرح به وانقاض له حتى الحقه بشيوخ الانصار
الحاصلين على تلك البيعة الشريفة والمنزلة المنيفة فعمه حوار
ما نعه من يعقل من المهاجرين والانصار وترتيبهم على ما خاطب به الانصار
وقوله وكان اول مولود ولد فى الاسلام يعنى من المهاجرين بالمدينة
وذلك ان امه اسما بنته ابى بكر رضى الله عنهما هاجرت من مكة الى
المدينة وهى حبلى به فولدته فى سنة ثنتين من الهجرة لعشرين شهرا
من التاريخ وقيل فى السنة الاولى من الهجرة هكذا رواه ابو عمر
وروى عن ابى بكر بن ابى مليكة عن عبد الله بن الزبير ما رسمت باسم احد
ابى بكر وكنيته بكنيته قال ابو عمر كان شيخا ذكرا شريفا
ذا ثقة وفاته له لسانة وفصاحة وكان الخلص الحبة له
والشعر فيه وحميه وحكى ابو عمر عن مالك انه قال كان ابن الزبير افضل
من مروان واولى بالامر من مروان ابنه ٥ وابو اشد رهم الهجرة

فتح السين وبالتصغير كذا قاله عبد الرزاق ووقع عال ابن حنبل
وهو الصواب وحكى ابن مندى عن سفين انه قال بضم السين وكسر
الميم واسمه سالم بن ربيعة وقوله وكذا قاله الرواية منه بفتح
الهاء اى اشتغل عنه وفى لغة كبنى وقصحتها لغة بكسر الهاء لكنها
بفتحها لغة ولغيانا وهو فى التعجب بلاغى ما اشغلنى عن هذا
شغلنى ومنه قوله تعالى الهاكم التكاثر وقوله فما قتلوه كذا قال
فى الرواية فى هذا الحرف رباعيا وصوابه ثلاثيا قلبت الهمزة
ردته واضيع صرفه قال الاصمعى ولا يقال اقلته وانما يقال الذى
صلى الله عليه وسلم انى لاسمع النذر باسم ثم ابيه المنذر بن عمرو انه
المسمى بالمعتق لموت وقال ابو احمد بن بكير معوته واستنصره
وهو بكير معوته فسماه النبى صلى الله عليه وسلم المنذر ليكون خلافه

ترجمة تسمية الصغير وتقدم الكلام فى الكنانة
فى الباب قبل هذا **قوله** صلى الله عليه وسلم يا ابا عمير ما فعل النغير
فيه دليل على جواز السجع فى الكلام اذا لم يقصد متكلفا فان السجع
المذموم باب التشدق والتشدق المكروه فى الكلام وعمير تصغير عمر
او عمرو والنغير تصغير نغر والنغر طير كالعصافير حمر المناقير
وجمع بقلة مثل صرد وصردان ومؤنثه نغرة كثمرة وقد استدل
الحنفى بهذا الحديث على جواز صيد المدينة وهو مؤول حالف فيه
الجمهور وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صيد المدينة كما نهى عن صيد
مكة كما قدمنا، والاصح فيه اذ ليس فيه ما يدل على ان ذلك الطير صيد
فى حرم المدينة بل يحتمل انه صيد فى الحل وادخل فى الحرم ويجوز للحلال ان
يصيد فى الحل ويدخله الحرم ولا يجوز له ان يصيد فى الحرم ففرق بين

١ هذا اصله

اذا صيره وبين استصحاب امساكه كما ذكرناه فى الحج وفيه جواز لعب
الصبى بالطير الصغير لكن الذى اجاز العلماء من ذلك ان يتمسك له وان
لا يؤذيه بحبسه واما تعذيبه والعبث به فلا يجوز لان النبى صلى الله عليه
وسلم نهى عن تعذيب الحيوان الا لما قلناه وفيه ما يدل على جواز المزاح
مع الصغير لكن اذا قال حقا وفيه ما يدل على حسن خلق النبى صلى الله
عليه وسلم ولطافة معاشرته والفاكه ومنه قوله لابن عمر تابى
وذكر لمعوله للمغيرة انى لاثنى عليه انه نزكه منزله ابيه الصغير لرحمه
والرفق والشفقة وسؤال المغيرة عن الرجال انما كان لما سمع
من عظم فتنته وشدة محنته فاحاله النبى صلى الله عليه وسلم
بقوله وما توصيك منه انه لن يضرك اما تتصيك من الدجال
والشقة وهذا رواية الاكثر وعند الهوزنى ما تدخيك
بالظاء المعجمة والشاة من تحت وكانه من وهمه فوسلم حمل يضرك
اى يهزل ويذهب انتفاعه النبى فى امره والاول اصح رواية ومعنى
قوله انه لن يضرك كقول ابن بدر انك لا تدرك وكان خروجه
ويحتمل ان يكون اخبار الله نبيه بعصمه من فتنته ولو ادرك زمانه والله اعلم
وقوله المغيرة اسم يحتمل ان معه انهار الماء ورمال الخبز فدل
على ان المغيرة كان يدرى هذا الامر عن الدجال من غير النبى صلى الله عليه
وسلم ولم يحققه بعرض جابر على النبى صلى الله عليه وسلم ما اجابه بقوله
هو امون على الله من ذلك وفى هذا الكلام ان الدجال لا يمكن من ذلك
لقوا به على الله وحينئذ قدرة غير ان هذا المعنى يرده ما ناقضه
فى احاديث الدجال الاتية ويحتمل ان يكون هذا القول صدر عنه قبل
ان يوحى اليه ما فى تلك الاحاديث ويحتمل ان يكون الضمير فى يمكن الدجال

من اسعار الماء وحمال الخبز اى بعمل ذلك على الفور بقدر الامكان والاول اسبق والثانى
لا يمتنع والله اعلم **ومن باب الاستيذان وكيفيته**

وعقد له قوله فى هذه الرواية فسلمت ثلاثا فلم يرد منا فقال فى
الاخرى انه استاذن ثلاثا فان اذن له سوى ما مضى والا رجع وهذا موافق
من السلام والاستيذان ثلاثا ثلاثا كما مر وحاصله موصولا عليه
فى الرواية الثالثة وحاصل هذه الاحاديث ان دخول منزل الغير
ممنوع فان ذلك الغير فيها اولم يكن الا بعد الاذن وهذا الذى يعلى الله
تعالى عليه فقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها الى قال بعد هذا فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم فان قيل لم امروا بالرجوع وهذا الا منه ان دخول
منزل الغير صرف فى ملكه والحجر يغتفر فيه لانه يتجلع منه
على ما الحجر الاطلاع عليه من عورات البيوت وكانت هذه
المصلحة فى اعلى رتبة المصالح الواجبة ولما تقرر هذا شرعا
عند ابى موسى استاذن ابو موسى على عمر رضى الله عنهما ولما كان
عنده علم بكيفية الاستيذان وكونه عمل على ما كان عنده من ذلك
فلما لم يؤذن له رجع واما عمر رضى الله عنه فكان عنده علم من الاستيذان
ولم يكن عنده علم من العدد فلذلك انكره على ابى موسى انكار مستفهم
من نفسه ان يخفى عليه ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم مع ملازمته
للنبى صلى الله عليه وسلم حضرا وسفرا ملازمة لم يفارق ابا موسى ولا غيره
وانكار من سواه باب الذريعة فى التقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولذلك اعتذر ابو موسى بقوله ام عليه البينة والا اوجعت
ولا تعلم بحجة فلما اتاه بالبينة قال اما انا احمنت ان اثبت وهذا
والحديث

الحديث ابواب من الفقه منها ان الاستيذان لا بد ان يكون
ثلاثا فان لم يؤذن له بعد الثلاث فهل يزيد عليها او لا قولان
لاصحابنا الاولى ان لا يزيد لقوله صلى الله عليه وسلم الاستيذان
ثلاث فان اذن لك والا فارجع وهذا نص والحاصر للثلاث
بالذكر لا ان الغاية ان السلام اذا كرر ثلاثا سمع ورد ولذلك
كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم سلم اعاده ثلاثا حتى تفهم
عنه واذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثا واذا كان الغالب سماع
فاذا لم يؤذن له بعد ثلاث فلعل ان ثم المنزل لا يريد الاذن
او لعله معذور من الجواب بعذر لا يمكنه دفعه فينبغى للمستاذن
ان ينصرف لان الزيادة على ذلك قد تقلق رب المنزل وربما
يصرفه الالحاح عن التفطن لعذره كما كان مشتغلا به كما قال النبى
صلى الله عليه وسلم لابى ايوب رضى الله عنه حين استاذن عليه
فحرج مستعجلا فقال لعلنا اعجلناك ومنها قبول اخبار الاحاد
ووجوب التثبت فيها والبحث عن عدالة ناقليها لان ابا موسى
لما اخبر عمر رضى الله عنهما بان ابى بن كعب يشهد له كان عدلا ومنها
جلالة الائمة حيث ورد الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاخبار عن من تعاطاها الا بعد ثبوت الاهلية وتحققها ومنها
ان المستاذن ينبغى ان يبدأ بالسلام ثم باسمه وان كانت له كنية
يعرف بها ذكرها كما فعله ابو موسى ودل ذلك على ان الغرض فى تحصيل
التعريف التام للمستاذن عليه فانه ان اشكل عليه اسم عرف
باخر وقال بعض اصحابنا هو الحيا من رسم ان ينهى نفسه لو كان الا ولى
ما تعلله ابو موسى فان فعله دل ان كان توقفا فهو المكروه

وان لم يكن توقيفا فيه يحصل التعريف الذي لاجله شرع الاستيذان
ثم راوي الحديث اما من هذا القول الحديث وقوله فقال
فقال ابي بن كعب لا يقوم معه الا اصغر القوم فقام ابو سعيد
فاخبره بذلك وفي الرواية الاخرى ان ابي بن كعب اخبره بذلك،
لانها عدد معها فانه اخبره بذلك كلا هما ابو سعيد او لا انا،
الى منزله وانى ثانيا لما اخبر به عمر في الصحيح وهذا كله يدل
على شهرة الحديث عندهم ومع ذلك لم يعرفه عمر ولا تشتشر
بعدا فانه من ضرورة اخبار الاحاد وقوله فقلوا انخفى ابا
محمد ان جزع ابي موسى من تهديد عمر مع علمهم بان ذلك
لا يتهمه لان ما قاله من البينة موجودة ولان عمر لم يرد به
ولا مقصوده بذلك ولا اهانته بل التغليظ والتنبيه وقول
عمر رضي الله عنه خفي علي هذا من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما قاله عاتبا على نفسه وتائسفا لها الى التقصير من عذره
بقوله الهاني الصفق بالاسواق وفي البخاري يعني الخروج
الى التجارة والهاني شغلني وارصفق البيع وسمي بذلك لانهم كانوا
يتواجبون البيع بالايدي فيضرب كل واحد منهم يد صاحبه
ومنه قيل للبيعة صفقة وقول ابي لعمر بن الخطاب لا تكونن عذابا
على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على ما كانوا عليه من القوة
في دين الله وعلى قبول الحق ومن قبوله والعمل به فان ابتدا انكر على عمر
تهديده لابي موسى وقام بما علمه من الحق ولما كفف عمر رضي الله عنه الحق
قبله واعتذر عما صدر عنه رضي الله عنهم اجمعين ..

ومن باب كراهية ان يقول انا عند الاستيذان قول
جابر

جابر رضي الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من دليل على جواز الاستيذان من عمر ذكر اسم المستاذن
بالان الاخفش ان يذكر اسمه كما تقدم في حديث ابي موسى والان
في ذكر اسمه استفاء فلفظة السوال والجواب وذكر اسمه الذي
صلى الله عليه وسلم قول جابر في جوابه انا انما كره ان يقول الذي
غير ويحتمل ان يقول انا لا يحصل منها تعريف وهو الاولى وقيل انما كره
ذلك لانه وقع على الباب على ما روى في كتاب مسلم وفي هذا
الفعل بعد لانه انما منعه الكراهة عنه من قوله انا انا
ولم يذكر الرق ولا ضيقه عليه فكيف بعد انما نطق به وكرره
منكرا له وبصار الى ما لم يجر له ذكر وقوله ارخلا اقلع من محجر
في باب رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا الفعل يحرم فاعله وعقوبته
على حسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعظم حرمته وحرمة ازواجه
ولا يحرم على هذا الفعل من العقوبة جواز الطعن في عين الناظر
فكم من قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وقد عدم الخلاف على
هذا وذكر الخلاف فيه في كتاب القصاص غرب الجحر واحد
الجحرة وهي مكاس الوحش ولما كانت تقبا في الارض سمي بذلك
الثقب في الباب وفي الحائط وعود ذلك والمدري بالكسر المعمله واحد
المدارى هكذا ثابت في الاصلاح وفي هذا التفسير شاهد واوضح
منه واتم قول النضر بن شميل والمدرى كقيسان انه عود او عاج تنشر
به المراة شعرها وتجعده قال اسرو القيس

غدايره مستشزرات الى العلى تضل المدارى في مثنى ومرسل .

وصوته مزراة وقد عمر عنه في الرواية الاخرى بمشقص

وعشا فص وعرفنا ان المشقص نصل عريض وقيل هو السكين
ويحتمل ان يكون هذا المذري من حديد وشبهه بعلم من عاج وعود يجوز
ان يعمل من حديد او ورشبهه بالسكين وتخبله ببراءة
وخاذ عنه وفخذ فته بالخاء المعجمه هي الروايه الصحيحه
وسمع وايضا بالحاء المهمله فقد احكاها ثابت الخزف بالخاء بالحجر
والجرف بالمهمله بالعصى والجناح الاثم والمواخذه ونحوه الجرح
واصله من الضبو ومنه قوله تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا بكسر الراء وحرمه بالفتح هي الفرد والفرد والوتر
والزنف وقوله انما جعل الاستئذان من اجل البصر دليل على صحة
التعليل القياسي وهو محجه للجمهور على نفاة القياس وقوله
رجل به راشد دليل على استحباب اصلاح الشعر واكرامه
لما ثبت ان صلى الله عليه وسلم من كان له شعر فليكرمه واذن لا
لتشفي ذلك الى ان يخرج الى الترفه والشرف المنهي عنه
بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه اصحابه بن عمر رضي الله
عنه حسبك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عوفشر من
الارفاه وامرنا ان نحفي شواربنا والترجيل مشط الشعر وتسريحه
قال النسخ رحمه الله كان يمكن ان يحمل حديث سهل والذي على
ان الذي هم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقء المطلع على الخصوص
نسب النبي صلى الله عليه وسلم لعظم حرمته وحرمة اهل بيته غير
ان حديث ابي هريره يقتضي اباحه ذلك الفقء عامة في بيته وبيت غيره
فانه قال فيه من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه
نصر في الاباحه والتحليل وعلى هذا فلا يلزم عما قلناه اذا وقع

ذلك

ذلك ولا يستبعد من اساس الشرع فانه عفو به على دنا به سابقه
غير ان هذا خرج مخرج التعزير فلا يخرج الحدود الاتي قوله
تقد قتل ولم يقل فقد وجب وانما مقصود هذا الحديث اسقاط
القود والمواخذه بذلك ان وقع ذلك وقوله لو ان رجلا اطلع
عليك بغير اذن فحذفتا عينه ما كان عليك جرح كما نص
عليه في الذي قدرناه وبغير ايضا ان هذا الحكم جار فيمن اطلع على
عوره الانسان وان لم يحن من رباط ما قوله اطلع تناول كل مطلع
فعلا كان من اي جهه كان بل ينبغي ان يقال ان الشرع اذا علق
هذا الحكم على نفس الاطلاع على العوره اخرى واولى وهذا نظر
راجح غير ان المحاسنا حكوا الاجماع على ان من اطلع على عوره رجل
بغير اذن فحذفا عينه انه لا يسقط عنه القصاص كما ذكرناه
قال ويحتمل هذا الاجماع ويكون واجب الاتباع وان وجد خلاف فيما
ذكرناه فهو الاصح ومن باب نظر الفجاءة
وتسليم الراكب على الماشي قوله سألته عن نظر الفجاءة
فاعلم ان اصرف نصرف الفجاءة بضم الفاء والجيم والمد مصدر
فجاني الامر يفجوني فجاءة اذا اصادفك بغتة من غير قصد
ومنه قطري بن الفجاءة اسم رجل وقال فاجاني بها حتى فجاءة
وفجاءة واما امره ان يصرف نصره عن استدامة النظر الى
ما وقع عينه عليه اول مره واما لم ينصرف لكان النظر الاول لا سبا
لا تدخل تحت خطاب تكليف اذ وقوعها لا يباتي ان يكون
مقصودا فلا تكون مكتسبه فلا تكون مكلفا بها فاعرف هذا
ليس مكلفا به ونهاه عما كلف به لان استدامة النظر مكتسبه

على الاطلاع على السوره قبل ان يعلق ليس ع

للانسان اذ قد يستحسن ما وافقه بصره يتابع النظر فيحصل المحذور
وهو النظر الى ما لا يحل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي
رضي الله عنه لا تتبع النظرة النظرة فالك الاولى وليست لك
الثانية وقوله صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والماشي
على القاعد والقليل على الكثير هو مرسوم الامر بالسلام وما قضاه
في قضاء الايمان والاخلاص العلماء في الابتداء بالسلام سنة وان الرد
واجب بايه ابو يحيى عبد الوهاب وقال ابو عمر بن عبد البر اجمع العلماء
على ان قضاء السلام الابتداء بالسلام سنة والرد فريضة وذكر ابو عبد الله المازري
قال الابتداء بالسلام سنة والرد واجب في المشهور فاذا ورد واحد
من الجماعة اجزأ عنهم وان الناس في الابتداء بالسلام اما ان يتساووا
احوالهم او يتفاوتوا فان تساووا فمخير كل واحد منهم ان يبدأ صاحبه بالسلام
فالماشي على الماشي والراكب على الراكب غير ان الاولى مبادرة ذوي
المراتب الدنيئة فاهل العلم والفضل اختبارا لهم وتوقيرا واما
ذوو المراتب الدنيوية الحظة فان سلموا فقد علموا وان ظهر عليهم
اصحاب التكبر فلا يسلم عليهم لان ذلك معونة لهم على المعصية وان
لم يظهر ذلك عليهم جاز ان يبدؤا بالسلام ابتداء ثم ان بالسلام اول
سلم لان ذلك يدل على تواضعه وان تفاوتت مراتبهم فعلى ما تقتضيه
هذا الحديث فيبدأ الراكب بالسلام على الماشي للعلو بمرتبته ولان لذلك
اثرا له من الامور واما الماشي فقد قيل في مثل ذلك وهو بعد
ان الماشي لا يرضى بمشيه تحاملا وقيل هو معلل بان القاعد يرتاع
له خوف من الماشي فاذا بدأه بالسلام امن من ذلك وهذا ايضا بعيد
اذ لا خصوصية للخوف بالقاعد فقد يخاف الماشي من القاعد وائتمنه

من هذا

من هذا ان يقال ان القاعد على حال وقار وثبوت وسكون فله مزيد
ذلك على الماشي لا رجحانه على العكس من ذلك واما ابتداء القليل
بالسلام على الكثير ممن اعلمه لشرفه جمع المسلمين واكثر بتسليم
القليل زاد البخاري في هذا الحديث وسلم الصغير على الكبير وهذا
المعاني التي تختلف العلماء ايها اذا تعارضت تناسب المكارم المحمودة
والفضيلة ولا تزول انها تصير تصير الى الدليل الواجب الاعتبار
في الامور ان يعرف عينا ومعنى ان ابتداء القاعد الماشي عمر جابر
وذلك اسوأ الماشي الراكب فلا محذور فلا لانه مطلوب للسلام
ومفوض له كما امر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه
وسلم افشوا السلام تبعثم وقوله اذا لقيت احدا فسلم عليه
واذا تقرر هذا فكل واحد من الماشي والقاعد مامور بان يسلم
على اخيه اذا لقيه غير ان مراعاة تلك المراتب اولى ثم هذا السلام
المامور به سواء يعول السلام عليكم او سلام عليكم اذ قد ذكرا اللغتان
في الكتاب والسنة والسلام في الاصل بمعنى السلامة فالاذاة
والاذاة كما قال تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي سلامة
فعلى هذا يكون معنى قول المسلم سلام عليك اي سلامة لك حاصلة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم السلام امان لذمتنا وتحيتنا لقاءنا
والسلام ايضا اسم من اسماء الله تعالى كما قال تعالى السلام المؤمن المهيمن
ومعناه الذي حق له تعالى انه المنزه عن النقائص وهو الامان الذي تجوز
على خلقه وعلى هذا يكون معنى قول المسلم السلام عليك اي الله
معك عليك رقيبا ناظرا اليك مكانه يذكره بالكلام الله تعالى ويخوفه
به لئلا من منه وسلمه من شره فاذا جاء الالف واللام على المعنى

الاول كان معناه السلامة فكما لك منى واذا دخلت على اسم الله
تعالى كانت تحيتها وتعظيما اى الله الله عليكم السلم من النقائص والآفات
المسلم لمن استجار به من جميع المخلوقات وقال فى السلام سلم بضم
السين قال الشاعر ٥ وقفنا فقلنا انه سلم مضى كما انقل بالبرق
الغمام اللوائح ٥ و٢ بقال المبتدى عليك السلام لنفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما رواه النسائى وابو داود من حديث جابر
بن سليم قال كنت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت عليك السلام
يا رسول الله فقال لا تقل عليك السلام تحية الميت السلام عليك ثلاثا
اى مكررا فقل وقوله عليك السلام تحية الميت يعنى انه الائق بحالة
الشعراء كما قال عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما ٥
وان ذلك لفظ هو للشروع فى حق الموتى لانه صلى الله عليه وسلم قد
سلم على الموتى كما سلم على الاحياء قال السلام عليك دار قوم مؤمنين وتاتى
بعضهم لفظ السلام اذا تبين لنا على ان السلام اسم من اسماء الله فان اسمائه
تعالى احق بالتقديم واما الرد فالواجب عليه ان يرد ما سمعه والمندوب
ان يزيد فان بقى له المبتدى ما يزيد فلو انتهى المبتدى بالسلام الى غايته
التى هى السلام عليك ورحمة الله وبركاته لم يزد الراد على ذلك شيا
لان السلام انتهى الى البركة كما قاله عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وقد
انكر محمد بن عمر رضى الله عنهما على من زاد على ذلك شيا وهو اخذه مستفاد
من قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان
على كل شئ حسيبا اى محاسبا على الاقوال كما محاسبا على الافعال وقوله
ما لم يكن على الطعوات جمع صعيد وهو الطريق مطلقا وقيل الطريق التى
لا نبات فيه ما خوذ من الصعيد وهو التراب على قول الفراء وجه الارض

الارض

الارض على ما قاله جمع صعدات وصعدات كطريق وطرقات ومن
جاء الصعيد فى الرواية الاخرى مفسرا بالطريق ومن الحديث انكاره
للجلوس على الطرقات وزجره عنه لمن تحمله او لم تزين فى ذلك حاجه
كما عرفوا انفا من ذلك من نهى تنزيه بنصا لمن العلماء فمعنى ان ذلك
ليس على جهة التحريم وانما هو من باب سد الذرايع والارشاد الى
الاصلح ولذلك قالوا انما تعذر الغير ما باس تعذر ما تتاخر وتتحدث
اى تتاخروا العلم والدين وتتحدث بالصالح والخير لما علم النبى صلى الله
عليه وسلم من ذلك وتحقق قابتهم اليه اباح لهم ذلك ثم تتسمح على
ما يتعين عليهم فى مجالسهم تلك من الانكار وقوله ايتاء الى ان الشرط به
المكسورة زيدت عليها ما نا كيد الشرط ولا محالة عن الامتناع
والاباية ومعناه قال انكار ولابد من ابا يتهم ولا غنى لهم عن قعودهم
فيها فاعطوا الطريق حقها فلما سمعوا لفظ الحق ومن محمل سالوا
عن تفصيله ففصله لهم بقوله صلى الله عليه وسلم غض البصر وكف
الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذه الحقوق
كلها راجعة على من تقعد على طريق ولما كان القعود على الطريق يفضى
الى ان تتعلق به هذه الحقوق ولعله لا يقوم بفصلها فيتعرض لترك الله
تعالى ولعقوبته نهى عن القعود فيها وغلظ بالزجر المتقدم والانكار
فان وجدت لاحد لذلك حاجة كالاجتماع فى مصالح الجيران وتفاهم
وتفقد احوالهم الى غير ذلك فقعد على نية حاجتهم فان عرض له شئ من تلك
الحقوق وجب القيام به عليه وقف الاذى يعنى به لا يوذى جلوسه
احدا من جلسا به ولا قامته من مجلسه ولا بالقعود فوقه ولا بالتضييق
عليه ولا بالجلوس قبالة داره فيتاذى بذلك ومن حقوق كف الاذى

ان يخف بعضهم عن بعض الا ان هذا يدخل في قسم الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فحمله على المعنى الاول اولى قوله وحسن الكلام يريد ان من
جلس على الطريق لا تعترض لكلام الناس بالتحقيق لعم كلامه ويصلح شانه
وقوله حق المسلم على المسلم ست اي الحقوق المشتركة بين المسلمين عند
ملابسة بعضهم بعضا والحق لغة هو الثابت وشرعا هو الذي لا يسع تركه
والخطاب الشريعة تعالى على الواجب وعلى المندوب المؤكد كما قال
الزركشي لان كل واحد منهما ثابت في الشرع فانه مطلوب مقصود
مصوا موقدا على ان اطلاقه على الواجب اول واولى وقد اطلق
في هذا الحديث الحق على القدر المشترك بين الواجب والمندوب فانه
جمع فيه بين واجبات ومندوبات وقد تقدم ان الابتداء بالسلام سنة
واما اجابة الدعوة فالواجبة في الوليمة كما تقدم وفي غيرها مندوب
اليها واما النصيحة فواجبة عند الاستنصاح وفي غيره تفصيل على
ما تقدم في كتاب الايمان واما تشميت العاطس فاختلف فيه على
اقوال واما عيادة المريض فمندوب اليها الا ان خاف ضياعه يكون
تفقده وتمريضه واجبا على الكفاية وقد تقدم الكلام على اتباع
الجنائز وقوله صلى الله عليه وسلم على الصبيان اما كان التشميت مشروعا
في ذلك وليفشي السلام وليناسب ان تسليمه عليهم وليعلمهم كيفية
التسليم وسنته فيالفوه ويتمرنوا عليه، ومن باب لا تبدأ
اهل الذمة بالسلام قوله صلى الله عليه وسلم لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام
انما نهى عن ذلك لان الابتداء بالسلام اكرام والكافر ليس اهلا لذلك فالذي
يناسبهم الاعراض عنهم وترك الالتفات اليهم تصغيرا لهم وتحقيرا لشانهم
حتى كانهم غير موجودين وقوله واذا لقيتم احدهم في طريق فاضطروه الى ضيقه

اي

اي الجئوهم الى الطريق الضيق اخراجا لهم واحتقارا وعلى هذا فتكون
هذه الجملة مناسبة للجملة الاولى في المعنى والعطف وليس معنى ذلك انا
اذا لقيناهم في طريق واسع انا نلجئهم الى جانبه حتى نضيق عليهم
لان ذلك اذى ميثالهم من غير سبب وقد نهينا عن اذاهم والسام الموت
كما قال في الحبة السوداء شفاء من كل داء الا السام والسام الموت وقيل
السام من السآمة وهو الملال يقال سئم يسأم سأمة وسئاما وسوناوقيل
قتادة قال الشيخ رحمه الله وعلى هذا القول فسهل سام وسآمة
ونحوه كاللذاذ واللذاذة وعلى الاول الجمهور وتخليط بغير واو
هي الرواية الواضحة المعنى واما مع اثبات الواو فيشكل لان
الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه ان يدخل معهم ما
دعوا به عليهم من الموت او من سآمة دينهم ولعلف المنافي لون
في ذلك قال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي لما اجزنا انتحى فزاد الواو
وقيل ان الواو في الحديث للاستيناف فعائد قال والسام على هذا
كله منه بعد واول من قاله اربعال ان الواو على بابها من العطف
غير انا نجاب عليهم ولا يجاب علينا كما قاله صلى الله عليه وسلم
ورواية حذف الواو احسن معنى واثبتها افصح رواية واشهر وقد
اختلف في رد السلام على اهل الذمة هل هو واجب كالرد على المسلمين
وابيه ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة عملا بعموم الاية والامر بالرد
عليهم الذي في هذه الاحاديث ورده مالك بما رواه عنه اشهب وابن وهب
الى ان ذلك ليس بواجب ما لم يدوت فعل عليه والاعتذار عن ذلك بما ذكر
بان احكام المسلمين ان سلام اهل الذمة غالبا ليس تحية لنا وانما هو دعاء

عليها فما فرق بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انما يقولون فلان يحيونها ولا حق لنا ان نرد عليهم تحية بل دعا عليهم بلعنة كما فعل عائشة رضي الله عنها وامره صلى الله عليه وسلم لنا بالرد انما هو لبيان الرد لما قالوه خاصة فان تحققنا من احدهم انه تلفظ بالسلام رددنا عليه بعليك فقط ٢ مختار اذا رد بقلبه عزما يلحق به لسانه وهو اختيار ابن كاوس او بقوله الى ان يسلم على الاداء السلام اي ان يسلم عندي واختار بعض اصحابنا السلام بغير السين يعني به الحجارة وهو قاله بعض بل ما قاله مالك كاف شافي وقول عائشة رضي الله عنها بل عليهم السام والذام التخييب الى ابن راهويه المشهور فيه بالزال المعجمة وهو العيب ومنه المثل لا تقدم الخشتا ذاما اي عيبيا ويلمز ولا يعز بمال ذامه تذأمه مثل ذأت عليه تذأب والمفعول مذؤوم مسموزا ومنه مذؤوما مدحورا ومال ذامه تذأمه مخففا ذمائه بمروءته قال الاخفش الذام اشد العيب وقد وقع للعذري في هذا الحرف القائم بالسام يعني هامة القتيل وهذا الى ما ذهبت العرب تتحدث بها وتفي من الحاقها كما تقدم ويعني بذلك عائشة على هذا القتل عليه بالموت والقتل وقال ابن الاعرابي بالذال المعجمة وهذه بالراي والصواب الاول ان هذا اسم وقوله فغضبت هم عائشة صحيح الرواية هنا وكما سمعته ويؤيد من الغطشة والغم اي همت غمهم ما قالوه ولا اعرف اقطبت هنا في موضعه من التقطيب في الوجه وهو القبسة والغضب وقد جاء مفسرا في الرواية الاخرى وقوله لعائشة مه معناه اكففي كما تقدم وقوله لا تعودي فاحشة اي لا تصدر منك كلام فيه جفاء والفحش ما يستقبح من الاقوال والافعال يعبر انه تذكر اكثر اطلاقه على الزنا وهو غير مراد

هنا

ملحقة للعائشة

هنا نهاهما وهذا منه صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها امر بالتثبت والرفق وترك الاستعجال وتاديب لها لما نطقت به من اللعنة وغيرها والله اعلم **وفي باب استحباب السا**

وما كيفيته وحكمه قوله فخرجوا بالليل يتبرزن الى المناصع

يتبرزن يخرجن الى البراز بفتح الباء وهو الموضع الذي يتبرز فيه اي يقضي والبروز الظهور وهو منه وبرى الارض بارزة اي ظاهرة مستوية لا يجتمع فيها شيء كما قال تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا والمناصع موضع خارج المدينة وقوله وهي صعيد افيح اي ارض مستوية متسعة وذلك كناية عن خروجهن الى الخلاء لان بقيع كان كذلك والسوق كانوا لا يخرجونها استقذارا فخافت النساء خروجهن بالليل الى خارج السوق ويعدون عنها الى هذا الموضع وقد رخص على هذا عائشة رضي الله عنها في حوائج الانسان وقول عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك مصلحة ظهرت لعمر رضي الله عنه فاشار بها ولم يكن بانبي صلى الله عليه وسلم ان تلك المصلحة خفيت عليه لكنه كان ينتظر الوحي في ذلك ولعل الله تعالى موافقة عمر على ذلك حين اشار عليه به لاسما وقد كانت عادة نساء العرب ان لا يحتجبن لشرف اخلاقهن وعفاف نسائهم غالبا ولذلك قال عمر

واغفل كرفي فابدت لي جارتي حتى توارى جارتي ما وراها

فلما لم ير مالك بريبة تركهم ولم ينههم استحبابا للعادة وحراسة لابتداء امر اول وهي بانه قارب الحقف عن استه فنهته من الفعل الاشارة على الامام بالراي واعادته دل ان احتاج اليها وجواز اشارة المفضول على الفاضل وجواز اعراض المشار عليه وتاخير الجواب

الى ان تبين له وجه ترتيبه وقول عمر رضي الله عنه وهذا الحديث
الا وعرفنا في ماسوده يقتضي ان ذلك كان من عمر قبل نزول الحجاب
لان عائشه رضي الله عنها قالت فيه حرصا على ان ينزل الحجاب
فانزل الحجاب والرواية الاخرى يقتضي ان ذلك كان بعد نزول
الحجاب فالاولى ان يحمل ذلك على ان عمر رضي الله عنه تكرر منه هذا
قبل نزول الحجاب وبعده ولا تعارض ويحتمل ان يحمل ذلك على ان بعض
الرواة ضم قصة الى الحديث الاول فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وقع في قلبه غيرة عظيمه واتفقت شدة غيرة بين يدي احد على
حرم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صرح له بقوله اجب نساءك فانهن
يرين البر والفاجر فلما نزل ذلك عذره حتى نزل الحجاب وبعده فانه
كان قصده الاحتراز اصلا ما فرط في ذلك عمر انه مفض الى الحرج
والمشقه والاضرار بهن فانهن يحتاجات الى الخروج ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لما تاذت بذلك سوده قد اذن ان تخرجن
لحاجتكن قوله فانزل الحجاب اي آيه الحجاب وهي قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام
غير ناظرين اناه الى قوله واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن
من وراء حجاب قوله روى عن انس وابن مسعود رضي الله عنهما عن
ان عمر انتوجه عليه اشكال وهو ان حديث انس وابن مسعود
تقتضي ان سبب نزولها هو ان النبي صلى الله عليه وسلم حين اعرس بزينب
اجتمع عنده رجال يحدثون في بيته وزوجته موليه وجهها الى الحايط
فاطالوا المجلس حتى ثقلوا عليه فانزل الله تعالى هذه الايه وحديث
عائشه هذا يقتضي ان الحجاب انما نزل بسبب قول عمر احجب نساءك

وتنزل

الحالة في هذه الازمان لما فيها من الزينة والتطيب والتختر في الملابس
الحسان فيما يختص في الخروج على تلك الحال فسوق وعصيان فان
قيل ما الزينة التي استثنى الله تعالى لهن اظهارها في قوله ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها فالجواب ان ذلك احتمله قوله تعالى لابن مسعود
رضي الله عنه ارخا الثياب يعني ذيلك ثيابها التي تستتر بها ولا تستتر
بها الملحفة والخمار وعلى هذا فلا يجوز ان تبدي مما تحت ذلك شيئا
لا تحلا ولا خاتما ولا غيره لكن مما تستتر بالملحفة والخمار وقال ابن
عباس والسوار هي الخلخال والخاتم يعني ان هذين لا بد من ستر بهما وقد
تتناول هذه الخاتم ما تحتاج اليه وقال الحسن ومالك هو الوجه والكفان
لانهما ليسا بعورة اذ يجب كشفهما على الاحرام عباده وتظهر
ذلك منها في الخلاء وهما اللذان تبدوان منها عادة والكل محسوب
على ان المستثنى هو ما تتعذر ستره اما عادة واما عبادة وهو دليل
على ان المطلوب من المراة ستر ستر ما تتمكن من ستره قول الله تعالى
ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن
وقال تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين فالخمار ما يلقى
على الراس والجلباب اختلف فيه فقال الحسن هو الرداء
وقال ابن جبير المقنعة وقال قطرب هو كل ثوب تلبسه المراة فوق
ثيابها وقال ابو عبيد ادنى الجلباب ان يغطي وجهها الا قدر
ما تبصر به فرع اذا قلنا ان الوجه والكفين ليسا بعورة وانه
يجوز لها كشفهما فاذا خافت فتنة الجمال وجب عليها ان تستر
وجهها لئلا تفتن الناس ممنوعون من الميلان الى فتنة نوعين بالنظر

والكلام في هذا

والكلام في هذا متسع ومما ذكرناه يمتنع وقوله صلى الله عليه
وسلم لابن مسعود رضي الله عنه ادنك على ان ترفع الحجاب وان يسمع
سوادي وقوله في ان ترفع ارخي لمالم يسم فاعله ولا يجوز
غيرها وسببه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل لعمر رضي الله عنه
اذ نام حاجابه وصوانه اذا جانبيت النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد الستر قد رفع دخل من غير اذن بالقول لم يحل لكل لغيره
الا بالقول لما قال الله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا وسلموا على اهلها وبقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يؤذن لكم ولذلك كانت الصحابة رضي الله عنهم لا يدخلون في
فقابل ابن مسعود رضي الله عنه بقوله فكان ابن مسعود يؤذن
له اذا حضرنا وكان ابن مسعود قال له من التبسط في بيت النبي صلى الله
عليه وسلم والانبساط ما لم يأذن لغيره لما علمه النبي صلى الله عليه وسلم
من حاله ومن خلقه ومن الفه لبيته ويستفاد من هذا الحديث ان رب
المنزل لو جعل على ستر بيته علامة على الاذن في الدخول اليه
لاكتفى بذلك عن الاستيذان بالقول والسواد ستر السبيل
الرواية وهو السرار يقول ساودته مساودة وسوادا اذا ساررته
واصله اذ ناسوادك من سوادي يعني السبيل وهو الشخص
وفي باب التنفي عن الصبيان عند تخرزات تخرج قوله
لا يبيت رجل عند امراة الا ان يكون ناكحا او ذا محرم هذا الحديث
لا دليل خطاب له يوجب ان الخلوة بالاجنبية غير الخائفة او ثيبا
ليلا او نهارا محرمة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخلون رجل
بامراة الا كان ثالثهما الشيطان وقوله لا يدخلن رجل على مغيبة

الا ومعه رجل او رجلان وقوله اياكم والدخول على المغيبات والخلوة بالاجنبية حرام بالاتفاق في كل الاوقات وعلى كل الحالات واما خبر المغيبة عمر الشيب بالنفي لان الخلوة بالثيب هي التي تكثر عادتها فان الاعذار تتعذر الوصول اليها غالبا للمحارم لفقه في التحرز بعض وللتفرز نفس عن الرجال ولان الخلوة بالدعارة تتذر فتخرج مخرج النفي على المتعسر غالبا وقوله اياكم والدخول على المغيبات هذا التحذير شديد وهي وعيد كما تقول اياك والاسد واياك والشر اي اتق ذلك واحذره والمنصوبان مفعولان بفعلين مقدرين دل عليهما المعنى والمغيبات جمع مغيبة وهي التي غاب عنها زوجها يقال غاب الرجل فهو غايب وغابت زوجته فهي مغيبة والمحرم احد الاحماء وهم قرابة الزوج مثل اخيه وعمه وابنهما ويقال لهما ولا من حمه الزوجة أختان والصهر يجمع ذلك كله وقولها الحمو بعد الحمو مصدر او الصهر احد لغاته ويقال فيه حمؤ بواو مضمومة محدودة كقرء وحمي مقصور كقضي والاسم منه انه من الاسماء الستة المعتلة المضافة التي تعرب في حال اضافتها الى غير ياء المتكلم بالواو رفعا وبالالف نصبا وبالياء خفضا فتقول جاءني حموك ورايت حماك ومررت بحميك وقوله الحمو الموت اي دخوله على وجه اشبه شبه الموت في الاستقباح والمفسدة اي هو محرم معلوم التحريم والمانع من الزجر عن ذلك وشبهه بالموت لتسامح الناس في ذلك من حمه الزوج والزوجة لا لتفهم ذلك كما انه ليس ما يخشى من المرأة عاده وخرج هذا المخرج قول العرب الاسد الموت والحرب الموت اي لقاؤه يفضي الى الموت وكذلك دخول الحمو على المرأة

يفضي

يفضي الى موت الدين او الى موتها طلاقا عند غيرة الزوج او رحمها اذا زنت معه وقوله ان نفرا من بني هاشم دخلوا على اسماء بنت عميس فكان هذا الدخول في غيبة ابي بكر رضي الله عنه لانه كان في الحضر لا في السفر وكان على وجه ما يعرف من اهل الصلاح والخير مع ما كانوا عليه قبل الاسلام مما تقتضيه مكارم الاخلاق من نفي التهمة والريب كما قدمناه ولعل هذا كان قبل نزول الحجاب وقبل ان يعلم ابو بكر ذلك بامر ولا نهي عمر ان ابا بكر رضي الله عنه انكر ذلك بمقتضى الغيرة الجبلية والدينية كما وقع لعمر رضي الله عنهما في الحجاب ولما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال ما اعلمه من حال الداخلين والمدخول لها قال لم ار الا خيرا نفى علمه على الغير فانه علم اعيان الجميع لاسلم فاحوال مسلمي بني هاشم لم تخص اسما بالشهادة لها فعال ان الله قد برأها من ذلك اي بما وقع من يمين ابي بكر وكان ذلك فضله عظيمه من اعظم فضائلها ومنقبه من اشرف مناقبها ومع ذلك لم يكتف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جمع الناس وصعد المنبر فسالهم عن ذلك وعلمهم ما يجوز منه فعال لا يدخلن رجل على مغيبة الا ومعه رجل او رجلان سادا الذريعة الخلوة بها وقطعا لما عسى ان يؤدي الى التهمة وانما اقتصر على ذكر الرجل والرجلين لطلاقية الوجود ان الغالب ان المعه كانت تزيد على ذلك العدد وانما اليوم فلا يكتفى بذلك العدد بل بالجماعة الكثيرة لعموم المفاسد وخبث المقاصد ورحم الله مالكا لقد بالغ في سد الباب حتى منع فيه ما يجر الى بعض التهم والارتياب حتى منع خلوة المرأة بابن زوجها والسفر معه وان كان محرما عليها لانه ليس كل محرم يمتنع بالمانع

الشرعي اذا لم تقارنه مفاسد عادي بانه من المعلوم الذي لا سبب
له ان موقع امتناع الرجل من النظر بالشهوة لامراة ابيه ليس
كهو تعلقه به لامه واخته فراجعه فراجعه عليه النظرة العادية
وذلك فراجعت به النفس اشهوانيه فلا يرفع المانع الشرعي
ع هذا من اقوى الذرائع الحالية ٥ وقس عليه اجتناب النظر
وما يجر اليها ٥ وبعد الكلام على الاعتكاف لغة وشرعا
ع كتابه قول صفية رضي الله عنها فاتيته ازوره ليلا فحدثته
دليل على جواز زيارة المعتكف والحديث معه عند انقضاء
من ذلك ليلا يشتغل بما دخل له من الفرض لعباده الله تعالى وعلى
انه لا يحرم له الخلوة مع اهله في معتكفه ولا الحديث معها وانما
الممنوع المباشرة ذكر هذا الاقويا واما من يخاف على نفسه عليه
شهوة فلا يحل له زيارة اعتكافه وقد كان بعض الناس لا يجتنبون
دخول نساءهم في نهار رمضان يخافه الوقوع فيما يفسد الصوم
او ينقص ثوابه وقولها ثم قمت انقلب فقام ليقلبني اي لاصرف
وليقلبني بصرفني وهو مفتوح اللبا ثلاثيا وهذا يدل على ان للمعتكف
ان يصرف في المحل والى بابه اذا دعته الى ذلك حاجة عرضية
لا يخرج من بابه الا للامور الضرورية الى يعدم وجودها وقد روي في هذا
الحديث انه انما خرج معها الى باب المحل وعلى هذا تاوله الحاذق لم
يخلف العلما انه لا يشرع خروجه الى باب المحل وان اختلفوا في
جواز تصرفه فيه لغير ضرورة فزيارة مريض او صلاة على جنازة
او حضور الى المنارة للاذان او المجلس الى عوام ليصلح بينهم وغيره
مالك كل ذلك في المشهور عنه وقوله صلى الله عليه وسلم على رسلكما

انما هي

انما هي صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم
معروفة وقوله على رسلكما بكسر اللام اللين وقد ارسل الفرس صار لين
اللين هي مواشيهم والرسل بفتح الراء والسين القطيع من الخيل
والابل والغنم وجمعه ارسال ومعال قال الخيل ارسالا الى وكلها
تكليفا وانما هما التحقق المتصل والتحقيق المنفصل عنها كقوله
تعالى انما الله اله واحد اي الالهية متحققة له منتفية عن غيره
فكانه قال هذه صفية لا غير ما يخشى ذريعة التهم وذريعة التسويل
الشيطان ووسوسته كما قدم عليه واذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم يتقي مواقع التهم مع قيام الادلة القاطعة
على عصمته فما غيره ذلك اولى وقوله الرجلين سبحان الله معنى
هذه الكلمة في اصلها البراءة له من السوء لتنزيهها فكثر استعمالها
عند التعجب والتفخيم او الانكار كما قال تعالى سبحانك هذا بهتان
عظيم وقوله صلى الله عليه وسلم سبحان الله ان المؤمن لا يجس مثله
كثير وهذا الموضع منها واضحا قال البراة الله تعالى من
ان يخلق في موسى ما يخشى منه تنبيه صلى الله عليه وسلم وللدلك
قال في اخر الحديث ومن ظن به شيئا من هذا اكفر ما يخشى به
وقوله ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم حمله بعض العلما
على ظاهره قال ان الله تعالى جعل للشيطان قوة وتمكنا من
ان يسري في باطن الانسان ومجاري دمه والاكثر على ان معنى
هذا الحديث الاخبار عن ملازمة الشيطان للانسان واستيلائه
عليه بوسوسته واغوائه وحرصه على اضلاله وافساد
احواله فيجب الحذر منه والتحذر من حيله ومكره ووسوسته

واعوانه وان يعزنه ومدس ذلك في آخر الحديث بقوله اي فتنتين
ان يقترف في يلوركما شرا فتهلكا وخصوصا وهو مثل بدرا
الذي يفضي بالانسان الى الدمار فان من السوء والشر ما لا ينبغي
ذكره قال العامري رحمه الله في هذا الحديث من الفقه
ان من حال النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذا او جوزه عليه
فهو كافر مستباح الدم وقوله يقترف في قلوبكما شرا اي يرمي
ومنه القذف وهو الرمي والقذافة الآلة التي يرمى بها الحجارة
والشر هنا هو الدمار الذي ذكرناه وفي خبر مسلم فتهلكا اي بالدمار
الذي يلزم من ظن السوء بالنبي صلى الله عليه وسلم وذكر في الرواية
الاخرى انه قال بعلاوا احدا فيحتمل ان يكون هذا في مرتين ويحتمل
ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم اقبل على احدهما بالقول لحضوره
الآخر فنسخ نسبته اليهما جميعا واقرأنا والله اعلم
ومن باب من راى مرجما في الحلقة جلس فقعاه
قوله اذا قتل نفر ثلاثة يدل على ان اقل ما يقال عليه نفر
ثلاثة اذ لا يقال نفر اثنان ولا نفر واحد وقوله اما احدهم
فاوى الى الله فآواه الله هو قوله الصحيح بقصر الاول وهو
ثلاثي مجرد متعد وبمد الثاني وهو متعد رباعي وهو قول الاصمعي
وهي لغة القرآن قال الله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف
اي انضموا ونزلوا وقال والى ابراهيم لحرد ننتها فاوى وهذا يدل
وقال ابو زيد آويته انا ايواء وأويته اذا انزلته بك فعلت
وافعلت قال الشيخ رحمه الله فاما اويت لفاقره فالقصر
لا غير ومعنى ذلك ان هذا الرجل لما انضم الى الخلقة ونزل معها

حازاه الله

حازاه الله تعالى بان ضمه الى رحمته وانزله في جنته واكرامه
بهذه الخصلة على مجالسة العلماء ومجالستهم والكون معهم ما سلم
القوم الدين لا تشقى جليسهم وهذه الجلوس لسماع العلم في المسجد
حول العالم والحض على سرعة الحلقة لان القرب من العالم
اولى لما يحصل من ذلك من حسن الاستماع والحفظ والمجال في حلق
الذكر كالمجال في صفوف الصلاة ثم الصف الاول فما كان
اقرب من الموخر والحلقة بضم الحاء وسكون اللام وفتح القاف
الباب والحلقة الدروع والجمع الحلق على عكس قياس وقال الاصمعي الجمع
حلق مثل بدرة وبدر وقصعة وقصع وحكى يونس عن ابي عمرو
ان العلة حلقة في الواحد بتحريك اللام والجمع حلق وحلقات
وقال ابو عمرو الشيباني لبس في الكلام حلقة بتحريك اللام الا قولهم
هذا لا يوم حلقة جمع حالق للشعر وقوله واما الآخر فاستحيا
فاستحيا الله منه كان هذا الثالث قد تمحض من المراجعة
اذ لو شرع فيها لفسح له لان التفسح في المجلس مأمور به مندوب
اليه لكن منعه من ذلك الحياء فجلس خلف الصف الاول فعاقبته
فضيلة التقدم لكنه حازاه الله على صنيعه واستحيا به بان
لا عذبه وبان يكرمه وقد ينزع القول في الحياء واستحيا الله تعالى
وان معناه وفقه تعالى انه تعامل كبيره معاملة من يستحي
منه من المغفرة والاكرام كما ذكرناه عن صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يستحي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله واما الآخر
فاعرض فاعرض الله عنه اي كان هذا المعرض لهما فيقا فاعراض الله
تعالى عنه تعذيبه في نار جهنم بخلوده فيها في الدرك الاسفل

منعا وان كان مسلما وانما انصرف عن الخلعة لعارض عرض له فاثره
باعراض الله تعالى عنه منع ثوابه عنه وحرمانه مجالسه النبي
صلى الله عليه وسلم والاستفادة والخير التي حصل لاجابيه

ومن باب النهي عن اقامة الرجل من مجلسه وتنحيته

صلى الله عليه وسلم عن اقامة الرجل من مجلسه انما كان ذلك لان
السابق للمجلس قد اختص به الى ان يقوم باختياره عن فراغ
غرضه ومكانه فزال ملكه منفعة ما اختص به من ذلك فالحق
ان يحال بينه وبين ما تملكه وعلى هذا فحمل النهي على ما امر
من التحريم وفعل هو على الكراهة والاول اولى ويستوي في هذا
المعنى ان يجلس فيه بعد قيامه او لا يجلس غير ان هذا الحديث
خرج على عادتهم ما يفعل من ذلك كان الانسان في الغالب انما يقيم
الاخر من مجلسه ليجلس فيه وذلك وكذلك يستوي فيه يوم
الجمعة وغيره من الايام الى يجتمع الناس فيها لكن جرى ذكر يوم
الجمعة في هذا الحديث لانه اليوم الذي يجتمع الناس فيه وتتهيأ فيه
المواضع القريبة من الامام وعلى هذا فالحق بذلك ما في معناه
ولذلك قال ابن جريج في يوم الجمعة وغيرها **وقوله** ولكن تفسحوا
وتوسعوا هذا امر للجلوس بما يعلو مع القرائن ودلالة انه
لما سبق ان يقيم احدا من موضعه تعين على الجلوس ان يوسعوا
ولا يتركوه قائما فان ذلك سوء ادب وربما خجله وعلى هذا فمن وجد
من الجلوس سعة لم يعن عليه ان يوسع له وظاهر ذلك انه على الوجوب
تمسكا بظاهر الامر وقال القابسي يدل على ذلك وهو مسلم وانه في المسلم
كرام ويحتمل ان يقال ان هذه اداب حسنة ومن مكارم الاخلاق

فيحمل

تحمل على الندب وهذا حمل السلف العلما في قوله تعالى اذا قيل لكم تفسحوا
في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم وفعل هو مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم فانه انما كان يدنو منه تنا فسا في القرب من النبي صلى الله عليه
وسلم وفعل هو مجلس الصحابة في الاعمال وفعل هو جار في كل مجلس
اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر وهذا هو الاولى اذ المجلس
للمجلس على ما اقتضاه في الاصول **وقوله** اذا قام احدكم من مجلسه
ثم رجع اليه فهو احق به وهذا ايضا على محمل القول بوجوب ما ذكرناه
من اعتصاص الجالس بموضعه الى ان يقوم منه لانه اذا كان اولى
به بعد قيامه فقبله اجرى واولى وذهب اخرون الى ان ذلك على
الندب لانه موضع غير مملوك لاحد لاصل المجلوس ولا بعده
وهذا فيه نظر وهو ان يقال سلمنا انه غير مملوك له لكنه
يختص به الى ان يفرغ غرضه منه فصار كانه مملوك منفعته
اذ وجد منع غيره من ان يزاحمه بمجلبه وحمله مالك على الندب
اذا كانت رجعته قريبة قال وان تمادى ذلك حتى يذهب ويتوزع
فلا ارى ذلك وانه من مكارم الاخلاق وعلى هذا فحمل هذا
عاما في كل المجالس وقال محمد بن مسلمة الحديث محمول على مجلس
العلم فهو اولى به اذا قام لحاجة فاذا قام تاركا له فلا حق له
تاؤل وقد اختلف العلما فيمن ترتب من العلما والقرا في موضع
من المسجد للفتيا والتدريس فحكى عن مالك انه احق اذا عرف
به واثنى عليه الجمهور ان هذا استحسان وليس بواجب ولعله
مراد مالك وكذلك ما لهم فتعد من الباحة في موضع من افنية
الطرق وافضيه البلاد عمن المنهلة فهو احق به ما دام قائما

فمه فارقا منه ونيته الرجوع اليه من غير فعل يدل على ذلك
حتى يتم غرضه فحكاه الماوردي عن مالك فعلى هذا للمتنازع فعل يدل
على عوده سواء والسابق اليه يعود كل احق به ١٢ ومن باب
الزجر عن دخول المخنثين على النساء ١٣ المخنث هو اللين والتكسر
والمخنث هو الذي يلين في مشيه وتتكسر في مشيته وتتشبه
بالنساء كالمساء وقد يكون في خلقه وقد يكون تصنعا من الفاسقة
ومن كان كذلك في خلقه فالغالب من حاله انه لا ارب له في النساء
ولذلك كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يعتقدون هذا المخنث
من غير اولي الاربة فكانوا لا يحجبونه الى ان يظهر منه ما ظهر
مجموعه وقوله ان مخنثا كان عندها اختلف في اسم هذا المخنث
والاشهر ان اسمه هيت بياء ساكنة بعد الهاء ثم شين معجمة
واخره مثناة فوق وقيل صوابه بهيت بنون مفتوحة اخره
والهنب الرجل الاحمق قاله ابن درستويه وقيل ان هذا المخنث
هو مانع ثم ناشئ من فوقها مولى ابي اميته المخزومي قيل وكان
هو وهيت بن حلان في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فلما وقعت
هذه القصة غربهما النبي صلى الله عليه وسلم الى الحمى وقيل ان مخنثا
كان بالمدينة نفاه النبي صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد وقول المخنث
ادلك على ابنة غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان قال ابو عبيد
يعني به العكن وهي اربع تقبل بهن وبها اطراف اربعه من كل جانب
فتنصر بمانية قال الشيخ رحمه الله واما انث فمعناه باربع
وبمان كانه يعني به العكن وهي جمع عكنة وهي الطي الذي يكون
في البطن من السمن وجمع عكن وراعكان وتعكن البطن

اذا

اذا صار ذلك فيه وبدا المخنث ان هذه المرأة اذا اقبلت كان لها
من كل جانب من جوانب بطنها عكنتان واذا ادبرت لها من خلفها
ثمان وانث العدد لتانيث المعدود وهي العكن جمع عكنة
وقد روي هذا الحرف الواقدي وانكلبي وقال ابن هشام المخنث
وكان مولى لعبد الله بن ابي امية المخزومي اخي ام سلمة لابيها
وام عبد الله عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
في بيت ام سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ان افتتح الطائف
تعلقي ببادية ابنة غيلان بن سلمة الثقفي فانها تقبل باربع
وتدبر بثمان مع ثغر كالاقحوان اذا جلست تثنت واذا تكلمت تفننت
بين رجليها كالاناء المكفو وهي كما قال عمر بن الخطيم
تكسر فوق المرفقين وهي لاهية كما شق وشمها ترتفق
بنين كغصون البيتا خلقتها قصدا فلا عنله ولا تصف
تنام عن كبر شأنها فاذا قامت زوبرا تكاد تنتصف
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت لئن ظهر لها
ما عذوا الله بهم اجلاه عن المدينة الى الحمى قال فلما فتح الطائف
نزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له ابا سلمة الفقيه قال ابن هشام
هيت هو لقب واسمه كان حتى نفاه النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي ابو بكر
رضي الله عنه كلم فيه فابى ان يرده فلما ولي عمر رضي الله عنه كلم
فيه فابى ان يرده ثم كلم فيه بعد وقيل له انه كبر ووضع وضاع
فاذن له ان يدخل كل جمعة فسأل ويرجع الى مكانه قال ابو عمر رحمه الله
معنى باوية تائبا وباذنه بالنون والصواب عاتبا وهو مول الكرم
وقوله تفننت هو من الفنن وهو الغصن اي انها تتغنج فلا تمكن

فامر به فنفي الى القبيع بالسوس فصل يا رسول الله لا تقتله فعال
انى نهيت عن قتل المصلين ومن ما ـــ انتهى ذات القدر بعضها
ع درهم زوجها مولها تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك
ولا شيء غير فرسه ٥ هذا دليل على ما كانوا عليه من شدة الحال في اول
الامر وعلى ان المعتبر عندهم في النفقة انما هو الدين والبخل لا المال
والغنى ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اتدرين فوت نراك
وانما كان ذلك لان النوم كانت مقاصدهم في ابتداء التعارف
على الدين وتبشير امة محمد خاتم النبيين واعلم ان اهل الفضل
يجاب فاضل وان الفضل ياتي الى سوء اللائق واما السوم فقد
انعكست الحال وعدل الناس عن الواجب الى المحال وقولها فكنت
اعلف فرسه واكفيه مؤنته الى اخر الكلام فيه دليل على ما كانوا
عليه من تبذل المراة وخدمة زوجها بيته وفرسه وان ذلك
شريف لكن هذا كله انما فعلته مبتدئة بذلك اختيارا لها غبة
لما علمت فيه من الاجر والثواب وحثا لنزوجها على البر والتقوى
ولا خلاف في حسن ذلك ولا في ان كل ذلك ليس واجب عليها اذ لا يجب
عليها ان تخرز البيت ولا ان تخدم الفرس ولا ان تنقل النوى وانما
اختلف في خدمة بيتها من عجن وطبخ وكنس وفرش فالشريفة ذات
القدر التي لم يجر في عادتها ان تفعل شيئا من ذلك ولا تحكم
عليها انه واجب عليها عرفا لك ان تامر الخدم بذلك ولا تنتصب
وليس عليها الا ان تنهض من بعضها وقال بعض شيوخنا عليها ان تاتي
وتنصرف بما يليق بحال زوجها اذ لا خلقة عليها في ذلك وبجريان العادة
سئل في الاشراف وفي كتاب ابن حبيب عليها في العسر الخدمة الباطنة

للبيت ورخامة صوتها يقال تغنث الرجل وتغنى مثل تقنث وتقنى
ومنه ما يدل على جواز العفو به النفي عن الوطن لمن يخاف منه الفساد
والفسق وعلى تحريم وصف محاسن المراة المعينة لان ذلك اطلاع للاسماع
على عورتها وتحريك النفوس الى ما لا يحل منها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا تصف المراة المراة لزوجها حتى كانه ينظر اليها فاما ذكر محاسن من لا تعرف
من المسلمات اذا لم تدع الى مفسدة من تهييج النفوس الى الوقوع
في الحرام او في المكروه وقوله صلى الله عليه وسلم لا ارى هذا يعرف
ما هاهنا يدل على انهم كانوا يظنون انه لا يعرف شيئا من احوال النساء
ولا يحترز له بالليل وسببه ان التخنيث قد يكون منه خلقة وتصنعا ولهذا
تعرف منه الاذلال ولذلك كانوا يعدونه من عبيدهم الا ترى انه اي حاجة
لاحاجة له في النساء وقد قدمنا ان الازب والارتة الخاجة فلما سمع
النبي صلى الله عليه وسلم وصفه لتلك المراة علم انه عنده تشوف للنساء
معجب لذلك منه فزجره وعنفه وتقيه لما اطلع عليه من محاسن
تلك المراة وكشف من ستورها ولم تكن عقوبته لنفس التخنيث
فان ذلك كان به خلقة ولم يكن متكسبا له ولا حلف الله يعذب الا واسعها
واما من تخانث وتشبه بالنساء تقززا كبيرة من الفحش الدبابر لعنة الله
عليها ورسوله ولا تقر عليها بل يودب بالضرب الوجيع والسجن الطويل
والنفي حتى يترع عن ذلك ويدل على ذلك ما خرجه البخاري عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين
من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وقال اخرجوهم من بيوتكم
واخرج فلانا وفلانا عمر انه لا يقتل لما رواه ابو بكرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم ابى برجل قد خضب يديه ورجليه فقال ما بال هذا فقيل يتشبه بالنساء

كتما على الزنيه واما من ليست كذلك فيجب عليها من حرمة بيتها ما دامت
العادة ان مثلها تفعله وما خذ هذا الباب عنوما النظر الى العوايد
فان الانسان اذا تزوج عند قوم فالغالب انه يبحث عن عاداتهم وتقاليدهم
فيعملها ويحافظ عليه فالسم فاذا تزوج ممن عادتهم الاخذ من
ساوم العبيد واما الخوف فقد دخل على انه يبقيها على عادتها
ويسيرها سيرة نسائها فلا حكم له عليها فمتى مزوجت كذلك
من عرف عادتها ان مثلها لا تخرج واما تخدم نفسها فانه يحكم
له عليها بما ذكر من حرمة بيتها وذلك في رضاع الولد فانها من
تحمل حالها ولا تعلم عادة نسائها فان الاصل انها تخدم نفسها
فيحكم عليها بذلك ورضاعة الولد الى ان يتبين انها شريفة لها
الحال والقدر وهذا اصل مالك وتفريقه وهو خولك وذلك ممن الناس
من لا يرى على المرأة الحرة مطلقا ومنهم من يرى عليها الحرمة مطلقا
والاحسن التفصيل الذي صار اليه مالك والله اعلم والعذر الرسو
العظمة وقولها فنت انتقل النوى من ارض الرسر الى ان قطعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم على راسي قيل ان هذه الارض المقطعة من موات
التنفع اقطعه ذلك حضر فرسه فاجراه ثم رمى بسوطه وعنبه
في الزيادة فاعطاه ذلك كله وفي البخاري عن عروة انه صلى الله عليه
وسلم اقطع الزبير ارضا من اموال بني النضير ولست هذه الارض التي
فانه انما تنقل منها النوى على راسها لقولها وهي على ثلثي فرسخ
فالاشبه انها الارض التي بالتنفع كما تقدم في اصل الاول فيه من الشبه
ما يدل على جواز اقطاع الامام الارض لمن يراه من اهل الفضل والحاجة
والمنفعة العامة كالعلماء والمجاهدين وغيرهم لكن يجب تلك الارض

المقطعة

المقطعة من موات الارض او من الارض الموقوفة لمصالح المسلمين كما قدمناه
في الجهاد وفيه ما يدل على جواز الاستزادة من الحلال واظهار الرغبة فيه
كما فعل الزبير رضي الله عنه حيث اجرا فرسه فلما وقفت رمى بسوطه
رغبة في الزيادة والنبي صلى الله عليه وسلم يبصر ذلك كله ولم ينكره
عليه وليس اقطاع الامام لمثل الزبير رتبة واما هو اختصاص بالمنفعة
العامة لواحي الموات المقطع لقول النبي صلى الله عليه وسلم من احيى
ارضا ميتة فهي له وقولها فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وبقربه اصحابه
فاناخ راحلته فثنى به ليركبها فاستحيا وعرف غيرته وفي رواية
بكسر الميم وسكون الخاء وهو صوت تزجر به الابل وظاهر هذا
السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم عرض عليها الركوب معه لانها استحيت فما مانت وعلى هذا فلا احتاج الى استئذان النبي صلى الله
عليه وسلم في ركوبها معه فانه يحتمل انها لو اختارت الركوب لقوله
راكبة وحدها ولا يخفى ما فيه من حيث هذا اللفظ دليل على ركوب الشخص
على بعير مثلا وهو لا يملكه فعرفت غيرته تعني باجلال علمه من الغيرة
والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يغار لجلاله كما قال عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله
عليه وسلم وعليك اغار يا رسول الله حين اخبره انه صلى الله عليه وسلم
راى قصرا من قصور الجنة فيه امراة من نساء الجنة فقال لمن انت فقالت لعمر
من الخطاب فاردت ان ادخله فذكرت غيرتك فتوقع النبي صلى الله عليه وسلم
ان يجد الغيرة على الجملة وان لم تقع لاجله وقولها الزبير رضي الله عنه
والله لحملك النوى على راسك اشق علي من ركوبك معه هذا يدل على ان الرسر
لم يكلفها شيا من ذلك وانما فعلت هي ذلك لحاجتها الى ذلك وتخفيفا
عن زوجها وعادة اهل الرسر والنخل ان لا النفات عندهم لمثل

حواره

من زينة الدنيا ولا من احوال اهلها فانهم كانوا لا يعيبون على انفسهم
ما عابه الشرع فكانوا ابعد الناس منه واخرج هذا القول من الرسم
فرط الاستحياء المجبول عليه افضل الفضل يعني بذلك ان الحياء الذي
تبذلها حمل النواعل راسها استدعته من الغيرة التي كانت تلحقه عليها
لو رأته من النبي صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم ليس ممن يغار على
الحرم لاجله والله اعلم (وقولها) حتى ارسل الي ثمن شيء يعود لك لخادم
وفقتني سياسة الفرس كذا في اعتقني ودليل على مكارم اخلاق النبوة
كان ابو بكر رضي الله عنه علم ما كانت عليه ابنته من العوز والمشقة
ولم يطالب صهره شيئا من ذلك وكان مترفقا لازالة ذلك فلما تحرر منه
ازاله من عنده والخادم يطلق على الذكر والانثى واعتقتني روى بتا بعد
القاف وبخورها ضمير يعود على الخادمة ويعرفنا وعبيره يعود الى
الى ابي بكر رضي الله عنه وصح ذلك لانها استراحت من حرمة الفرس
والقيام عليه بسبب الجارية التي بعثت اسما ابو بكر صح ان نسب العتق لكل واحد
منهما (وقولها) حاالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا فاعطاها خادما هذه الرواية
تخالفه لعود الضمير في الرواية المتقدمة ان ابا بكر رضي الله عنه ارسلها وهذا
لا يعارضه لان النبي صلى الله عليه وسلم دعاها لابي بكر ليبعث معها لها
فارسل بها ابو بكر لها واستيذان الفقير لام عبد الله وهي اسما
ابنة ابي بكر ان يبيع في كل دارها يدل على ان المتقرر المعلوم من الشرع
ان فناء الدار ليس لغير ربها القعود فيها للبيع الا باذنه فاذا اذن جاز
مالم يضر بعبره من تضييق طريق او اطلاع على عورة منزل غيره ولرب
الدار منعه لان الاجنبية حق لازمة المنازل لان عمر رضي الله عنه قضى في الاجنبة
لازمات الدور قال ابن حبيب في تفسير هذا نهي عن الانتفاع للمجالس والمتراك

والمصاطب

والمصاطب وجلوس الباعة فيها للبياعة الخفيفة وليس بان يكون بالبقيا
والتجذير قال الشيخ وعلى هذا فليس لرب الدار التصرف في فنائها
بيناء ثابت وغيره مما يثبت ويدوم لانه من المنافع المشتركة بينه
وبين الناس اذ للناس فيه حق العبور والوقوف والاستراحة والاستظلال
وما اشبه هذه الامور لكنه اختص به فيجوز له من ذلك ما لا ضرر لغيره
من مرافقه الخاصة به كما مصطبة لجلوسه ومشربة لرسه وتكة
لحماله وكسر بيت حائضه وتراب بيته وعمود لما يحوز من ضروراته
وعلى هذا لا تفعل فيما لا يحوز من ضروراته كبناء دكان للباعة
او تخطيره عن الناس او اجارته لمن يتبع فيه لان ذلك كله منع الناس
من منافعهم التي لهم فيه وليس كذلك الاذن في البيع لخفته وغرر اجره
لان ذلك من باب الرفق بالمحتاج والفقير واصل الطرق والافنية للمرافق
ولو جاز ان يجاز الفناء ببناء ونحوه للزم ان يقضى لذلك البناء وتتسلسل
الى ان تذهب الطرق وتنقطع المرافق وتوقف اسما رضي الله عنها
في الاذن للفقير الى ان باذن ابن الزبير اما كان مخافة تجبرة الرسم او يكون
في ذلك شيء تاذى به الرسم وحسن ادب وكرم خلق حتى لا تتصرف
في شيء من مالها الا باذنها واسرها للفقير بان يسالها ذلك تحضرة
ابن الزبير رضي الله عنهما لتستخرج بذلك ما عند الرسم من كرم الخلق والرغبة
في فعل الخير وليشاركها في الاجر وذلك كله منها حسن سياسة وجميل
ملاطفة تدل على انشراح الصدر وصوق الرغبة في الخير وبيعها للجارية
من غير اذن الزبير دليل على ان للمراة التصرف في مالها بالبيع والابتياع
من غير اذن زوجها وليس له منعها من ذلك اذا لم يضر ذلك به في حرزها ومتاعها
الذي بالبيع والابتياع فله منعها مما يؤدي الى ذلك والله

لها ان تقيد من الحاريه دليل على ان الزوج ليس له ان يتحكم على
ما لها ما خذ ولا يخبره اذ لا ملك له في ذلك وانما له فيه حق التمتع ونفقة
بعض المؤن ولذلك منعنا ها من اخراج كل ما لها او جله كما تقدم في
النكاح وصرفتها بمن الجارية من غير اذنه دليل على جواز هبة المراة
بعض ما لها بغير اذن الزوج ليس ان اجازه الزوج جائز ان معه فان كان
الثلث فدون لم يكن له المنع وان كان اكثر كان له منع الزايد على الثلث
على ما تقدم بيانا اذا وهبته لاجنبي فان وهبته لزوجها فلا فرق بين
ثلث ولا يخبره لانها اذا اتلفته لنفسها فذلك جايز ولا فرق بين الثلث
فكثر انما كان لحق الزوج لئلا تفوت عليه ماله فيه من حق التمتع
ولئلا يمنعها ايضا من التكسب ما كانت به لنفسها فينفذ حكمها في الثلث
ويرد فيما زاد عليه وقيل يرد في الجميع وهو المشهور **ومن باب**
السهو عن سجدتي السهو من الثلاثة. قوله اذا كان بالاثنة فلا تناجي اثنان
دون واحد ه كان هنا تامة بمعنى وجد ووقع وبالاثنة فاعل بها
بخلاف الرواية الاخرى التي قال فيها اذا كنتم بثلاثة فانها فيها ناقصة
بمعنى صرتم بثلاثة وقوله فلا تناجي اثنان الرواية المشهورة انها
بتناجي بالف مقصورة ثابتة في الخط بعد الجيم نشفق في اللفظ
للتقاء الساكنين ماذا هو خبر بمعنى النهي المشروط به وبعض السهو عن ذلك
وقد وقع في بعض النسخ فلا تناجي بغير الف على النهي وهو واضح والتناجي
التحادث سرا وقد زاد في الرواية الاخرى زيادة حسنة فقال حتى
يختلط بالناس فبين بها المنع وسواء كان الثالث من تحدث معه
كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل فجاء اخر فاراد ان يناجيه
فلم يناجه حتى دعا رابعا فقال له وللاول تأخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة

وترتيبه في هذه الزيادة على التعليل بقوله فان ذلك يحزنه اي يقع في نفسه
ما يحزن لاجله وذلك ان يتوهم في نفسه ان الحديث عنه بما يجره ازانهم
لم يروه اهلا للبشر كوه في حديثهم الى غير ذلك من الظنات الشيطان
واحاديث النفس وحاصل ذلك كله مرتقا بيد وحده فاذا كان معه
غيره امن ذلك وعلى هذا ينبغي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى اربعة
دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده
في العدد الكثير امكن واوقع فمذكور بالمنع اولى وانما خص الثلاثة
بالذكر لانه اول عدد تنافى فيه ذلك المعنى وكما هو في الحديث
يعم جميع الازمان والاحوال وابيه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور
وقد ذهب بعض الناس الى ان ذلك كان في اول الاسلام لان ذلك كان
حال المنافقين فيقتضي المنافقون دون المؤمنين فلما فشا الاسلام
سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر في المواضع التي لا امن
الرجل فيها صاحبه فاما في الحضر وبين العمارة فلا **قال الشيخ** رحمه الله
وذلك كله حكم وخصوص ولا دليل عليه والصحيح ما صار اليه الجمهور والله اعلم
ومن باب حوار اسارير الشعر وكراهية الاكثار منه قوله
عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
فسمعته يسأل امية بن ابي الصلت هل معك من شعر امية فقلت نعم
قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته
مائة بيت رواه مسلم في صحيحه وقد وقع لبعض رواة كتاب مسلم في
عمرو عن الشريد عن ابيه وهو وهم لان الشريد هو الذي ارداه النبي صلى الله
عليه وسلم خلفه واستنشده شعر امية بن ابي الصلت لا ابو الشريد
واسم ابي الشريد سويد **وقوله** هل معك من شعر امية بن ابي الصلت شيء
دليل على جواز حفظ الاشعار والاعتناء بها واما المكروه ان يغلب الاشتغال
بها على الانسان ويكثر منها فتشغله بصره عن اهم منها او تقضي به

الى تعاطى احوال محاسن الشعرا وتخاييم فان الغالب من احوال من اصرف
الى الشعر بغلبته واكثر منه ان يحور ذلك واستقرا الوجود يحققه
واما حقيقة مصح الشعر وجيده المتضمن للجيد والمعانى المستحسنة
شرعا وطبعا مجايز لها بالحق ما كان منه جاريا بالمندوب
اليه وعلى الجملة ملا احسن مما قاله الامام القرشى اصرح الشعر
كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح قوله بهيئه بكسر الهاء الاولى وسكون
الثانية للوقف وهى ياؤه التى للاستزادة واصل من الهمزة هنا
كما قد تعلموا ذلك فى عمر موضع وهى اسم لفعل الامر الذى هو زِدْ
وهى مبنية على الكسر لوقوعها موقع المبنى الذى هو الامر
وفى الحكام اذا قلت ايه يا رجل فانما تامره ان يزيدك من حديثه
المعهود وان قلت ايهٍ بالتنوين فانك قلت بعاتِ حدثنا لان
التنوين تنكير وهذا دليل على جواز انشاد الشعر واستنشاده
لمن عالم بغيته الى الاطراب المخل بالعقل المزيل للوقار عارٍ للكرم
او حره بحسب ما تقضى اليه وانما استنشد النبى صلى الله عليه وسلم من شعر
امية لانه كان حكيما الا ترى قوله صلى الله عليه وسلم وكاد امية
ان يسلم قوله اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد الا كل شى ما خلا الله باطل هنا المتخيل
المتغير الذى هو
احد ان يقال وتلف وهو الحوض من قوله تعالى كل شى هالك الا وجهه
ولا شك فى ان هذه الكلمات اصدق ما تكلم به ناظم او ناثر لان مقدمتها
الدليه مقطوع بحقيتها وشمولها عقلا ونقلا ولم يخرج من كليتها شى
قطعا الا ما استثنى بها وهو الله تعالى فانه لم يدخل فيها قطعا فان
العقل الصرح مدلول على ان كل ما نشاهده من هذه الموجودات ممكن

فى

ے تقبيه متغير فى ذاته وكل ما كان كذلك كان مفتقرا الى غيره وذلك
الغير ان كان ممكنا متغيرا كان مثل الاول فلا بد ان تستند الى موجود
لا يفتقر الى غيره يستحيل عليه التغير وهو المعبر عنه فى لسان النظار
بواجب الوجود وفى لسان الشرع بالصمد المذكور فى قوله تعالى قل
هو الله احد الله الصمد وقوله تعالى انه هو الحق المبين وعند الانتهاء
الى هذا المقام يتم معنى قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام والكلام فى تفاصيل ما اجمل من مواضع اخر
قوله صلى الله عليه وسلم للشاعر الذى عرض له بالعرج خزوا الشيطان
او اسكتوا الشيطان انما فعل النبى صلى الله عليه وسلم هذا لئلا يفعل
مع هذا الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن يعرف
من حاله انه قد اكثر الشعر فهربما ادى به الى ما يكره فى الدين
وفى المجد والذم اذا امتدح فيؤذى الناس فى اموالهم واعراضهم
والحلاف فى ان كل من كان على هذه الحالة فكل ما يقتضيه الشعر
حرام وكل ما هو له حرام عليه من ذلك ولا يحل الا صغا اليه بل يجب
الانكار عليه فان لم يرتدع بذلك ممن حاف من لسانه تعين عليه ان يزاريه
بما استطاع ويدافعه بما امكن ولا يحل ان يعطى شيا ابتداء لان ذلك
اعون على المعصية فان لم يجد من ذلك بدا اعطاه بنية وقاية العرض
مما وقى به المرء عرضه فكتب له به صدقة قوله لان يمتلئ جوف احدكم
فيخبر به خير من ان يمتلئ شعرا الفتح المرة كالذكر هادم لمن منه فاح
الجرح يفيح ويفيح وقيح وصديد الجرح ماؤه المختلط بالدم الرقيق
قبل ان تمتلئ المرة ويريه قال الاصمعى يقول من التوزى على مثال الرقى
وهو ان تمتلئ قوتى حتى قوله تعالى منه وحل توزى منتشر غير منضم

قال ابو عبيد هو ان يكل الفتح جوفه قال صاحب الافعال وري
الانسان و البعير وري ذو ري كوفه وروراه الروآ وريا افسده
وفي القلب شعر اشعر الشعار وفي الصحاح وري الفتح جوفه
ترنه مريا اذا اكله وانشد وراشر ريي مثل ما قد وريتني
وانشد اليزيدي قالت له وريا اذ انتخم ه يقول منه للوادر
ريا بارجل وللانثيين ريا وللجماعة روا وللمونثة ري وللاثنتين
ريا وللجماعة من ذلك الاسم الوري بالتحريك واختلف في تاويل
هذا الحديث فقيل يعني بذلك الشعر الذي يهجى به النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل ان القليل من هجو النبي صلى الله عليه وسلم وتنقيصه سواء
في انه كفر وموجب وذلك لحجو عمر النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
محرم قليله وكثيره وحينئذ لا يكون لتخصيص الدم بالكثير معنى
وقيل ان معناه ان من كان الغالب عليه الشعر لزمه بحكم العادة
الادبية الاوصاف المذمومة التي ذكرناها آنفا وهذا امر اغلبي
اشار اليه البخاري لما بوب على هذا الحديث باب ما يكره ان يكون الغالب
على الانسان الشعر. ومن باب قتل الحيات ه قوله
اقتلوا الحيات هذا الامر ورد في معناه من باب الارشاد الى دفع
المضرة المخوفة من الحيات فما كان منها تحقق الضرر وجب المبادرة
الى قتله كما امر ارشد الله قوله اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين
والابتر فانهما يخطفان البصر ويسقطان الجبل لحصيما ما يذكر مع
انهما دخلا في العموم ونبه على ان ذلك بسبب عظم ضررهما وما لم يتحقق
ضرره فما كان منها في غير البيوت فقيل انها لكامر الامر العام
في هذا الحديث وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولان نوع الحيات

عالبه الضرر فيستحب قتل جنسه ولانه كله مترقع بصورته وما
في الموس من البقرة منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفواسق
ولو على قتل حية فشجع على قتلها وقال ما حرضه ابو داود من حديث
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا اقتلوا الحيات ومن خاف
ثارهن فليس مني واما ما كان منها في البيوت فما كان منهما
بالمدينة فلا تقتل حتى يؤذن بثلاثة ايام لقوله صلى الله عليه وسلم ان
بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منها شيئا فحرجوه بثلاثة ايام
وهل يختص ذلك الحكم بالمدينة لانا لا نعلم هل اسلم من جن عمر اهل
المدينة احد ام لا وبه قال ابن نافع ولا يختص وينهى عن قتل جنان
جميع البلاد حتى يؤذن بثلاثة ايام وهو قول مالك وهو الاولى
بالعموم نهيه عن قتل البيوت وقوله صلى الله عليه وسلم خمس
مواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر منهن الحية ولا امر علمنا قطعا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الى الجن والانس وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة للنوعين وانه قد امر بقتل كثير
من النوعين بحيث لا يحصرهم بلد ولا يحدهم عدد والعجب من ابن نافع
كيف لم يحمل له اذن سامع وكيف لم يسمع قوله تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما
قضي ولوا الى قومهم منذرين وقوله صلى الله عليه وسلم ان وفد
جن نصيبين اتوني وهم الجن هم عساتوني الزاد الحديث فهذه
نصوص بان من الجن من اسلم فلا نقتل شيئا منها حتى يخرج
عليه كما تقدم فتفهم هذا العقد وتمسك به فهو الذي يجمع بين
احاديث هذا الباب المختلفة تفسير ما جاء في احاديث الحيات

من العرب الحيات جمع حية وهال على الذكر والانثى كما قال
خشاش كرأس الحية المتوقد ٥ وانما دخلته الهاء لانه واحد من جنس
كعلقة وداجنة على انه قد روى عن العرب رأيت حتا على حية
اى ذكرا على انثى والخبوت ذكر الحيات والنشر الاصمعى
وما كل الحية والخبوتا ٥ وذو الطفيتين ضرب من الحيات فى
ظهره خطان ابيضان وغلط من اخطأ بالطفيتين واصل الطفية بهم
الطاووس المثل وشبه الخط الذى على ظهر ذره الحية به وربما قيل
لذره الحية طفية على معنى ذات طفية قال الشاعر
كما تزل الطفى من رقبة الرائض اى ذوات الطفى وفرس شى الشية
بالهم ما جاوره وقال الخليل فى ذى الطفيتين هى حية لينة خبيثة
والابتر الاعمى سمى بذلك لقصر ذنبها وذكر الاقعا القعوان وقال
النضر بن شميل فى الابتر انه صنف من الحيات ازرق مقطوع الذنب
وثعبان يثعبان ثعبانا اصله ومعناه سال يخطفان البصر كما حا
فى الرواية الاخرى ويروى يثعبان ويثعبان وهما بمعنى واحد وشبعان
ما يرفع السامى يسفقان الجندل كما جاء فى الرواية الاخرى وكما مر
بيانه ان بعض النوعين من الحيات لها من الخاصية ما ذكر عنها وذلك
ولا يستبعد هذا فقد ذكر ابو الفرج الجوزى فى كتابه المسمى بتلبيس
ابليس فى الكلام على المحمرة ان بعراق العجم انواعا من الحيات تعلق الراى
لها بنفس رؤيتها ومنها من يتعلق المرور على طريقها وذكر
عن ذلك ولا التفت الى قول من قال ان ذلك كان النوم لان ذلك التروع
ليس خاصا بهذين النوعين بل يعم جميع الحيات فتشهد خصوصية
هذا النوع بهذا الاعتبار العظيم والتحذير الشديد ان صح هذا

في

ح طرح الجندل ملا يجيء وذهاب البصر فان القرد يعم الاربعة والجان
بكسر الجيم جمع الجان وهو ابو الجن بمنزلة اصله والجان بالحركة
حية بيضا صغيرة دقيقة هذا ذكر النقلة والظاهر من الجان
المذكور فى الحديث ان المراد به الحيات فان قيل فقد وصف الله تعالى الحية
المنقلبة عن عصى موسى بانها جان وانها ثعبان يحكم فالحيوان
انه اذا كانت ثعبانا عظيما فى الخلقة ومثل الحية الصغيرة الرقيقة
فى الخفة والسرعة الامر فى قوله تعالى يسترك انها جان هذا
فان اهل اللغة وارباب المعانى وعلى الجملة فاصل هذه المنبهة من جن
للستر والتستر ايهما وقعت مشتقة منها فالجن كالكل وبعض
الجان وغيره لمعانه وبريقه فان عباس وصل الجنان فالانقراض
للناس والجن فالتعرض لهم وهو ذيلهم **وانشروا**
تنازعوا حيات جن وجنل ٥ وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله
عنهم الجنان مسخ الجن كما مسخت القردة من بنى اسرائيل وعوامر
البيوت هو ما يعمره من الجن يتمثل بصور الحيات وروى عنه ما
وقول ابن مسعود انزلت والمرسلات عرفا ونحن نأخذها من فيه
رطبة اى مستقاة سهلة كالتمرة الرطبة السهلة الجنى وقيل
معناه اى نتلقاه بالتسعها منه لاول نزولها كالشى الرطب
فى اول احواله والاول اوقع تشبيها ودل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
فى الحوارح تقرون القرآن رطبا لا تجاوز حناجرهم اى يستطيبون تلاوته
ولا يصعون معانيه **وقوله** صلى الله عليه وسلم وقاها الله شر كم
اى قتلها لها فانه شر بالنسبة لها وان كان شرا بالنسبة الينا **وقوله**
كما وقاكم شرها اى لسعها ومنه دلالة على صحة ما ذكرنا ٥

من استحباب اصل الضرب موضع الحمات وقول ابي سعيد رضي الله
عنه فعاد ذلك الفتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتئاتا
لقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه
وكانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق وانصاف جمع
نصف حمل واحمال وعدل واعدال فان هذا الفتى كانت
عادته ان يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم من تلك الايام
في نصف النهار فيأذن له في الانصراف الى اهله واليأتي بانصاف
معنى في عاشر ليال يزيد بشبابه اي فيها وقوله فاهوى اليها بالرمح
ليطعنها اي اماله اليها اريدها وبالغة في الزجر وحمله على ذلك
مزيد الغيرة وما كان يأذن يطعنها وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
حسنات الفتى ادعى الله ان يحببه لنا قول اخرجه مسلم كثيرة
ما كانوا يتفاوتون من اجابة دعواته وعموم بركاته ومنها
روى امتنانا في قتلهم ارجلا واذ ينشه ثم اسلم فحا النبي صلى الله عليه
وسلم سأله ان يدعو الله ان يحببها له فانطلق معه الى قبرها فدعا
فاذا فاحيا فاحياها الله فتكلمت معهما فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتريدين ان تنطلقي مع ابيد او ترجعي الى ما كنت فيه فاختارت
الرجوع الى قبرها وقوله ان بالمدينة حنا قد اسلموا قد يتبادر ان بقبر
المدينة حنا قد اسلموا فتلزم النسوية بينها وبين قبرها في المنع
من قتل الحيات الا بعد الانذار ولا يسلم من هذا الحديث ان هذا الحان
الذي قتله الفتى كان مسلما وان الجن قتلته له قضاها لانه لو
سلم ان القصاص مشروع بيننا وبين الجن فكان انما يجري في العمد المحض
وهذا الفتى لم يقصد ولم يتعمد قتل بعض مسلمة اذ لم يكن عنده علم

من

قتل

من رد ذلك وانما قصد الى قتل من يسوغ قتله توجيه شرعا وهذا قتل
خطأ ولا قصاص فيه فالاولى ان يقال ان قبر الجني وبيتهم قتلوا
الفتى بصاحبهم عدوانا وانتقاما وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان بالمدينة جنا قد اسلموا الى آخر الحديث ليتبين طريقا يحمل به التحرز
من قتل المسلم منهم ويسلك به على الجادة مسلم ولذلك قال عاد اذا
رأيتم منها شيئا فآذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه
فانما هو شيطان ولذلك قال مالك ما سمعت الى ان ينذروا ثلاثة ايام
قال عيسى بن دينار تنذر ثلاثة ايام وان ظهر لي اليوم مرارا ولا تقتصر
على انذاره ثلاث مرات في يوم واحد حتى يعود في ثلاثة ايام قال الشيخ
رحمه الله وهذا تنبيه على ان من الناس من يقول ان الانذار ثلاث مرات
وبعضهم من قوله فليؤذنه ثلاثا ومن قوله وحرصوا عليه ثلاثا
لان ثلاثا للعدد الموثق فيكون المراد ثلاث مرات والاولى ما اختار
الله مالك لان قوله ثلاثة ايام نص صحيح مقيد لتلك المطلقات فلا عدل
عنه ويمكن ان يحمل ثانية العود على ارادة ليالي الايام الثلاثة فتعلل
الليلة على عادة العرب في ايام النار يخ ما سيأتي تعلله الثانية
وقوله فحرجوا عليها ثلاثا قال مالك رحمه الله يقفى في الانذار ان يقول
احرج عليك بالله والسوم الاحرار لا تؤذينا ولا تؤذينا وفي ابن
حبيب عن النبي صلى الله عليه وسلم اشهد كم بالعهد الذي اخذ عليكم سليمان
ان تؤذونا وان تظهروا علينا وفي باب قتل الاطفال الوزغة
دويبة مستحبة مستقبحة وجمع وزغ وفاوزاغ وفي زعان
امره صلى الله عليه وسلم بقتله لما يحصل منه من الضرر والاذى
الذي نهي عليه من الاستئذان المعتاد والنهر المألوف الى قد ازعت

الطباع ولما تقتضي ان يكون فيها سم او شيء يضر منها وبه ولما روي من انها
احاطت على وقود نار ابراهيم صلى الله عليه وسلم حاسبا كانت تنفخ فيها
لتشتعل وهذا من توهم ما روي في الحديث انها دخلت ابليس في الجحر
من ذنبها فعوقبت بان انبطحت مع من ابتلك وجعلت العداوة
بينها وبين بني ادم وتشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن
منذ عاديناهن وهذا كله مذكور في كتب المفسرين وقول عائشة
رضي الله عنها انه قال للوزغ الفويسق انما سمي بذلك لخروجه عن
مواضعه او عن جنس الحيوانات المذكورة وقيل لانها خرجت عن
حكم الحيوانات المحترمة شرعا وقد يعلم ان اصل الفسق في اللغة
الخروج مطلقا وانه اسم مذموم في الشرع وقولها انها سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يامر بقتلها لا حجة فيه على بقية النمل اذ قد يقتل
الامر بقتله او شريد وعسرها وبس بقتل محمد على من لم يقتل وقوله
من قتل وزغة في اول ضربة فله كذا وكذا حسنة ه هذا عدد
مقتضى فسرته الرواية الاخرى بالنسبة ما بين حسنة او سبعون
ولم يقع تفسير العدد الذي في الضربة الثانية والثالثة غير
ان الحاصل ان عليها في اول ضربة منه من الاجر اكثر مما في الثانية
وما في الثانية اكثر مما في الثالثة وتفضل الله ذلك للحض على
المبادرة لقتلها والجزم فيه وترك التواني لئلا يموت سليمة
قال الشيخ رحمه الله ويظهر لي وجه اخر وهو ان قتلها وان كان مامورا
به لكن لا يعذب بكثرة الضرب عليها بل ينبغي ان يجبر عليها في اول
ضربة وتشهد لهذا بقية صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الحيوان وقوله
اذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبح والله اعلم

ومن باب كراهية قتل النمل

قوله ان نملة قرصت نبيا من الانبياء امر بقرية النمل فاحرقت ه هذا النبي
صلى الله عليه وسلم كانت العقوبة للحيوان جائزة في شرعه
ولذلك انما عاتبه الله في احراق الكثير من النمل لا في اصل الاحراق
الامر بقوله فهلا نملة واحدة اي بالاحراق نملة واحدة وهذا بخلاف
شرعنا فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التعذيب بالنار وقال لا يعذب
بالنار الا الله وكذلك انما كان قتل النمل مباحا في سريعة ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء فان الله تعالى لم يعتبه على اصل قتل
النمل وانما شرعنا بعد خروج اود وس حديث ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة
والهدهد والصرد وقد ذكره مالك قتل النمل الا ان تضر ولا تقدر
على دفعها الا بالقتل وكامر هذا الحديث ان هذا النبي انما عاتبه الله
حيث انتقم لنفسه بالملاذ مع اذاه واحرقه منه وكان الاولى به
الصفح والصبر لكن وقع للنبي ان هذا النوع مؤذي لبني ادم وحرمة
بني ادم اعظم من حرمة غيره من الحيوان غير الناطق ولو انفرد له
هذا النظر لم يكن الله الشفي الطبيعي لم يعاتب والله اعلم لكن
لما اضاف الشفي الذي له سبب الحرب عوتب عليه والذي
يؤيد ما ذكرنا المسك الذي حل عصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
والله اعلم اتاس الله وبادخاله واشريم له خنثيه وقوله اني ان
ترضغ نملة احدث امة من الامم تسبح ه مقتضى هذا انه تسبيح
مقال وتحقق ما قد اخبر الله تعالى بخبر النملة التي سمعها سليمان
اصابت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده

الخبر ان الله تعالى اوحى الى نبي من الانبياء ان نملة قرصته فامر بقرية النمل فاحرقت فعاتبه الله تعالى بان قتل امة من الامم تسبح بقوله

والبرة من صفر والخزامة من شعر قاله الجوهري رحمه الله ه

وفي باب في كل ذي كبد رطبة اجر، قوله بلعث
اي يخرج لسانه من شدة العطش والتعب وهو الذي عبر عنه في
الرواية الاخرى باخراج لسانه وهما لغتان بضم اللام وكسرها
واما المستقبل فبالفتح لا غير والاسم اللغث واللغاث بضم اللام
وذكره الخليل ه الجوهري اللغاث بالتحريك العطش والكسر
العطشان والمراة لغثى وقد لغثت لغثا ولغثانا مثل سمع
سماعا واللغاث بالضم حر العطش قال ولغثت الغلة بالفتح
تلغث لغثا ولغاثا بالضم اذا اخرج لسانه من التعب والعطش
قال ولغ لسانه باللغة الفصيحة ه ولغ يلغا قال ابو زيد لغ
الرجل لسانه فانزلغ اي اخرجه فخرج ورلغ لسانه اي خرج
بتعمد او لا متعمدا والاول احكاه ابن الاعرابي والبغي الزانية
وقوله فشكر الله له بمغفرته اي اظهر ما جازاه به عبر ملائكته
واثنى عليه عند بعض وقد فسر بما ان اصل الشكر الظهور كما قالوا
دابة شكور اذا ظهر عليها من السمن اكثر مما كان عليه من العلف
وقوله فنزعت له بموقها اي استقت له بيدها يقال نزعت بالدلو
ونزعت الذنوب والشروع بفتح النون في البير التي تستقى منها
باليد وقد روي هذا الحرف نزعت موقها فاستقت به اي خلعته
من يدها وقوله في كل كبد رطبة اجر اي حية يعني بها وكونها
الحياة وفي رواية اجرا في كل كبد حرا اجر يعني به حرارة الحياة
او حرارة العطش وفي بعض الاحاديث ما يدل على ان الاحسان
الى الحيوان مع الرفق به تغفر به الذنوب وتعظم به الاجور

وفيه لا تشعرون تسبح صاحبها من مولها وهذا كله يدل دلالة واضحة
ان للجمل بكاء ومولا لكن لا تسمعه كل احد بل من شاء الله تعالى ممن
خرق له العادة من نبي او ولي ولا ينكر هذا من دينك اما لا تسمع ذلك
فانه لا يلزم من عدم الادراك عدم المدرك في نفسه ثم ان الانسان
يجري في نفسه قولا وكلاما ولا يسمع منه الا اذا نطق لسانه وهذا
هو في العادة لنبينا صلى الله عليه وسلم ما سمعه كلام النفس من سوء
تدبر وامع انفسهم واحاديثهم في نفوسهم كما نقل عنه ايضا
العشر في كتب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقد تكلم وقع
لكثير ممن اكرمه الله تعالى من الاولياء مثل ذلك وخبر ما قضيبه
واباه عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في امتي محدثين وان عمر
منهم وقوله حدثت امراة من بني اسرائيل بهرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها
النار ه سواء كان هذه المراة انما عذبت بسبب قتل هذه الهرة
بالحبس وترك الطعام وهذه المراة هي التي تقدم ان النبي صلى الله عليه
وسلم راها في النار وهي امراة طويلة من بني اسرائيل وقيل كانت
كافرة والاظهر انها كانت كافرة فعذبت على ان العذاب
محاطبون بالفروع ومعاقبون على تركها وان بعض كافرة تشدد
تخفف ان سبب تعذيبها في النار حبس الهرة الى ان ماتت جوعا
يقتضيه من الفقه ان الهر لا يملك وانه لا يجب اطعامه الا على من حبسه
والخشاش الهوام وصغار الطير وقراناه بفتح الخاء وبالشين
معجمة بالفتح وقال الخطابي الخشاش بالكسر الحشرات وقد يفتح قال
ابو عمرو رجل خشاش بالفتح وهو الخامل من الرجال وقد يضم كالحشاش
الحشاش الذي يدخل في انف البعير بالكسر لا غير وهو من خشب

والبرة

ولا ننافي هذا انا امرنا بقتل بعضها او ايجابه لما مار لكل ما شرع
لمصلحة راجحة على تفاوته ومع دليل مقدم شرعا باحسان القتلة والرفق
بالذبيحة ٥ وفي باب النهي عن سب الدهر ٥ قوله
ابي هريرة رضي الله عنه قال الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن آدم الحديث ٥
جاء هذا الحديث وهذه الرواية موقوفا على ابي هريرة لم يذكر فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر انه مما يعلم انه من قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم قطعا لأن مثله لا يقال رأيا فحكمه حكم المرفوع
ابو هريرة الامر حدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي معناه مسندا
مرفوعا من طرق اخر عن ابي هريرة بمساق هذا المحرر اكمل فلذلك اخترناه ٥
وقوله تعالى يؤذيني ابن آدم اي يخاطبني بما لا يليق بي قوله
يسب الدهر وحقه ان يثاذى لان الله تعالى يتاذى لا ان يثاذى
ضرورة والله تعالى منزه عن ذلك وهذا الخبر يحمى ما جاء
من نحو قوله تعالى ومكروا ومكر الله وهذه كلها توسعات يفهم منها
ان من يعامل الله تعالى بتلك المعاملات يتعرض لعقاب الله تعالى
ولمؤاخذته الشديدة فليحذر ذلك واراد بابن آدم هنا اهل
الجاهلية ومن جرى مجراهم ممن يطلق هذا اللفظ ولا يتحذر منه
فان الغالب من احوال بني آدم اطلاق نسبة الافعال الى الدهر
فيموته ويسفهونه اذا لم يحصل لهم اغراضهم ويوجد ضد ذلك اذا
حصلت لهم واكثر ما يوجد ذلك في كلام الشعراء والفصحاء والاشد في كفر
من نسب تلك الافعال او شيئا منها للدهر حقيقة واعتقد ذلك
واما من جرت هذه الالفاظ على لسانه ولا يعتقد صحة ذلك فليس
بكافر ولكنه قد تشبه بافعال الكفرة وبالحاها عليه في الاطلاق فليحذر الله
وقد ارتكب ما نهاه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتب وليستغفر الله

والدهر

والدهر والزمان والامد كلها بمعنى واحد وهو راجع الى حركات الفلك
وهي الليل والنهار ٥ قوله لا تقولن احدكم يا خيبة الدهر ليس
هذا النهي مقصورا على هذا اللفظ بل يلحق به كل ما في معناه
من جميع صنوف الذلة والنكس ونحس وما في معنى ذلك وقوله
فاني انا الدهر الرواية الصحيحة المشهورة هكذا برفع الدهر
على انه خبر انا اي جعلنا انا فظاهر ان جعلنا انا مبتدأ فهو
حسن وقد قدرها بعض الناس الدهر بالنصب على ان يكون تقديره
تعلم انه اقلبه فكانه قال انا اقول الدهر اقلب الليل والنهار
ومعنى اقلبه هو الخبر والذي حمله على ذلك خوف ان يعتقد
الدهر من اسماء الله تعالى وقد اخرول بعضهم الى معنى صحيح مخافة
ما لا يصح قال الرواية الصحيحة عند اهل التحقيق ما ذكرناه ولم يجز
الفتح من يعتمد عليه ولا يلتزم من ثبوت ادم ان يكون الدهر من
اسماء الله تعالى لان اسماء الله تعالى لا بد فيها من التوقيف عليها
او اسمها لها استعمال الاسماء الكثرة والتكرار مختص به
وعنه ويناديه كما اتفق في سائر اسماء الله تعالى كالغفور
والشكور والعليم والحليم وغير ذلك من اسمائه ما قد تجد بعضها
في الشريعة وفي لسان اهل عاداته ولم يخبر بها واخرى لم يخبر عنها
واخرى قد عاد ينادي بها ولم يوجد للدهر شيء من ذلك فلا يكون
اسما من اسمائه تعالى ثم لو سلم ان النصب صحيح في ذلك اللفظ على ذلك
الوجه فلا يصح شيء من ذلك في الرواية التي قال فيها لا تسبوا الدهر
فان الله هو الدهر ولم يذكر فيها الليل والنهار ولا يصح ان يقال
ان هذه الرواية مطلقة والاولى مقيدة لانا ان صرنا الى ذلك

لزم نصب الدهر بعامل مخزوم ليس في الكلام ما يدل عليه ولزم حذف
الخبر ولا دليل عليه وكل ذلك باطل من اللسان فتعين واذا ثبت ذلك
فاعلم انه لما كان اعتقاد الجاهلية ان الدهر هو الذي يفعل الافعال
ويدبر الكون اذ لم يحصل اغراضهم اعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
هو الذي يفعل كل شيء واذا سبوا الدهر من حيث انه الفاعل لا فاعل
الا الله فكأنما سبوا الله تعالى ولهذا قال الله تعالى سببت ابن ادم الدهر
وانا الدهر اي انا الذي افعل ما ينسبونه للدهر لا الدهر على انه كمثل
وفصار واما قلبهما اي انصرف فيهما بالاكمال والاقتدار والاضاءة
والاظلام وفيه تنبيه على ان ما تقلب وتصرف فيه لا يصلح ان يتقلب
وهذا المعنى هو الذي عبر عنه الحكماء بقولهم ماله طبيعة عرضية بتخييل
ان يفعل فعلا حقيقيا والله اعلم ومن باب النهي عن تسمية
العنب الكرم قوله لا تسموا العنب الكرم فان الكرم الرجل المسلم
انما سمت العرب العنب بالكرم لكثرة حمله وسموله وطافته وكثرة
منافعه واصل الكرم الكثرة والكرم من الرجال هو الكثير العطاء والنفع
يقال رجل كرم وكرائم لمن كان كذلك وكرائم لمن فيه ذلك وسمي
للمبالغة ويقال ايضا رجل كرم بضم الراء وامرأة كرمة ورجال كرام ونساء
كرم وصف بالمصدر على نحو عدل ورضى وقهر وانما نهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن تسمية العنب بالكرم لانه لما جرى الخمر على لسانهم وكانت كلمتهم
تتفق على ان الكرم خمر صلى الله عليه وسلم ان يسمى هذا المحرم باسم يقبح فعلهم
الله عند ذكره فيكون ذلك كالمحرك على الرجوع عن المحرمات قاله
ابو عبد الله المازري قال الشيخ رحمه الله ومنه نظر لان قول النبي انما هو
تسمية العنب بالكرم وليست العنبة بحرمة وانما المحرمة الخمر فتنبه حتى تسمي

واما العنب هو الذي يسمى خمرا باسم ما يؤول اليه من الخمرية كما قال تعالى
اني اراني اعصر خمرا وهو العنب كره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يسمى هذا المحرم باسم تقبح اليه ليس بمحرم ان الرسول صلى الله
عليه وسلم انما نهى عن تشبيه المحرم الذي هو الخمر بالعنب وهذا الحديث
دل على تسمية العنب بالكرم فتأمله واما محمل الحديث عندي فمحمل قوله
صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالطواف عليكم وليس الشديد بالصرعة
واما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب اي الاحق باسم الكرم او قلب
المسلم ودل لما حواه من العلوم والفضائل والاعمال الصالحات
والمنافع العامة فهو احق باسم الكرم والكرم من العنب وقوله
لا تسموا على جهة الارشاد لما هو الاولى في الاخلاق كما قال صلى الله عليه
وسلم لا تعلنكم الاعراب على اسم صلاتكم العشاء فانها في كتاب الله
العشاء وانما تعتم بحلاب الابل فحينئذ يقول الاعراب هي العتمة معنى
هذا والله اعلم ان تسمية هذه الصلاة بالعشاء اولى من تسميتها
بالعتمة لان اطلاق اسم العتمة عليها ممنوع فان النبي صلى الله عليه وسلم
قد اطلق عليها اسم العتمة لما قال ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما
ولو حبوا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويجري هذا المجرى قوله
صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي ولا يقولن
احدكم اسق ربك اطعم ربك وضيء ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي
ومولاي فان هذا كله من باب الارشاد الى اطلاق اسم الاولى لا ان اطلاق
ذلك الاسم محرم الا ترى قول يوسف صلى الله على نبينا وعليه اذكرني
عند ربك وارجع الى ربك وانه ربي احسن مثواي وقول النبي صلى الله عليه وسلم

ان يلد الامة ربها وربتها وكان محل النهي في هذا الباب ان تتخذ هذه
الاسماء عادة فيترك الاولى والاحسن قال ابن شعبان في الزاهي
لا يقل السيد عبدي ولا امتي ولا المملوك ربي ولا ربتي قال القاضي
عياض رحمه الله ولم ينه عنه نهي وجوب وحظر بل نهي ادب
وخوف خاطبهم احسانا بما هم عنه من جفاة استعمالهم له في لغتهم
وعلى غير الوجه المذموم وقد تقدم انه تعالى على الحقيقة والسيد
رب وان اصله من رب الشيء والولد يربه وربّاه ثم لثة اذا قام
عليه لما يصلحه ويحميه مصورب ورات ولما كان ابتداء التربية
وكمالها من الله تعالى بالحقيقة لان من غيره كان الاولى بالانسان ان
ينسب تربية نفسه الا الى من الله الربوبية الحقيقية وهو الله
تعالى قال ومعلوم ذلك كان يجوز ان اللفظ محالفا الاولى كما تقدم
ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي بهذا اللفظ ستقوى بجميعه عند
اكثر الرواة وفي الام من رواية ابي سعيد الاخ وابي معوية عن الاعمش
مرفوعا ولا يقل العبد لسيده مولاي وابن ادريس ومعويه فزاد وان الله
مولاكم وفي رواية عن الاعمش حر برولم يذكر ذلك وفي روى من طريق
سعد وه مشهورة وليس ذلك مذكورا في اسماء اللفظ الاول تظهر
الحرسة على ان اللفظ الاول ارجح وانما حرما الى الترجيح للتعارض بين الحديثين
قال الاول يقتضي انه حظر قول العبد مولاي والثاني يقتضي منعه من ذلك
والحكم متعذر والعلم بالتاريخ مفقود فلم يبق الا الترجيح كما ذكرنا
والله اعلم وامره صلى الله عليه وسلم ان يقول غلامي وفتاي وفتاتي وجاريتي
انما كان لان هذه الالفاظ تطلق في الحر والعبد وليس فيها ما يمنع معنى الملك
ولا من استعلام شيء بمعاني عبدي وامتي واصل الفتوة الشباب وهو الفتاء

بالمد ثم استعمل الفتى فيمن كملت فضائله ومكارمه كما قالوا الاقتى
العقلي رضي الله عنه ومن هذا اخذ الصوفية الفتوة المتعارفة بينهم
واصل العبودية في بني ادم رق للمعبود ينطلق على الصغير اسم
غلام من حين يولد الى ان يبلغ فينقطع عنه ذلك الاسم وكذلك الجارية
في الساعة تنبيه اذا اطلقت على غير الله تعالى عالما مطلقا فانها
تعالى رب الدار ورب الفرس ولا يطلق فيه الا لفظ اللام الا اذا
اردفها الله تعالى بالله كالحوهري وغيره وقوله ولا يقل العبد
ربي وليقل سيدي انما فرق بينهما لان اثرت من اسماء الله تعالى المشتملة
بالاتفاق واختلف في السيد هل هو من اسماء الله تعالى ام لا فاذا قلنا
ليس من اسمائه فالفرق واضح اذ لا التباس ولا استحالة يلزم من اطلاقه
كما يلزم من اطلاق الرب واذا قلنا انه من اسمائه فليس في الشهرة
والاستعمال كلفظ الرب محصل الفرق بذلك واما من حيث اللغة فالرب
محذوف مما ذكرناه والسيد من السود وهو المقدم يقال ساد قومه
اذا تقدمهم ولا شك ان تقدم السيد على غلامه قد حصل الافتراق
حال الاطلاق وجرى مجرى ما ذكر قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل
احدكم خبثت نفسي وليقل لقست قال ابو عبيد معنى لقست وخبثت
واحد لكن كره لفظ الخبث وشناعة اللفظ وعلم الادب في التطوق
وقال الاصمعي لقست نفسي اي غثيت وقال ابن الاعرابي ضاقت ولا تعترض
بهذا قوله صلى الله عليه وسلم ما صح خبيثة النفس كسلان لان محل النهي
ان يضيف المتكلم الخبث الى نفسه لان يتكلم بالخبث مطلقا فاذا اخبر به
عن غيره معينا وزال الاسماء بعرض التحذير والذم للكسل والتثاقل
عن الطاعات كما جاء في هذا الحديث ومن اوضح ما في هذا الباب قوله

صلى الله عليه وسلم من سئل عن العقيقة فقال لا احب العقوق ولكن
اذا احب احدكم ان ينسك عن ولده فلينسك وذكره اسم العقوق قال
الشيخ رحمه الله ومقصود الشرع الارشاد الى تعرف مواقع
الالفاظ واستعمال الاولى منها والاحسن ما امكن من عبر احاد
ذلك واجتناب المشترك من الالفاظ وما يستوحش منها وما لا تواتم
فيه كقعدي وامشي من غير تحريم ذلك ولا تحريجه والله اعلم
ومن باب ما جاء ان الطيب الطيب المسك قوله كانت امراة
من بني اسرائيل قصيرة تمشي مع امراتين طويلتين فاتخذت رجلين من
خشب وجعل ان يحزن هذه المراة فعلمت بها لتشتهر قصرها
عن الناس فلا يذهب طرف البصر ولعل قصرها كان جارحا عن غالب
احوال القصار وكان يقرا الاتي علمها لجعله قصرها وحسن
تشترها وان كانت تعلم ذلك لتشترين بالحاقها نفسها بالطوال
وذلك ممنوع منه فانه من باب تغيير خلق الله كما تقدم واما اتخاذها
حاجز الزجب فجائز للنساء على ما ذكرنا واما اتخاذها المسك فمباح
لها في بيتها وللحق بالمندوب اذا اقترنت به حسن التبتل للزوج
واما اذا اجردت فان قصدت ان تجر الرجال بحسنها فهي زانية كما قاله
النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه انها تنزله انزانية في الاثم واما اذا
لم تقصد ذلك فلا تسلم من الاثم قطعا وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا
تمشت احداكن المسجد فلا تمس طيبا وقال ولتخرجن وهن تفلات
اي غير متطيبات وكل ذلك هو شرعنا وقد قال كذلك في شرع
بني اسرائيل اولا كذلك يحتمل وقوله صلى الله عليه وسلم اطيب الطيب
المسك دليل راجح على قول من قال ان كافور احسن

قد استحال الى صلاح في تقرره العادي فصار كالمس قال القاضي
عياض رحمه الله قد وقع الاجماع على طهارته وجواز استعماله
وما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر بن عبد العزيز رحمه الله
من الخلاف في ذلك لا يصح قال والمعروف من السلف اجماعهم على جواز
استعماله واقتداؤهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك م د
ومن باب قوله ثم عرض عليه ريحان فلا يرده الريحان
كل نقلة طيبة الريح قاله الخليل والمراد به في هذا الحديث كل
الطيب لانه قاله خفف المتحمل طيب الريح ولانه قد جاء في بعض
طرق هذا الحديث ثم عرض عليه طيب قال الريحان وقوله خفيف
المتحمل طيب الريح المتحمل بفتح الميم وبعني به الحمل وهو مصدر
حمل وبفتح الاول وكسر الثانية هو الرسان والمعنى وقد
تعالج الرسان بالفتح في الثانية والمتحمل اسم فاعل من الحامل
والمحمل بكسر الاول وفتح الثانية واحد محامل الحاج
النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القول الى العلة التي ترجع في قبول
الطيب من الطيب وهي لانه لا مؤونة ولا مشقة للحق في قبوله
لجريان عادتهم بذلك ولشيوعه عندهم ولكثرة ما يتناول
منه عند العرض ولانه مما يستطيبه الانسان من نفسه ويستطيبه
من غيره وفيه من الفقه الترغيب في استعمال الطيب وفي عرضه
على من يستعمله وقوله قال ابن عمر رضي الله عنهما يبخر بالمؤه
عشر مرات اه يتبخر تتبخر واصله من البخور والبخرة فاستعير
له ذلك لانه وضع البخور على الجمر والبخرة والالوة العود
الذي يتبخر به قال الاصمعي واراها كلمة فارسية قال ابو عبيد

وسماه القاري مع الصحة وضمها وحكى عن الكسائي ايثبه بكسر الهمزة
واللام وقال بعضهم لؤمة ولثة وجمع الاولة الاولئة وخبر مطراة
اى عسر ملطخة بخلوق او طيب قال القاضي عياض رحمه الله واصله
عسر مظررة من ظررت الحايك اذا غشيته بخل او حسنته وجردته
وحمل الخبر مطراة محسنة مبالغة وذلك من الاكرام وهو المبالغة
في الوجه وهذه الاحاديث كلها تدل على ان استعمال الطيب والتجمر
مرغب فيه مندوب اليه لمن اراد حضور الامور الشرعية مثل
الجماعات والجمعات والمواضع المعظمات وفعل العبادات على
اشرف الحالات فلهذا حضر تلك المقامات والتخير والاختيال في ذلك
من اسوا الثوب واقبح الافعال **ومن لعب النرد** اللعب
بالنرد قوله من لعب بالنرد شير وفي اصبغ يده في لحم خنزير
ودمه ه قال ابن النرد شير بفتح الراء وكسرها وفي اسمها فيلمه
واحدة منهية الوسط قال الخليل النرد فارسي قال السيخ رحمه الله
وقال النرد شير موضع من النرد وهو لغته مقصودها القمار واكل
المال بالباطل مع ما فيها من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وعما
يعم الانسان في دينه ودنياه ومع ما ظهر انها من الشحناء والبغضاء
ولذلك شدد النبي صلى الله عليه وسلم في لعبها فقال فيما رواه مالك
عن ابي موسى رضي الله عنه من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله
وهذا نص في تحريم النرد وهو المراد بقوله فكانما صبغ يده في لحم خنزير
ودمه قال بعض العلماء الخنزير حرام لانه انما غذي بالنجاسة فتركيبه
الخنزير وهي حرام بالاجماع في كلام تخلف عنه والحق به كل ما تقامر
به كالشطرنج والاربعة عشر وغيرها مما في معناه واختلف في

الشطرنج اذا لم تقامر به فقيل انه على التحريم وهو ظاهر قول
مالك والليث حيث قالا انها شر من النرد وانقى وسويد
هذا احاديث رواها عبد الملك بن حبيب تقتضي ذم لاعب الشطرنج
وتفسقه ولا شك ان من كثر التحريم فيها انه يرد شهادته اللاعب
بها وذهب كافة الى ان ذلك مكروه وهو من المذهب غير ان
من اصحابنا من تأول له على التحريم والكراهة مذهب الشافعي
وابي حنيفة ولا ترد ان شهادة من لعب بها من غير قمار وقال مالك
تسقط شهادة المرء من علمها وقال بعض اصحابنا ان التحريم انما هو
الادمان عليها فاما لو لم يدمن عليها وستر باللعب فيها مع
الاحيان والنظر السليم من المقامرة الى ذكرناها فهي صغيرة وقد
عفى بعض اصحابنا عن ان يلعبها مرة في السنة وهذا شذوذ **وقوله**
اراني في المنام اتسوك بسواك فجذبني رجلان ه قد تقدم ان رؤيا
الانبياء وحي وانها تقتبس منها الاحكام كما قال تعالى مخبرا عن
ابراهيم صلى الله عليه وسلم اني ارى في المنام اني اذبحك الاية وجذب
وجبذ بمعنى واحد وانما جذباه كما بين في السواك وانما تاول له
الاصغر لانهما كانا يريانه ولو كان احدهما عن يمينه لكان هو الاول
له كما هو سنة الشراب **وقوله** كثيرا اي ازالة الكثير موقتة له
ومراعاة لحق السن في الاسلام وهذا كما قال في حديث حوضه
كبير كثير وقد استوفينا الكلام على هذا المعنى هناك وحاصل الكل
الحث على اكرام الشيخ المسلم واحترامه كما ورد عنه صلى الله عليه
وسلم انه من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم **كتاب الرؤيا والحلم**
قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى رقاه جبريل

صلى الله عليه وسلم دليل على استحباب الرقية باسم الله وبالصور
الصحيحة المعنى وان ذلك لا ينافي التوكل على الله تعالى ولا ينقصه
اذ لو كان شيء من ذلك لكان النبي صلى الله عليه وسلم احق به بان يجتنب
ذلك فان الله تعالى لم يزل يرتقي نبيه صلى الله عليه وسلم في المقامات
الشريفة والدرجات الرفيعة الى ان قبضه الله تعالى على اعلى مقام
واعلى حال وقد رقي في امراضه حتى في مرض موته صلى الله عليه وسلم
فقد رقته عائشة رضي الله عنها في مرض موته ومسحته بيده ما
وسدده وهو مقرر لذلك غير منكر لشيء مما فعلنا لك وقد استوفينا هذا
المعنى في كتاب الايمان وقوله باسم الله يبريك الاسم هنا يراد به
المسمى فكانه قال الله يبريك كما قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى
اي سبح ربك ولفظ الاسم في اصله عبارة عن الكلمة الدالة على
المسمى والمسمى هو مدلولها غير انه قد يتوسع فيوضع الاسم موضع
المسمى مسامحة فتدبر هذا فانه موضع قد تشرف فيه الفلك وتاه فيه
كثير من الجهال وسقط وموضع استيفاء هذا علم الكلام وقوله ومن كل
داء يشفيك دليل على جواز الرقى لما وقع من الامراض ولما يتوقع
وقوعه وقوله ومن شر حاسد اذا حسد دليل على ان الحسد هو شر
في المحسود ضررا يقع به اما في جسمه بمرض او في ماله وما يختص به
بضرر وذلك باذن الله تعالى ومشيئته كما قد اجرى عادته وحقق
ارادته بربط الاسباب بالمسببات واجرى بذلك العادات ثم امرنا
في دفع ذلك بالالتجاء اليه والدعاء واحالنا على الاستعانة بالقوة
والرقا وقوله من شر كل ذي نفس او عين هذا شك من الراوي في اي
اللفظين قال مع ان معناهما واحد" وان النفس تقال على الاصابة
بالعين

بالعين يقال اصابت فلانا نفس اي عين والنافس العائن قاله القتيبي
وتخلق النفس على امور اخر ليس شيء منها يراد بهذا الحرف والله اعلم
وقوله العين حق اي ثابت موجود لا شك فيه وهذا قول عامة
الامة ومذهب اهل السنة وقد انكرته طوائف من المبتدعة
وهم محجوجون بالاحاديث الصريحة الكثيرة الصحيحة
وبما شاهد من وقوع ذلك في الوجود وكم من رجل ادخلته العين القبر
وكم من جمل وهمس اتلفته القدر بعين وذلك بمشيئة الله تعالى كما
قال تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ولا يلتفت الى معترض
عن الشرع والعقل يتمسك في انكار ذلك بما شاهد ليس له اصل
فانا نشاهد من خواص الاحجار وتاثير السحر وسموم الحيوانات ما ينتفي
منها العجب ويحقق ان كل ذلك فعل مسببه كل منها ولا يلتفت
ايضا الى قول من قال من المبتدعة العين انما تتبع من عينه قوة
سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد كما تتبع قوة سمية من
الافعا والعقرب تتصل باللديغ فيهلك انا نقول بها ولكن ان فتم
يريدون بالقوة معنى يقتضي ذلك القدر بذاته وان ذلك ليس بعلة
لله تعالى فذلك كفر لانه جحد لما علم من الشرع والعقل من انه لا خالق
الا الله عز وجل ولا فاعل على الحقيقة الا هو وان كان يريد بذلك
ان الله تعالى هو الفاعل للسبب والمسبب فهو الحق الصرح غير ان اطلاق
لفظ القوة على هذا المعنى ليس بحسن عند المتشرعين ولا صحيح وقوله
لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين هذا الخبا في تحقق
اصابة العين وصالله فيها مجرى المثل لا انه يمكن ان يرد
القدر شيء ما القدر عبارة عن سابق علم الله تعالى ونفوذ

متشقيه ولا راد لامره ولا معقب لحكمه وانما هذا خرج مخرج قولهم
لا طلبنك ولو كنت الثريا لوصعدت الى السما ونحوه مما يجري
هذا المجرى وقوله واذا استغسلتم فاغسلوا هذا احكام
لم يتقدم بانه عائد فيجب عليه ذلك ويقضي بحكمه اذ ذاك
ذلك لانها اذا دخلت على المتعين للاداء وهذا الغسل هو
الذي سماه في بعض طرق حديث سهل بن حنيف بالوضوء وذلك
ان عامرا رمى سعدا نظر الى سهل متجردا فقال ما رايت كاليوم ولا جلد
عذراء فوعك سهل مكانه فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لعامر على م يقتل احدكم اخاه الا تركت ان العين حق توضأ
له فتوضأ عامر وفي الطريق الاخرى بادوه كيفية الغسل
قال فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه
وداخلة ازاره في قدح وصب عليه وصفته عند العلما ان يوتى
بقدح من ماء ويوضع القدح بالارض ويأخذ منه عرفجة فيتمضمض
فيها ثم يمجها في القدح ثم يأخذ منه ماء فيغسل به وجهه ثم يأخذ
بيمناه ماء فيغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء فيغسل به كفه اليسرى
ويساره ماء فيغسل به مرفقه الايمن ثم بيمينه ماء فيغسل به مرفقه الايسر
ولا يغسل ياسر المرفقين والكفين مرة اليمنى ثم اليسرى ثم ركبته
اليمنى ثم اليسرى ثم ركبته اليمنى ثم اليسرى على انفراده وابرته
المعتدة كل ذلك في القدح ثم داخلة الازار ويثنى به عن القدح
وحضور العلما على ما قلناه ما دام استعمال هذا الصبي حلقه من على
رأسه يذكر ابن ابو عمر الله المازري قال وهذا النهي لا يعلل بعلله
ومعرفه وجهه قال القاضي عياض به قال الوهري واحمد انه

وهو الذي يلي خلق الانسان ومنه
ذكر يعني ازاره التي تلي جلده

ادرك العلما بصفوله وتشخيصه علما وناسخا فيه العمل وزاد
ان غسل وجهه اما موضئه واحدة بيده اليمنى وذلك سائر
اعضائه ولس على صفة غسل الاعضاء في الوضوء وغسل داخلة
الازار هو ادخاله وغمسه في القدح ثم يقوم الذي باخذ القدح
فيصبه على راس المتعين من ورائه على جميع جسده وعمل بقيته
بذلك ثم يكفأ الاناء على ظهر الارض وفي رواية عن ابن شهاب انه
بدا بغسل الوجه قبل المضمضة وانه لا يغسل الا من جميعها
بل اخر افعالها من عند اصول اصابعه وعمل في داخلة الازار
الموضع الذي تمسه داخلة الازار وعمل اذا دركه اذ هو
يعقر الازار وفي رواية في حديث سهل ان العامر يغسل عورته مع ما ذكره
واله صلى الله عليه وسلم اسرع محسا من الماء صوان والمعتمد على ما
رواه مالك والله اعلم وفي حديث سهل من الفقه ابواب منها
تغير العائن على الوضوء المذكور على الوجه المذكور وعمل الاكبر
وان من اتهم بامر احضر للحاكم وكشف عن امره وان العين قد
تقتل لقوله صلى الله عليه وسلم على م يقتل احدكم اخاه وان الدعا
بالبركة يذهب اثر العين باذن الله تعالى وان اثر العين انما هو
عن تستر كامن في القلب وان من عرف بالاصابة بالعين منع
من مداخلة الناس دفعا للضرر قال بعض العلما يامر الامام
بلزوم بيته وان كان فقيرا رزقه ما تقوم به ويكف اذاه عن
الناس وفيه جواز النشر والطيب بها فرع قوانتشف
اصابه الطير المال يعرف ذلك ويعلم من حاله انه كلما تعلم شيئا معظما
له او متعجبا منه اصيب ذلك الشيء وضرر ذلك حيث يضر ذلك

عادة فما أتلفه بعينه غرمه وان قتل احدا بعينه عامدا لقتله
قتل به كالساحر الذي يسحره عند من لا تقتله كفرا واما عندنا
فيقتل على كل حال قتل بسحره او لا لانه كالزنديق وسيأتي
وقول عائشة رضي الله عنها سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
يهودي هذا الحديث يدل على ان السحر موجود وان له اثرا في المسحور
ويدل على ذلك مواضع كثيرة من الكتاب والسنة يحتج بها
بذلك النفع بان السحر حق وانه موجود وان الشرع قد اخبر بذلك
فقصة سحرة فرعون وقوله تعالى يسعون وجاءوا بسحر عظيم وتخيل اليه
من سحرهم انها تسعى الى غير ذلك مما تضمنته تلك الايات من ذكر
السحر والسحرة وقوله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر الى اخرها وبالجملة فهو امر مقطوع به بأخبار الله
تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومعلوم لمن تأمل ذلك فهو
كاف من مكذب لله ورسوله منكر لما علم مشاهدة وعيانا ومعنى
ذلك ان كان يتصور له فهو الزندقة وان كان يظهر امرا فهو المرتد
والسحر عند علمائنا حل "صناعته" يوصل اليها بالتعلم والاكتساب
بعرفها الكفار ومنه قسم لا يتوصل اليها الا آحاد الناس يعتمد
وقوعها وتستغرب آثارها لندورها وما ذلك الا الوقوف على
خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها وان بيان ذلك اكثر من ان تحيط
به الصفحات وانما ذلك لاثبوت لها فتعلم عند من لا يعرفها
وتشبه على من لا يقف عليها ولذلك قال تعالى يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى مع انه كان يعين الناظر انه عظيم وعود ذلك لعبر الله
تعالى بقوله وجاءوا بسحر عظيم لان الخيال والمعنى لم يخرج عن

حقيقتها وذلك كحال عصي موسى صلى الله عليه وسلم ما انقلبت
ثعبانا مبينا خرقا للعادة واكثار السحرة وانشران السحر
له تاثير في القلوب بالحب والبغض وبالقاء الشر وربما يفرق
الساحر بين المرء وزوجه ويحول بين المرء وقلبه وبادخال
الالم وبحكم الاسقام او كل ذلك بتقدير الله وانشاءه وايجاده
معاندة وعلى ما قررناه فالسحر ليس بخرق عادة بل هو امر عادي
يتوصل اليه من يطلبه عالما بحيث انه يعمل ويقدر بالفعول الساحر
تخرق له العادة خلافا لمن قال من ائمتنا وغيرهم ان العادة تخرق
له فان اراد بذلك جواز انخراقها له عادة فمسلم فانه لم يمتنع
النبوة فان حاصل ذلك انه امر يجريه الله تعالى فاقدر على كل ممكن
وان اراد به ان الذي وقع في الوجود خارق للعادة فما كل ما
قدمناه واستيفاء ما حققه في علم الكلام وقولها حتى كان يخيل الله
انه يفعل الشيء ولا يفعله فهو فعل من امراض اهل الزيغ مطعنا
في النبوة وقال اذا انتهى الحال الى هذا لم يوثق بقول من اخبار كذلك
والجواب ان هذا صدر عن سوء فهم وقصر علم اما سوء الفهم
فلانها انما اراد ان انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن انه فعل شيئا قبل
مقاربة الجماع يخيل الله انه يأتي له ذلك فاذا لم يفعله ظن
لغلبة مرض السحر عليه وقد جاء هذا المعنى منصوصا في خبر آخر
عائشة حتى يخيل الله انه يأتي النساء ولا يأتي وانما ظن
في الجماع لقوة وقصر فهم من يتخيل الله انه يقدر على الاكل
او المشي مثلا لانه لا يحس بما يمنعه منه عادة ما دام ذلك واقعا
فيه لم يتأت له ذلك لغلبة المرض الناشئ عن السحر لا انه تعالى الله
عليه وسلم

اوجب له وكل كلاً في عقله ولا تخلكها في قوله اذ قد قام برهان
المعجزة على صدقه وعصمه الله تعالى له من الغلط فيما يبلغه فقوله
وفعله واما عدم علم الكاهن بعد سليمه الله تعالى العلم بادلة
النبوات وما يدل عليه المعجزات وكاسم لم يعلموا ان الانبياء من
البشر وانه يجوز عليهم من الامراض والالام والنقص والعجز
والعجز والسحر والعيب وغير ذلك مما يجوز على البشر لا كسم معصومون
عما فقد دلالة المعجزة من معرفة الله والصدق والعصمة عن الغلط
في التبليغ وعن هذا المعنى عبر الله تعالى بقوله تعالى قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي فمن حيث البشرية يجوز عليهم ما يجوز عليهم من سمة
الحاجة النبوة امتاز عنهم وهو الذي سهد له العلي الاعلى بل نصره
ما زاغ وما كفا وقال مواده ما فرت ما رأى وقال بعوله وذي يوحى
وانه ما ينطق عن الهوى وقوله ثم دعاهم دعاء اى اضمار السحر
والاستفتار وعلما منه قال الله تعالى هو الكاشف للضر والاضرار
وقيا ما يعاده الدعاء عند الاضطرار وقوله اما شعرت ان الله
افتاني فيما استفتيته اى اجابني فيما دعوته فسمى الدعاء
استفتاء والجواب فتيا لان المراعي كالطالب والمجيب مستفتي
احدهما للاخر وقوله جاءني رجلان اى ملكان في صورة رجلين
وكان مراده ان الملكان لم يقتصا عليه وكمل ان يحرضا ساير الانبياء
وفي رواية ما وجع الرجل اى ما مرضه والمطبوب المسحور يقال
طب الرجل اذا سحر قال ابن الاعرابي الطب من الاضداد يقال
لعلاج المرض وللسحر قال الشيخ وانما قيل ذلك لان اصل الطب
الحذق بالشيء والتفطن له ولما كان علاج المرض والسحر انما يكون

عن فطنة وحذق قيل على كل واحد منهما طب ولمعانيهما جميعا
وفي الكتب ثلاث لغات كسر الطاء وفتحها وضمها والمشط بضم الميم
واحد الامشاط التي يمشط بها والمشط ايضا مؤنثة تصغير بعالة
مشيط الرأس والمشط ايضا سلاميات كمر القدم ومشط الكتف
العظم العريض قال الشيخ ويحتمل ان يكون الذي سحره النبي صلى الله
عليه وسلم واحدا من بني زريق الاربعة والمشاطة بالكاف هو ما يسقط
من الشعر عند المشط ووقع في البخاري مشاقة بالقاف وهي الرديئة
من مشاقة القنان وتقبل هي المشاقة من الشعر وجف طلعة ذكر
ورواية فيه بالفاء وهي المسموعة وقال ابو عمر وروي بالباء
موحدة تحتها بالفاء هي وعاء الطلع وهو الغشاء الذي يكون
عليه وبالباء قال شمر اراد ما يجب داخل الطلعة اذا اخرج
عنها الكفرى كما يقال لداخل الركية من اسفلها الى اعلاها
جب وقيل فيه انه من التقطع يعني به ما قطع من قشور وما
وقوله في بئر ذي اروان كذا هو في الاصل وخارج الحاشية
في بئر ذروان ووقع في البخاري في كتاب الدعوات في ذروان
في بني زريق قال القتبي الصواب ذي اروان كما في الاصل وقوله
والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤوس الشياطين فيه
دليل على جواز اليمين وان لم يستحلف ونقاعة الحنا الماء الذي يخرج
فيه لونها اذا انقعت فيه وتشبيهه نخلها برؤوس الشياطين
يعني انها مستقرهة مستقبحة المنظر والخبر ويراعى عادة
العرب اذا استقبحوا شيئا شبهوه بانياب الغول ورؤوس
الشياطين وقد يدرج كوهرا ويعني قد الله اعلم ان هذه الارض التي

سقا النخل والبير حراب لا تضر لذواتها فيبيرها معطله وكلها
سدربه معمله وتغير ما البير لحول اقامته واما ما حالكه
ما القى فيه وقوله فانما احرقته ضبط بحت الرواية وبعض
السحر ووقع في بعض النسخ اخرجته كذا بدل احرقته وهي اقوى
لانها هي التي تناسب قوله لا اما انا فقد عافاني الله وكرهت
ان اثير على الناس شرا اي باخراج السحر من البير فلعله تعلل به
او بضرها وقوله فما رئيت بها فرقت اي بالبير يعني انها ردت
على السحر الذي بها لما خاف من ضرر السحر ومن ضرر مادة ذلك السر
معنى اما ذكره بعض الشارحين لهذا الحديث ووقع في رواية في الام
قالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله افلا احرجته فاستخرجه
فقال امنه اخراج له والرواية المتقدمة على العرض وبها
متقاربتان في المعنى وفي كل الروايات فحواب النبي صلى الله عليه وسلم
لها واحد وهو انه لم يفعل ذلك ولا حرمه منه مالك النجم رحمه الله
ويظهر لي ان رواية افلا احرقته اولى من غيرها لانه يبعد ان يكون
استفهمته عن اخراج البير بدليل الاعم الذي صنع السحر فاجابها
بالامتناع من ذلك لئلا ينتشر بين الناس شر بسبب ذلك فيجتمعون
بشر وهو محمد لما لك على قتل الساحر اذا عمل سحره واما امتناع النبي
صلى الله عليه وسلم من ذلك لما خافه عليه من خروج او فتح الشر بين
المسلمين واليهود لما كان بينهم من العهد والذمة فلو فعله لثارت
فتنة وتحدث الناس ان محمدا يقتل من عاهده وامنه وسر السحر
ما راعاه في الامتناع من قتل اليهودي حيث قال لئلا يحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه فحذر ذلك منفرا عن الدخول في دينه

وهو بعيد والله اعلم ويرتفع ان الساحر كافر مالك فلا يزندق لان العمل
عنده بالسحر كفر مشتهر به فلا تقبل توبته الساحر كما لا تقبل
توبة الزنديق اذ لا طريق لنا الى معرفة صدق توبته وقال الشافعي
ان عمل السحر وقتل به فان قال عملت ما يقتل فقتل وان قال لم اتعمده
لم يقتل وعليه الدية واما صار مالك الى ان الساحر كافر لقوله
تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر اي بالسحر
ويثابه ذلك فان الساحر لا يتم له سحره حتى يعتقد ان سحره ذلك مؤثر
بذاته وحقيقته وذلك كفر وقول مالك قال احمد بن حنبل وحماعة
من الصحابة والتابعين والشافعي في قوله الاخر وروي عنه
ايضا انه يسأل عن سحره فان كان كفرا استتيب منه وقال مالك
في المرأة تعقد زوجها انها تقتل ولا تقتل وقال ابن المسيب في رجل
قتل او اخرج من امرأته الحمل وينشر قال لا باس به وقال اما ما
ينفع فلا تنشر منه عنه واما ان اضار فلا يسأل عن الساحر قتل السحر والبه
قال المزني وحرمه الحسن البصري وفي باب ما جاء في السموم
من موطئ يزيد واتبعها موله اي بسمومه انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
شاة مسمومة فاكره انها انت بها على وجه الهدية فانه كان
يقبل الهدية ويثيب عليها ويحمل ان يكون ضيافة واعتذر لك ان يكون
موضعا وفي عن كتاب مسلم انه صلى الله عليه وسلم اخذ من الشاة الذراع
فاكل منها وبشر بن البراء انه مال عند ذلك ان ذراعه الذراع تخبرني
انها مسمومة فاحضرت اليهودية فسألها عن ذلك فاعترفت وقالت
انما فعلت ذلك لانك ان كنت نبيا لم تضرك وان كنت كاذبا اريحنا
منك وفي كتاب مسلم قالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك عليه صلى الله عليه وسلم

بأن مال ما كان الله ليستقذر على ذلك ولم يضر ذلك السم رسول الله
صلى الله عليه وسلم طول حياته بخبر ما أثر بلعوانة وبخبر ما كان
يعاوده منه في أوقات فلما حضر وقته وفاته أحدث الله ضرر ذلك
السم في النبي صلى الله عليه وسلم فتوفي بسببه كما مال صلى الله عليه وسلم
في مرضه الذي توفي فيه لم تزل أكلة خيبر تعاودني حتى الآن أوان
قطعت أبهري فجمع الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بين النبوة والشهادة
مالفه في الترفيع والكرامة وأما بشر بن البراء فروى أنه مات من ذبيحة
وصل بلحمه وجعه ذلك ثم توفي منه بعد سنة في شهر الحرب
فوائد حشرة الأولى ما أكرم الله تعالى من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حيث فلم الجماد ولم يؤثر فيه السم وعلم ما غيبت عنه من السم وفيه
ما فيه علمه في الترجمة من أن السموم لا تؤثر إلا بإذن الله
وقيضته الآتي أن السم أثر في بشر رضي الله عنه ولم يؤثر في النبي صلى الله
عليه وسلم فلو كان يؤثر لذاته لأثر فيهما في الحال وقوله الأنقطعا
قال الأبهري رواية أنس أنه لم يقتلها وهو واقعه على ذلك، أبو نصر يروي
عن رواية عنه أن وجعه وبدرعه أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه قطعها
وفي رواية ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعها إلى ولي
بشر فقطعها وفي الجمع بأن يقال إنه لم يقطعها أولا ما فعلت من تقديم
السم الذي مات بشر فترقبها السم فقطعها فيه من الفخذ أن القتل
بالسم كالقتل بالسلاح الذي يوجب القصاص معروف لكن إذا
استظهر على شربه فقتل عمدا ذلك وقال الجمهور لا قصاص في ذلك
ومنه الدية على عاقلته خلافا لأبي حنيفة ولو سقاه في طعام أو شراب
لم يقتل عليه بيقين ولا على عاقلته وقال الشافعي إذا فعل ذلك به

وهو مكره فقتله فولان أحدهما عليه القود وهو الأشبه بمسألتنا
والثاني لا قود عليه وإن وضعه له فأخذ الرجل
فأكله فلا قتل ولا قود ولا كفارة وقوله فما زلت أعرفها
في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أعرف أثرها فإما
تغير لون اللهوات وإما بثور أو تغير فمها واللهوات
جمع لهاة وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك قاله الأصمعي
وقيل هي ما بين منقطع اللسان إلى منقطع أصل الثغر من أعلاه
وترجم بقوله باب ما كان يرقى به النبي صلى الله عليه وسلم
المريض قوله أذهب الباس رب الناس الباس البأس الضر
وفيه دليل على جواز الرقي والدعاء والرقى إذا لم تكن مكروهة
ولا مشتملة وقوله شفاء لا يغادر سقما هو شفاء مصوغ على
المصدر وصدره واشف والشافي اسم فاعل من ذلك والألف
واللام فيه بمعنى الذي وليس باسم علم لله إذ لم يكثر ذلك فيه كما
على ما عرفناه ولا يغادر أي لا يترك والسقم المرض وقوله صلى الله عليه وسلم
عليه بيمينه عند الرقا دليل على جواز ذلك وجعله التبرك باليمين
وإن ذلك غالبة يحتمل أن يراقي فكانه تمر به لآخر المرض وإن النبي
وسلم جعلته أطهار خبر الراقي عن الشفاء وصحه بعوضه ذلك
إلى الله تعالى وإن قال عقب ذلك لا شفاء إلا شفاءك والرفيق
الأعلى تقدم به والله أعلم الملأ الأعلى من الملائكة وإبليس وقيل
تقديره إلى الله تعالى ومنه تقدم من جنة السياق والنعت نحن سير
مع رفيق سير وهو أقل من النحل والمعوذات يعني بها قل أعوذ برب
الفلق وقل أعوذ برب الناس وكقوله تعالى ربه أعوذ بك

من سراة الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وقوله كان اذا اشتكى
الانسان منا او كانت به قرحة او خرج قال بعود ابرقاء من كل
الامراض والحراح والقروح وان دلك كان امرا فاشيا بينهم
معمولا به عندهم ووضع النبي صلى الله عليه وسلم سبابته بالارض
ورفاه بها يدل على استحباب دلك عند الرقاء ورفع بعض علمائنا
ان دلك لقلة تراب الارض لبرودته وتشبه بقوى الموضع
الذي به الالم ومنع انصباب المواد اليه بتنفسه وتجفيفه مع
منفعة وتجفيف الجراح واندمالها قال النبي رحمه الله
وهذا انما يكون عند المعالجة والشروع فيها على قوانينها من
مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة دلك حتى ابرقاته تزايلها
الثقل ووضع السبابة على الارض ثلاثا يعلق منها بالرقي له
بالله ولا اثر لها من اسرار باب التبرك باسماء الله تعالى وباثار
رسوله صلى الله عليه وسلم واما الريق ووضع الاصبع وما
اشبه دلك فاما ان يكون دلك لخاصية فيه واما ان يكون دلك
لحكمة اخفاها الشارع وعرفها بعض الناس بالعناية والله اعلم

ومن باب رقى اهل الجاهلية وقول عائشة رضي الله عنها رخص
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنملة دليل على
ان الاصل في الرقى كان ممنوعا كما قدمنا صرح به في هذا الباب حتى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الرقى وانما نفى عنه مطلقا لانهم كانوا يرقون
في الجاهلية برقى هو شرك وبما لا يفهم وكانوا يعتقدون
ان تلك الرقى تؤثر بنفسها فلما اسلموا وزال ذلك عنهم رخص لهم النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك بعد ما ليغ في المنع واشتد للذريعة
لهم لما سألوا واخبروه انهم يستعملون ذلك رخص لهم في بعض ذلك

وقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك فجازت
الرقية من كل الافات من الامراض والجراح والقروح والحمة والعين
وغير ذلك اذا كان الرقي بما يفهم ولم يكن فيه شرك ولا شيء ممنوع
وافضل ذلك والله سبحانه وتعالى اسماء الله تعالى وكلامه وكلام رسوله
صلى الله عليه وسلم وقوله من كل ذي حمة اي من كل دابة
ذات سم والحمة السم والمشهور فيه ضم الحاء وقد
تفتح وهي مختصة السم في كل حال والنملة قال ابن قتيبة هي قروح
تخرج في الجنب تزعم العرب ان نزلة الرجل اذا كان من اخته خرجت
على النملة شيء صادفها وانشد وما غير حرة النحير جراح
وانا لا نحك على التمل اي ليس الجوس من شأن الاخوات قال غيره
يكون في الجنب وغيره والمشهور فيها فتح النون وحكى الهروي
فيها الضم واما النملة بفتح النون وهي المشفية المتقاربة بعضها
القرآن والشفعة بروى بفتح السين وهما واللفح اكثر وقد
فسرها الراوي بقوله يعني بوجهها صفرة وقد تشاءم قال الشفعة
يعني مما قاله الاصمعي حمرة يعلوها سواد وقال الحربي هو سواد
في الوجه والنظرة العين قاله الهروي وقال ابو عبيد قال رجل
به نظرة اي عين قال النبي رحمه الله وجمع احاديث الرقية
ابواقعة في كتاب مسلم انما دل على جواز الرقي بعد وقوع الاسباب
الموجبة للرقية من الامراض والافات واما قبل وقوع ذلك ففي
البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
اوى الى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله احد والمعوذتين ثم يمسح
بهما وجهه وما بلغت يده من جسده وكان يعود بهذا فلما اشتكى

ما يتوقع من الطوارق والهوام وغير ذلك من الشرور وقد تقدم
في الايمان الخلاف فيه وقوله مالي اراعي اصحابي اي اخي ضارعة
اي صعيفة نحلة واصل الضراعة الخضوع والتذلل ويعني به
بني جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم وقوله صلى الله عليه وسلم لما
عرضوا عليه الرقى والتطبب من استطاع منكم ان ينفع اخاه
فليفعل دليل على جواز الرقى والتطبب بما لا محذور فيه ولا منع
شرعيا مطلقا وان كان بغير اسماء الله تعالى وكلامه لكن اذا كان مفهوما
وفيه الحض على السعي في ازالة الامراض والاسقام عن المسلمين وكل
ممكن هاجر وفي باب ام القرآن رقية من كل شيء
التحي القبيل واستضافوهم سألوهم الضيافة والذرع الذي لا عنده لغة
او القرب ويسمى بالتليم تقاولا حاما في الرواية الاخرى
والقطيع من الغنم هو الجزء المقتطع منها فعيل بمعنى مفعول وقوله
وما ادراك انها رقية اي اي شيء اعلمك انها رقية تعجبا من قوته
على الرقيا بها ولذلك تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله
وما ادراك انها رقية وفي هذا الحديث علم ان هذه السورة قد
خصت بامور منها انها فاتحة الكتاب ومتكررة وانها متضمنة
لجميع القرآن من حيث انها تشتمل على الثناء على الله تعالى بأوصاف
كماله وجلاله وعلى الامر بالعبادات والاخلاص فيها والاعتراف
بالعجز عن العبادة شيء منها الا بالاعانة تعالى وعلى الابتهال الى الله
بالهداية الى الصراط المستقيم وكفاية احوال الناكثين وعلى
بيان عاقبة الحاجدين وفي رواية الدارقطني من حديث ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه وفيه فقال وما ادريك انها رقية قلت

يا رسول الله شيء القيته في روعي قال فكلوا واضربوا لي معكم بسهم وقيل
ان موضع الرقية منها انما هو اياك نعبد واياك نستعين ويكمن
في ان السورة كلها موضع الرقية لما ذكرناه ولقوله صلى الله عليه
وسلم وما ادراك انها رقية ولم يقل ان فيها رقية وقوله اضربوا
واضربوا لي بسهم معكم اي اعطوني نصيبي الذي لائق بالغنم
ملكه او هو الذي يعد العوض الذي استحقها لكن كانت
نفسه بالتشريك كما دله النبي صلى الله عليه وسلم على ما يفعل به
في المشترك من عزل النصيب وفي القرعة وفيه دليل على
صحة العمل بالقرعة في الاموال المشتركة وعدم ذكر الخلاف
فيها في النكاح وقوله في الام ما كنا نأبنه بريبة اي نتهمه بها
يقال أبنت الرجل اثنه وأبنته اذا رميته بخلة سوء ومنه
رجل مأبون اي مريب والأبنة العيب ومنه غود مأبون
اذا كان فيه أبنة تعيبه اي عقدة قاله القتيبي وغيره وقد
روي هذا ما كنا نظنه بدل نأبنه اي نتهمه وقد ذكر ابو داود
حديث ابي سعيد هذا على مساق فيه زيادة فلنذكره على سياقه
فقال عن ابي سعيد رضي الله عنه اربعة من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم انطلقوا في سفرة سافروها فنزلوا حي من احياء العرب
فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فقال لهم سيد ذلك الحي تسقموا
له هل فيكم من ينفعه شيء فقال بعضهم لوأتيتم هذا الرهط الذين
نزلوا بكم لعل بعضهم عنده شيء ينفع صاحبنا فقال بعضهم
ان سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء فهل عند احد منكم
شيء ينفع صاحبنا فقال رجل من الصوم اني لارقي ولكن استضفناكم

فأبيتم أن تضيفونا فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جعلا فجعلوا له قطيعا
من الشاء فأتاه فقرأ عليه أم الكتاب ويتفل حتى برأ كأنما أنشط
من عقال قال فأوفاهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقالوا اقسموا
فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونستأمره فغدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين علمتم أنها رقية أحسنتم
فاضربوا لي معكم بسهم وذكر عن الشعبي عن خارجة بن الصلت عن
عمه أنه مر بقوم فأتوه فقالوا إنك جئت من عند هذا الرجل بخير
فارق لنا هذا الرجل فأتوه برجل معتوه في القيود فرقاه بأم
القرآن ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفل
فكأنما أنشط من عقال فأعطوه شيئا فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل فلعمري
لمن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق ولا يخفى ما في هذا السياق
من الفقه والفوائد فما عليه وإيقاف الصحابي رضي الله عنه قبول
الغنم على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عملا بما يجب من التوقف عند
الإشكال إلى البيان وهو أمر لا خلاف فيه وقوله صلى الله عليه وسلم
خذوا منهم واضربوا لي معكم بسهم بيان للحكم بالقول وتكميله
بالعمل إذ لم يكن له حاجة في تلك السهم إلا المبالغة في بيان أن ذلك
من الحلال المحض الذي لا شبهة فيه فكان ذلك أعظم دليل لمن يقول
بجواز الأجرة على الرقى والطب وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة
وأصحابه وأحمد وإسحاق وأبي ثور وجماعة من السلف والخلف وأما
الأجرة على تعليم القرآن فأجازها الجمهور من السلف والخلف

متمسكين بهذا الحديث وبما زاد فيه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله
عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أحق ما أخذتم عليه أجرا
كتاب الله وهذا الحق بالنصوص وقد حرم أبو حنيفة أخذ الأجرة
على تعليم القرآن ومن ذلك ما يجاب به متمسكا من وجهين أحدهما أن تعلم
القرآن وتعليمه واجب من الواجبات التي تحتاج إلى النية التقرب
والإخلاص فلا يؤخذ عليها أجرة كالصلاة والصيام وثانيهما
ما رواه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه
قال علمت ناسا من أهل الصفة الكتاب والقرآن فأهدى إلي رجل
منهم قوسا فقلت ليست بمال وأرمي عليها في سبيل الله فلآتين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنه فأتيته فسألته فقال
إن كنت تحب أن تطوق طوقا من نار فاقبلها والجمهور يقولون
لا نسلم صحة ذلك القياس لأنه فاسد الوضع لأنه في مقابلة قوله
صلى الله عليه وسلم إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله وهو عموم
قوي وظاهر جلي والجواب عن القياس بعد تسليمه الفرق
الذي بين الفرع والأصل وهو أن الصلاة والصوم عبادات
خاصة بالفاعل وتعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلم فجوز
الأجرة على محاولة النقل كتعليم كتابة القرآن وأما الجواب
عن الحديث فغير مسلم صحته والقول بموجبه لأن تعليم عبادة رضي الله
عنه لم يكن بأجرة ولا جعل وإنما علم لله تعالى تطوعا لا لغيره
فلما كان كذلك حرم عليه أخذ العوض على ما فعله لله تعالى لأنه
ربما يفسد عمله وما كان سببا إلا للأكل

ترجمة باب الرقية

بأسماء الله عز وجل قوله ضع يدك على الذي تألم من جسدك

بلغت المقابلة

هذا الامر على جهة التعليم والارشاد الى ما ينتفع من وضع يد الراقي على المريض
وصحته وارد الكلام ثم مخصوصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل ينبغي ان
يفعل ذلك كل راق وقد تاكد امر ذلك بفعل النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه ذلك بالتسمح ويكرر كما ذكر في الاحاديث المتقدمه
فلا ينبغي للراقي ان يعدل عنه للمسح بحديدة ونحوه قال ذلك لانه فعله
احد بمن ذكره تعليله بقوله لا احل له وما ينبغي للراقي
ان يفعله النفث والنفل وقد علمنا انهما مع ريق وان ريق
النفل اكثر وقد قيل ان ريق النفث اكثر وعلى هما مساويا والاول
اهم عند اهل اللغه وقد كرر ذلك في الاحاديث المتقدمه
وكررها لا لعدل عنه وكذلك تكرار التسمية بلفظ ويقرأ
الفرد سبعا كما في بعض الحديث فينبغي للراقي ان يحافظ عليه
اذ قد فعله النبي صلى الله عليه وسلم وامر به وقد دل فعله اسرار
يرفع الله تعالى بها الاضرار فانما يفعله المعزمون من الآلات
والحلاحل فذلك كله من باب التمويه والتكفر واكل المال
بالباطل واختلف العلماء في النشرة وهي ان تحل شيئا من اسما الله
تعالى ومن القرآن ثم تعالجه بالمائم ليمسح به المريض او يستحمه
اياه فاجازها سعيد بن المسيب قيل له الرجل يؤخذ عن امرأته
افاحل عنه وتنشره قال لا باس به وما ينفع لم ينه عنه قال
المازري النشرة امر عرفت عند اهل التعزيم وسميت
بذلك لانها تنشر عن صاحبها اي تحل ومنعها الحسن وقال نهي
عن السحر وقد روى ابو داود بسند حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان

قال بعض العلماء لا بد ان يحمل على انها خارجة عما في كتاب الله
تعالى وسنة رسوله وعن المداواة المعروفة والنشرة من
جنس المكيد **قال الشيخ** رحمه الله وشاهد هذا قوله
صلى الله عليه وسلم لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك وهذا استفتاح
منكم ان ينتفع اخاه فليفعل قال القاضي عياض رحمه الله في النفث
وفائدة ذلك والله اعلم التبرك بتلك الرطوبة او النفوذ
او التنفس الهيا شر للرقية الحسنة كما يتبرك بعض الناس بكتب
من اسما الله الحسنى في النشر قال وقد يروح ذلك على وجه التفاؤل
من زوال ذلك الالم وانفصاله عن المريض كانفصال ذلك النفث
وقد كان مالك رحمه الله ينفث اذا رقى بقسته وكان يكره الخرز
والعلم الذي يعتقده الناس يكتب خاتم سليمان وكان العقد عنده
اشد كراهة لما في ذلك من مشابهة السحر وقوله ما تلمسنا
على هو بكسر الباء ما جئنه لنس بتحتها ثم قال الله تعالى ولمسنا
عليهم ما بلمسور وهو بمعنى الخلط واما ليشف الثوب فهو على
العكس من ذلك وقوله ذاك شيطان يقال له خنزب هو بالخاء
المعجمة وبعضها عن الجياني وبشرها عن الحربي وفي الصحاح
الخنزاب هو القصير اللئيم واسد تام لما تقدم خنزاب وفي
الموطا الشديد ويحتمل ان يعني الشيطان خنزب لانه يتراءى على هيئة
قصير وحذفت الالف لما صار علما وكثيرا ما يليه الاعلام من
اسمائهم **ومن باب** إنزل داء وآء وفي الحديث الحجامة
قوله لكل داء دواء اذا اصيب الدواء لم يخطئ داله وبشر
والصحيح اصح وهذه الكلمة جارية في العموم لانها خبر عن الجنس

البشير عن الخالق القدير الا تعلم من خلق وهو اللطيف الخبير قالوا الدا
والدوا خلقه والشفا والعلاج فعله وربط الاسباب بالمسببات
قضته وحكمته على ما سبق به علمه وكل ذلك بقدر لا تعرل عنه
ولا يزول وما احسن قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما خرجه النسائي
عن اسامة بن شريك قال اصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله اكنا نتشرع شيئا ونداوى به هل يرد
من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله قال هذا حديث حسن صحيح وكفى
بهذا بيانا لما كان يعتصر الانسان وقوله فاذا اصيب دواء الداء
برا باذن الله ومعناه ان الله تعالى اذا شاء الشفا تتبرع دواء ذلك الداء
وتتبعه عليه فيستعمله على وجهه ووقته فيشفى ذلك المريض
واذا اراد هلاك صاحب المرض ادخل على الدواء او جنبه ما ينفع
يمنعه فيهلك صاحبه وكل ذلك بمشيئته وحكمه كما سبق به علمه
واجاد من الشعر آمن قال في شرح الخيال

والناس يلهجون بالطبيب وانما ... يطبهم الطبيب باذن المقدور

وقد خرج ابو داود هذا الحديث وحرف اسامة بن شريك وقال
فيه انه صلى الله عليه وسلم قال يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع
داء الا وضع له شفاء غير داء واحد الهرم فاستثنى الهرم من جملة
الادواء وان لم يذكر اسمه لكن لزمه الادواء وهو منتهى بصاحبه
الى الهلاك وهذا كقوله في الحديث الاخر كفى بالسلامة داء اى مصير
السلامة الى الداء وهذا كما قال محمد بن ثور اري عرضي قد رانني بعد صحة
وحسبك داء ان تصح وتسلما وقوله صلى الله عليه وسلم ان كان في ادوية خير
فهي شرطة بمجم او شربة عسل او لذعة بنار توافق تعني بالخير الشفاء

والمحجم هو الوعاء الذي تجمع فيه سوء مع الحجامة ويجتمع فيه الدم وهو
جمع واحده محجمة وهي حديدة يشرط بها الجلد على الكمية التي تشرط
بها وهي المعنية هنا وجاء هذا الحديث هنا بصيغة الاشتراك
من غير تحقيق الاختيار وقد جاء في البخاري من حديث ابن عباس رضي الله
عنهما مرفوعا الشفاء في ثلاث وقد ذكر بها تحقيق الخبر قال بعض
علمائنا اشار صلى الله عليه وسلم الى جميع ضروب المعالجة الثلاثة
وذلك ان العلل منها ما يكون مفهوم السبب ومنها ما لا يكون كذلك
فالاول كعلته اذا الاختلاف الى بني الدم والبلغم والصفراء والسوداء
معالجة ذلك بما يسهر اخراج ذلك الامتلاء مما يتعلق به من تلك الامور
المذكورات في الحديث فمنها ما يستفرغ باخراج الدم بالمشرط وفي
معناه القصد والبط والعلق ومنها ما يستفرغ بالقيء وما
في معناه من الادوية المشهلة ومنها ما يستفرغ بالحقن بانواعه
بحسب تلك الاوقات موضع المرض وسواء اخراج الكيفية واما ما كان
من العلل عن ضعف قوة من القوى فعلاجه بما يقوي تلك القوة
من الاشربة ومن انفعها في ذلك العسل اذا استعمل على وجهه
واما ما كان من العلل غير معلوم السبب وكالسحر والعين ونحوه
الجن فعلاجه بالرقى والكلام الحسن وانواع من الخواص مغيبة
السر ولهذا القسم اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه
انه زاد في هذا الحديث او اية من كتاب الله رحاده على ما ذكرنا
تقدم منه قال الشيخ رحمه الله هذا اعني ما قاله علماؤنا
ويحمل ان يكون المذكور في هذا الحديث انما خصت بالذكر
لانها كانت اغلب ادوية هم والله اعلم بمراد كلامه

لعارضة استبطأ لغالب امراضهم ولا يلزم ان يكون ذلك في حق غيرهم
ممن يخالفهم في بلادهم وعاداتهم واموالهم ومن المعلوم بالمشاهدة
اختلاف الطبائع والادوية بحسب اختلاف البلاد والعادات
وان الحرث اسبق الامراض والله اعلم وقوله وما احب ان اتداوى
وفي لفظ البخاري وانا انهى امتي عن الداء يعني اما فعل ذلك مشقة الم الحمى
فانه يبرئ على الم المرض ولذلك لا يرفع اليد الاعذر كالعجز عن الشفا
بغيره من الادوية وانضافه شعبة التعرض لعذاب الله الذي
نهى عنه وعدم العمل به يدل على ان ترك الاولى
عليه وسلم في الحجامة دليل على ان المراد لا ينبغي لها ان يفعل في يومها
شيئا من التداوي او ما شابهه الا ما دل دليل خاص ان ذلك
الشيء ما يعالج به من دقه او منتفا لتعرضه منفعة واد اكان شرع
في شيء من التطوعات التي تقرب بها الى الله تعالى الا ما ذكر منه فان
احرى واولى ان لا تتعرض لضرر التداوي الا ما ذكر الله اللهم الا ان تدعو
الى ذلك ضرورة من خوف موت او مرض شديد فحينئذ لا حرج عليه في الاذن
لانه من التحق بهم الواجبات المتعينة واما حال الحجامة وما يتنزل
منزلتها مما يحتاج فيه الى محاولة القهر والاصرار فيها من استبداد
الزوج لنظره فيما يصلح وفيما يحل من ذلك الا ترى ان النبي صلى الله عليه
وسلم امر ابا طيبة ان يحجمها لما علم ما بينهما من السبب المبيح لها حال الراوي
حسبه انه قال اخاها من الرضاعة او حلا ما لم يحتلم ولا شك في ان مراعاة
هذا في الواجبة متى ورد ذلك فان لم يوجد من يحسن ذلك وردت
الضرورة الى معالجة الذكر الاجنبي جاز فيها لعدم الضرورة
وترجحا لاخف الممنوعين وفيه من الفقه ما يدل على ان اذا المحرم

يحوز ان يكلم من ذات محارمه على بعض ما يحرم على الاجنبي وذلك
النبي فان الحجامة غالبا انما يكون من بعض النساء فيما لا يجوز للاجنبي
الا اطلاع عليه كالقفا والراس والساقين **وفي باب**
التداوي بقطع العروق والكي والشعوذة قول جابر رضي الله
عنه رمى ابي يوم الاحزاب على اكحله فحسمه بيده الرواية بالحاء المهملة
وبعد الباء ياء مشددة وروايتها للعذري والاصيلي بالخاء المعجمة
وكسر الباء على اضافتيه لنفسه المتكلم والاول هو الصحيح بدليل الرواية
الاخرى فحسمها على انه ابن سعيد ولان ابا جابر رضي الله عنه لم يرد
يوم الاحزاب وانما استشهد يوم احد والاكحل عرق معروف
قال الخليل هو عرق الحياة في كل عضو منه شعبة لها اسم على
حدة واذا قطع في اليد لم يرقا الدم وقيل انه يقال له في اليد
الاكحل وفي الفخذ النساوي والظهر الابهر ونحوه صلى الله عليه
وسلم بعث الى ابي بن كعب طبيبا فحواه دليل على ان الواجب في عمل العلاج
الا يباشره الا من كان معروفا به خبيرا بما يباشره له ولذلك ارجال
النبي صلى الله عليه وسلم على الحارث بن كلدة ووصف له النبي صلى الله
عليه وسلم الدواء وتنقيبه العمل على ما مر وبعث النبي صلى الله عليه
وسلم لابي بن كعب وسعد رضي الله عنهما دليل على جواز الكي والعمل به
اذا ظهر الانسان منفعته وعدم الحاجة الى تحمل بعضه صلى الله
عليه وسلم عن الكي على ما اذا امكن ان يستغني عنه بغيره من الادوية
فمن فعله او كحله وعلى شرطه لم يعد ذلك مكروها وجهه ولا منقصا
له من فعله ويحوز ان يكون من السبعين الفا الذين يدخلون الجنة
بغير حساب كما ورد النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ

الذى اختاره عرش الرحمن والذى يذهب المحموم بانه اقرأ الامه
للقرآن وقد اكتوا عمر ان حصن من اعتقد ان هذا لا يصلحون ان يكونوا
من السعر انفا فساد كلامه لا يخفى على ذى الحث فمحور قوله
صلى الله عليه وسلم انهم هم الذين لا يكتوون انما يعنى به الذين يتقون وهو
يحمد عنه غنيا والله اعلم والسعوط دواء يصب فى الانف وهو اشد حدة
الرجل ما استعط هو بنفسه والمنعوط هو المريض الذى يجعل فيه
السعوط ومن باب الحمى يوم فيح جهنم شدة حرارتها
واصله من فاحت القدر اذا غلت وقد يعبر عنه بالفور كما جاء فى الرواية
الاخرى والفيح انتشار حرارة النار واصابة شدته حرها وجهنم اسم علم من اسماء النار الاخرة
مؤنث ولذلك لم تصرف وقد تقدم اشتقاقه وقوله فابردوها بالماء
هو امر بوصل الالف لانه من قولهم برد الماء حرارة حلقى وهو ثلاثى
معتل كما قال وعطل قلوصى فى الركاب فانها ستبرد اثناء او تشتى حاتما
وقد احتج من قال ابرد وما ينقطع الالف وفى الرواية الاخرى فاطفؤها
بالهمزة رباعيا من اطفأ وقد اعترض بعض شراح الاحياء على هذا الحديث
بقال استعمال المحموم الاغتسال بالماء حقير مغرب من الهلاك لانه
يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة الى داخل الجسم فيكون ذلك
سببا للتلف وجوابه ان هذا ان صدر عمن ارتاب فى صدق النبى صلى الله
عليه وسلم فجوابه بالحجر ان الدالة على صدقه التى تنزل قطعا على
نحو قوله وجوابه بفعله فان حصل له التصديق والايمان والا فقد فعل الله
بالسبب والبرهان ما لا يفعل بالبرهان وان صدر عن مصدق له وهو مؤمن
برسالته وما افكله فمن يتعاطى صنعة الاطباء قيل له تفهم مراده من هذا
الكلام فانه لم يبق كل شفعة تبريد الحمى بالماء وانما ارشد الى تبريدها بالماء

لحلقانان اظهر الوجود او صناعة الطب ان يمس المحموم بالماء او صبه
على جميع بدنه بضوء بليس هو الذى قصد النبى صلى الله عليه وسلم
اليه وانما قصد استعمال الماء على وجه ينفع فيحث عن ذلك الوجه ويحث
الوجوه التى لا ضرر فيها فانه سيظهر نفعه قطعا وقد ظهر هذا المعنى
لاسره للعالم بالعمل فانه وان كان يتراءى ان يغسل بكل ماء حار يتصوره
ان يغسل جميع جسده بل بعض ذلك كما تقدم واذا تقرر هذا فلا يبعد
ان يحمل مقصوده ان يرش بعض جسد المحموم او يبل به خرقة ونحوها
عند فعل ما ساعدت تاخذ ما يسيرا ترش على جسد المحموم او تشخ به
رحمه وبدنه او رحله وبذكر اسم الله فحور لكن باب النشرة الحاجزة
كما تقدم وهو جائز ان يحمل وكذلك باب الطب وقد سمع ذلك بعض
الحمائة قال الاطباء فسلموا ان الحمى الصفراوية تؤثر صاحبها بسقى
الماء الشديد البرودة حتى يسقونه الثلج ويعلل اكرافه بالماء البارد وعلى
هذا فلا يبعد ان يحمل هذا المقصود بالحرث والله اعلم ولنا سلمنا انه
اراد جميع جسد المحموم بحوابه انه كيف يتاتى ان يريد ذلك استقراء بعد ان ينقع
الحمى ويسكن حرارتها ويحول ذلك وقت حضوره وبعد حضوره مشهور
ذلك من باب الحواص التى تدرك علمها النبى صلى الله عليه وسلم كما قد روى
قاسم بن ثابت ان رجلا شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى فقال له اغتسل
بالماء اول طلوع الشمس وقل باسم الله ادفى يا ام ملدم فان لم تذهب فاغتسل
بسبعا ومن باب الدواء بالبارد والعود الهندى قوله لو ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اى وضعا فى فمه الكافور وهو ما يحمل على اخرجا نبى ادم والكافور ما نضت
فى وسط الجبل وقوله لاتلدونى هو كامر من الثلم فكان شفى لهم ان يشموا عن ذلك
عمرانهم تاولوا ان ذلك من باب ما علم من احوال المرضى من كراهتهم الدواء

٧٧

اولادكن بهذا العلاق ه تذعرن الروانة الصحيحة فيه بالدال المهملة
والعين المعجمة لا تجوز غيره ومعناه هنا رفع اللهاة واصله الرفع
ومنه قول العرب ذعرى لا ضفي وذعر الاصقاسونا وغير سنون
معولين هذا والعرب اى ادمعوا علكم ولا تصلفوا لهم والعلاق
الرولنة فيه بكسر العين وهم وبعض النسخ الاعلاق وهو الصواب
قياسا لانه مصدر اعلقت وهو المعروف لغة ومقصود هذا الاستفهام
الانكار على النساء بعلوكهن ولادهن وقوله عليكن بهذا العود
الهندي ه هذه احالة منه لهن على استعمال العود الهندي الكبير
الرائحة في مرض الحلق المسمى بالعذرة بين لهن كيفية العلاج به بقوله
يسعط من العذرة اى يزق ناعما ويسعط في الانف وهذا يفيد انه
يستعمل وحده ولا يضاف الى غيره ثم زاد فقال وتلدد من ذات الجنب
ويجنى به الوجع الذي يحدث في الجنب المسمى بالشوصة وقال الترمذي
يعني السل وفيه بعد والاول اعرف وقوله تلدده منصوبا مرفوقا
او مع غيره يسأل عن الانفع من ذلك اهل الخبرة من المسلمين من يجرب
ذلك او تباشر تجربته او لا يدس ينفعه وذلك المرض ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقول الا حقا وقوله ما رضه سعة اشفيه
بتيس سنها في الحديث اثنين وستة عن الخمسة وتدعرن الاحبا
ه تشفيهم ان به من الاشفية اكثر مما في هذا الحديث قال ابو عبد الله
راته وتشفيهم يعني الاحبا انه يدر البول وينفع من السموم ويحدث
شهوة الجماع ويقتل الدود وجب القرع اذا شرب بالعسل ويذهب
بالكلف اذا طلي عليه وينفع من ضعف الكبد والعدة ومن حمى المورد والربع وينفع من النافض يكوخا بالزيت قبل نقل الحما

عليكن بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفيه

والطمث

ه دل

محالفوه معاقبهم بان اقتص منهم فعل بهم ما فعلوا به فكان فيه دليل
على مشروعيه القصاص شيء يتاتى فيه القصاص كما قال تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال بعض المحاسبي فيه ما
يدل على قتل الجماعة بالواحد لاسم لما قالوا وبعاقبوا على السوء
انتقص من جمعهم وفيه نظر لامكان مراعاة الفرق فانه يمكن ان يقال
جاز ذلك فيما لا اراقة دم فيه لخفته ومقصود الشرع ولا يجوز ذلك
في الدماء لحرمتها وعظم امرها ومقصود الشرع فلا يصح حمل احدهما
على الاخر وانما الذي تستنبطه من الحاضر في الجناية المعين عليها
كالناكور الذي هو الطلعة كالمباشر لها فيقتص من الكل لقوله
فيه على ما قررناه وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى بقوله
لابن العباس فانه لم يسهدكم وقد سبق الفعله سبع اشراه المريض على الطعام
والشراب والدواء كما قد يعرض للنبي صلى الله عليه وسلم قال لا تكرهوا
مرضاكم على الطعام والشراب فان الله يطعمهم ويسقيهم وقوله ام قيس رضي الله
عنها دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم بابن لي قد اعلقت عليه من العذرة
كما وقع هذا اللفظ في كتاب مسلم اعلقت عليه بلا خلاف عنه
ووقع في البخاري باعلاق بغير واو بعد همزة وعشرة كما في كتاب مسلم
وفي رواية سفيان بن عيينة اعلقت عنه قال الخطابي وهو الصواب
والى ذلك اشار ابن الاعرابي والعذرة وجع الحلق فكانها تعذر به ذلك
فرفعت لهاته باصبعها وقال الاصمعي العذرة قرحة في اللهاة وفي النوادر
العذرة اللهاة وهو قولهم ان اللهاة اللحمة الحمراء التي في آخر الفم واصل
الحلق والتي ترفعها باصابعهن فنهاهن النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
لما فيه من تعذيب الصبي ولعل ذلك يزيد في وجع اللهاة وقوله على كم تدعرن
اولادكن

لن به يابس واستر خا قال وهو صنفان بحرى وبرى وهو
القسط الابيض ويونانيه من بلاد المغرب ونص بعضهم على ان البحرى افضل
من البرى وهو اقل حرارة منه قال المحقق عمر انهما حاران يابسان
فى الدرجه الثالثه والبرى اشد حرا فى الجزء الثالث وقال ابن سينا
القسط حار فى الثالثه يابس فى الثانيه قال الشيخ وسمى القسط
كما قال الرازى وجنبيز نشكل بهذا سماه قرمن مول الاطباء البحرى
من العود يسمى القسط يونانى به من بلاد المغرب وقسم يجلب بهذرنا
ويونانى به من المغرب الا ان يريدوا بالمغرب الهند قال فصل قاد اقان
فى العود الهندى يقرب الادويه الكثيره مما وجه تخصص منافعه
يسبع مع انها اكثر من ذلك ولاى شى لم يعطها فالجواب عن الاول
بعد تسليم ان اسماء الاجناد مفهوم مخالفه ان يقرد السبع المنافع
على الوجه المذكور وعن الثانى انه انما فعل ذلك لما
دعته الحاجه اليه وسكت عن غيره لانه لم يبعث لتفاصيل الطب
ولا لتعليم صنعته وانما علم ما تعلم به منه ابن رشد الى الاخر قوله
والفلفل وارى الوحوذ عقا قبرو اذ وبه ينتفع بها ويحسن منها
ما عنه حاجتهم اليه فى ذلك الوقت وكسب اولئك الاشخاص والله اعلم
وفى باقى الدراوى بالشونيز والمليسفه قوله فى الحبه السوداء
شفاء كل داء اختلف فى الحبه السوداء فقال الحربى انه الخردل وحكى
الصولى عن عمر انها الحبه الخضراء قال ابو العرب سميت الخضراء سوداء
والاسود اخضر وفى رواية اليمن وهو المسمى بالقرطم واما قول
من سماها الشونيز لوجهين احدهما انه المذكور فى الحديث والثانى
انه اكثر منافع من الخردل وجب القطع بتعين ان يكون هو المراد بالحديث

اذ مقصود الاخبار بكثرته فوائده ومنافعه على ما تذكره والشونيز
قيده بعض مشايخنا بضم الشين وقال ابن الاعرابى هو الشنيز كذا
حكوله العرب وقال عمرو الشونيز بالضم وبدد كر الاطباء للشونيز
منافع كثيرة وخواص عجيبه قال الرازى ابو الحسن عباس وذكر ديسقوريدوس
من منافعه انه يحلل النفخ ويقتل ديدان البطن اذا اكل او وضع على
السرة ويشفى من الزكام اذا شم وضرر حرقه واشتهاء وينفع من العلة
التى يتقشر منها الحلق ويقلع القوابيل والخيلان وثؤلول الكمثرى الذى
عن الاجفان الغليظه الشعره وينفع من الصداع اذا اكتحل به الجبين
ويقتل السبور والحرب ويحلل الاورام البلغميه اذا شم مع الخل
وينفع من الما العارض فى العين اذا استعط سحوقا مع دهن الاترج
وينفع من انصباب النقس ويتمضمض به من وجع الاسنان ويدر البول
واللبن وينفع من عضه الرتيلى واذا خرج طرد القمل وقال عمر
حاليوس من خاصيته ادهان حمى البلغم والسوداء ويقتل
القرع واذا علق من عنق المذكور نفعه وينفع من حمى الربع
قال بعضهم ولاسعد منفعة الحاج من ادوية اجارة كواص منها
كعودنا دلك فى ادوية كثيره فكون الشونيز من سنة للعموم قوله
صلى الله عليه وسلم ويكون اجيانا مفردا واحيانا مركبا قال الشيخ
رحمه الله وعلى هذا القول الاخير تحمل كلية الحديث على عمومها اذ لا كتفا
ولا استثنى من الادوية شى الا الداء الذى يكون عنه الموت وعلم الله تعالى
وعلى القول الاول يكون ذلك العموم مخصوصا على الاكثر والاغلب والله اعلم
وقوله التلبينة تحمد لفؤاد المريض بذهاب بعض الحزن والتلبينة
حساء من دقيق وربما يروى بفتح اللام والحاء وبضم اللام وكسر الحاء على الاول

هو مصدر اى حمام ويعلى الماني يتوزا اسم فاعل من اجم وهما اسما
تقويه وتنشطه ولكل انها جزاء سد لخافة سهل التناول على
المريض فاذا استعمله ابرد عنه الحرارة الجوفيه وصلت له القوة
العزايمية من غير مشقة تلحقه فيجري عنه بعض ما كان به وتنشط
وذهب عنه الضيق والحزن الذي كان يجده بسبب المرض واما
كاسه عائشه رضي الله عنها نصنعها لاهل الميت وتشرد فيها
لان اهل الميت شغلهم الحزن عن الغذا فاذا شربت حرارة احشايهم
من الجوع والحزن فانها تلتئم التليينه انكسرت عنهم حرارة
الجوع فخف عنهم بعض ما كانوا فيه ولا يلزم من نفعها لهاذا ولا ان يفعل
بالمريض كذلك فيترد له نفعا واما ذلك بحسب الحال فان اصاح المريض
الى تقوية غذا التليينه كالباب نضاف انها تحسن على الجملة والتليينه
غذا الطيف لا ضرر فيه غالبا فلذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم عليه
وفي باب التداوي بالعسل قوله الرجل ان اخي استطلق بطنه
قد وباه بضم الثا وكسر اللام مبنيا للمفعول وبطنه مرفوعا مفعول
لم يسم فاعله ومعناه اصيب بالاسهال وقد عبر عنه في الرواية الاخرى
تغرت بطنه اى تغير عن حال الصحة الى حال المرض كما قال تغرت
معونة بكسر الرا اى تغيرت وصوت تقرقر غرغرا بالغين المعجمة
وقوله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا قد اعترض بعض زنادقة
الاطبا على هذا فقال قد اجمعت الاطبا على ان العسل يسهل وقد
وصف لمن به الاسهال وجوابه ان هذا الطعن صدر عن جهل بادلة
صدق النبي صلى الله عليه وسلم واجتناعه الطب اما الاول فلوضوح
معجزاته فقد اجمعنا العالم على القطع انه استحيل عليه الكذب والخلف

ومن حصل له هذا العلم تحقق شرعا وعقلا ادار حد من كلامه ما تقصر
عن ادراكه ان يعلم ان قال العسل حق في نفسه واراد صنف المقصود
الى نفسه فان ارشده هذا الصادق الى فعل ذلك الشي على وجه
فاستعمله على الوجه الذي يجيبه وفي المحل الذي امره بتقديمه وحسن
هيئة حامله يرى منفعته ويدرك بركته كما قد اتفق لاحاد هذا
العسل وان لم يعلم له كيفية العمل فليبحث عن وجه العمل اللائق
بذلك الدوا فاذا اكتشف له ذلك فهو الذي اراده الصادق وهذا
الحق الذي يعرفه مع العلم ما ذكر من المسلمين الموثوق بعلمهم وصحة
تجربتهم واما حمل هذا الكلام على صناعة الطب فغير جائز في اصل
حيث اطلق في موضع التقييد وحكى احماعا لا يصح له وبيان ذلك
ما قال الامام ابو عبد الله قال ينبغي ان يعلم ان الاسهال يعرض
من صروب كثيرة منها الاسهال الحادث عن التخم والمرتضات
والاخلاط مجتمعون في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة
وفعلها وان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت
القوة باقية واما حبسها فضرر فاذا عرف هذا فيعلم ان يكون
هذا الرجل اصابه الاسهال عن امتلاء وهيضه فامره النبي صلى الله
عليه وسلم بشرب العسل فزاده فزاده الى ان فنيت المادة فوقف
الاسهال فوافقه شرب العسل فاذا خرج هذا على صناعة
الطب اذ ذاك لكل المعترض بملك الصناعة ولسنا
نستظهر على صواب نبينا صلى الله عليه وسلم بان يصدقه الاطباء
لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم وصدقناه صلى الله عليه وسلم

قال وحدثنا هشيم نحوه ما قالوه فتفتقر حينئذ الى تاويل
كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريفه على ما يحلو اذ قام
الدليل على انه لا يجدي وقوله صدق الله وكذب بطن اخيك تثبيته
على انه صلى الله عليه وسلم انتزع هذا العلاج بالعسل من وحي الله
تعالى لحرم من يحرمها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس
والصحيح من قوله فيه انه عائد على العسل بدليل هذا الحديث
وبانه لم يسبق الا ذكر لغيره وهو مروي عن ابن عباس وابن مسعود
والحسن وقتادة وقال الجاهر هو عائد الى القرآن والاول اولى
لما ذكرناه قال الشيخ رحمه الله ومقتضى الآية ان العسل فيه
شفاء ما لا كل شفاء لانه شفاء نكرة في سياق الاثبات والعموم
فيما ما تفاق اهل اللسان ومحققي اهل الاصول لو لم تقم قرينتها
كائنة من اهل الصرف في العزم على العموم وقالوا استبشعوا من العسل
من اكل الاوساخ والادران وقالوا اشفق من علم بنزهة القرآن
وصحة التصديق والايقان وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما لا يشتكي
قرحة ولا شاكا الا جعل عليه عسلا حتى الرمل اذا خرج عليه كلاه
عسلا فعل له ذلك فقال الله سبحانه وتعالى يقول فيه شفاء
للناس وروي ان بعوضة وقعت في عين الاشجعي رضي الله عنه فرمض فعل له
الاطباء فقال استوني بما فقال الله تعالى يقول وانزلنا من السماء ما
مباركا فقال استوني بعسل فقال الله تعالى يقول فيه شفاء للناس فقال
استوني بزيت فقال الله تعالى يقول من شجرة مباركة زيتونة فجاءوه
بذلك كله فحلطهم جميعا ثم شربه فبرا وحكي ان نقاشا عمل وجنة
انه كان يتخيل بالعسل ويتمسى بالعسل ويتداوى بالعسل وهذا

كله عمل بمطلق القرآن واصله صدق النبي وصحة الايمان ٥

ومن باب ما جاء في الطاعون ٥ قوله الطاعون

رجز ارسل على من كان قبلكم ٥ قد جاء هذا اللفظ مفسرا في الرواية
الاخرى حيث قال ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم
وقد فسر الطاعون بالمرض والرجز بالعذاب والطاعون وزنه
فاعول من الطعن غير انه لما عدل به عن اصله وضع دالا على الموت
العام بالوبا على ما قاله الجوهري وقال غيره اصل الطاعون القروح
الخارجة في الجسد والوبا عموم الامراض قال وقد طعن عمر اس
اما فكان طاعونا وقد وجا قال الشيخ ويشهد لصحة هذا
قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الطاعون فقال بعثة
البعير تخرج في المراق والابط وقال غيره واحد من العلما تخرج في
الايدي والاصابع وجبث شا الله من البدن قال الشيخ رحمه الله
ان الطاعون مرض عام يطرأ عنه الموت العاجل ويسمى بالوبا
ويرسله الله تعالى نقمة وعقوبة لمن شا من عباده فيما
وتكفيرا لهم وقد يرسله شهادة ورحمة للصالحين من عباده فيما
قال معاذ رضي الله عنه في طاعون الشام انه شهادة ورحمة
لكم ودعوة نبيكم قال ابو طالب المكي يدعوه نبينا صلى الله عليه
وسلم ان يجعل فناء امته بالطعن والطاعون هذا جاءت الرواية
عن ابي قلابة بالواو وقال بعض علمائنا والصحيح بالطعن او الطاعون
بأو التي لاحد الشيئين اي لا يجمع الله عليهم قال الشيخ ويكمل لي
ان الرواتين صحيحتا المعنى وبيانه ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم
بامته المذكورة في الحديث امة الاجابة رضي الله عنهم لانه

صلى الله عليه وسلم ندعا لجميع امته ان لا يهلكهم بسنة عامة
ولا تسليط اعدائهم عليهم فاجيب الى ذلك فلا تنزعيه ببيضتهم
ولا معظمهم بموت عام لكا تعترض على مقتضى هذا الدعاء والوعاء
المذكور في حديث ابي قلابة تقتضي ان يقتي جميعهم بالقتل والموت
العام فتجيب الصرف الاول الى اصحابه رضي الله عنهم ولهم
هم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه الشهادة بالقتل في سبيل الله
وبالطاعون الذي وقع في زمانهم وهلك به تشتمل على هذا
فجمع الله لهم كلا الامرين فتبقى الواو على اصلها من الجمع
او تحمل على التنويعية والتقسيمية والله اعلم وقوله
فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم
بها فلا تخرجوا فرارا منه على ظاهر هذا الحديث عمل عمر
والصحابة معه رضي الله عنهم اجمعين لما رجعوا من سرغ حين
اخبرهم عبد الحديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وعائشة
عائشة رضي الله عنها الفرار من الوبا كالفرار من الزحف ولهذا
نفى بعض القدوم اخذا بالحزم والحذر والتحرز من مواضع الضرر
ودفعا للاوهام الموقعة تسويسا لنفس الانسان وايما نهى عن الفرار
منه لان الناس في الموضع الذي الوبا فيه لعله قد اخذ بحظه منه
لاشراف اهل ذلك الموضع في سبب ذلك المرض العام فلا فائدة
لفرارة بل ربما ضيف الى ما اصابه من سبب الوبا مشقات السفر
فيتضاعف الالم وتكثر الضرر فيهلكون بكل طريق ويطرحون
في كل محجة وعقبة وذلك بعلم قل ما فر احد من الوبا فسلم
ونفى من ذلك موعظة قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم

وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فخرجوا حذرا
من الطاعون فاماتهم الله في ساعة واحدة وهم اربعون الفا وقيل غير
هذا وفائدة الحادثة اخرى انه لحذر القدوم على الوبا والفرار منه
وحكي ذلك عن عمر رضي الله عنه وانه يقدم على رجوعه من سرغ وقال
اللهم اغفر لي رجوعي من سرغ وكتب الى عامله بالشام بانه
قد وقع عندهم الوبا فاكتب لي حتى اخرج اليه وكتب الى ابي عبيدة
يعزم عليه ان يقدم عليه مخافة ان يصيبه الطاعون وروي عن
سمرة بن الاسود وابي موسى رضي الله عنهم انهم مروا من الطاعون
وروي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال تفرقوا من هذا الرجز
في الشعاب والاودية وروس الجبال واختلف اصحابنا هذا القول
على ان الاجال محدودة والارزاق مقسومة معدودة فلا تتقدم
شيء على وقته ولا تتاخر شيء عن اجله فالواجب حكمه الاستسلام لله
والتسليم لامر الله تعالى لا راد لامره ولا معقب لحكمه فالقدوم
على الوبا والفرار سيان بالنسبة الى سابق المقدار وذهب بعضهم
الى ان الفرار من قضاء الله تعالى بقضاء الله تعالى محال
من اجل قدومه على الوبا وجاء من اجل مراده فالواو هنا
كهو نهبه عن الطيرة والقرب من المحذوم مع قوله لا يحذوى
ممن خرج من بلاد الطاعون او قدم عليها حان ذلك اذا اقترن قدومه
لا يعجل له اجله اخره الله وان مراده لا يوخر عنه اجله لا يحله الله
وذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه الطاعون فتنة على المقيم والفار
اما الفار فيعول الفراري يموت واما المقيم فيعول افتخرت والى كنو
هذا اشار مالك حين سئل عن كراهة النظر الى المجذوم فقال ما سمعت

منه بقوله وما اراى ما جاس النهى عن ذلك الا خيفة ان يقع
او خيفة شئ يقع فى نفسه مال النبى صلى الله عليه وسلم فى الوبا اذا
سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا
فرارا منه ٥ وسئل انما مالك عن اسلد تقع منه الموت وامراض وهل
يكره الخروج اليه فقال ما اراى باسا خروج او اقامة على وجه اشبيه
ما جاء فى الحديث من الطاعون قال ثم قال الشيخ وهذا منه
يكره سيبانى ان شاء الله فى حديث ابن عباس وقوله وحديث ابى النظر
لا يخرجكم الا فرارا منه رويناه بالنصب والرفع برفع على الرواية من رفع
مشكل لانه بغير حكم كما مره انه لا يجوز لاحد ان يخرج من الوبا الا
من اجل الفرار ومن المحال ومن نصب فمقصود الحديث من اوله الى
آخره ولما ظهر هذا الفساد فيه بعض رواه الموطا الا فرار بكسرة
مكسورة وسكون الفا وتاء مثناة من فوقها انه مصدر وهذا ليس بصحيح لانه
لا يقال خرج فرارا عيبا وانما يقال فر فرارا ومفرا كما قال
تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل وقال ابن المقفع
وهذا اسهل هذا الكلام على كثير من العلما الاعلام حتى قالت طائفة
ان ادخال الا فيه غلط وقال بعضهم اجاز اذ كما قد تزاد لا
فى مثل قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقال بعض النحويين انما
هنا للايجاب لانها توجب بعض ما نفاه من الجملة وهذا عندى من
الخروج فقال لا تخرجوا منها اذا لم يقصد خروج الفرار واما
الخروج لغرض آخر والاقوب ان يكون زائدة والصحيح اسقاطها كما
تقدم فى احد الروايات الاخر وقوله ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج
الى الشام فلما جاء سرغ بفتح السين المهملة وضم الراء وبالغين المعجمة
وهى قرية بتبوك قاله ابن حبيب
قال ابن وضاح بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة وقيل بل آخر
عمل الحجاز فيه بيان ما يجب على الامام من تفقد احوال رعيته ومباشرة
ذلك بنفسه والسفر الى ذلك وان كان فى الامر ما جمع اميرنا وكان قد
عسكر الشام على اربعة امراء تحت كل واحد منهم جنود وناحية ابو عبيدة
بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابى سفيان ومعاذ بن جبل لم تمت
عمر حتى جمع الشام لصوبته وفيه دليل على اباحة العمل والولاية لمن
كانت له اهلية ذلك من العلم والصلاح اذا اعتقدوا انهم متمكنون
من العمل بالحق والصلاح به فاذا اجتمعوا ذلك حصل لهم اجراء العدل
وقوله) دعا لى المهاجرين الاولين واستشارهم دليل على استشارة
اهل العلم والفضايل وتقديم اهل السوابق وقد استشار عمر رضى الله عنه
عملا بقوله تعالى وشاورهم فى الامر وقد استشار النبى صلى الله عليه
وسلم اصحابه عمره وان كان اجمل الناس عقلا واغزرهم علما
ولكن كان ذلك ليتألفهم ولطيب قلوب اصحابه والمهاجرين الاولين
من اهل القبلتين واما من لم يسلم الا بعد تحويل القبلة فلا نعرف الاولين
والمشيخة الشيوخ وهما لغات بكسر الشين وفتحها وادخر اسمر
وبعال ارضا مشبوحا ومشايخ وهذه كلها جمع شيخ بغير زيادة الميم

قال الباجى هكذا الرواية الصحيحة
وهذا انه لا تنفى هذا الاصل
وهذا الان تعمل وانقل
بعض واصحابنا كثيرا الا
يشترط ان يريد فاقرب بعض
ولم يعمل بعضهم ان يكون
الغرض دخلت على غرض
للتقدم بما يقول شرح
واصحه عنه رشد الدين
ان هذا انه يشترط ان يريد
ان يكون الغرض الاقرب
الا بعد ان تكون الغرض
ان يحصل فيه اما لم
يكن الغرض الاقرب
الا الغرض الاقرب

فاما بين عمر بن معدي كرب واشباه وشيخان وشحه بعد النفس
فاما النبح فهي موتته نفح فاما الشيخ بعج ابيا فهو مصدر بضاخ تشيخ
وقال فيه شيخوخة ومضاجرة النبح ثم الدين هاجروا قبل النبح
بتبيير وقبل ثم سلمة النبح وفيه بعد لان الهجرة قد ارتفعت بعد النبح
واما اخرهم عن عشيرهم لتاخرهم في الاسلام والهجرة ولذا استشارهم
لشيخهم وكمال خبرتهم للامور ولما استشارهم لم يحلف عليه بل
اجره فرجع عنده رابهم ونادى في الناس اني مصبح على ظهر
اي على ظهر طريقا وظهر بعير مرتحلا فاصبحوا عليه اي ممر كلين وهذا
يدل على انه ابتدا عزم على الرجوع للراي الراجح المشيخة لما ظهر له ابتداء
ارجح من راي عمر بن معدي كرب ووجه الترجيح بعد الراي انه جمع
فيه بين الحزم والاخذ بالحذر وبين التوكل والايمان بالقدر وبيان
ذلك بحمد عمر على ابي عبيدة حين قال له افرارا من قدر الله وذلك
ان اباعبيدة ظهر له ان الاسلم الرجوع وتوكل على الله وسلم للقدر لان ما تقدر
عليه لا تجنبه منه رجوع ولا فرار ما حاء به عمر رضي الله عنه فان قال
لو غيرك قالها اي لبئة عبرك بقول ذلك القول امكانه قال لا لبئة
هذا القول بك لعلمك وعمقك واما لبئة ذلك لغيرك عمن قل علمه
وقصر فهمه لم احتج عليه فان قال لهم نفر من قدر الله الى قدر الله اذ
لا يجيء للانسان شيء الا ما قدره الله عليه لكن امرنا الله بالتحرز من
المخاوف والمهلكات وباستفراغ الوسع في التوقي من المكروهات
والحذر وجلب المنافع ودفع المضار ثم المقصر في ذلك ملوم
عادة وشرعا ومنسوب الى التفريط عقلا وسمعا وان زعم انه
المتوكل على الله المسلم لامر الله ولما سمع عمر رضي الله عنه ذلك المعنى

بالمثال لام الحق وارتفع الجدال ثم لم تبرح عمر رضي الله عنه من مكانه
حتى جاه الحق ببرهانه فحدس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بما
قاله في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فبشر بذلك عمر رضي الله عنه سرورا
عمر بذلك فحمد الله واثنى عليه حيث وافق الرأي والسمع وارتفع
الخلاف وحصل الجمع فرجع من موضعه ذلك الى المدينة سالما
موفورا وفاز في سعيه ذلك بمطلوبه مشكورا وعمر سرا بعلم الفطن
العاقل ان ذلك الاقوال التي حكيت عنه في تزجيه على الرجوع
من سرغ ومن قبله يا باحة العزم على الوبا والعزم منه
لم يحم عنه شيء من ذلك وكيف يتقدم على هذا النظر القويم
ويرجع عن هذا المنهج المستقيم الذي تطابق عليه العقل
والسمع واصحب عليه الراي والشرع هذا ما لا يشك فيه العاقلون
عنه بهم المتفقون والله اعلم وبه احكم فوائد هذا الحديث اجماع
الصحابة رضي الله عنهم على العمل بالراي والاجتهاد وقبول اخبار
الاحاد خلافا لمن دل في الاصول وقوله هذا المحل اي المدينة
يعني اسما المحل الذي لا يرغب عنه ولا يعدل بخيره عليه وان كثر
خصب البلاد واتسع حال اهلها يقال بفتح الحاء وكسرها قال في الفتح
هو الاصل المطرد ان ما كان على فعل بفتح العين الاصل
فيه ان يأتي المكان منه بالفتح الا احرفا سمع فيها الكسر مع الفتح
تنبيه قال ابو عمر رحمه لم يكفني ان اعد من جملة العلم فرض
العاكفون الا ما ذكره ابن المدايني ان علي بن زيد بن جدعان ضرب
من العاكفين الى السيالة مكان يجمع كل جمعة ويرجع مكانه ادا
جمع صادوا فرس العاكفون فقص عمات بالسيالة وذكر ابن حاتم

عن الاصمعي قال سمعت بعض البدويين من اطاعون عمواس فقال حمار اله ومضى
ما اعله نحو سعران سمع حادي بالحرة وخلفه فلن يسبق الله على حمار
ولا على ذي منقة حبار اتاني الكتف على مقدار ،، من نصح
الله اسلم السالم ،، ذكر المدائني قال لما وقع الطاعون بمصر
ه وكان عمر العزيز من مروان بحرج فارسله منزل فريه من قرى
الصعيد يقال لها سكر فمر على رسول الخليفة فقال له ما اسمك
فقال كليب بن سدرك فقال ارفه ما اراني رافعا الى العشاء حتى
ه تلك القرية فمرض وعمر عن الاصمعي قال لما وقع الطاعون الحارف
بالبصرة فنى اهلها وامتنع الناس من دفن موتاهم فدخلت السباع
البصرة على يوم المونى ودخلت سكة بني حرير فلم يسق الله منها
سوى جارية فسمعت صوت الذئب في سكتهم فانشأت تقول ،، ليلا ٢
الا ايها الذئب المناى بحره ،، بالتي ابيتك الذي فترا لنا ،،
تدأل اني قد بعينك واثني بفتية قوم ورثوني البواكيا ،،
واني بلا شيء سانتفع من مكى ،، وتشفعني من تقدمك ثانيا ،،
ومن باب لا عدوى ولا هامة ولا صفر ذكر
ولا غول لا في هذا الحديث وان كانت نفيا لما يعرفه العرب انتهى
عن الالتفات لتلك الامور والاعتناء بها لانها في انفسها
ليست بحجة وانما هي من اوهام جهال العرب وبيان ذلك انهم كانوا
يعتقدون ان المريض اذا جعل في الاضحا امرضهم واعراهم وكذلك
ه الابل فنفى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك واسكله م انهم لما وردوا
على النبي صلى الله عليه وسلم التبهة الحاملة لهم على ذلك حين قالوا فما بال
الابل يكون في الرمل كانها الظبا فيجي البعير الاجرب فيدخل

فيها فيجربها فنفى مخلهم وازاح شبهتهم بقوله واحدة وفي قوله
ممرض الاول ومعنى ذلك ان البعير الجرب الذي اجرب بعدوه
البحاح على نعم من اين جاه الجرب امن بعير آخر فيلزم التسلسل
او من سبب غير البعير فهو الذي فعل الجرب في الاول والثاني
وهو الله تعالى الخالق لكل شيء القادر على كل شيء وهذه
الشبهة التي وقعت لهاولا هي التي وقعت للطبايعيين او هي
والمعتزلة قائلوا بان الطبايعيون بتاثيرات الاشيا بعضها
في بعض وايجادها اتفاقا بما رسموه المؤثر كهيئة وقالت المعتزلة
بحصول ذلك في افعال الحيوانات والمتولدات وقالوا ان قدرة مؤثرة
فيها بالايجاد وانهم خالقون لافعالهم مستقلون لاختراعها
واستدلوا بالعقل من ذكر للمشاهده الجسيمة وربما تشوا من ذكر
ذلك الى انكار المعجزات وسموا اسم علة ما حش وسببه اسم التبس
عليهم ادراك الحس بادراك العقل فان الذي شاهدوه انما هو تاثير
شيء عند شيء آخر ومجاورة الجسم اما تاثيره فيه فلا يدرك
ه بالعقل فان الحس انما ادرك وجود شيء عند شيء وارتفاعه
عنه اما الجاذبة فليس للحس فيه تدخل واما المتقاربات
في الوجود على حاله واحدة فالعقل هو الذي يفرق بحكم تلازم
بعضها بعضا وبحكم تلازم بعضها بعض عادة مع جواز التبدل
عقلا ولهذا سئل من قال من العقلا النهار الفضلا اماك
والانخداع بالوجود والارتفاع واستفاد الكلام على بطلانهم
الكلام وفيه دليل على جواز نشاة من يعتقد له بعض
ه اعتقاده لذكر البرهان العقلي اذا قام السائل اهلا لفهمه

معنى والصفر

ما اصل القصور فيما يجوز ان تحمله عقولهم من الامور الاقناعيات ه
والطيرة قد مضى الكلام فيها في الصلاة وياتي ان شاء الله ه والصفر
باخير المحرم الى صفر وهو النسآ الذي كانوا يفعلونه والى هذا ذهب
مالك وابو عبيدة وصل يهود ود في البطن يصح عند الجوع كانت
العرب تزعم انه تعدي الجرب وانشدوا

لا يبقي لما في القدر تركته ولا تعض على شرسوه القدر

والى هذا ذهب سفيان وابن عيينة وابن جبير وهو اختيار ابي عبيد
والهامة شئ دليم طاير تشاءم به العرب فاذا سقط في دار
احدهم راها ناجية له نفسه او واحدا من اهله والى هذا ذهب المفسر
ذهب مالك وصل كانت العرب تعتقد ان عظام الميت او رأسه
ينقلب هامة تطير وسمي ذلك الطاير الصدا قال لبيد

هامة

فليس الناس يعتدك في نعيم ولا بؤس غبرا صدا وهام ه قال
ابو عبيد الله اما اليوم فلا ينفي منه الهامة والدرسمي
الصدا قال الشيخ وهذا يشعر ان ابا عبيد الله وقع له في هذا
الحديث ولا يوم فقسره بما قال ولم يقع في كتابه سلم الا قوله ولا نوء
اي لا تصح نسبة الامطار والرياح للنوء وقد تقدم تفسيره في الايمان نوء
والغول كانت العرب تحدث ان الغيلان تتراءى للناس في الفلوات غول
فتتغول لهم تغولا اي تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم
قال الجوهري الغول بالضم من السعالى والجمع اغوال وخيلان وكل
ما اغتال الانسان فاهلكه فهو غول يقال خانته غوله اداوقع في مهلكة
ومقصود هذا الحديث ابطال ما كانت العرب تقوله وتعتقده وغيره الامور
وان لا تلتفت لشئ من ذلك لا بالقلب ولا باللسان والله اعلم ه

ومن باب لا يورد ممرض على مصح

الورود هو الوصول الى الما
واورد ابله اذا اوصلها اليه فصاحب الابل مورد والابل مورودة
وممرض اسم فاعل من امرض الرجل اذا اصاب ماشيته مرض قاله
بعقوب ومصح اسم فاعل من اصح اذا اصاب ماشيته عاهة
وصححت ماله الجوهري وقد جمع ابو هريرة رضي الله عنه في هذه
الرواية بين قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى وبين قوله لا يورد
ممرض على مصح وهو جمع صحيح لا تعارض فيه اذ كلاهما خبر عن امر وجد
لا خبر عن الوجود. وقوله لا عدوى اي لا يجوز اعتقاده وما
لا يورد ممرض على مصح اي لا تفعل ذلك وهما خبران تتضمنان النهي
عن ذلك وانما نهى عن ايراد الممرض على المصح مخافة ان يقع
فيما وقع فيه اهل الجاهلية من اعتقاد ذلك او مخافة تنوس
النفوس وما يثير الاوهام ونحو امره صلى الله عليه وسلم
بالفرار من المجذوم فانا وان كنا نعتقد ان الجذام لا يعدي فانا نجد
من انفسنا نفرة وكراهة لذلك حتى اذا اكره الانسان نفسه على
القرب منه وعلى مجالسته تألمت نفسه وربما اذت بذلك وعرضت
تحتاج الانسان في هذا الى مجاهدة شديدة ومكابدة ومع ذلك
فالطبع اغلب واذا كان الامر بهذه المثابة فالاولى بالانسان
الا يقرب شيئا يحتاج الانسان معه الى هذه المجاهدة ولا يتعرض
معه الى هذا الخطر والتعرض لهذا الالم زاعما انه مجاهدة نفسه
حتى تزيل عنها تلك الكراهة هو بمنزلة من ادخل على نفسه مرضا
ارادة علاجه حتى تزيله ولا شك في نقص عقل من كان على هذا
وانما الذي يليق بالعقلا وبما سبب تصرف العقلا ان يباعد اسباب الالم

وروى الترمذى عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا
خرج لحاجته يحب ان يتبع بالماء يعنى بالنجو وهو حديث حسن صحيح غريب
وروى ابو داود عن بريدة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شئ
وكان اذا بعث عاملا سأل عن اسمه فاذا اعجبه اسمه فرح به ورئى
البشر ذلك فى وجهه وان كره اسمه رئى كراهية ذلك فى وجهه
واذا دخل قرية سأل عن اسمها فاذا اعجبه اسمها فرح بها ورئى البشر
ذلك فى وجهه وان كره اسمها رئى كراهيته ذلك فى وجهه وروى قاسم
بن اصبغ عن بريدة بن حصيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يتطير ولكن يتفأل وكان يحب بريدة فى سفر راكبا من اهل بيته سر فى
سفر يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم من انت فقال بريدة فالتفت الى ابى بكر رضى الله عنه فقال برد
امرنا وصلح ثم قال ممن قال من اسلم قال لابى بكر سلمنا ثم قال ممن انت
سهم قال خرج سهمنا ودق الحرش وانما كان يعجبه الفال لانه تنشرح
له النفس وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الامل ويحسن الظن بالله
عز وجل وقد قال الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانما كان يكره
الطيرة لانها من اعمال اهل الشرك ولانها تجلب خوف السوء بالله تعالى
كما روى ابو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثا وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل
اى من اعتقد فى الطيرة ما كانت الجاهلية تعتقده فيها فقد اشرك مع الله
تعالى فانها آخرون لم يعتقد فقد تشبه باهل الشرك ولولك قال وما منا
اى لبس فى ستثنا وقوله الا هى الا الاستثنائية ومعنى ذلك ان المنظر
لس على نفسه النبى صلى الله عليه وسلم الا ان يعفى لوحمه ويغير عنها بغيره

ركتاب طرق الاوهام والتحفظ من مجانبة ذلك وكل ممكن يقع علمه
بانه لا يخلى خبر عن قدر فى مجموع الامرين وردت الشرائع وتواقفت
على ذلك الاصول والطبايع واما سكوت ابى هريرة عن قوله
لا عدوى وايراد الحديث من غير ابداء ممرض على مصح بعد ان روت
مجموعهما فلا يجوز ان يعتبر من باب النسخ كما قدره ابو سلمة بن عبد الرحمن
لاستحالة التعارض بينهما اذ الجمع محكم كما قدمناه بل الواجب ان يعتقد
انهما خبران شرعيان عن امرين مختلفين لا تعارض فيهما يخبر بعضهما
عن احكام الصلاة واخر بعضهما عن احكام الطهارة مثلا
ولعلنا وجه تباين الخبرين وعلى هذا فسكوت ابى هريرة يحتمل
ان يكون احدهما احد السببان المتقدم كما قال ابو سلمة واثانيهما انهما
كانا خبرين متعابرين لا ملازمة بينهما فاز المحدث ان يحدث باحدهما
ويسكت عن الاخر حسب ما تقتضيه الحاجة الحالية وبالجملة ان يكون
حامله احتمل بعضهما فتاقضى وسكت عن احدهما حتى اذا اتى
من ذلك حدث بهما جميعا ورايهما ان يكون حمله على ذلك وجه تخيير
وقد ذكرناه لم نطلع على احد وعلى الجملة وقل ان يجهل عمران الذى
يقطع بتقديمه النسخ على ما قررناه والله اعلم **وهنا باب**

الفال الحالح قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى وحسنها الفال ٥
حاصل الطيرة ان يسمع الانسان قولا او يرى امرا يخاف منه ان لا يحصل
له غرضه الذى قصد تحصيله والفال بقيض ذلك وهو ان يسمع الانسان
قولا حسنا او يرى شيا يستحسنه ويرجو منه ان يحصل له غرضه الذى
قصد تحصيله وهذا معنى ما فسره به النبى صلى الله عليه وسلم الفال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الطيرة ويحب الفال ٥

لا تقدر على الانعقاد عنها بحيث لا تخطر له مرة واحدة فان ازالة
تاثيرها من الوسوسة لا تدخل تحت استطاعتنا ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم حديث معروف من الحكم لما قال له ومنا رجال تتطير ومعال
ذلك شيء يجدونه في نفوسهم فلا يصدنهم وفي بعض النسخ فلا يضرهم لانه
اذا لم تفوضه الى الله وتتوكله عليه وداوم على ذلك اذهبه الله
ذلك كله ولذلك قال ولكن الله يذهبه بالتوكل وقد روى ابو احمد بن عدي
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا تطيرتم
فامضوا وعلى الله توكلوا والشوم تقبض اليد وهو من باب التطير
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا طيرة انما الشوم في ثلاثة المراة والفرس
والدار وقد تخيل بعض اهل العلم ان التطير هذه الثلاثة مستثنى
من قوله لا طيرة وانه مخصوص بها فكانه قال لا كراهة الا في هذه
الثلاثة فمن تشاءم بشيء منها نزل به ما كرهه من ذلك وعن صار الى
هذا القول ابن قتيبة وعضد هذا بما روى عن ابي صلى الله عليه وسلم
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال الطيرة على من تطير وقال ابو عمر الله
ان مالكا اخذ بحديث الشوم في الدار والمراة والفرس وحمله على ظاهره
ولم يتاول له وذكر في كتاب الجامع من العتبية انه قال رب دار سكنها
قوم فهلكوا واخرجوا بعدهم فهلكوا فاشار الى حمل الحديث على ظاهره
وبعضهم هذا الحديث كما من سعيد قال جاءت امراة الى ابي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله دار سكنا ها والعدد كثير والمال وافر فقل العدد
وذهب المال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها ذميمة قال
رحمه الله ولا تكن من قال هذا القول ان ابى رخص فيه من الطيرة بهذه
الثلاثة الاشياء هو على نحو ما كانت الجاهلية تعتقد فيها وتعمل بخبرها

ما شاء كانت لا تعدو على ما تطيرت به ولا تعمله برحمه بناء على ان الطيرة
تضر فقط فاريد ان تخبر ان ذلك وانما تعني بذلك ان بعد الثلاثة اكثر
اكثر ما تشاءم الناس بها الملازمتهم ايا ها ممن وقع بنفسه شيء من ذلك
فقد اباح الشرع له ان يتركه ويستبدل به غيره مما تطيب به نفسه
ويسكن اليه خاطره ولم يلزمه الشرع ان يصبر على مكروهه
او مع امراة يكرهها بل قد صح له ان يطلق ذلك كله لكن مع اعتقاد
ان الله تعالى هو الفعال لما يريد وليس لشيء من هذه الاشياء اثر في الوجود
وهذا على نحو ما ذكرناه في المجذوم فان فعل هذا يجري مجرى كل متطير
به مما رحمه خصوصية هذه الثلاثة بالذكر فالجواب ما تشتمل
عليه من ان هذه ضرورية في الوجود ولا بد للانسان منها ويكثر
استعمالها فاكثر ما يقع التشاؤم بها فخصها بالذكر لذلك
فان قيل فما الفرق بين الدار وبين موضع البول فان الرجل قد يضع في
نفسه في الارتحال عنها وموضع البول قد يضع من الخروج
منه فالجواب ما قاله بعض اهل العلم ان الامور بالنسبة الى
هذا المعنى بالثلاثة اقسام احدها ما لم يقع التاذي به ولا تكررت
عادة به حاضرة ولا حاجة لا ناوية ولا منتظرة فهذا لا يضفي
اليه وقد اخبر الشرع الالتفات اليه كالذي عرف في بعض الاسفار
او صراح بومه وهو دار في مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم لا كثرة
ولا تطيروا وهذا القسم هو الذي كانت العرب تعتبره وتعمل عليه
مع انه ليس في لقا الغراب ولا دخول البيوت دار ما تضر باذى
ولا ضرورة لاحد فيه الدور ولا الاستمرار وثانيها ما ينتفع به
الضرر ولحقه ثم ولا يحق وشدد ولا ينتظر حالها وهذا الاسم

عليه تجتمل الحرم والاحتياط ولا تقرب منه لامكان ان يكون قد وصل
الضرر الى الفارس بكسر سرجه زيادة في تحنيته وتعجيلا لعلاقته
كما قدمناه وبالجملة سبب كسر لا يجبر ويلحق منه الضرر بطول
الملازمة كالدار والفرس والمراة فيباح له الاستبدال
والتوكل على الله تعالى والاجر اعني عما يقع في النفوس منشأ من اصل
الاعمال وقد رجح الخواص واسر الموفق للصواب وقد سلك العلما
في تاويل ذلك الحديث اوجها اخر منشأ ان بعضهم قال انما سر منه
صلى الله عليه وسلم خبر عن غالب عادة ما تتشاءم به لا انه خبر عن
الشرع وهذا ليس بشيء لانه تعطيل لكلام الشارع عن الفوائد
الشرعية التي لاجلها ارسله الله تعالى وسلم من تاول الشوم
المذكور في هذه الاحاديث فقال الشوم في المسكن ضيقه وسوء
جيرانه وفي المراة سوء خلقها والا تلد وفي الفرس جماحه
ولا يغزا عليه وهذا المعنى لا يليق بالحديث ويسبقه الى الفهم مراد الشرع
من فهم هذه الحديث وما ذكرناه اولى والله اعلم وقوله ان يكن من الشوم
شيء حقا فهي الفرس والمراة والدار وفي الفاظ الاحاديث كان في شيء
ففي الربع والخادم والفرس يقتضي هذا السياق انه صلى الله
عليه وسلم لم يجزم بتحقق الامر المشوم بهذه الثلاثة في الوقت الذي
نطق بهذا الكلام لتحققه بعد ذلك لما قال ان الشوم في ثلاثة وقد
بينا مراده بالشوم فيما تقدم والحديث والمراد بالربع الرباع كما قال
في الرواية الاخرى وقد يجمع حمله على العموم من كل منزل فيه الدار والجار
وغيرها مما يصلح الربع له والمراة تتناول الزوجة والمملوكة والخادم تتناول
الذكور والاناث لانه اسم جنس والله اعلم وفي باب النهي عن الكهانة
واتيان الكهان الكهان جمع كاهن من كتاب جمع كاتب والكهانة

ادعاء علم الغيب وقد تكلما على حديث معاوية بن الحكم في باب تحريم الكلام
في الصلاة قال القاضي ابو الفضل الكهانة كانت في العرب على اربعة
اضرب احدها ان يكون للانسان من الجن تخبره بما استرق
من السمع وهذا النمط قد بطل منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
كما اخبر الله تعالى عليه في السماء والثاني ان يخبره بما يكون
في اقطار الارض وما يخفى بها قرب او بعد وهذا ابعد وجوده
ونفت هذا الكلة المعتزلة وبعض المتكلمين واحالوه ولا استحالة
ولا يعقل في وجوده مثله لنفسه بعد تكرر ذلك والثالث عام في جميع
الناس وهو ما يقع في النفوس والقلوب من الخواطر والهواجس
لبعض الناس بشره قوة لهذا الضرب في هذا الثالث اعلى قال
ومن هذا الثاني الضرب الخرافة وصاحبها عرّاف وهو الذي يستدل على
الامور بامارات ومقدمات يدعي معرفتها وقد يقتضي بعض
اهل هذا الفن في ذلك بالزجر والضرب والحروف واسباب
معتادة في ذلك وهذا الفن هي الحيافة بالتاء وكلها مكلوف
عليها اسم الكهانة قال الشيخ رحمه الله واذا كان في كل هذه الانواع
عن عيب للخبر واحراز وما يأخذ على ذلك حرام والاخلاف فيه
لانه خلوان الكاهن الذي يحسن له اجر ويجعل من على الحسبة
ان يتعلم من الانسان وشر علمهم اشد البشر ولا يدع احدا يسمع
لذلك وان ظهر صدق بعضهم في بعض الامور فليس ذلك بالذي يحرضهم عن
الكهانة فان ذلك الكلمة اما خطفه جني او وافقه قدر فيتفق له بعض
الحيان ولهذا لم يخرج كثير من المتسببين للفقه والدين فجاوا الى هذا ولا
الصنعة والعرافين ممن رجوا علمهم بالمحال واستحوذ على اسم الاموال

يحملوا من اقوالهم على السراد والآ لدين اذ بانهم على الفساد
والضلال (قوله) تلك الكلمة لحكمها الخبيث فقد صاغى اذن وليه
اى يريد بها فى اذنه وتسمعه اياها وفى الرواية الاخرى فتقر بها
فى اذن وليه قر الدجاجة اى بضعها فى اذنه يقال قرز الحنش
فى اذنه اقره قرا وصح ان يقال لها فى اذنه يقال قر الطائر
صوته وقر الدجاجة بكسر القاف حكاية صوتها قال الخطابى
قرت الدجاجة تقر قرا وقربرا واذا رجعت فيه قيل قرقرت
قرقرة وقرقر قرقرا قال الشاعر

واذ قرقرت بها حاجة القوا قرقر بوقاها قال والمعنى ان الكلمة
الخبيثة اذا ولجت اذن من يتحدث بها السباحص كما تولج
الدجاجة صوتها حواجبانها فتتخاوص قال الشيخ والاشبه بسياق
الحديث ان يكون معناه ان الخبيث يلقى الى وليه تلك الكلمات بصوت
خفى سترا جع بذلك مروءته ويرجعها له كما يلقيها الشيطان للناس
فاسمع يسمع لمروءة او اسماع وترجيع على ما علم من حال السمع
بالمشاهدة وبالعقل وان لم تختلف احرف ما رواه مسلم ان الرواية فى
هذا اللفظ قر الدجاجة يعنى به الطائر المعروف واضافه
عن البخارى فقال بعض رواته فقر الدجاجة بالزاى قال الدارقطنى
هو مما تحمقوا فيه والصواب الدجاجة بالدال وقيل الصواب الدجاجة
بدليل ما ورد فى البخارى تبيض فيها فى اذنه كما تقر الفارورة ويعنى
الدجاجة اى كما يسمع صوت الدجاجة اذا حثت على شئ او التى تبيض
ما اوشى (قوله) من اتى عرافا لم تقبل له صلاة اربعين يوما العراف
هو الذى يدعى المنجم الذى يدعى الغيب وهذا يدل على ان اتيان العرافين

غير حرام وكبيرة وكبائره اصلانه وهذه الاربعين تحبط وتتكفل وهو خارج
على اصول الخوارج الفاسدة فى تكفيرهم بالذنوب وقد بينا فساد هذا
الاصل فيما تقدم وانه لا تحبط الاعمال الا بالردة واما محوها بالحسنات
فبكل السيئات كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا مذهب
اهل السنة والجماعة فليس معنى قوله لا تقبل له صلاة ان تحبط
بل انما معناه والله اعلم انها لا تقبل بمعنى الرضا وتضعف الاجر
لكنه اذا فعلها على شروطها الخاصة بها فقد برئت ذمته
من المطالبة بالصلاة وتنفتح عن عهدة الخطاب بها وتحوله
حول المرض عنه واجزاءه وثوابه وبتنح دلك باعتبار ملوك
الارض ولله المثل الاعلى ودلك ان المتقرب اما مردود عليه
او مقبول منه والمقبول اما معجل مثاب ولما ليس بمعجل
هو المعجل المطرود والثانى هو المقبول المعجل الخالص الثالث
لا يصدق عليه انه مقبل الاول فانه لم ترد بعد منه بل قد التفت اليه
وقبل منه لكنه لما لم يثب ولم يقرب صار كانه غير مقبول منه
فيصدق عليه انه لم يقبل منه اذ لم يحصل له ثواب ولا اكرام
وتخصيصه صلى الله عليه وسلم الاربعين بالذكر قد جاء فى مواضع
كثيرة من الشرع منها قوله وشارب الخمر لا تقبل له صلاة اربعين
يوما وقوله والذى نفسى بيده انه ليجمع خلق احدكم فى بطن امه
اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك وقوله
من اخلص لله اربعين صباحا تنابيع الحكمة من قلبه على لسانه ومنه
قوله تعالى وواعدنا موسى اربعين ليلة ومنه توقيته صلى الله عليه
وسلم فى قص الشارب وتقليم الاظفار وحلق العانة الا بعد اكثر

مراد من لبله فتخصص بهذه المواضع بهذا العدد الخاص هو سر
من اسرار الشريعه لم نطلع عليه نقا عسر انه قد تتم منه بعض
علمائنا امر انشد في النفس اليه ودلك انه قال ان هذا العدد في هذه
المواضع انما خص بالذكر لانه مره يشمل فيما ما ضربت له فينتقل
الى عشره ويحصل فيما تنزله وبيانه ما تتعال اطوار الخلقه في كل
اربعين منها وتحمل فيها طور فينتقل عند انتهائه الى عشره كما
قد نص عليه في الحديث وذلك في الاربعين المتعاقبه وقد أشير
تفيئتهم لسماع كلام الله تعالى وتحمل لهم ذلك عند انتهائها
وصل ذلك الى الاربعين الاخلاصيه واما اربعون شارب الخمر فليتبدل
لهم شارب الخمر بعشره وسببه ان اصل الخمار فالوان الهم تتكسر
في الحيوان في اربعين يوما وقرب من هذا الاربعون المفروضة لحمال
النطفه لاسماء عند انتهائها تحمل وحشتها واستقذارها فينبغي
ان تغير عن حالها واما اربعون اتيان العراف فلا سماء والله اعلم
الحكمه التي تنتهي السماء تثير ذلك المعصيه في قلب فاعلها وفي
جوارحه وعند انتهائها تنتهي ذلك التاثير والله العليم الخبير
ومن باب رمي الشياطين بالنجوم قوله اذا قضى امرا تتم حمله العرش اي اصدر قضاءه وما حكم به الملائكه الا قضاءه
انما هو راجع الى ما سبق في علمه ونفوذ مشيئته وحكمه ومعنى ازلبان
اذا اكلم حمله العرش على ما سبق في علمه خضعت الملائكه لعظمته
وهجمت بتسبيحه وتقديسه فسمع ذلك اهل السما الى تليهم وهكذا
ينتهي التسبيح للملائكه سما الدنيا ثم يتساءلون فيما بينهم ماذا قال
ربكم على الترتيب المذكور في الحديث فقد ساءل على ان حملة العرش

افضل الملائكه واعلاهم منزلة وان فضايل الملائكة على حسب
مراتبهم في السماوات وان اقل منهم لا يعلمون شيئا من الامور الا بما
يعلمهم الله تعالى به كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وفيه ما يدل على ان علوم
الملائكه كلها ليست بمنزله بعضهم من بعض الا حمله العرش
فانهم بمنزله وزير وملك عظيم من الخلق تعالى ما بينهم المتعاونين
بالاعلام او لانهم ان ملائكه كل سما بمنزله وزير من الذي فوقها
على ان المخلوق لا يعرف شيئا من علم الغيب والقضاء ولو كان كذلك
لكانت الملائكه اعلم بذلك واحق به وكل ما تتعاطاه المنجمون
من ذلك فليس شيء منه علما يقينيا وانما هو حدس وتخمين وتعليم
الاصابة فيه نادره والكذب فيه غالب وهذا شاهد
من احوال المنجمين والمطلوب من العلوم النجوميات ما يحتاج
به في الاهتداء في الطرق ومعرفة الاوقات وما سوى ذلك فمخارق وترهات
ويبقى في الرد عليهم تخريص واضطراب فوليس وهذا تتفق
الشرايع على ان ادعاء علم الغيب محرم مذموم وقوله ولكنهم
تقرفوا منه ويزيدون بهذا عذابا على ما هم فيه من التقرف وهو
التلبك قاله صاحب الافعال اي يخلطون معها من الكذب ورواه
يونس بن حبيب يقرفون بضم الياء وفتح الراء وتشديد القاف وروى السمح
يقرفون بضم الياء وتسكين الراء وكسر القاف اي يقولون ما لا
يرقى ويلان على الباطل اي تقوله وهو من الرقي وهو الصعود
اي انهم يقولون فوق ما سمعوا قاله القاضي عياض وقوله حتى
اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قرأه ابن عامر وبعقوب

تشريع عن قلوبهم مبنيا للفاعل وضمير يعود على الله
تعالى اى ازال عن قلوبهم الفزع وسرا على نحو قولهم مرضت
المريض اذا عالجته فازلت مرضه وقراءة الجماعة فزع بضم الفاء
مبنيا للمفعول الذى لم يسم فاعله اى ازيل عن قلوبهم الفزع
وهو الذعر على قلتا القراءتين قال ثعلب اذا قلت الله لاقلبه
صرت للاثبات فجئت بها وفرقت فزعا منه قالوا فما بينهم
ساذا قال ربكم وقوله قالوا الحق بالنصب على انه لغة لمصدر
محذوف اى قال القول الحق وهو مفعول مطلق لا مفعول به
لان القول لا تتعدى الا الى الجمل فى اكثر قول الخوسين وقوله وهو
العلى الكبير اى العلى شانه الكبير سلطانه قال السمرقندى رحمه الله
وهذا التفسير هو الموافق لهذا الحديث فيتعين ان يكون هو المراد
من الاية وللمفسرين اقوال اخر بعيدة عن معنى الحديث اعرضت
عنها لذلك فمن اراد ها وجدها فى كتبهم كتاب الرؤيا
قوله الرؤيا من الله والحلم من الشيطان ه الرؤيا مصدر رأى
فى المنام رؤيا على وزن فعلى وايثر الثانية بالياء لان لام فعله واو
والرؤية مصدر راى بعينه فى اليقظة ورؤيه هذا المعروف فى
لسان العرب وقال بعض العلماء ان الرؤيا قد تجئ بمعنى الرؤية وتحمل
عليه قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس
وقال انما يعنى رؤيه النبى صلى الله عليه وسلم فى الاسراء اراه الله
من عجايب السموات والملكوت وقال الاسراء من اوله الى اخره
فى اليقظة وقد ذكرنا هذا فى باب الاسراء من كتاب الايمان والحلم
بضم الحاء وسكون اللام مصدر حلم بضم الحاء واللام اذا راى فى منامه

رؤيا وحلم بمعنى احتلام فى التنزيل وفى الكثرة حلوم وانما جمع وان كان
مصدرا لاختلاف انواعه وهو فى الاصل عبارة عما يراه الرائى فى منامه
حسنا كان او قبيحا وقد يراد به النبى صلى الله عليه وسلم بعض ما
يثيره وما لا بد منكم على ما ياتى ان شاء الله تعالى فاما الحلم بضم
الحاء فهو مصدر حلم بضم اللام يحلم اذا صلح وتجاوز حتى صار له
ذلك سجية غريزة وحلم يحلم بكسر اللام فى الماضى وفتحها فى المضارع
فى الدنيا فهو وتثقيله خطيه يقال منه حلم الادم بكسر اللام يحلم بفتحها
اذا صار ذا حلم وقد اختلف الناس فى كيفية الرؤيا قديما وحديثا فقال
عمر المتشرعين اقوالا مختلفة وصاروا فيها الى مذاهب مضطربة
فتحيرت عن البرهان فاشبعت الاذهان وسبب ذلك التخليط
العظيم الامر اض عما جاء به الانبياء من الطريق المستقيم وبيان
ذلك ان حقيقة الرؤيا انما هى من ادراكات النفس وقد بحثنا
على حقيقتها واذا علم ذلك علم الطريق الموصل الله فان احرى
واولى ان لا تعلم ما عجزت عنا من ادراكاتنا بل نقول انا لا نعلم
حقيقة كثير مما ادركته لنا جملته من ادراكات الحس السمع
والعين والاذن وبحسب ذلك فانا انما نعلم منها امورا جملية لا تفصيلية
واوصافا لازمة او عرضية لا حقيقية وسبيل العاقل ان لا يحكم
فى معرفة عالم لم ينصب له عليه دليل عقلى ولا حسى ولا مركب منهما الا
ان يخبر بذلك صادق وهو الذى دل الدليل القطعى على صدقه وهم الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم فما علموا دلت على صدقهم دلايل المعجزات
واذا كان ذلك فسبيلنا ان نعرض عن اقوال المتقصين ونتشاغل

راسه راس الانسان وجسده بجسد الفرس مثلا وله جناحان او غير
ذلك مما يمكن من التركيبات الى لا يوجد شئ منها فى الوجود ان كانت
اضغاث احلام اخبر انها فى الوجود الخارجى وانما قال ذلك اعلاما على
ما قال او يكون لانه يعنى به الرويا الصحيحة المنتظمة المواقعة
على شروطها على ما مانى ان شاء الله تعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قد ذكر انواع الرويا فى حديث سنى من حديث ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا ثلاث
فرويا حق ورويا يحدث الرجل نفسه ورويا تحزين من الشيطان
وذكر الحديث فرويا الحق هى المنتظمة التى لا تخليط فيها وقد فسر
فيما مضى ورواه احمد فى اواخر الصلاة وهى التى اذا اصرت من
الانسان الصالح خبر من اجزاء النبوة اى جعله من خصال الانبياء التى
هى علوم الوحى من الله تعالى واما الثانية فهى التى تكون عن
احاديث النفس من توالى به وشهوات غالبة وهموم لازمة بنام
عليها فترى ذلك فى نومه فلا الفات الى هذا وكذلك الثالثة فانها
تخزين وتهويل وتحويف من الشيطان على الانسان
فى نومه ليشوش نفسه ويتركه من ان الشيطان فى هموم
النفس والبقيات الشيطان فى منام واحد فهو اضغاث
احلام لا امتثال فيها والصفث هى القبضة من الحشيش المختلط
وقوله من الله اى بشرى من الله او تحزير وانذار وقوله والحلم
من الشيطان يعنى به ما يلقيه مما يهول او يخوف او يحزن به وهذا
النوع هو المامور بالاستعاذة منه لانه من تخييلات الشيطان

بالبحث عن ذلك فى كلام الشارع والمتشرعين قال الامام ابو عبد الله
المذهب الصحيح ما عليه اهل السنة وهو ان الله سبحانه وتعالى خلق
فى قلب النائم اعتقادات كما خلقها فى قلب اليقظان وهو قادر
ان يفعل ما شاء وما منعه من فعله نوم ولا يقظة وقد اجاز
فعل هذه الاعتقادات تعاقبا على امور اخر خلقها فى ثانى حال
او كان قد خلقها وقال خبره ان الله تعالى يلقى ما مر فلا يعترض
المريبات على المحل المزدرد من النائم فيتمثل له صورا محسوسة
مثاره يكون بتلك الصور امثلة موافقة فى الوجود وثاره يكون
امثلة لمعانى معقوله غير محسوسة وفى الحالتين يكون مبشرا
ومنذرا قال الشيخ رحمه الله وهذا مثل الاول فى المعنى غير
انه زاد عليه قضيه المثل وحتاج فى ذلك الى توقيف من الشرع ويجوز
ان يخلق الله تلك التمثيلات من غير ملك وعلى ان الرويا ادراك امثلة
منتضبة فى التخيل يعلمنا الله اعلاما على ما كان او يكون وهو
اشبه بما قيل فيه قال الرويا ادراك مع ان النوم ضد الادراك
فانه من الاضداد العامة كالموت فلا يجتمع معه ادراك قال الجواب
ان الجزء المزدرد من النائم لم يحله النوم فلم يكتمع معه بعض
العين نائمة والقلب يقظان كما قاله النبى صلى الله عليه وسلم ان عينى
تنامان ولا ينام قلبى واما قال منتضبة فى التخيل لان الرائى لا يرى
فى منامه الا من نوع ما ادركه فى اليقظة بحسه غير انه قد يركب
المتخيلات فى النوم تركيبا لا حاصل له مما صوره لم يوجد لها
مثال فى الخارج يكون علما على امر ما وقد يرى فى نومه موجودا

وتشويشاته فاذا استعاذ الرائي منه صادقا والتجأ به الى الله تعالى
وتفث عن بساره وتحول عن جنبه كما امره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث اذهب الله عنه ما اصابه وما يخافه من شروره ذلك ولم يضره
منه شيء بمعرفة صدق الالتجاء الى الله تعالى وامتثال اوامر رسوله
صلى الله عليه وسلم وعلى سر الحديث قوله فاذا رأى احدكم ما يكره
انما يعني به ما يكون سببه الشيطان وعلل الخبر بحكم محمومه
تتناول ما سببه الشيطان وما لا بسببه مما يعرفه الراوي ويكون
معل هذه الامور كلها ما يعاني من وقوع ذلك المكروه كما قال
ان الرعاية مع الصلاة والصدقة تدفع ميتة السوء وكل ذلك مقضاء الله
وقدره ولكن الوسائط والاسباب عادية لا موجبة وفائدة
امره بالتحول عن جنبه الذي كان عليه ليتكامل استيقاظه وتنظيمه
عن ذلك المنام المكروه وفائدة الامر بالصلاة ان يحمل الرغبة ويمنع الكسل
فان اقترن ما يكون للعبد من ربه وموساجر وقول اي سلمه فما بالينا
اي ما التفت اليها ولا القى لها بالا اي لا احكر ما على وثوقي بالله
وما امر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن باب اضرقتم
رؤيا اضرقتم حديثا ه قوله اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم
تكذب معلل باقتراب الزمان بوجوه احدها تقارب الليل والنهار
والاعتدال وهو الزمان الذي تتفتق فيه الازهار وتينع فيه
الثمار وبموجب صدق الرؤيا في ذلك الزمان اعتدال الامزجة فلا
يغلب في النهار اضغاث الاحلام فان من موجبات التخليط مما غلبه
بعض الاخلاط على صاحبه وثانيها ان المراد بذلك آخر الزمان
المتقارب للقيامة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق معمر عن

ايوب عن ابن سيرين عن ابي هريرة انه قال في آخر الزمان لا تكذب
رؤيا المؤمن قال البيهقي وبعني والله اعلم بآخر الزمان المذكور
في هذا الحديث زمان الفترة الثانية بعد عيسى صلى الله عليه وسلم
بعد قتله الدجال المذكور في حديث عبد الله بن عمرو الذي قال فيه
فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم ثم يمكث في الارض سبع سنين ليس بين
اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه
الارض احدا في قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان الا قبضته فقال
اهل هذا الزمان احسن هديه الا زمنه بعد الفترة المتقدم
حلالا واصرمهم اقوالا وافعالا ورؤيا لم تكذب كما قال صلى الله
عليه وسلم اصدقهم رؤيا اصدقهم حديثا وكما قال رؤيا الرجل الصالح
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قوله لم تكد رؤيا المؤمن تكذب اي لم تقارب
الكذب وقد دللنا على كاد واخواتها من الافعال المقاربة فيما تقدم قوله اصدقهم رؤيا اصدقهم حديثا انما كان ذلك لان كثير
مما يقدم تتنور قلبه وتقوى ادراكه فما تشتبه من المعاني على وجه
الصحة والاستقامة وارجا فان من غلب عليه حاله الصدق وملكته
استحب ذلك في نومه فلا يرى الا صدقا وعكس ذلك الكاذب
والمخلط يفسد قلبه وفهمه ولا يرى الا تخليطا واضغاثا لسوء حاله
قال كل واحد من الفريقين ومن هذا يرى الصادق الا نبياء والكاذب
ما هو دون ذلك فتامل الاصل ما ذكرناه قوله رؤيا المسلم
جزء من ستة واربعين جزءا في رواية عن ابي هريرة رؤيا الرجل الصالح
جزء من ستة واربعين وفي اخرى عنه انها رؤيا الصالحة وفي رواية رؤيا
الرجل الصالح سنة واربعون جزءا من النبوة وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما

الرويا الصالحة جزء من سبعين وفي حديث ابن مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما
عنهما جزء من اربعين وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جزء من سبعة
واربعين وفي حديث العباس رضي الله عنه من حميد وعن انس رضي الله عنه من
ستة وعشرين وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه من اربعة واربعين
قال ابو عبد الله المازري والاكثر والاصح عند اهل الحديث من ستة
واربعين وحكي عن بعض الناس انه نزل هذا الحديث بعد الرواية
على مدة الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ودلك انه صلى الله عليه وسلم اقام
يوحى اليه ثلاثة وعشرين سنة منها ستة اشهر يوحى اليه في نومه
وذلك في اول امره وقد اعترض عليه بان هذه المدة لم يحم نقل تحديدها
ولا هو معروف فتقديره تحكم قال الشيخ رحمه الله اقدر الذي
اختلفت الرواية فيه من هذا الحديث امران احدهما من اضيفت الرويا
اليه فتارة سكت عنه واخرى قيل فيه المسلم وفي اخرى المؤمن
وفي اخرى الصالح وهذا الامر الخلاف فيه راجع الى الامر الثاني
وذلك انه حيث سكت عنه لم يفسر المعبر عنه مع العلم بان الرويا
مضافة الى رائيها فاذا صرح به في موضع آخر وهو المعنى اذا حدث بها
به فالمراد به واحد وان اختلفت الالفاظ وذلك ان الرويا لا تكون
من اجزاء النبوة الا اذا وقعت من مسلم صادق صالح وهو الذي يناسب
حاله حال النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر بنوع مما اخبر به الانبياء
وهو الاطلاع على شيء من علم الغيب كما قال صلى الله عليه وسلم انه لم يبق
من مبشرات النبوة الا الرويا الصادقة يراها الرجل الصالح
او ترى له قال الشامي والكاذب والمختلط وان صدقت رويا هم وبعض
الاوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة اذ ليس كل من صدق رويت

ممن تجب به بعض ثمرة ذلك النبوة وقد قدمنا ان الحاصل بخبر يفيد العلم
وكذلك الفهم فقد تحرس بعض الناس على الشر وعلى القلة وقد ذلك
الحاصل والفاسق والكاذب وقد يرى المنام الحسن ويكون ذلك المنام
سببا في شر يلحقه او اخبر ينالك الى غير ذلك من الوجوه المعتبرة
المعروفة به وقد وقعت لبعض الناس رؤيا منامات صحيحة صادقة
كمنام الملك الذي سمع بقرات وسنام الفتيين في السجن ومنام
عائشة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حاضرة وغير ذلك كثير
لكن ذلك قليل بالنسبة الى منامات الخلق والغالب عليها
الامر الاول واما الامر الثاني وهو اختلاف عدد اجزاء النبوة
التي جعلت رويا الرجل الصالح واحدا منها فاختلفت الرواية فيه
من ستة وعشرين الى سبعين كما قدمناه واكثرها في الصحيح وقعا
مشهورا فلا سبيل الى اخذ احدها وطرح الباقي كما قد نقل ابو عبد الله
المازري عنه فقد يكون بعض ما ترك اولى مما قيل اذا تحققنا عن رجال
اسانيدها وربما ترجح عند عمر ما اختاره هو فيأخذ الوجه
الذي يتعين المصير اليه ان شاء الله ان هذه الاحاديث وان اختلفت الفاظها
متفقة على ان الرويا الصالحة من الرجل الصالح جزء من اجزاء النبوة
وهذه سمادة صحيحة من النبي صلى الله عليه وسلم لعلمانا بها وحي من الله
تعالى وانها صادقة لا محيد عنها ولذلك قال مالك وقد قيل له
اتفسر الرويا كل احد قال انما هي لمن الهم بالوحي واذا كان هذا فينبغي
على الرائي ان يعتني بها ويسعى في تفهمها ومعرفة تاويلها فانها
اما مبشرة له بخير او محذرة له من شر فان ادرك تاويلها فسعد والا
سال عنها من له اهلية ذلك وهو اللبيب الحبيب ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم

نقول اذا اصح على راى شيخ احد الملة رويا فلتتصدا لعبرها
وكان الحصول عليه ولعبر وقد سلك الجماعة رضي الله عنهم ذلك
المسلك في حياته وبعد وفاته وقد قال صلى الله عليه وسلم لقتبس
الاحكام من منامات اصحابه كما فعل في رويا الاذان وفي رويا
ليلة القدر وكل ذلك بناء على انها وحي صحيح واذا تقرر هذا املا
نضربا الاضطراب الذي وقع في عدد تلك الاجزاء مع حصول المقصود
من الخبر نعم ان علمنا قد روا ما ازالة ذلك الاضطراب وتاولوه
تاويلات فلنذكرها ونتبعه على الاقرب منها وهي اربع الاول
ما صار اليه ابو عبيد الله وهو ذكرناه وما ورد عليه والثاني ان المراد
بعد الحرب ان المنام الصادق جزء من ستة واربعين جزءا
في الحديث الاخر المتقدم والاقتصاد وخمسة واربعين جزءا من النبوة
من ستة وعشرين جزءا من النبوة اي النبوة بمجموع خصال مبلغ اجزائها
ستة وعشرون بهذه الثلاثة الاشياء جزء واحد منها وعلى مقتضى
هذه التجزئة كل جزء من الستة والعشرين ثلاثة اشياء وبسته
فاذا ضربنا ثلاثة في ستة وعشرين نتج لنا ان عدد خصال النبوة
من حيث احادها ما ذكرناه وسبعون نتج ان يسمى كل اثنين من الثمانية
والسبعين جزءا وخصلة فتكون جميعها بعد الاعداد تسعة وثلاثين
جزءا ونتج ان يسمى كل اربعة منها جزءا فتكون مجموع اجزائها
بعد الاختصار تسعة عشر جزءا ونصف جزء فتختلف اسماء العدد
المجزا بحسب اختلاف اعتبار الاجزاء على هذا فتكون اختلاف
اعداد اجزاء النبوة في احاديث الرويا المذكورة اضطرابا وانما
هو اختلاف اعتبار فتقادير تلك الاجزاء المذكورة والله اعلم

الثالث ما اشار اليه الطبري بعد الاختلاف راجع الى حال
الراي فالمؤمن الصالح تكون نسبة رويا من ستة واربعين وجزء
الصالح من سبعين ولعدم اشتراك في رواية السبعين في وصف
الراي بما اشتركا في وصفه وفي رواية ستة واربعين فانه
شارك فيها الصلاح في الراي وستشعر اشتراكهما في رواية
السبعين قال الشيخ وبعد امعنا بعد لما قررناه من صحة حمل
مختلف الروايات على تقييدها وبما قد روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما الرويا الصالحة جزء من اربعين وستة منه عن وصف
الراي وقد ثبت عند ابن عمرو رضي الله عنهما من قوله بضعة
واربعين وجزء ابن عباس رضي الله عنه حيث ذكر جزءين الرابع
قد يحمل ان يكون هذه التجزئة في كيفية الوحي اذ منه ما سمع من الله
تعالى دون واسطة الملك كما قال او يرسل رسولا فيوحي منه ما يلقى
الى الملك كما قال الا وحيا اي الهاما ثم منه ما يأتيه الملك على
صورته ومنه ما يأتيه على صورة آدمي يعرفه ومنه ما يتلقاه
منه وهو لا يعرفه ومنه ما يأتيه في مثل صلصلة الجرس ومنه
ما سمعه من الملك فهو لا منفصلا الى غير ذلك من الاحوال التي كانت
تحصل على النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي وحالاته المختلفة فتكون تلك
الحالات اذا عددت غايتها انتهت الى سبعين قال الشيخ رحمه الله
ولا يخفى ما في هذا الوجه من البعد والتمحل فان تلك الاعداد كلها
انما هي اجزاء النبوة واكثر هذه الاحوال التي ذكرت هنا ليست
من النبوة في شيء لكونه يعرف الملك او لا يعرفه او يأتيه على صورته
او على غير صورته مع ان هذا التكلف العظيم لم تقدر ان يبلغ عدد ما ذكر

الى بلاس قال الشيخ رحمه الله واشبه ما قرى دلك الوحه الثاني
مع انه لم تشلج النفس له ولا طاب لها قرى من وحه قاس وانا
استخير الله تعالى في دكره ومعنى ان النبوة معنا ان يطلع الله تعالى
من يشاء من دلك على ما شاء من احكامه ووحيه اما ما لمتنا فهو اما
واسطه ملك او بالالقاء في القلب لكن هدا المعنى المسمى بالنبوة
لا يحص الله به الا من خصه بصفات كمال يوعه من المعارف والعلوم
والفضائل والاداب وتنزيهه عن نقائص دلك ولدلك قال سبحانه وتعالى
الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقال الله اعلم حيث
يجعل رسالاته وقال تعالى لما دكر الانبياء اولئك الدين هدى الله
فبهداهم اقتده وقال وكلا فضلنا على العالمين وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم
وانك لعلى خلق عظيم فقد حصل من هدا ان النبوة لم يحص الله بها
الا اكمل خلقه واعدلهم عن النقائص ثم انه لما شرفهم بالنبوة
حصلت لهم بدلك على جميع موسم الخصوصيه فلما كانت النبوة
لا يحص الله بها الا من حصلت له بكمال الخلق على تلك الحصال
نبوة كما قال صلى الله عليه وسلم النبوة والاقتداء والسنة
الجميلة جزء من النبوة اي من حصال الانبياء لكن الاسماء وهده
الحصال يتفاضلون كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فتفاضلهم بحسب
ما وهبه الله لكل واحد منهم من تلك الصفات وشرف له من تلك
الكلمات وكل منهم الصرف اعظم صفته في نومه ويقظته وكانوا
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فنومهم يقظان وجسمهم في النوم
واليقظة سيان فمن ناسبهم في الصرف حصل من رؤياه على الحق

غير انه لما كان الانبياء في مقاماتهم واحوالهم متفاضلين وكان دلك
انما يحصل من احاديث وكان اول حصول كمال اسبابها اذا اعتبر كان
ستا وعشرين جزءا واكثرها يقوى دلك سبعين وبين العددين مراتب
مختلفه بحسب ما اختلفت اسباب دلك الاحاديث وعلى هدا فمن
كان من غير الانبياء في صلاحه وصدقه على رتبة تناسب كمال بعض
من الانبياء فانت رؤياه جزءا من نبوة دلك النبي وكما ان متفاضلة
كما قررناه فنسبة اجزاء مناسبات الصادقين متفاوتة على ما وصفناه
وبهدا الذي ذكرناه ارتفع الاضطراب والله الموفق للصواب
وقوله والرؤيا ثلاثة تشرى من الله اي مبشرة بخير وتحزين عن شر
فان التحزين عن الشر خير تتضمنه البشرى وانما فلنا دلك لهذا
لانه قد قال في حديث النسائي المتقدم الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله
فعلم ان بشرى فاراد بدلك والله اعلم الرؤيا الصادقة المبشرة والمحزنة
وقوله ورؤيا تحزين وتلحق بالرؤيا المخوفة المفزعات والمهولات
واضغاث الاحلام اذ كل دلك مذموم لما فيه من اثار الشيطان وكل
ما ينسبه الله مذموم وقوله ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه
يدخل فيه ما يلازمه المرء ويقظته من الاعمال والعلوم والاقوال
وما فوله الاكثر من ان الرؤيا تكون عن ذلك غالبه على الرائي
فيرى في نومه ما ينا سب دلك الخلط فمن غلبه عليه السوداء يرى
السواد في الماء وما اشبهه وانما قال لمشابهة الماء لطبيعة البلغم
ومن غلبه عليه الصفراء راى النيران والصعود في الارتفاع لمشابهة
النار في الطبيعة كطبيعة الصفراء وهكدا يقولون في بقية
الاخلاط ونحن نبين ذلك في موضعه ان شاء الله في اصل تاثير

الطبيعة قالوا ان الطبيعة سبب عادي والله تعالى هو الفاعل
بالحقيقة وهو مذهب المسلمين وهو الحق وقالوا ان الطبيعة تفعل
كذا بإذن الله هكذا ننكشريم وانتقل الكلام الى علم الكلام والمعاني
ان مراد منهم ان الرؤيا لا تخرج الا عن الاحلاء وهو باطل لما مر
ثبت عن الصادق مما ذكرناه من الاحاديث ان الرؤيا منها ما هو
من الله وهي المبشرة والمحذرة ومنها اضغاث الخيال وليس في وسع
الطبيعة ان تطلع على الغيب بالاخبار عن امور مستقبلة تقع
في المستقبل على نحو ما اقتضته الرؤيا بالاتفاق من العقلاء
اراد منهم ان الاحلاء قد تكون سببا لبعض المنامات فمسلم ذلك
على ما قررناه ثم يبقى شيء آخر وهو انه لو قدر ما ذكروه صحيحا
للزم عليه الامر من عدم عليه ذلك من تلك الاحلاء الا ما ناسبه
وكم بينا من احلامه فمرى البعض النيران والصعود في الارتفاعات
وعكس ذلك الصغار من السفل ما لا يوافقه بالمشاهدة والله ولي
المعاصمة قوله فاذا رأى احدكم ما يكره فليصل فلعل لبس
هذا الحكم لهذا القول فليتفث عن يساره ثلاثا وليستعوذ بالله
من شرها وليتحول عن جنبه الذي كان عليه واما الامر بالصلاة
زياده ينبغي ان تزاد على ما في يده امر وانه يستعمل الجميع ويحمل ان يقال
انما اقتصر في هذا الموضع على ذكر الصلاة وحدها لانه اذا صلى يرجى
فعله الصلاة جميع تلك الامور لانه اذا قام الى الصلاة تحول عن جنبه
واذا تمضمض نفث وبصق واذا قام الى الصلاة تعوذ ودعا وتضرع
لله تعالى وذلك في حال من احواله احاط بما ذكرناه والله اعلم
قوله ولا تخبر بها احدا اي لا تعلق بنفسه شأ وبلغها اذ لا تأويل لها

ما سمعا من البقيات الشطار التي يقصد بها التشويش على المؤمن اما
تحزين واما ترويع او ما اشبه ذلك وبعد ما ذكرناه تندفع ذلك
وما نع من ان يعود الشيطان لمثل ذلك وهو الذي فهمه ابو سلمة
من الحديث والله اعلم فقال ان كنت لارى الرؤيا انقل عليّ من الجبل
فما اتيتها في اصل كتاب مسلم كنت ارى الرؤيا اثقل عليّ من الجبل
فعبر اني لا ارتحل اي يصيبني الفتور او هي الرخوة وما في رواية
اخرى ان كنت لارى الرؤيا فتمرضني عبر اني لا ارتحل لها والترحل
اللف والتدثير يبقى انها ما كانت تروع عليه فتحاج الى ان
تدثر لكنه بنفس ما كان يفعل ما امر به النبي صلى الله عليه
وسلم من النفث والتعوذ وتجربة نزول كنه ذلك بركة الصرف
والتصديق الامتثال وفائدة هذا الا يشغل المرء نفسه بما يكره
من توهمه ان يعرض عنه ولا يلتفت اليه فانه لا اصل له فيما
هو الظاهر من الاحاديث والله اعلم قوله واجب القيد واكره
الغل الى آخره كما هو انه من قول النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله
عليه وسلم او من قول ابن سيرين فلا تعول على ذلك الظاهر غير
ان هذا المعنى صحيح في العبارة لان القيد في الرجلين وهو يثبت الانسان
في مكانه فاذا رآه من هو على حال قائما على رجليه كان ذلك دليلا
على ثبوته على تلك الحالة فاذا رآه من هو من اهل الدين والعلم
كان ثباتا على تلك الحال ولو رأى المريض ان قيدا في رجليه كان ذلك دليلا
على دوام مرضه وانما كره الغل لانه لا يحصل الا في الاغلب في شدة
وعقوبة وقصر او اذلال فيستحب على وجهه ويجري على قضاه
كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم

ثم في الما ربحرون ومنه قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وقد علمنا في اخبارهم اعلالا فهي الى الاذعان اسلم فيحكمون وعلى الجملة فهو سر موم شرعا وعادة فرويته في النوم دليل على وقوع حالة سنية ما لم يأت بما يلازمه ولا ينفك عنها وقد يكون ذلك في دينه كواجبات قرنها سببا او مما في ارتكابها او دلون وتخوف لازمة له وقد يكون ذلك في دنياه من شدايد تصيبه او انتاج تلازمه وبالجملة فالمعتبر في الحكم اصول العبارة النظر الى احوال الرائي واختلافها فقد يرى الرايبان شيئا واحدا وتدل في حق احدهما على خلاف ما تدل عليه في الاخر والله اعلم

ومن باب رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام

قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وفي اخرى فان الشيطان لا ينبغي له ان يتشبه بي وفي اخرى لا ينبغي ان تمثل في صورتي وفي عرفات وسلم لا تكونني ه احلك بي معنى هذا الحديث فقالت طائفة من العلماء من رآه على كما هو من راه في النوم راى حقيقته كما يرى في اليقظة وهو قول لا يرد فساده ما دار الى العقول فانه يلزم عليه ان الابراه الواحد الاعلى صورته التي توفي عليها ويلزم عليه ان الابراه الواحد في وقت واحد في مكانين ويلزم عليه ان يحي الاموات من قبوره ويمشي في الناس ويخاطبوه فحالته الاولى التي كان عليها وخلو قبره عنه وخروجه فلا يبقى منه فيه شيء فيراه خرج جثته وسلم على الخلق لانه يرى في النوم والمنام مع انتقال الاموات على حقيقته في عرفته وهذه حالات لا يقول

بالتزام شيء منها من له ادنى مسكة من المعقول ويلتزم شيء من ذلك تخيل محبول وقالت طائفة اخرى انما معناه ان من راه على صفته التي كان عليها في الدنيا فمنامه ذلك هو الصحيح ورويته له حق فان الشيطان لا يتصور بصورته التي كان عليها

قال الشيخ رحمه الله ويلزم الملتزم هذا ان من راه على غير صفته التي كان عليها لا تكون رويته حقا ويكون من باب اضغاث الاحلام ومن المعلوم انه يجوز ان يرى النوم على حاله كان ما كان عليها في الوجود من الاحوال اللائقة به ومع ذلك يسع ذلك الرؤيا حقا كما اذا رأى في تلك البلدة او دار الخمسة قاسة يدل على اهلها ذلك البلدة بالحق والشرع وذلك الدار بالسرية وكشرا ما وقع مثل هذا رأيا فلو يمكن الشيطان من التمثيل بمن شاء كان عليه او بسد اليه لما صرق بكلمة قوله فان الشيطان لا يتمثل بي فانه اذا تمثل ببعض صفاته واحواله فقد تمثل به ما لا فلا يمكن ان تتنزه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم او رؤية شيء من احواله او ما ينسب اليه عن تمثل الشيطان من شيء من ذلك جميع ذلك مكذبا ابلغ في الحرمة والمنع بالعصمة وتمام عصمة الشيطان به تقطعه في كل اوقاته فذلك يعم منه في منامه مع احواله وحالاته فالصحيح في معنى هذا الحديث ان شاء الله ان يقال ان مقصوده الشاهد منه صلى الله عليه وسلم بان رؤيته في النوم على اي حال كان ليست باطلة ولا من اضغاث الاحلام بل هي حق في نفسها وان يصور بتلك الصورة ويتمثل بتلك المثال ليس من قبل الشيطان اذ لا سبيل له الى ذلك وانما ذلك من فعل الله تعالى وهذا

مولده القاضي ابو بكر وعمره من المحققين وقد شهد لذلك قوله صلى الله
عليه وسلم من راني فقد رأى الحق اي الحق الذي قصد اعلام الرائي
به واذا كانت تلك حالته فينبغي ان يحدث عنها ولا يعمل
امرها فان الله تعالى لما مثل ذلك للرائي يشرى فينبسط للخير
او انذارا فينزجر عن الشر او تشبيها على خير يحصل له في دين
او دنيا والله اعلم **تنبيه** قد تقرر انا المردد في المنام
امثلة للمرئيات كما انفس المرئيات عسران يكون لا مثلة تارة
تكون مكافئة لحقيقة المرئي وتارة لا تكون مكافئة ثم المكافئة
قد تكون في اليقظة على نحو ما ادركت في النوم كما قدمنا عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لعائشة رضي الله عنها اريتك في المنام
في سرقة من حرير مرارا فاذا انت هي ومعناه انه راها في نومه
على نحو ما راها في يقظته قال الشيخ رحمه الله وقد وقع لي
نظير ما ذكرته عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك اني رأيت
في المنام كاني في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وانا جالس
وبين يديه جماعة من الناس يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم
فجاء بعض من سلم عليه فانتسبت له وقال لي سلم على النبي صلى الله عليه
وسلم فتقدمت وسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فلما سلمت عليه
رأيته يرد السلام علي بعينه ثم استيقظت
فلما اصبحت حمدت الله تعالى على ذلك وسررت بما كان قد وهب من
اسمائي وزال عني ما كنت اجده من الخوف من امر العدو وسافرت الى ان
وصلت الى الاسكندرية في مدة مقدارها ثلاثون يوما وفي كنف

السلامة وجدتها والديار المصرية على اشد خوف واعظم كرب
والعدو قد استفحل امره وعظمت شوكته ثم اقمت بالاسكندرية
عشرة ايام حتى كسر الله العدو ومن منه من بحر صنع امر
من الخلوقين بل بلطف اكرم الاكرمين وارحم الراحمين ثم ان الله
تعالى كمل علي احسانه وانعامه واوصلني بعد صحة بدنية الى قبر
نبيه ومسجده فزرته والله في المنة على النحو الذي رأيته
في المنام من غير زيادة ولا نقصان ومنها اني تزوجت امرأة
وقبل الدخول بها حدثت عن صفتها بما اوقع في قلبي نفرة
عن تتميم الدنو على الصفة التي كانت عليها في بيتنا ثم اني لما
لما احمت بها وجدتها على الدنو على نحو ما اشتهر
واما اذا لم تكمل في اليقظة فذلك لعلم ان المقصود بذلك صورة
معناها لا عينها وذلك الحكم اذا اخالت ذلك المثال صورة الرؤيا
نفسه اما بزيادة او نقصان او تغيير لون او حدوث عيب او زيادة
تحقق او حسن او عسر ذلك فالمقصود بذلك انما التنبيه على
معاني تلك الامور واذا تقرر هذا فجواز رؤية النبي صلى الله عليه
وسلم في النوم على صفته التي كان عليها في الوجود ويحصل من فوائد
ذلك تحقيق شوق الرائي وحبه مستثمرا لمحبته ويحمل على مشاهدته
وهذا امر الذي اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم لما قال من رآني
في المنام فسيراني في اليقظة اي من رآني برؤية معظم لحرمتي
ومشتاق لمشاهدتي وصل الى رؤيته محبوبة وظفر بكل مطلوبه
ويجوز ان يكون مقصود ذلك المنام معنى صورته ومعهوديته وشريعته
بتعبير حسب ما راه الرائي من زيادة او نقصان او اساءة او احسان

وكذلك الحكم اذا رأى على خلاف الصورة التي كان عليها مما يجوز عليه
مما يراه الله تعالى في النوم فقد قال القاضي عياض رحمه الله لم يختلف
العلماء في جواز رؤيته ربه الله تعالى في المنام وان ذلك على حقيقته
لا يلتبس بخلاله من صفات الاجسام ليتحقق ان ذلك المرئي غير
ذات الله تعالى او لا يجوز عليه التجسم ولا احتلاف الحالات
بخلاف رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم فانه رؤيته يقظة
وتعالى في النوم من باب التمثيل والتحبيل وقال القاضي ابو بكر
رحمه الله رؤيته الله تعالى في النوم او المنام وجواهر في القلب
ناشئا لا يلتبس به بالحقيقة وتعالى سبحانه عنها وهي دلالات
للرائي على امر ما كان ويكون كسائر المرئيات وقال غيره
رؤيته الله تعالى في المنام حق وصدق لا كذب فيها وقول الاصل

وفي باب من رأى في المنام تبشيرا في اليقظة او نحوها
رآني في اليقظة هذا اشكل من الذي قبله فان اللفظ الاول
هو الصحيح فتأويله ما ذكرناه وان كان الثاني هو الصحيح فمعناه
ان رؤيته حق وصدق كما قدمناه والله اعلم **وقوله** للطبراني
الذي اخبره انه رأى أن رأسه قد قطع لا تخبر تلعب الشيطان
برؤياك دليل على ان تخيل الانسان ما يراه في منامه
مما يشرفه مما يظن انه من الشيطان وعدم سماع ذلك وهذا
المنام على مساق هذا الحديث ليس في شيء منها ما يدل على انها
من الشيطان غير ان النبي صلى الله عليه وسلم علم انها من الشيطان
لتصريحه بتغييرها واما ان يكون في الرأس ما يدل على ذلك
ولم ينقله الراوي واما ان يكون ذلك من باب الوحي وهو الظاهر وقد ذكر

اهل العلم بالعبارة قطع الرأس في النوم وقد ذكروا انه يدل على
زوال العلم الذي او سلطانه او تغير حاله او مفارقته من هو فوقه
فان كان عدلا دل على خلعه او مريضا فعلى شفائه او مذنبا فعلى
قضاء دينه او ضرورة فعلى حجه او سفرا فعلى قربه او خائفا
فعلى امنه الى غير ذلك مما وسعوا القول فيه وقد ذكر ابن قتيبة
في كتابه اصول العبارة ان رجلا قال يا رسول الله رأيت فيما
يرى النائم كان رأسي قطع فجعلت انظر اليه ها هنا وها هنا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما بأسها كنت تنظر ثلاثة ما شاء الله
ثم قص النبي صلى الله عليه وسلم فعبر الناس ان الرأس كان النبي صلى الله
عليه وسلم وان النظر اليه كان اتباع السنة ه

وفي باب المستند عما التعابير ما يعتبر قوله
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح اقبل علينا بوجهه
فيه دليل على ان الامام لا يمكث في موضع صلاته اذا فرغ منها
وقد تقدم ذلك **وقوله** هل رأى منكم احد البارحة رؤيا انما
كان النبي صلى الله عليه وسلم يسألهم عن ذلك لما فيه من الصلاح
والصدق فكان قد علم ان رؤيا هم صحيحة وانما استفاد منها الاطلاع
على كثير من علم الغيب وليبشر لهم بالفعل الا عثارا ورؤيا والتشوف
لقولها بيدها ولعلمه بتفسيره التعبير وليستكثر من الاطلاع على علم
الغيب **وقوله** البارحة يعني به الليلة البارحة اي الزائلة اسم
فاعل من برح اذا ذهب ومنه قولهم برح الخفاء اي ذهب
واذا دخل حرف النفي على برح صار من الدوات كما في قوله الا
ينصب الخبر ووضع هذا الغلط وغيره في كتاب مسلم هل رأى احد منكم

الليله رويا بدل البارحة واستدل به بعض الناس على ان ما بعد طلوع الفجر
الى طلوع الشمس هو من الليل وليس بصحيح لانه انما اشار للعلة البارحة
لا للساعة الحاضرة بدليل هذه الرواية الصحيحة التي قال فيها البارحة
ومعناها الماضية بالاتفاق مع انه قال الليله الماضيه او النصرمة
ولما كانت قرينة الانصرام اشار اليها بما كان بعد اعطوها اختفى بوقوع
الليلة عن صفتها ولما كانت البارحة خفية بعلومية الليلة استعملها
عنها بعد استعمالها لاتيانها وقال الاصل الجمع من التابع والمتبوع فعال الله
البارحة لغير جارد لما ذكرناه وقوله كان ما تقول لا محاله قال القاضي ابو الفضل
معنى ما هنا عند بعض كثيرا ما كان يفعل فذا قال ثابت وفي مثل هذا فانه تقول
عدا من شانه وذا به محل ما فتابة عن ذلك يريدون ادعم من قال لعما
وقال غيره معنى ما هنا ان ربما اتاني للتكثير قال الشيخ رحمه الله وهذا
كلام جملي لم يحصل به بيان تفصيلي فان هذا من اسهل جمله الممتنع تفصيلا
وبيانه بالاعراب وذلك ان اسم ما يستتر فيها يعود على النبي صلى الله عليه
وسلم وخبرها في الجمله التي بعدها وذلك ان ما بمعنى الذي وهي مجرورة لمن
وصلتها بقوله والضمير المحذوف وهذا المحذوف خبر المبتدا الذي هو
مبتدا ومعنى ربما فانه كلام محكي معمول للقول تقديره قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جمله القول الذي يقوله هذا القول ويجوز ان يكون
مصدرية ويكون التقدير هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم من جمله قوله من راي
منكم رويا وعلى كل الوجهين استفهام محكي والله اعلم وانعم ما قيل
فيها قول من قال ان من بمعنى ربما اذ لا ساعده اللسان ولا يلتئم مع بقيه
الكلام وقوله عليه قصصا اعبرها اي لبرد قصصها وليتمتع خبرياتها
حتى لا تترك منها شيئا يحزن من قصصه الانزاد انتشعته واعبرها

العلاء

اي اعتبرها واسبرها ومنه قوله تعالى ان كنتم للرويا تعبرون واصله
من عبرة النهر اذا جزت من شطه الى شطه وتعبيه الى الاخرى والخلة
السحابة التي تظل من تحتها وتتكفف تتفطر والنطفه الفطرة
من الماء وتكففون يأخذون يأفواهكم وكمل ان يكون معناه ياخذون
من ذلك كفايتهم وهذا اليق بقوله تا لمستكثر من ذلك والمستقل والشبع
الجميل وقوله بابي انت وامي اي مفدي من الخطاء والمساوي وقوله
والله لتدعني فلا عبرنها هذه الفاء زائده واعبرنها مضبوط
بلام كي ويصح ان يكون لام الامر فتجزم ولا يكون لام القسم لما يلزم
من فتحها من دخول النون في نعلمانه من الفقه جواز الحلف
على الخبر واذن الحالف انه صلى الله عليه وسلم اجاب كلمته وابر
قسمه فقال له اعبر وقال على نمكس ابي بكر رضي الله عنه من علم عبارة
الرويا روحه عبارة ابي بكر رضي الله عنه لبعده الرويا والصحة وربما سبقها
واقعة عمران النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له اصبت بعضا واخطات
بعضا ولم يبين له ما الذي اخطا فيه اختلف الناس بحسب معناه انه
تقصير في تركه بعض اجزاء الرويا غير مفسره ودلك انه رد شيئين لنفي
واجب فانه رد السمن والعسل للقرآن ولورد الحلاوة للقرآن والسمن
للسنة كذا البيهقي ونسبه والى هذا اشار الطحاوي قال الشيخ رحمه الله
وهذا يرد عليه سؤاله تكون تتبعها وقال بعضهم ان الملك يدل
على خلع عثمان رضي الله عنه لانه الملك الذي اخبر بالسبب فانقطع به عبير
انه لم يوصل له بعود الخلافه فانه قتل واما وصل لغيره وهو علي رضي الله عنه
قال الشيخ رحمه الله وهذا ايما يصح اذا لم يرد في الحديث له على مابنته عليه
القاضي فانه قال ليس ببعيد له واما مرور اهل فقه وعلى هذا يمكن ان يقتصر

الخطا الى هذا المعنى لانه تاول الوصل له وهو لغيره لكن الرواية
الصحيحة والموجودة في الاصول التي وقفت عليها ثبوت له وعلى
هذا فاما وصل له بالسعادة والكرامة التي اعدها الله تعالى له في الدار
الاخرة وتاولها ابو بكر رضي الله عنه على الخلافة والله اعلم وبعد
هذا فاقول ان يكن انذاره لذلك الخطا الذي سبقت عينه التي صلى الله
عليه وسلم ولم يعلمه ابو بكر ولا من كان معتادا من اكابر الصحابة رضي
رضي الله عنهم جراة تستغفر الله تعالى منها وانما لم يعين ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم لانه ليس من الاحكام التي امر بتبليغها ولا اوجبت
الله حاجة ولعله لو عين ما اخفى فيه لاقضى ذلك الى الملام في الخلافة
ومن تتم له ومن لا تتم فتغفر ان لك نفوس وتتالم قلوب وتكثر الحنة
معاصيه فسد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الباب والله اعلم وقوله صلى الله
عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه لا تقسم مع انه قد اقسم بمعناه لا تعد
المقسم نفسه ما يدل على ان امر النبي صلى الله عليه وسلم ما زال المقسم ليس
بواجب وانما هو مندوب اليه اذا لم يعارضه ما هو اولى منه

ومن باب ما راى النبي صلى الله عليه وسلم وقوله حدثت انس رضي الله
عنه هذا ونحوه دليل على ان تعبير الرويا قد يوخذ من اشتقاق اسمائها
فانه صلى الله عليه وسلم اخذ من عقبة حسن العاقبة ومن رافع الرفعة
ومن كتاب ان كتابة الدين وحملة وقد قال علماء اهل العبارة
ان لها اربعة طرق ادرها ما اشتق من الاسماء كما ذكرناه آنفا وثانيها
ما يعبر بمثاله ويميز بشكله كقولا له معلم الكتاب على القاضي وصاحب
السجن والي السفينة وعلى الرحى والوالد وثالثها ما يعبره المعنى
المقصود من ذلك الشيء المرئي كدلالة نعل السفر على السفر ونعل السوق

والسلطان

على المعيشة وفعل الدار على الزوجة والجارية وراابعها التعبير
بما تقدم له ذكر في القران او السنة او الشعر او كلام العرب
او امثالها وكلام الناس وامثالهم او خبر معروف او كلمة حكمة
وذلك كتعبير الخشب بالمنافق لقوله تعالى كانهم خشب
مسندة وكتعبير النار بالفاسق لانه صلى الله عليه وسلم سماه فويسقا
وكتعبير الفارورة بالمراة لقوله صلى الله عليه وسلم رفقا بالقوارير
يعني ضعفة النساء وتتبع امثلة ما ذكر يطول وقوله صلى الله عليه وسلم
اريت في المنام اني اهاجر الى ارض بها نخل فذهب وهلي ان هجرة الرويا
وقعت له وهو بمكة هل الهجرة وان الله تعالى اطلعه بها على ما يكون
من حاله وحال اصحابه يوم احد وبانهم يصاب من اصابهم منهم وان الله تعالى
يشتفي بعد ذلك فيجمع شملهم ويقر اعينهم ويعز دينهم ويقوم الله
تعالى له ذلك بعد بدر الثانية وهي المرادة في هذا الحديث على ما
ياتي بيانه ان شاء الله وقوله فذهب وهلي ان اسمها اليمامة او هجر
فاذا هي المدينة التي ذهب وهمي وكتبي والرويا تقع بهذا وبهذا فتقع
في خاطر الانسان وتسمع به وقد تعبر في موضع آخر الفائدة وليس مرادا
هنا فرضه لانه لم يجزم بالمعاد اخرة مسماة وانما جوز ذلك اذ ليس
في المنام ما يدل على التعيين وانما ارى ارضا ذات نخل فخطر له ذات
الموصفات لكونها من اكثر البلاد نخلا ثم انه لما هاجر الى المدينة
تعينت له تلك الارض ما اخبر عنها بعد هجرته اشعارا بقوله فاذا هي المدينة
فيه ما يدل على ان الرويا قد تتبع موافقة لها مرة بعد اخرى وان الرويا
قبل وقوعها لا يقطع الانسان بتاويلها وانما هي كخواطر الاعمال فان منها
ما يجيء للانبياء كما وقع لابراهيم صلى الله عليه وسلم في قوله لابنه اني ارى في المنام

اى اذ تحكم فارد لك لا يحزن الآخر تقبين بحمل ذلك منه فارخنا وحسانا وهو قول باطل لانه
من اهل البدع ان ذلك منه فارخنا وحسانا وهو قول باطل لانه
لم يزل يقدم على معصوم الدم قطعا محبوبه شرعا وطبعا مذام
لا اصل له ولا تحقيق وقوله ورات فى رواية اخرى عزرت
سننا فانقطع صوره هذا نص فى اندرسته لدار هجرته ولصوره
الحالة الدالة على قضية يوم احد كانت منا ما واحدا وقد تأول
صلى الله عليه وسلم السيف هنا بالقوم الذين كانوا معه انا صرين له
اخذا من معنى السيف لانه به تستنصر على الاعداء وتقتدر على القتا
كما تقتضيه الابصار والاولياء وعرتنا دال على وجوه متعددة يجمع
هذا التوضع فقد يدل على الولد والوالد والعم والعصبة والزوجة
والسلطان والحجة الفاظ كثيرة وذلك بحسب ما تضمر من احوال الراى
والمرئى ووقت الرؤيا وانما تأول انقطاع صور السيف بقتل من قتل
يوم احد لان معظم صور عسكره اذ كان معهم عمه حمزة وعدد من
اسراف المهاجرين والانصار فاقتبس صور القوم من صور السيف
والقطع الذى راى منه تقطع اعمار المقتولين ومنزه السيف هو
حمله اياهم على الجهاد وحثهم عليه والرواية الصحيحة الفصيحة هى
عزرته من ابيض وتا مشاة مفرق وعزاه بعض الرواة فى رواية اخرى
مسندة وتا مخففة مفتوحة مفرشته وعل هى لغة بعض العرب الى وقوله
عزرته فعاد احسن ما كان ما ذا يعود بايجاد الله له من الفتح واجماع
المومنين يعنى به والله اعلم ما صنع الله لهم بعد احد وذلك انهم لما تشاغلوا
عن الجهاد ولا عفوا ولا استثنوا لما اصابهم يوم احد فكروا وا
ببابهم وقصروا الى مكانهم وعزماتهم واندموا على ذلك حماعاتهم وتحت

فى ذلك وجماعتهم محرجوا على ما دهم من الضعف والجراح فغزوا حمراء
الاسد مستظهرين على عدوهم بالقوة والجلد فمن الله عليهم
ونصرهم فى غزوة هى التى تسمى غزوة ذات الرقاع لم يزل الله
تعالى يمنهم المومنين ويبشرهم ويفتح عليهم الى بدر الثانية وكانت
فى شعبان فى السنة الرابعة من الهجرة وبعد تسعة اشهر ونصف
شهر من احد فمن الله تعالى عليه به فى هذه المرة هو المراد هنا
كما ياتى وقوله ورات ايضا سيفا فقرا والله خير الصبر وفيها
عاد على الرؤيا المذكورة والرواية المشهورة ورع الله وقيل على
الابتداء والخبر اى ثواب الله خير للنفر المقتولين بالشهادة
ولمن اصيبت منهم بادر المصيبة وعلى الكلام تقدم وتاخر بعد سرد
ورات والله فقرا تخبر على اعمال رات فى بقرا وعلى حذف اسم الله تعالى
على القسم وهكذا روى الجبائى وهشام وسمى ذلك خيرا على حمله الفاعل
قال الشيخ رحمه الله والاول اوضح واعدس الاعتراض وقوله
فاذا هم النفر من المومنين يوم احد يحتمل ان يعود اخر النفر من لفظ
بقر مجمعا او لنفسها واحد وليس بينهما الا اختلاف التثنية وتجمع
وانتيبهما على طريق حامس فى طرق العبارة المتقدمة ويحتمل
ان يعود اخذ ذلك من ان الرجال المقاتلة فى الحرب يشتبهون بالبقر لما
معها من اسلحتها التى هى قرونها ولما اقتضاها لها ومنا محتها
بعضها لبعض بها وعادات العرب تستعمل القرون فى الرماح عند
عدم الاسنة والله اعلم وقال هارون المومنين الذين عبر عنهم بالنفر
غير المومنين الذين عبر عنهم بصور السيف وكان اولئك صور الحقيقة
وهاولاء مقابلتها والاول من خبر الشهداء واجل الفضلا وقوله فاذا هو

ما جاء الله به من الخير بعده ه بدر الحت الرواية بضم بعد على قطعه
عن الاضافة ويعني به ما اصيبوا به يوم احد والعامل فيه جا والخبر
هو الذي ذكرناه انفا وقوله وثواب الصوف الذي انا زا الله بعد
يوم بدر بدر الحت الرواية بعد منصوبا على الظرف المعرب
المضاف الى يوم بدر والعامل فيه آتانا وكان امران مختلفان
او تبيعان في وقتين مختلفين احدهما بعد احد والثاني بعد بدر
هم اسما مرتبان على ما جرى في احد فيخيل ان يكون يوم بدر
هنا هو يوم غزوة بدر الكبرى لتقدم بدر الكبرى على احد
وليس كذلك لانه صلى الله عليه وسلم خرج الى بدر الاولى في شهر
رمضان في السنة الثانية من الهجرة وكانت احد في السنة
الثالثة في النصف من شوال وذلك قال عامنا هذا اربع بدر في هذا
الحديث هو يوم بدر الثاني وقال من امرها اربعة اشياء لما اصابت
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما اصابهم واخذوا في الرجوع
نادا ابو سفيان يوم النبي صلى الله عليه وسلم فقال موعدكم يوم بدر
العام المقبل فامر النبي صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه ان يجيبه
بنعم فلما كان العام المقبل وهي السنة الرابعة من الهجرة خرج
في شعبان نفسه الى بدر الثانية فوصل الى بدر فاقام بها ينتظر ابا سفيان
وخرج ابو سفيان في اهل مكة حتى بلغ عسفان ثم اسم عليهم الخوف
فرجعوا واعتذروا بان العام عام جدب وكان عذرا صحيحا في الجملة
فاخزى الله المشركين ونصر المؤمنين ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل
منصورا وما فتح الله عليه مستمرا الى ان اظهر الله تعالى دينه على
الاديان واخمد كلمة الكفر والطغيان وقوله ابن عباس رضي الله عنهما

يوم مسيلمة الجواب على حذف رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
محمد بقول ان جعل لي محمد الامر من بعده تبعته ه مسيلمة هذا هو ابن نهامة
ابن كثير بن حنيفة بن الحرث بن عمرو الحارث بن عمار بن الحارث بن ذهل
بن الدول بن حنيفة قال ابن اسحق وكان من قصته انه تنبأ على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر وكان يسمى الرحمان
وان محمدا عبده ورسوله وزعم انه شريك معه في نبوته وقال سعيد
بن المسيب انه كان يدعى بالرحمن قبل ان يولد عبد الله بن عبد المطلب
ابو النبي صلى الله عليه وسلم وانه قبل وهو ابن خمس وثمانية سنة
قال سعيد بن جبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال بسم الله الرحمن الرحيم
قالت مرسيلمة انما يعني مسيلمة قال ابن اسحق وانه تشارع الله شوكة
حنيفة وانه بعث رجلين من قومه بكتاب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك
اما بعد فاني اشركت معك في الامر فلي نصف الارض ولك نصفها
ولكن قريشا قوم لا يعدلون فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكتاب قال للرسولين ما تقولان انتما قالا نقول ما قال صاحبنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكما
ثم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فلما انتهى الكتاب
اليه انتفخ بعض الانتفاخ وطار وطارت منه حنيفة لا مرى محمدا اقر
بشركة صاحبنا في الامر قال ابن اسحق تنبأ على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسيلمة وصاحب صنعا الاسود من عنزة العنسي وكنيته

وسجاح التميمة جاءت الى مسيلمة فقالت له ما اوحى اليك ربك قال
اوحى الى الم تر الى ربك كيف فعل بالحبل واخرج منها نسمة تسعى بين
صفاق وحشى قالت وماذا قال الم تر ان الله خلق النساء امراجا
وخلق الرجال لهن ازواجا نولج فيهن نسرا ايلاجا ثم تخرجه
اذا استمنى اخراجا فقالت اشهد انك نبي قال هل لك ان اتزوجك
فاقيم بقومي وقومك فقالت نعم فزوجته فنادى منادي سجاح الا انها
اصابت الرئيس بين فخذيه وبادى منادي مسيلمة الا انه قد بنينا
تزوج بسجاح وقالت له اما انها صلح عن موسى ما اظن بلغس
صلاة الصبح وصلاه العشاء الاخرة فخرج منادية صادح يدلك
قال نسيح من بني تميم فخر الله اما انها صلح عنا خيرا فو الله لقد كاد
يعدلها عنا بنينا بوتيقا عن ديننا قال عبيد ابن اسحق ولما استقل
امر مسيلمة قدم المدينة في بشر كثير ونزل على عبد الله بن ابي سجاة
الاسدي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن عباس وفي عمر وبن ابن عباس
ان مسيلمة جاء النبي صلى الله عليه وسلم في وفد من اهل اليمامة
كان هو اضمر القوم وان النبي صلى الله عليه وسلم سال عنه قال
الشيخ يحتمل ان يكون بعد انتقالات احوال في قدمة واخرة
قدمها مسيلمة المدينة وعند الوفود فقدومه النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم سال عنه ثم بعد ذلك كتب اليه كما ياتي فجمع بينهما في موضع
عن موضعهما وبعد الاحتمال اقرب من ادعاء ان لمسيلمة قدم
على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ثم ان مسيلمة رجع الى اليمامة
على دالته تلك الى ان توفي النبي صلى الله عليه وسلم فعظم امر مسيلمة
واطمع اهل اليمامة فتغلبه وارتدوا عن الاسلام وانضاف اليهم

بيان بوتيقا

الى

جاء

بشر كثير من اهل الردة وقويت شوكتهم فقاتلهم ابو بكر الصديق
رضي الله عنه قتالا كثيرة تعظم وتجزرهم وتنزرهم الى ان تعت الدم
قتالا مع حبيب بن عبد الله الانصاري فقتله مسيلمة فعند ذلك عزم
ابو بكر رضي الله عنه على قتالهم والمسلمون فاقتراموا وكثر الرزايا والبلايا
وتحزن الناس وعقد الراية لخالد رضي الله عنه وصاروا الى اليمامة
فاقتتلوا مسيلمة جيش عظيم وجرح الى المسلمين فاقتتلوا وكانت
بينهم حروب عظيمة لم يسمع بمثلها واستشهد فيها من قراء القرآن
خلق كثير حتى خاف عمر بن الخطاب وعمر رضي الله عنهما ان يذهب من القرآن
شيء فتكلم في قتل من قتل منهم من القراء ان الله تعالى ثبت المسلمين وقتل الله
مسيلمة على يدي وحشي قاتل حمزة ورماه بالحربة التي قتل بها حمزة
ثم وقف عليه رجل من الانصار فاختز راسه وهزم الله جيشه
واذلهم ومنح الله اليمامة عن بكرة ابيها فالحمد لله رضي الله عنه واستولى
على جميع ما حوته من النساء والولدان والاموال واظهر الله الدين
وجعل العاقبة للمتقين والحمد لله الذي صدقنا وعده واعز جنده
وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده وانما جاء النبي صلى الله عليه
وسلم الى مسيلمة ليبلغه الدعوة ويسمع قوله بالمشافهة **وقوله**
صلى الله عليه وسلم ولن تعدو امر الله فقد كرر في جميع نسخ صحيح مسلم
وفي البخاري ولن يعدو امر الله فقد وكلاهما صحيح ومعنى الاول
ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول القول لمسيلمة
وان يصرح بتكذيبه وان يخبره انه لا يسلم امله مما يريده من
التشريك في الرسالة ولا في الارض بل ينفذ النبي صلى الله عليه وسلم
اذ قد فعل كل ذلك وكمل ان يدبر الامر ما كتب الله عليه من الشقوة

وما وسمه عليه من الحرف والتكريه والافعال القبيحه اى لا اقدر
ان ارد ما فعله الله عليك من ذلك بتغيير ان هذا المعنى اكثر من
لفظ البخارى منه من لفظ كتاب سلم وقوله ولما دبرت لتعقرنى
الله اى لتقتلنى بالعقر وهو القتل اذا لم تتبعنى وكذلك كان
كما ذكرناه وكان هذا دلالة من دلايل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وصحة رسالته وقوله صلى الله عليه وسلم وبعد الثالث يجيئك عنى
بقوائم ثلاث من قتلى من شماس فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان اسمى صلى الله عليه وسلم وحرص على سلمه فى نفسه ما عرض
عنه اعراض المحتقر له المصغر لشانه واحال على ثبات لعلمه بانه
يقوم عنه بجواب كل ما سالوه عنه اذ كان من افضل الناس واكملهم
عقلا واصحهم لسانا وكان مع ذلك خموريا اصور حسن التعمه
وكان يقوم بالحجه وسانع فى ايراد الخطبة وقوله ابى لا ارى
الذى ارتبت فيه ما ارتبت ، الرواية اراك بضم الميم بمعنى
اظنك على ما قد حصل بهذه الصيغة من غلبة عرف الاستعمال
وقد قررنا ان اصل ارى من رأى بمعنى علم او ابصر اذ دلت عليه
بهمزه البعديه وثبت بما لم يسم فاعله وعلى هذا صح ان يقول
هنا بمعنى العلم مجازا ومعناه ابى لا اعلم الذى ارتبت فيه ما ارتبت
وهذا قول لحال النبى صلى الله عليه وسلم فما رويناه حق وثابت له
لا يجوز عليه الغلط فى هذا فتدبره والله اعلم وقوله بينما انا نايم
رايت فى يدى سوارين من ذهب فاهمنى شانهما اعنى السوارين
السوار يلحقه المراه فى ذراعها مما تتحلى به من الذهب والفضه
وهو مثلث لغات كسر السين وضمها وتسميه مصوغه فقال

انفخهما او لجمع اساوره فاما آساورة الفرس فقوله اذ لم
ار اما انهما شاسما لانهما من جملة النساء وما حرم على الرجال
وقوله فاوحى الى ان انفخهما فنفختهما وطارا فاطرته ان هذا
وحى من جمله الملك على غالب عادته ويحتمل ان يكون قد الهما
وقوله فاولتهما كذابين يخرجان بعدى اى يكثران ويغلبان
بعد موتى واما الاقر فكان موجودين فى حياته النبى صلى الله عليه وسلم
متبعين ويدل على هذا قوله فى الرواية الاخرى فاولتهما الكذابين
اللذين انا بينهما ووجه مناسبة هذا التاويل لهذه الرويا
ان اهل صنعاء واهل اليمامة كانا قد اسلما وكانا كالساعدين
للاسلام فلما كفر مسيلمة واسود العنسى وتبعهما بشر كثير
وذكرنا احوالهما فاخذ الطريقان مسلك البعد عنه وكان الكذابان
للنبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة عدوه لانه فكان يقصد سما والسوارين
سما بما سيلقاه وصاحب صنعاء ما ذكرناه من امر فيروز النبى
صلى الله عليه وسلم بقوله اقتلوا الاسود على ما ذكرناه
من شان مسيلمه واما صاحب صنعاء فهو الاسود العنسى ويلقب
ذا الخمار وسبب هذا اللقب على ما قاله ابن اسحق انه لقيه
حمار وعثر فسقط لوجهه فقال بعض الحمار ما ترى من الاسلام
وادعا النبوة وتخرق على الحمار ما سمعوه وعلم على صنعاء واخرج
منها المهاجر بن ابى امية المخزومى وكان عاملا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم واستشرا مره وغلب على امراته مسلمة من الاساورة
فتزوجها فدست الى قوم من الاساورة انى قد صنعت شرا فهل
منكم من يقتل الاسود فوثب عليه فلان فدخل منه فوثب فيروز

والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ثم الله تعالى
اصطفى من ولد اسمعيل كنانة كما ذكر هنا النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث ثم ان الله تعالى اختص منهم بختامهم واعظمهم مقاما منهم
وشرفهم بصدر كتبهم وبيت قصيدتهم سيدنا محمدا
هلال ليلتنا ذرّ تقاصيرها ونزيدها وهو محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع النبيين وعلى آل كل وسلم اخبره عن الانبياء زمانا
وقدمه عليهم رتبة ومقاما جعله الله واسطة النظام
وحمل بكماله اولك الملا الكرام وخصه من بينهم بالمقام
المحمود واللواء المشهود وهو شفيعهم اذا استشفعوا وقايدهم
اذا وفدوا وخطيبهم اذا جمعوا وسيدهم اذا وفدوا فتبسم
من الخبر يحبونه فبيده لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وتكفيك
اثرة وكرامة اما سيد ولد آدم يوم القيامة والسيد اسم فاعل
من ساد وقومه اذا فقدهم بما فيه من خصال الكمال وبما هو لهم من
الاحسان والافضال واصله سيود لان ايف ساد منقلبة عن واو
بدليل ان مضارعه يسود فقلبوا الواو ياء واد غموها في الياء فصاروا
سيّد وصار الفعل واوي العين وفي تبيين للفعل والعين ياء قال
محمد سيد موح الانسان وقد يصح الاخبار بما له من السودد في تلك
الدار فمنها انه قال انا سيد ولد آدم ولا فخر وانه روى داؤد قالوا الله
ورسوله اعلم قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين
في صعيد واحد وذكر حديث الشفاعة المتقدم ومضمونه ان الناس
كلهم اذا جمعهم موقف القيامة وكان عليهم وعكم عرفهم كلهم
من شفع لهم الى الله تعالى في ان يريحهم من موقفهم هذا ون نادم

ابو بكر وقيس بن مكشوح فقتلوه وبعثوا برأسه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما قاله ابن اسحق وقال وثيمة ومسلم من رسول كان
ذلك في خلافة ابي بكر رضي الله عنه قال السهيلي رحمه الله وهذا هو
الصحيح ان شاء الله لقوله صلى الله عليه وسلم لحرمان بعدي اي بعد وفاتي

ثالث الثبوتات قد تقدم الكلام في الثبوت عشر
ما شرحه **قوله** ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل اصطفى
اختار وصفوة الشيء خياره ووزنه افتعل والتاء بدل من
التاء لعدم تحرك ما قبلها ومعنى اختيار الله تعالى لمن شاء من خلقه تخصيصه
اياه بصفات كمال نوعه وجعله اياه اصلا لذلك النوع واكرامه
له على ما سبق في علمه ونافذ حكمه من غير وجوب عليه ولا اجبار
بل على ما قال ربك يخلق ما يشاء ويختار وقد اصطفى الله تعالى من هذا
الجنس الحيواني نوعا من ادم كما قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا ويتميز من ذلك كله ان الله تعالى خلق العالم كله لاجله
كما قد صرح بذلك غير واحد كما قال تعالى وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه ثم ان الله تعالى اختار من هذا النوع الانساني
من جعله معدن نبوته ومحل رسالته وهو ادم صلى الله عليه وسلم
ثم ان الله تعالى اختار من ذلك نطفة شريفة لم تزل تنقلها من
الاصلاب الشريفة الى الارحام الطاهرة حتى ضمت الانبياء والرسل
كما قال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ان الله تعالى اصطفى من ولد
ابرهيم اسمعيل واسحق كما قال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح

صلى الله عليه وسلم فسألوه الساعة فقول عيسى انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيكون هذا مما اختص الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من الانبياء حتى ينتهي الامر الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقول انا لها فقوم في اربع مقامات وتخص بالاحظى من المعارف والاكرام وتنادى باللطف خطاب واعظم اكرام يا محمد فيسمع ويسأل تعط واشفع تشفع فيرفع راسي فاحمد الله بمحامد يلهمنيها لا احسن الآن ولا سمع بمثله لا احسن الملائكة الكرام فيسأل الله تعالى باسمه العظيم وجهه الكريم ان يجعلنا على شريعته ويمتنا على ملته ويحشرنا في زمرته ويجعلنا ممن يرد عنه ويرد منه وقوله انا اول من ينشق عنه القبر يعني انه اول من يحل احباؤه سألته في اكرامه وتخصيصا له تعجيل خروجه لانه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث اخر انه اول من يفيق فيجد موسى صلى الله عليه وسلم متعلقا بساق العرش وسماه بهذا لما بات ذكر موسى صلى الله عليه وسلم ان يثنا الله وقوله واول شافع ومشفع فيرد على المولى السماحة والسماحة في الايمان ومقصود هذا الحديث ان يتمثل انه لا يتقدمه شافع لا من الملائكة ولا من النبيين ولا من المؤمنين في جميع اقسام الشفاعات على ان الشفاعة العامة لاهل الموقف خاصة لا تكون لغيره وهذه المنزلة اعظم المراتب واشرف المناقب وهذه الخصائص والفضائل التي تحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه انما كان ذلك منه لانه من جملة ما امر بتبليغه لما اشترك علمها من وجوب اعتقاد ذلك وانه حق في نفسه وليرغب في الدخول في دينه وليتمسك به من دخل فيه ولعلم قد رحمه الله عليه في ان فعله من اقامة من هذا حاله وتعظيم محبته في قلوب

متبعيه وتنشر اعمالهم وتطيب احوالهم بحشرهم في زمرته ونيلهم الحظ الاوفر من كرامته وعلى الجملة فحصل بذلك شرف الدارين وشرف الاخرة لان شرف المتبوع متعد لشرف التابع على كل حال فما ظنك بكل هذا راجع للاعتقاد وكيف لحصل القطع بذلك من اخبار الآحاد فالجواب ان من سمع شيئا من تلك الامور من نبي الله صلى الله عليه وسلم مشافهة حصل له العلم بذلك كما حصل للصحابة السامعين منه ومن لم يشافهه فقد حصل له العلم بذلك من جهة التواتر المعنوي اذ قد كثرت تلك الامور والاخبار الآحاد حتى حصل لسامعها العلم القطعي بذلك المراد وقوله ما من الانبياء شيئ الا قد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا يعني ان كل رسول انما يعجزة تدل على صحة رسالته فتظهر صدقه وتثبت حجته كما قد علم من احوالهم بما اخبر الله به وبينته عنهم غير ان معجزاتهم تنقرض بانقراض من لا يبقى منهم بعدهم الا اخبارها وذلك يكفي مع توالي الاعصار وتناسخ الدهور وان كان قد اعطي من كل نوع من انواع معجزات الانبياء قبله كما قدمناه في كتابنا المسمى بالاعلام بحقيقة نبوة محمد عليه افضل الصلاة والسلام لكنه فضل على جميعهم بالمعجزة العظمى الباقية ما بقيت الدنيا وهي الكتاب العزيز الذي اخبرت السورة عنه الحق والامر الذي تعجز عن محاكاته مشاهير العيان متجددا ما تعاقب الجديدان ممن ارتاب الا من صرف عن له فاتيت بسورة من مثله ولما كانت هذه المعجزة قاطعة الظهور مستمرة مدى الدهور اشترك في معرفتها المتقدمون

والمتاخرون واستوى في معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم السابقون
واللاحقون مدخل الغفلة في دينه دخولا متتابعا وحقق الله
له رجاءه فكان اكثر الانبياء تابعا ﴿ترجمة باب شواهد
نبوته صلى الله عليه وسلم﴾ قوله اني لاعرف حجرا
كان يسلم علي قبل ان ابعث ه يعني انه كان يسلم عليه بالنبوة
والرسالة قبل ان يشافهه الملك بالرسالة ه ذكر العلماء بسيرته النبي
صلى الله عليه وسلم واحواله انه كان من لطف الله تعالى بنبيه
ان تقدم له مقدمات وتمهد بين يديه ارهاصات ذرة بعد ذرة
في الصغر ليتمكن بذلك من الوقوف على تدريج
لقبول ما يلقى اليه وليسهل مشافهة الملك عليه وكان صلى الله
عليه وسلم يرى رؤيا وانوارا وسمع تسليما وكلاما ولا يرى انسانا فيسمع الحجارة والشجر تناديه ولا يرى احدا يناجيه الى ان استوحش
من الخلق فحبب اليه الخلوة فكان يتحنث في غار حراء الجبوة
مشافهة الملك فقبل ذلك وتقدمت ان الصحيح من مذاهب الامة
ان كلام الجمادات راجع الى ان الله تعالى يخلق فيها اصواتا مقطعة
من غير مخارج يفهم منها ما يفهم من الاصوات الخارجة من مخارج
الفم وذلك ممكن في نفسه والقدرة القديمة لا قصور فيها وقد اخبر
بها الصادق فيجب له التصديق وبيناه وقد سمع من مضر تسليم
الحصى وتسبيح الجزع والمسجد قد نطق بالله ﴿قوله﴾ اني لاعرفه
الان يعني انه صلى الله عليه وسلم كان وقت قد تقدم هذا الحديث
بعد الحجر معرفة من كان يشافهه ويسلم له ذلك الحجر هو الحجر

الاسود والله اعلم ﴿قوله﴾ اتى بقدح رخراخ اي واسع رسال
رخرخ بفتح الله وبالخاء المعجمة الاولى وآنية رخاء كذا للكشميهني الواسع
قال ابن الانباري وهو من ذلك قصير الخيار ﴿قوله﴾ فرأيت الماء
ينبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم هذه المعجزة تكررت
من النبي صلى الله عليه وسلم مرات عديدة في مشاهد عظيمة وجموع
كثيرة نقلها بطرق صحيحة من رواية انس وعبد الله بن مسعود وجابر
وعمران بن حصين وغيرهم ممن يحصل بمجموع اخبارهم العلم القطعي
المستفاد من التواتر المعنوي وبهذا الطريق حصل لنا العلم
بكثير معجزاته الدالة على صدق رسالاته كما ذكرنا جملة ذلك
في كتاب الاعلام وهذه المعجزة ابلغ من معجزة موسى صلى الله عليه وسلم
في نبع الماء من الحجر بعد ضربه بالعصا لان الماء المألوف تنبع الماء
من بعض الحجارة فاما نبعه من بين لحم ودم فشيء
لم يسمع بمثله ولا يحدث به عن غيره ﴿قوله﴾ فكنا نأكل ما يبه
او قدرها بمعنى لم زائدا كذا ولقائل ان يقول هو الى قدرت وهو الحدث
الاول محذوف ما اشبه السمن الى اليمانية هذا يدل على انه كان
في موضع ادم ما الزوراء وهي سوق المدينة والاخر روي في بعض
طرقه ما نزل على انه كان بغير الزوراء وقد وقع منه صلى الله عليه
وسلم مثل هذا في غزوة الحديبية على ما رواه جابر وفي غزوة تبوك
من حديث سعيد والعكة للسمن هي اصغر من القربة والتوسق
ستون صاعا كما تقدم في الزكاة وثمانية عشر العكة وشطر وسق
البعير فكل ذلك ببركة النبي صلى الله عليه وسلم مما لمسه او تناوله

او تفقتم له او بارك عليه وكم له منها وكم ورفع انما من ذلك عمر الحصر
والذيل سببه والله اعلم الالتفات يقتضي الحرص مع معاينته اذ وار
يتم الله تعالى له مواهب كراماته وكثرة برداته والغفلة عن الشكر
عليها والثقة بالدنيا وميلها والميل الى الاسباب المعتادة عمر
شاهده حرق العادة وهو الحرية احرى بني اسرائيل في التيه
لما انزل عليهم المن والسلوى وقيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
واشكروا الله فاكلوا حرص النفس على ادخار اللحم فتخير اللحم
وهو الطعام وقوله لصاحبة العكة لو تركتينا ما زال قائما
ولعادة الشطر لولم ركله لقام لكم سيعاد منه ان تزاد عليه
رزق او اكرم بكرامة او لكفه في اسرها فالمتعين عليه مولاه
الشكر ورؤية المنة لله تعالى ولا اكترث تغيرا في تلك الحالة
شكرها على قلتها ومعنى رؤية المنة ان يعلم ان ذلك بمحض فضل الله
وكرمه لا بحولنا ولا بقوتنا ولا استحقاقنا وقوله فرحنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك هي موضع معروف بطريق
الشام منه سميت وهذه الغزوة هي آخر غزاة غزاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد غزو الروم فخرج منها في شهر رجب سنة تسع من
الهجرة في جيش عظيم يعسر تعدد وخرج معه اهل الصدق من المسلمين
وخلف عنه جمع المنافقين وكانت غزوة الحمد لله تعالى فيها
من معجزات نبوته وكرامات ما زاد الله المؤمن به ايمانا واقام
بذلك على الكافرين حجته وبرهانا وقوله وقارب ان يجمع الصلاة صلى الظهر
والعصر جميعا والمغرب والعشا جميعا هكذا هو في السياق انه

انه اوقع الظهر والعصر في اول الوقت مجموعتين وكذلك المغرب
والعشا لانه قال بعد ذلك حتى اذا كان يوم آخر أخر الصلاة ثم خرج
فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل ثم خرج بعد ذلك وصلى المغرب
والعشا جميعا وكان سره انه آخر الصلاتين الى آخر وقتهما المشترك
وهو محل مالك فانه يقول بجواز كل ذلك على تفصيل له في الافضل
من ذلك كما قدمناه وهو الصحيح للشافعي عليه وهو اشتراطه
في جواز الجمع من الصلاتين استجمال السير والشافعي لا يشترطه
وعلى كل دليل في جواب الصلاة وقوله صلى الله عليه وسلم انكم
ستاتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحى
النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي
هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم اخبار عن غيب
وقع كما اخبر وتحقق بعد ذلك وقوله فمر بها منكم ملا يمس من مائها
شيئا اتهامهم عن ذلك ليظهر انفراده بالمعجزة وتحقق
نسبتها اليه واختصاصه بها فانه اذا شاركه غيره في مس
ماء لم يتحقق اختصاصه بها ولذلك لما ورد الرجلين عليها
امر ان يغرف له من مائها وكأنه كان اراد ان يباشر الماء وهو في
موضعه لان المسه غيره الذي جاء هو الذي ماء فجعل فيه
يده ووجدهم امر بها وذلك الما انهما فلما فعلوا ذلك جاشت
العين بما منهمر وسمع له جيش كحس الصواعق وقوله والقشر مثل
الشراك تبيض شيء من بناء الرواية المشهورة تبيض بالضاد
المعجمة اي تسيل بها قليلا قليلا وقيل مثل شراك النعل وقد روي بالعاد
المهملة وذكر الدمع في البخاري اي تبرق بعد ان تبض تحيضا وتبض

تيض وبيضا معناه رشف النبي صلى الله عليه وسلم الساقين الى الما
يحتمل ان يكون لما فانا سافقين فصدا المحالفة وحاذف السف
تحلله ويحتمل ان كانا محرمين فقس ولم يبالا نتفى النبي صلى الله عليه
وسلم ويدون سببه لعلما لم يحاذف محلا ويدون ذلك لعلما رحمة وزكاة
كما قاله صلى الله عليه وسلم اللهم بن لعنته او سببته وليس لذلك
باهل فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وقربه تقربه يوما الدين
يوم القيامة والمنعم الكثير الانعام وموسك نحو ونشيرع
ومدمدم الكلام علما والجنان البستان من النخل وغيره سمي
بذلك لاستجنه بحسن ارضه وما يجنه اي تستره ذلك وقد اشتمل هذا
الحديث على معجزتين عظيمتين احداهما نبع الما المزخر والثانية
تعريفه بكثير من علم الغيب فان تموك بن ذلك الوقت سكنت
لاهل ذلك الما وعرست سانتين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين مروا على حديقة المراة احرسوها
دليل على جواز الحرص اذا احتيج اليه وانه طريق معتبر شرعا وخروج
ثمرة هذه الحديقة على مقدار ما حرصه رسول الله صلى الله عليه وسلم
دليل على تحديد حرسه وقوة ادراكه واصابته وحده الصواب
مهما كان يحاوله ولا تعارض بين هذا الحديث وبين النخل فان الله تعالى قد
اجرى عادته الثابتة مستمرة في اثمار النخل لم تعلمها النبي صلى الله عليه
وسلم مما ارى بعد ايضي شيا بعني الاثمار وصدق فان الله تعالى هو
الذي يسك الثمرة ويطيبها اذا شاء الاثمار وغيره بخلاف الوصول
الى المقادير بالحرص فان الغالب فيه من الممارسة له التقريب

لا التحقيق وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمقدار ذلك على التحقيق ووجد
كما اخبر فان كان هذا سنه عن حدس وتخمين فان دليلا على انه قد خص من ذلك
شيء لم يصل اليه غيره وان كان ذلك بالوحي فان ذلك من معجزاته الظاهرة
وقوله ستهب عليكم ريح شديدة من المعجزات الغيبية وهي من الكثرة
بحيث لا تحصى بحصر ومما العلم التفصيلي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد علم كثيرا من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله ومن ارتضاه من الرسل
مما اطلعه الله عليه والنبي صلى الله عليه وسلم قد اطلعه الله عليه فهو
رسول من افضل الرسل وقوله فلا تقم منها احد ومن كان له بعير فليشد
عقاله دليل على الاخذ بالحزم والحذر في النفوس والاموال ومن اهمل شيا
من الاسباب المعتادة زاعما انه متوكل معذور عند الله فالتوكل لا ينافي
الحذر بل حقيقته لا تتم الا مع الاجتهاد في العمل على سنة الله
ومن التفويض الى الله تعالى كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افضل العلماء
وهو يجمع العين المهملة وسكون اللام والدال وصحتا بالمثناة الاعلم وهو الشقوق
الشفة العليا والافلح الشقوق السفلى وصاحب ايلة يعني به ملكها
وايلة بلد معروف بالشام واليه تنسب عقبة ايلة وقوله واهدى له
بغلة بيضا هذه البغلة قبلها النبي صلى الله عليه وسلم وبقيت عنده
زمانا طويلا لم يركبها ولم تزل بغلته بعدها وفاته يسمى الدلدل وهذا دليل على
قبول هدية الكتابي وعدم القول بنسخه وفي قوله هذا جبل يحبنا ونحبه
وفي رواية وقوله فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرمنا وافدا
له برده اه التحريم بمعنى ابراده البلد والبحار القرى وعدم وفاء النبي
صلى الله عليه وسلم افتتحه تحت تلك البلاد كما هو الواقع ثم الدراوردي بفتح

تلد الخليل صلى الله عليه وسلم مثل نخته ويظهر من حال ابن النظام انه استشعر
او علم ان النبي صلى الله عليه وسلم تنبه لهم ويطلع على ما تحت يده من
اللادن فساله ان يقطعه لنفسه والله اعلم واما اقراره المبرد
فمن فتاة وسواصله واستلاف للدخل في دين الاسلام وقال النبي
صلى الله عليه وسلم حضره في وقت لا ادلك البرد والله اعلم
قوله ان خبيب دور الانصار دار بني النجار ثم دار بني عبد الاشهل الحديث
الى اخره يدل على جواز تفضيل بعض القبائل على بعض من غير الانبياء
وارسم ذلك المفضول ولا يعدم القول بتفضيل الانبياء والدور جمع
دار وهو في الاصل المحلة والمنزل وعبر به هنا عن القبائل وهذا الجمع
قوله اسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المساجد في الدور اي في
القبائل والمحلات وفيه ما يدل على جواز المدح اذا قصد به الاخبار
بالحق ودعت الى ذلك حاجة واميت الفتنة على الممدوح وفيه
دليل على جواز المنافسة في الخير والدين والثواب كما قال سعد يا رسول الله
خيرت دور الانصار فجعلتنا آخرا الحديث ان يلحقهم بالطبقة الاولى
ما حامله ما ذكر وليس حسبكم ان يكونوا من الخيار وانما يعني بذلك
ان يصلحهم امامهم حسب سبقهم الى الاسلام وكثرة اثارهم فيه
وتلك الامور وقفت ولو وجود مرتبة على حسب ما شاء الله تعالى
في الازل واذا كان ذلك لكم سقدم متاخر مسلم على منزلته كما ان متاخر
متقدم مسلم عن منزلته اذ تلك مراسم معلومة على قسم مقسومة
وقد سبق سعد تمام القضاء لختم بحثه من سنا قوله ثم دار بني عبد الحارث
كذا وقع للعذري والفارسي وهو وهم والصواب بنو الحارث باسقاط عبد

والله اعلم قوله وجعلنا آخرا وقع في بعض النسخ آخر بغير تنوين ولا الف
جعله غير منصرف وليس بصحيح الرواية ولا المعنى اذ لا مانع من صرفه قوله
وهو منصوب على انه المفعول الثاني لجعل لانها بمعنى صير وتحمل ان تتاول
على معنى جعل بعضنا آخرا اي انزلنا منزلا متاخرا وعلى الوجهين
فلا بد من صرفه وكذا وجدناه من تقييد المحققين قوله او ليس حسبكم
ان يكونوا من الخيار وروي الاخيار وكلاهما صحيح وقوله
النبي صلى الله عليه وسلم ممن يريد قتله غزونا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزوة فقتل نجره النجر المرتفع من الارض والغور المنخفض منها
هذا اصلهما ثم صارا لكل معترض اسبق لتحقيق مخصوص منهما وقس
وصحح الرواية وسمورها نجر ووقع للعذري اجر وقوله فادركنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وادٍ كثير العضاه هذا اللفظ ذكر
فيه ادركنا بفتح الكاف رسول الله بالرفع على الفاعل وعليه مضوا ان
قد تقدموه للوادي لمصلحة من مصالحهم كتكوين كلمة او صيانة
للنبي صلى الله عليه وسلم مما يخشى عليه وعرف المعنى يحمل ان يقتد فادركنا
رسول الله بسكون الكاف ونصب رسول على المفعول وهو فيه
ما يدل على مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نحو ما تقدم له
لما وقع الفزع بالمدينة مرة فزعا فسبقهم فاستبرأ الخبر ثم رجع
فلقي اصحابه خرجوا هكذا فقال لهم لم تراعوا والعضاه كل شجر من شجر
البادية له شوك قوله فتفرق الناس في الوادي يستظلون فيه
جواز افتراق العسكر في النزول اذا امنوا على انفسهم وخافهم قد
احدهم التعب والحر فطلبوا مستظلين بالشجر قوله صلى الله عليه وسلم

ان رجلا اتاني وانا نايم فاخذ السيف ، هذا يدل على ان النبي صلى الله عليه
قال في هذا الوقت كحرسه احد من الناس بخلاف ما كان عليه في اول امره
فانه كان يحرس حتى انزل الله تعالى عليه والله يعصمك من الناس فقال
لمن كان يحرسه اذهبوا فان الله قد عصمني من الناس فمن ذلك الوقت
لم يحرسه احد ، ثقة منه بوعد الله تعالى وتوكلا عليه وفيه جواز نوم
المسافر اذا امن على نفسه واما مع الخوف فالواجب التحرز والحذر
قوله فاستيقظت وهو قائم على راسي والسيف صلت في يده روى
برفع صلت ونصبه فمن رفعه جعله خبر المبتدا الذي هو السيف ويده
متعلق به ومن نصبه جعل الخبر في المجرور ونصب صلتا على الحال اي مسلولا
وهو المجرد من غمده والمشهور بضم اللام من صلت وذكر القتيبي انها
تكسر في لغة قوله فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني فقلت
مشيرا بالنفي كانه قال لا مانع لك مني فلم يبال النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
ولا عرج عليه ثقة منه بوعد الله وتوكلا عليه وعلما منه بانه لبس فاعل
في الوجود بغير الاله تعالى وانه اعلم الناس بالله تعالى واشدهم له خشية
فاجابه بقوله الله ثلاثا فلما سمع الرجل ذلك وشاهد تلك القوة
التي فارق بها عادة الناس في مثل تلك الحال تحقق صدقه وعلم انه لا حيلة
اليه بتقرر وهذا من اعظم الخوارق للعادة فانه عدو متمكن بيده سيف
شاهر وهو قادر حاضر ولا حال تغيرت ولا روعة حصلت فهذا الحال في العادات
موقوعه من ابلغ الكرامات ومع اقتران الجرئ يكون من اوضح المعجزات
قوله فشام السيف اي اغمده هنا وهو من الاضداد يقال سام السيف
جرده وشامه اغمده قوله فما هو اجالس بهمزة ورحته بخط شيخنا

ابي الصرايجوبي في نسخته ورحدته في نسخة اخرى فشام السيف فما هو
هو جالس باسقاط الفاء وزيادة هو والاول احسن لان الفاء رابطة
وهو لا يحتاج اليها في زايدة ومعنى هذا الكلام ان النبي صلى الله عليه
وسلم تنبه على دلك الرجل واخبر عنه واشار اليه فكانه قال تنبهوا
لهذا الرجل اذ منع مما يتم به واستسلم لما فعل فيه بنا فاه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفوه وحلمه وعاد عليه بعوايده الكريمه
وصفحه فلم يعرض له على ما كان منه ومن باب ذكر بعض كرامات النبي
صلى الله عليه وسلم ، الرحل للبعير كالسرج للفرس والاكاف للحمار
وسرى واسرى لغتان وقد جمع بينهما في هذا الحديث وهو سير الليل
قوله اسرينا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة اي انتصب سير كل من
الليل الى ان قام وهو اصف النهار وقام الظهيرة هو وقت حر النهار وشدته
قوله ورفعت لنا صخرة كهيئة اي رفعها السراب قدرا ما رأوها قوله
وانا انتفض لكما هوينك اي انهض واحث مما حولنا هل فيه ما يضره
يقال اذا انكلت الليل ما انخفض واذا انكلت فالنهار فانتفض اي التفت
اي ما حولك قوله للراعي لمن انت يقال لكل من اهل المدينة يعني بالمدينة
هنا مكة لو حضر اذ ذاك انه انما كانت هذه القصة في سفر الحجر يتم
وان هذا انما كان في غير اسفارهم الاتي قوله اسرينا ليلتنا الى ان قام
قائم الظهيرة وكاسم انما التقوا هذا الراعي بعد ليلة ونصف مروا من حرة بني
من الغار وذكر حديث سراقة في بعض هذا الحديث مرسلا على انه قال بعد بنا
من مكة وثانيهما انه روى من طريق اخر عن البراء انه قال للراعي لمن انت
قال لرجل من اهل مكة وسماها مدينة لان كل بلد يسمى مدينة وسيه قوله

تعالى وكان في المدينة تسعة رهط ولم يرد به دار الضرب بالاتفاق
وانما سميت المدينة مدينة لان اهله يدينون لملكه اي يطيعون ويذل
من اذين وهو الملك والخشية من الناس وغيره القليل المحتقر منه
وارتوى افتعل من الري اي اخذ فيها من الشراب ما تروى والقعب
قدح من خشب والاداوة من جلد وقوله وكرهت ان اوقظه اما كره
ذلك لان نومه دل كان راحة من تعب ولانهم كانوا يتوقعون
انه موحى اليه ويومه فابقاظه يخاف ان يكون فاتحا للوحي وقوله
صببت على الناس من الماء حتى يرد اسفله يعني انه صب على انا الناس من الما
ليبرد الناس فانه يخرج من الضرع حارا وكان الوقت شديد الحر
وعلى هذا فالمراد بما سفليه اسفل الاناء ويحتمل ان يكون المراد به انه
صب الما في الناس ومزجه به وخص اسفل الناس لانه اذا ورد اسفله
برد اعلاه وسرب النبي صلى الله عليه وسلم مرد الناس مع علمه بان
الراعي لبن مالك اذ قد صرح الراعي بذلك مشكل لان الورع يقتضي
التوقف وقد اجاب عنه على الوجه احدها انه علم عجز المالك وانه
كان من نجيبه نفسه بذلك ويرد عليه ذلك ان احمد بن حنبل روى هذا
الحديث في مسنده فقال فيه فقلت لمن انت يا غلام فقال لرجل من قريش فسماه
فعرفته وبانيها ان ذلك محمول على ما عرفه من عوايد العرب في اباحة
ذلك للقادر على مثل ذلك الحال وبالجملة ان من احتاج في سفره وتعذر عليه
غنم او بقر ونحو ذلك او عطش فله ان يسد حوضه ويروي عطشه
منها وان لم ياذن المالك وان لم تشتد الحال الى الضرورة والله ذب
الحسن والوصي والجمهور على ان ذلك انما يجوز لمن اضطر الى ذلك

وقد اختلفوا ان ذلك مال كان من لبن له كحمر محمل لمن ظفر به قال الشيخ
رحمه الله وهذا هو العدل ان يحلب الغنائم لم يقسم شرع بعد واشبهها
الاول والثاني وقوله الهان الرجل اي مرجان وقته والخلد من الارض
الموضع الصلب الغليظ منها وقول ابو بكر رضي الله عنه أبينا
اي وصل الينا واجبك منا ومنه قوله تعالى انا معكما اسر بالملا او بعارا
وقد امن ابو بكر رضي الله عنه التفاتا الى الاسباب العاديه ومقتضى
الجبلة البشرية وقوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا اي
بالحفظ والنصرة وقد اجابه صلى الله عليه وسلم ثقة بالوعد الصادق
وتفويضا الى الواحد الخالق وقوله ارتكمت فرسه اي ركضتها اي عاضت
قوائمها حتى وصل بطنها الى الارض يقال ارتكم الرجل اذا الرجل اذا
ثبت فيه وقوله ارى نعم السحرة اي اكن ازعاء وصل بطنها الى الارض
وقول سراقة قد علمت انكما دعوتما علي ما دعا موسى على فرعون وملائه
من تعجيل هلاكهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللصحابة وان كانوا
محالفين لهم وقوله فالله لكما ان رددتما عنكما الكتب الورانه الصحيحه
نقضت الهاء ولا يجوز بحذف ذلك لانه قسم حذف حرف جره ويحوطه
فتعدى الفعل المنوي فنصبت فكانه قال فاقسم بالله لكما على ان تمحيا
خبري شما وارد عنكما من يطلبكما وقوله فدعا الله فنجا فيه من بعض
دعوات النبي صلى الله عليه وسلم المجابة الاجابة وفي من الشره لحيث
يسوق الحضر ويحمل المجموع منها التقلع بان الله تعالى قد اكرم محمدا صلى الله
عليه وسلم باجابة دعواته واسعفه في كثير من طلباته وذلك دليل على
مكانته وصدق رسالته وقوله فقدسنا المرفنه تعني اسم وصلوا السنا

لبلا الا اسم اما موافا وحا منصاع دخلوها معا وهو امبيس وحرس
عائشة رضي الله عنها وهذا لحق اهل السير على انه دخل المدينة يوم
الاثنين والمشهور يوم الثنين عشرة خلت من ربيع الاول فحينئذ الموضع
وصل عند استواء الشمس منه وقوله انزل على اخوال عمرو المطلب اما
فانت الانصار اخوال عمرو المطلب لان اباه هاشما تزوج سلمى ابنة زيد
من فراش من بني النجار فولدت له عمرو المطلب فعبد النجار اخوال
جد النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك اختار صلى الله عليه وسلم
وسلم عليهم ومدح في حقهم السعي وعمرها ان النبي صلى الله عليه وسلم
نزل في قبا فاقام فيهم اياما واسس مسجدهم ثم خرج متجها الى
ناقته متوجها حسب امره الله تعالى بادركته الجمعة في بني سالم فصلاها
في بطن الوادي ثم انه توجه الى دخول المدينة فعرضت له سادات
قبائلها كلهم يتعرض عليه النزول وياخذ بخطام ناقته وهو يقول
دعوها فانها مامورة فلم تزل ناقته كذلك حتى وصلت الى دار ابي ايوب
فبركت عندها فنزل النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ايوب رضي الله عنه
وهو ابو ايوب وعمرو عنه في هذا الحرف بقوله فتنازعوا ايهم ينزل
عليه اي يتجاذبون زمام ناقته وخطامها عليه وقوله فتعلق الرجال والنسا
ء فوق البيوت والغلمان والخدم في الطرق هذا لحكاية على المعنى
لحكم قوله بالغت زوجتك فزعا منقلبا اسيفا رزحا وخلقتها
تثنا وتاما ردا الا ان الكرى لا تضع فيها معانه قال وتفرق الغلمان
والخدم في الطرق والعلل ينادون يا محمد يا رسول الله كذا لك
فرح وسرور بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة

الى اليسير واسمه كعب بن عمرو بن عريب من بني سلمة شهد العقبة
وبدرا وهو عقبي بدري وهو الذي اشترى العباس بن عبد المطلب
يوم تقدم وقال رجلا قصيرا والعباس طويل فحكم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك وهو الذي انتزع
راية المشركين من بد ابي عزيز يوم بدر شهد حفص مع علي رضي الله
عنهما معركة اهل المدينة وتوفي سنة خمس وخمسين وقول
عمارة بن ابي اسيد بن عمارة بن الحارث خرجت انا وابي بكلد العلم
الذي الى عمي الانصار فعلم ان يعلموا دليل على ما كان عليه اهل
ذلك الصدر من حرصهم على كلفة علم الحرث والرحلة الى اهله
والاجتهاد في تحصيله فلذلك سمي سعيا في تحقيق الدعوة والحماية
وتقلله والملاحة حمد الله عليهم انزحه فلقد سلكوا غرضا
افضت بهم الى الجنة عمرو بن الحرث الحي اقيل وخامه
من حجة هو بشر الفاء بعد الالف وصوابه اخامة وبني
الاضبارة وجمعها اضابير وكل شيء جمعت بعضه الى بعض فهو
اخامة والصحف جمع صحفة وهي الورقة من الجنة وكذلما انسخة
فهو صحيفة ومنه صحفة الطعام والبرد الشملة المخططة وجمعها
برد وبرود وقافا في بعض النسخ الميم ثوب منسوب الى سقافير
وهي محلة بالفسطاط وقيل هو رجل كان يعملها والسقعة
تغير اللون لسواد شبه بحمرة قاله الخليل والجفرس
العلمان الذي قوي منهم في نفسه وجمعه في اهله بعالمه
استجفر الصبي اذا صار كذلك واصله في اولاد الغنم فاد الى علمه

اربعه اسطر وفصل بين امه واحدى الرعي دل عليه حمز والانثى
حفره والاربعه واحدة الاربد وهي السريرالتي عليه قبله وعلى
الجمله ومعل التدريس تشبيه راسه ان اكثر تلك فاقرئ كما اقرئك
فاخلفك وقتت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاله فان هذا
العلم صائد فاروا به منتقيا على دينه محتسبا لاقتباس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاما علم منه رب الدرس ذلك فحاصله محققه
وانكره الى المبتدء كما قال الله تعالى وقد ماذا على اذا رب الدرس
اذا اهلم بعشرة عربيه او كنتما حومت عليه مكالمته وان
لم تثبت عسرته عند الحاكم وقوله الى قال الله هو عمرو د
لاستعاره الاستفهام دخلت على الهمزه المفوضه من ياء القسم
وقوله فاشهد بصر عيني بياتين وسمع اذني باتين بدا
رواية العذري بضم الصاد وسكون الراء على المصدر الحاف
الى ما بعده وذلك سمع اذني بسكون الميم وروايتها الكسري
تصر بضم الصاد وفتح الراء على الفعل الماضي وبفتاي مرفوع
على الفاعل وذلك سمع اذناي بكسر الميم وذراعنز
اي على الفساني وروايته الكسري اوضح واقل كلفه ما روايته
العذري يحتاج معها الى اضمار خبر المبتدء الذي هو تصر تقديره
تصر عيني حاصل او متعلق بم له بعد ما يعطف على بقره
الجمله الاسميه جمله يعلبه الى بني هوله ورعاه قلبي والاحسن
في عطف الجمل مراعاة المجانسه في المعطوف والمعطوف عليه
مروايه الكسري اعلى وقوله ورعاه قلبي رسول الله صلى الله

عليه وسلم الضمير وعاد عابد على غير مذكور قبله فهو مما
تفسره الحال والمشاهده وابدل منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم للبيان وهو بدل الكامر من المضمر ونباه القلب
هو معانقته وروى مناه وهو موضع تقلقه وانكار المعسر
ما خيره الى ان يوسر والوضع عنه اسقاط الدين عن ذمته
وقد جمع صلى الله عليه وسلم لهذا المعسر حيث محى عنه الصحيفة
وقال له ان وجدت قضاء فاقض والا انت بري جل وقد مضى تفسير
الجمله والمعانيون من جنس واحد لبسا بالغفين وقوله المعمومين
بما نأكلون واكسوهم مما تلبسون هكذا هو وجود نسرد
السيد عبده في توجيه ما يأكله ويلمسه وهو ليس بواجب
اتفاقا وقد بينا ذلك مما تقدم لكن خاف ابو اليسر ان يعون ترك
ذلك منقصا من حسناته فسوى بينه وبين عبده في الطعام
وكذلك فعل مودي الله عنهما كما تقدم والاشتمال الاشتمال
بالسمله وهذا الاشتمال الذي اشتمله جابر هو الذي اذن له
فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم في كتاب الصلاة وهو
ان يضع وشاحه الشمله على كتفيه ويكرهها من تحت ضبعيه ويخالف
بين طرفيها ويعقدها على قفاه ووضعه يده على صدره اما
كان ليوقظه من غفلته ويستحضر فهمه وقوله اما فعلته ليراني
احمق مثلك انما شاقهه بهذا اللفظ الحاني مقابلة له على ما صدر
من الحركه الجافيه والسوال الذي اورده متورك الانكار ولو تأمله
في السوال لما سمع هذا المقال والعرجون واحد العراجين وهي الشماريخ

وتسمى ايضا الخياسة وركب ابن كاب نوع من الركب وتقدم القول
على البزاق في المسجد وقوله ايجب ان يعرض الشعر اى بعامله معاملة
المعرض عنه فلا يشهد ان قلما ان البزاق في المسجد مكروه وان
تنزلنا على ان البزاق في المسجد حرام فما تقدم كان الاعراض
كناية عن تعذيبه على ذلك وتركه رحمته اياه في مقابلة العذاب
والله اعلم وقوله فخشعنا الرواية الصحيحة فيه بالحاء المهملة
من الخشوع وهو الخضوع والتذلل يعني انهم حضرت عليهم احوال
المكسرين الخائفين ومن قيده بالجيم فقد ابعد اذ ليس هذا
موضع الجشع لانه عبارة عن اشد الحرص يقال منه جشع
الرجل بكسر الشين وجشع اذا اشتد حرصه في الخلوق
والعبير مكروه من الطيب كالزعفران ونحوه التي فيه رشيء
تحري والخاتمة والخاعة ما خرج من اقصى الفم وسواك موضع
من ناحيه رضوى وكانت بلده الغزوة على راس ستة من
مقدمه المدينة خرج منها يطلب المجدي بن عمرو ثم رجع الى المدينة
ولم يلق حربا وتلدن تنتبط وتلدا ولم تنبعث وشاصوت
تزجر به الابل واللعن الطرد والبعد وما عاسر الرجل على
بعيره بالعنه اجيب ما تيسر السير عليه وجيل بتشديد الياء
وهذا من باب اعطوه في المال لزيد لا من يحطوه ما لا يعقل
وهذا يدل على ان الدعاء وحالة الضجر والغضب قد يستجاب
وعشيشية تصغير عشية على غير قياس وتمار الحوض تطينه
وتسد خلله لئلا يمسك الماء وترعنا استقسا والسجل الدلو

افتقناه ملأناه وقوله اتاذنان دليل على ان من جاز شاهد
المباح ملكه وان الماء المحوز يملك بوضعه دليل على انه لا يختص واباحه
ملك الغير بالسكوت بل لا بد من اذن المالك وشنق لها الرمام اى
قبضه اليه ليقطع عن الشرب وشجت بحقفة الجبل قطعت
الشرب بعال شججت المفازة اى قطعتها بالسير والنازف
الذي ذهبت سيبة بدلك لتذنبها اى تحركها وكل شيء معلق
محركته ذبذبته وقوله وتواقصتها بعثني ليلا تسقط
اى حثني على سرعة وقد تقدم القول على مواقف الماء مع
الامام وهذا الحديث دليل على المشروع في حق الامام اذا اقام دليل
عن سنة ما اخبر انه يرفعها خلفه لا تقدم وتنزعها قال
النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بنا بدر وخيبر رضي الله عنهما والجفور
تعقد الازار من الوسط وقد سمى الازار جفورا كما تقدم
في قول ام عكية ما عكانا حقوه اى ازاره وخشبة انتعل من الحمة
وقوله صرد الورق بالحاء المهملة والقرح الجراح وتقرحت
الجرحة والشرق جانب الفم وهذا الحديث يدل على ان جبريل
وعلم جلدتهم وعلى ان الله تعالى قد جعل العادة اكراما لنا لان امساك
القوة على السفر والسير مع الاعتياد يثمرة في كل يوم امر خارق للعادة
وقد وضح ذلك في الرجل الذي اخبرهما انه اتمر نسقه اياه لما
اعجبهما قوة الحال والعادة فاخبرهما ان من سقط قواه
لا ترجع اليه الا بعد معالجة وترتيب واستدامة ذلك
على تدريج وتنعشه برقعه وتدعمه ليقوم وكانه سقط

من الضعف وقد فسر بعض الشارحين تنقصه بتشعى ء رفعه بالشهادة
له بانه ما اعطى التمرة وعاد خرباه اولى لانه قال بعد كل واحد منهما
مقام يعنى انه سقط من الضعف هنا ولو ارتفعه لم يقدروا حتى اكل
التمرة فقوى وقام مقامه والافيح الواسع المنبطح وشاطى الوادى
جانبه والحشوش هو الذى يعمل فى انفه الخشاش بكسر الخاء وهو عود
او وتد يجعل فى انف البعير ونحوه والتحرش هو اول
على ان الله تعالى مكن نبيه صلى الله عليه وسلم من اخراق عاداته
وان الجمادات كانت تخضع له يتصرف فيها كيف شاء وهذا من اجل
الكرامات واعظم الدلالات وحشرنه بالخاء المعجمة وقفيته وخرزته
وحكى الاقفش سهم حشر وسهام حشر اى محدودة قوله فقام
ذلك هو استفهام وذاك اشارة الى ما امره رسول الله صلى الله عليه
وسلم به من عرس المعصفر وهو دليل على جواز السؤال عن العلل والحكم
وقد تقدم القول على القبر من للعذر فى كتاب الطهارة والاثجاب
جمع ثجب وهو ما انفلق من الاسقية وقدم وهو اشد تبريدا للماء
من الجرد وقوله على حمارة من جريد صحح الرواية فيه بكسر الحاء المهملة
وتخفيف الميم وهى حرابيد وعيدان تجمع لعلاقها بالربط وتفتح اسفلها
تعلق منها الاسقية وقد روى انها بعض الرواة بجمارة بجيم مضمومة
وميم مشددة وهو القلب والقمر لا تخرج الماء من الراوية او القربة
وقوله لو انى افرغته لشربه يابسه اى لقلته واعياد الضمير مذكرا على
معنى العزلا على لفظها اراد بها المخرج او الجلد يعنى ان الماء قليلا
فلو صب لاشربه وتمرة بعضه والتمر القفز الطفن وجمعه

الوطب هى مصغة كبيرة يتخذ جلها الاعراب الابل يابلورسا مجمص
وقوله مرات الما بفور من بين اصابعه اى تجرا الله من اصول الاصابع
الا ترى ان الحجر من الحجر وقد بينا ان هذه المعجزة ابلغ من معجزة موسى
على اسعد سعيد ونبع الماء من الحجر وسقف الحجر ساجله وزخر
البحر مواج وازبج واوزبا اى قد ناو الشوق الجانب وجاج العين
بكسر الجاء وفتحها هو الدمع الذى يسيل العقلة وعلى كرمه الاعلى
هو الحاجب ويقال راسه تحلحله ومن يا ——— مثل ما بعده
النبى صلى الله عليه وسلم النعبث المكر والكامنة من الارض القطعة تسعها ومن
الناس الجماعة والتخيبه المنبته وقيلت لم تختلف رواه مسلم وهذا
الحرف انه مالها سوا مدة من الفعل اى شربت الما فاتتعفت به
وقيده بعض رواه البخارى قبلت بيا مشاة من تحت وقال الاصيلى
انه تصحيف وما ادرى ليس كذلك ومعناه جمعت بعد العرب قيل الما
فى الموضع اذا اجتمع فيه قال الشيخ وهذا ليس بشى لانه قد ذكر بعد
هذا الكامنة للمسكة الما الجامعة له فعلى ما قاله يكون الكامنة بمعنى
واحدة ويفسد معنى الخبر والتشبيه وهل يكون معنى قبلت شربت
قال ابو القبل شربت نصف النهار وقبلت الابل اذا شربت قابلة
قال السيح وهو الخالص شى لان مقصود الحديث الاخص شرب
القابلة من غير ما والاظهر ما قاله الاصيلى والكلا المرعى وهو العشب
والرطب يسمى الخلا والبابس يسمى الحشيش قوله كانت منها احاديب
لم ار فى هذا الحرف الا بالحاء والدال المهملة وهو الصحيح قال الاصمعى الاحاديب
من الارض ما انبت ادغلا وسعناه اسماجرده ما يرزه لا يبشر بها شى وهو راعا

بعضهم اجاذت بالذال المعجمة وقال بعضهم انما هي اخاذات بالخاء والذال
المعجمتين جمع اخاذة وهي الماسكة للماء وقد فالها بعضهم اجاذب بالجيم
المهملة والذال وليس بشئ وبعضهم فالها اجاود بالجيم والدال جمع اجود
وهو الذي لا نبات فيه قال ـــ الشيخ رحمه الله والصحيح الواضح الاول
رواية ومعنى ان شاء الله ومقصود هذا الحديث ضرب مثل لما جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم من العلم والهدى وان جميع ذلك مشبه ماجاء
به المطر العام الذي ياتي الناس في حال اشرافهم على الهلاك لجدبهم
وقنوطهم لشدة الحاجة اليه بالارض المختلفة فمنهم العالم العامل المعلم
فهو كالمنزلة الارض الطيبة شربت فانتفعت وسقت وانبتت فنفعت
غيرها وفيهم الحافظ للعلم الحامل له المستقرئ لزمانه فرجعه ورجبه
غيره اذا لم تتفرغ للعلم بنوافله ولا لتفقه فيما جمع لكنه اداه لغيره
كما سمعه فهو كالمنزلة الارض الصلبة التي تستقر فيها الماء فينتفع
الناس بذلك الماء فيسقون ويسقون وهذا القسم هو الذي قال فيه النبي
صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه فرب حامل
فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه لنوال فتشبيه
هذا القسم بهذه الارض التي امسكت على غيرها ولم تشرب ولم تسق
فتنتفي الارض عملت بما لزمها من العلم ولا من الهدى ولم تقم بما وجب
عليها من امور الدين ولا فتنت للعلماء ولا للمسلمين لانا نقول القيام بالواجبات
ليس واجبا لعلما بل يستوي فيها العلماء وغيرهم ومن لم يقم بواجبات
علمه فاشبه الطائفة الثالثة التي لم تشرب ولم تسق لانه لم يعمل بما وجب
عليه لم ينتفع بعلمه ولانه عاص بما يجب الاخذ عنه وقوله واما ثب

كابية اخرى هذا مثل الطائفة الثالثة التي لم تسمع الشرع فلم تؤمن ولم تقبل
وشبهها بالقيعان الشحمة التي لا تقبل الماء ولا تمسكه وتفسده على
غيرها فلا ينبت منها انبات ولا يحصل مما حصل فيها نفع والقيعان
جمع قاع وهو ما انخفض من الارض وهو المستنقع الماء وهذا يجمع
ما يمسك عنه الماء وما لا يمسك لان مقصود الحديث ما يمسك عنه
الماء وقوله وسقوا ورعوا ابل سقى يسقي واسقى يسقي واحد ومن سقيته
ناولته ما يشربه واستقيته جعلت له سقيا ورعوا من الرعي وقد
روينه عن بعض المقدسين زرعوا من الزرع وكلاهما صحيح وقوله
فذاك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني الله به علم وعلم
هذا مثال الطائفة الاولى وقوله ومثل من لم يقبل هدى الله الذي ارسلت
به مثال الطائفة الثالثة وسكت عن الثانية اما لانها قد دخلت
في الاولى بوجه لانها قد حصل منها نفع في الجملة بالاضافة الى الثالثة
او لانها اختيرت الاولى بوجه ما والله اعلم والطائفتان المتقابلتان العليا والسفلى والله اعلم
وقوله في الحديث الآخر انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قومه
فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعينيّ وانا النذير العريان فالنجاء النجاء
فاطاعته طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت
طائفة منهم فصبحهم الجيش فاجتاحهم واهلكهم فذلك مثل من اطاعني
فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق هذا مثل
ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ولما بعثه الله به من الهدى والعلم
وشبه من عصاه وكذبه بالقوم الذين اتاهم النذير العريان فكذبوه
وعصوه فاجتاحهم العدو واهلكهم وشبه من اطاعه وصدقه بالذين
صدقوه فنجوا بالادلاج وهو السير بالليل يقال منه ادلج بالتخفيف
اذا سار من اول الليل وادلج بالتشديد اذا سار من آخره وقوله
فالنجاء النجاء كلمة تقال عند الفزع والخوف ومعناها اسرعوا
اسرعوا وقوله فادلجت طائفة من قومه فانطلقوا على مهلتهم فنجوا

اذا راى ما يوجب انذارهم منه نخرج من ثيابه واشار بالسم ليعلمهم بما
ذهبهم وهذا اشبه والسق بمقصود الحديث والنجاء السرعة وهو
منصوب على المصدر وهو بالمد وقيل بالقصر حكاه ابو زيد ولو
نكر لفظهم لوجب نصبه واذ لجوا سار واول الليل ادلاجا
والاسم الدلجة والدلجة بضم الدال والادلاج الخروج من اخر الليل
والمصدر الادلاج والاسم الدلجة بضم الدال قال ابن قتيبة وبين الناس
ربيز ابو حسن في كل واحد منهما كما قال بينهما من الفرق وشرقه
واجتاحهم اهلكهم واستاصلهم يقال جاحهم السنة تجوحهم
تجوفا وجياحة واجتاحتهم تجتاحهم اجتياحة وقوله استوقد
نارا اي اوقدها والسنى والنار الدخان والجنادب جمع جندب
بفتح الدال وضمها وهي الجراده هذا هو المعروف من اللغة وقال ابو حاتم
الجندب على خلقته الجرادة له اربعة اجنحة يطير الليل طويلا شديدا
والفراش قال الفراء هو غوغاء الجراد التي يتفرش وتتراكب وقال
غيره هو الطير الذي يتساقط في النار في السراج قال الشيخ رحمه الله
وهذا اشبه بما في الحديث والحجز جمع حجزة وهي معقد الازار والسراويل
ويقال تحاجز القوم اذا اخذ بعضهم بحجزة بعض واذا اراد الرجل امساك
من يخاف سقوطه اخذ ذلك الموضع منه والتقحم هو التقدم على الشيء من غير
تثبت ولا تبصر وهذا مثل لاجتهاده بنتنا على الله عليه وسلم في نجاتنا
وحرصه على تخليصنا من الهلكات التي بين ايدينا ولجعلنا نقدر ذلك
وغلبته شهواتنا علينا وتغرير عدونا اللعين بنا حتى صرنا اغلب من
الفراش والجنادب واذل من الطير اللازب وقوله صلى الله عليه وسلم

مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاتمها واحسنها الا موضع لبنة
اللبنة الكوبة التي تبنى بها وفيها لغتان بضم اللام وكسرها وضمها
ليس غير اراد تشقط الفراش الخ كذا في نسخ بالقاف وتبين والذي في
صحيح مسلم تشقط بالشين المعجمة وهو الصواب وقوله كسر اللام
وسكون الباء وضم التاء كذا في نسخ بكسر اللام وضم الباء وتشديد التاء
وهو مضبوط هذا المثل ان شبه به صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ختم به النبيين
والمرسلين وتمم به ما سبق في علمه اظهاره من مكارم الاخلاق وشرائع
الرسل فهو كمال النظام وهو ختم الانبياء والرسل الى الانام صلى الله عليه
وعلى آله افضل صلاة وسلم عليه ابلغ سلام ومن ياف ان اراد الله رحمته
فوصل نسخا قبلها انه كان من امنه التي صلى الله عليه وسلم قبل امته
رحمة لامته لان الموجبات لهلاكهم بعده اتباعهم لشريعته
واتباعهم بما يأتون به فنقلهم امورهم بذلك الى اعظم من فقد
الانبياء فلا اجر اعظم من اجر من اصيب بذلك ثم يحصل لهم اجر المسك
بشريعته بعده فتتضاعف الاجور لهم رحمة ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم حياتي لكم رحمة ومماتي لكم رحمة واما اذا اطلعنا
قبله على ذلك لكون الاسم لموصوفه وحالقوه وعصوا امره فاذا
استمروا على ذلك من عصائهم وصدهم بعضهم بعضا عن ذلك فربما دعا عليهم
فاياب استدعوته ما هلكتم فاغرتعينه وسلم فما فعل بعضهم بعض
وغيره من الانبياء وقد تقدم القول في الفرق بينه والمتقدم قال الشيخ
رحمه الله وحديث ابي موسى رضي الله عنه هو من الاربعة عشر دينا المنقطعة
الواقعة في كتاب مسلم لانه قال في اوله سنده حدثنا عن ابي اسامة
وهو من روى عنه ابو بكر بن سعيد الجوهري قال حدثنا ابو اسامة

ملخص المعارضة

ثم ذكر السند متصلا الى ابى موسى رضى الله عنه وسماه احاديث حوض النبى صلى الله عليه وسلم واوانيه ٠ ومقصوده التنبيه على كثير من معانى احاديث هذا الباب فى كتاب الطهارة ومما يجب على كل مكلف اعتقاده وتصديقه ان الله تعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض الذى هو الحوض المشهور باسمه وصفته وشرابه وانيته فى الاحاديث الكثيرة الصحيحة الشهيرة التى يحصل بمجموعها العلم القطعى واليقين التواترى اذ قد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الاثنين فى الصحيحين منهم نيف على العشرين وباقيهم فى غيرهما ممن تقبله واشتهر رواته ثم رواها عن الصحابة من التابعين امثالهم ثم تتابعت الاحاديث مع توالى الاعصار وكثرة الرواة لها فى جميع الاقطار وتتوفر هممهم الناقلين لها على روايتها وتخليدها فى المصنفات وتدوينها الى ان انتهى ذلك الينا وقامت به حجة الله علينا فلزمنا الايمان بذلك والتصديق به كما جمع عليه السلف واهل السنة من الخلف وصارت بدعة من المبتدعة واحادوه عن كامره وعتوا عتوا كبيرا وبلغ من غير احالة عقله ولا عناده به تلزم من اقراره على كامره ولا معارضة سمعيته ولا تكذيبه ندعو الى ويله فتا ويله تحريف صدر عن عقل سخيف خرق به اجماع السلف وفارق به مذهب ائمة الخلف والحوض مجتمع الماء المعد لسقى الوارد اذا اجتمع وجمع احواضا وحياضا وقوله من شرب منه لم يظما ابدا اى لم يعطش اجرما عليه وكامر بعد ايراده من الاحاديث ان الورود على هذا الحوض المشرب منه انما يكون بعد المحاة من النار وانوال القيامة

تأكيد

وبيان لقوله

لان الوصول الى ذلك المحل الشريف والشرب منه والوصول الى موضع يقرب منه النبى صلى الله عليه وسلم ولا يمنع عنه من اعظم الاكرام والانعام وهل انتهى الى مثل هذا كيف يعاد الى حساب او يذوق بعد ذلك تنكيل خزى وعذاب فالقول بذلك او بغيره من السراب وقوله حوضى مسيرة شهر زواياه سواء اى اركانه معتدله يعنى ان ماءه الاركان متساو وهو معتدل التربيع وقد اختلف الالفاظ الدالة على مقدار الحوض كما هو مبين فى الروايات المذكورة فى الاصل وقد ظن بعض القاصرين ان ذلك اضطراب وليس كذلك وانما تحدث النبى صلى الله عليه وسلم بحوض مرات عديدة وذكر فيها تلك الالفاظ المختلفة اشعارا بان ذلك لتقدير لا لتحقيق وكلها تفيد انه كبير متسع متباعد الجوانب والزوايا ولعل سبب ذكره للكميات المختلفة هو تفاوت الجواب فى ذلك اما كان بحسب من حضره من يعرف تلك الكميات بمحاسب كل قوم بالجهة التى يعرفونها والله اعلم وقوله ماؤه ابيض من الورق هو حال بيان لما قبلها وهذا الحديث على الاصل المرضوض كما جاء وعلى هذا فاتت ابيضكم سيزنا بالخاء ٥ ومما فى قوله صلى الله عليه وسلم تواقص سعسع امة ابراهيم اى دعوهم وكما قد جاء عنه قوله صلى الله عليه وسلم ليذادن اقوام عن حوضى كما تذاد الغريبة من الابل وكل ذلك جار مشيعة على الاصل المرضوض والمستعمل الفصيح كما جاء فى الرواية الاخرى اشد بياضا من الثلج فلا معنى لقول من قال من متعسفة المحاة لا يجوز التلفظ بهذه الاصول المرضوضة مع صحة هذه الروايات

وعمرة بذلك الكلمات وقوله عقبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرم وصلى على اهل اخيه صلاته على الميت اى دعا لهم بدعا المؤتى وكانه
صلى الله عليه وسلم فان قد استقبل القبلة ودعا لهم واستغفر وهذا
كما فعل حيث امره الله تعالى ان يستغفر لاهل البقيع فقام عليهم
لليلة واستغفر لهم ثم انصرف ثم اقدم بى الجنايز وقوله افكنت
مفاتيح خزائن الارض اى بشرتهم بفتح البلاد واكثار الزرع والغلات
كله المسلمين وتمليكه جميع ما فاح به كسرى وقيصر من الصفرا
والبيضا والنفايس والذخاير بعد هلكته الله وديارهم ورقابهم وارضهم
واموالهم كل ذلك وظاهر المضمون لدخوله على الزرع فله ولو ذكره
الشركون قوله ابى والله لست اخشا عليكم ان تشركوا بعدى
يعنى انه عليه السلام على جملة اصحابه ان يرتدوا عن الاسلام بعد الشرك
ولا يلزم من ذلك الا يقع ذلك من احاد منهم كان الخبر عن الجملة
لا يلزم صدقه على كل ما فرض من احادها دايما فتنبه لا وهو الذى
اخبر بان منهم من يرتد بعد موته كما حادثا فى بعض ما هو موضع
من احداث الحوض وغيرها وقد ظهر فى الوجود ردة كثيرة ممن
صحب النبى صلى الله عليه وسلم وصلى معه وجاهد معه كفر بعد موته وقد
تقدم قول ابن اسحق وحكايته انه لم يرتد بعد النبى صلى الله عليه وسلم
مسجد من مساجد المسلمين الا كان فى اهله ردة الا ما كان من بلاته
مسيلمة وقال ابو بكر رضى الله عنه لاهل الردة معلوم متواتر وادا
كان كذلك فيتعين حمل هذا الحديث على ما ذكرناه ويحتمل ان يكون هذا اخبرا
عن خصوص اصحابه الذين اعلمه الله تعالى بما هم فاعلم لا ان الذين

على نفى الاسلام ويشركه الى ان يلقوا الله ورسوله على هذه الحالة
شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكثير منهم بالجنة وشهدت استقامة
احوالهم حتى توفاهم الله تعالى عليها وكيف ان يحمل هذا الخبر على جميع
الامة فيكون معناه الاخبار عن دوام الدين واتصال ظهوره الى
قيام الساعة وانه لا ينقطع نعلبة الشرك على جميع اهله ولا ارتداد جميع
كما قد سبق من ذلك الكتاب بدلالة السنة واجماع الامة والاول اظهر
من الحديث والله اعلم وقوله واتى اخشى عليكم ان تنافسوا
فتقاتلوا فتهلكوا ٥ هذا الذى توقعه النبى صلى الله عليه وسلم
هو الذى وقع بعده حصلت الفتن وعظمت المحن ولم يخل منها الا
من عصم والزال الصلح الى يوم القيامة فسال الله عافيته
خير وسلامته ٥ وجربنا صحيح رواياته بفتح الحاء وسكون الراء
والمد ووقع عند بعض رواة البخارى بالقصر وهو خطا واذ يح
بفتح الهمزة وال مهملة ساكنة وراء مضمومة وحاء مهملة وهو
الصوب ووقع فى رواية العذرى بالجيم وهو خطا وقد فسرها
فى الاصل بانها قريتان من قرى الشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام
وقال ابن وضاح فى اذرح انها فلسطين وهذا يدل على جهله ما فيها
انه كان يقدر الحوض بقدر كافيه مما كانت تعرف من مسافات
مواضعها فيقول هذا لاهل الشام وهذا لاهل اليمن من صنعا
الى عدن وكانة اخرى يقدر بالزمان فيقول مسيرة شهر وعمان
بفتح العين وتشديد الميم وهى مذكرة من عمل دمشق وهى من الفلاة وقد جا
فى الشعر مؤنثا عن عون الى عمان وصل منها عمان بهم العين وكسر

اليم وليس بحجر وانما الى هى ذلك عمان التى باليمن ملاقلات
سعاء وهى مدينة كبيرة **وقوله** انى لاعقر حوضى موسم العبس
وسكون القاف وهو موخره حيث تقف الابل اذا وردته
وسكن تاءه ونم يقال عقرت وفقرت كغشر وعشر ماله
فى الصحاح يقال عمرو يعقر الدار اصلها بفتح العين وقد تضم
وقوله اذود الناس لاهل اليمن يعنى اسابقهم من اهل اليمن
الذين نصروه الله نعم فى حياته واكمر الوس بعد وفاته
وقد علم ان المدينة من اليمن واسم اخو سبا الاكبر ام من يجزم
لما ثبت لهم من سابق النصرة والاثرة ولذلك قال للانصار اصبروا
حتى تلقونى على الحوض واذ وراد دفع وذاته نظير قولهم ما لغته فى
اكرامهم حتى يقولوا اول شارب كما يقال لفقراء المهاجرين اذ
يطلق سهم الى الجنة فيدخلهم الجنة قبل الناس بكذا كما مر ثبت
فى الاحاديث والاظهر ان النبى صلى الله عليه وسلم يلازم المقام عند
الحوض دائما بل يكون عند الحوض تارة وعند الميزان اخرى عند
الصراط اخرى كما مر عن رجلا قال ان اردك يا رسول الله
يوم القيامة فاين عند الحوض يا لم تجدنى فعند الميزان فان لم تجدنى
فعند الصراط فانى لا اخلى هذه المواطن الثلاثة رواه صلى الله
عليه وسلم لا يفارق اصحابه ولا امته فى تلك الشدائد سعيا
فى تخليصهم منها وشفقة عليهم صلى الله عليه وسلم ولا خلاف بينها
وبينه فى تلك المواطن **وقوله** اصرب بعصاى حتى يرفق بالغناء
مريحت اى اضرب من اراد من الناس الشرب من الحوض فعل اهل

اليمن ويدفعهم عنه حتى يصل اهل اليمن فيرفق الحوض عليهم اى
يسهل عليهم ارفق الرجل اذا سهل **وقوله** شخب فيه ميزابان
من الجنة اى يسيل وهو بالشين والخاء المعجمتين والشخب بالفتح
فى الشين المصدر وهو الشيلان وبالضم الاسم يقال فى المثل شخب
فى الارض وشخب فى الاناء واصل ذلك فى الحالب المفرد وفى الرواية
الاخرى يغت بالغين المعجمة وبالمثناة فوق فى الرواية
المشهورة ومعناه الصب المتوالى المتتابع واصله اتباع
الغين الشين يعنى انه يصب دائما متتابعا صبا شديدا
سريعا وفى رواه العذرى يعب بالعين المهملة وبالموحدة
وكذا ذكره الحربى وفسره بالغب وهو شرب الحاجة
بعد حرعة ورواه ابن ماهان تشخب شاشلثة مثل العس
المهملة ومعناه تتفجر وتسيل ومنه وحرثه شخب دما
وقوله تمد انه من الجنة فصحه بمد الله بضم الميم
بلا سين من مد المطر ومده تمهر اخر فاما الرباعى فقولهم
امدت الجيش بمدد ومدها الرباعى فى الاول ومعناه الزيادة
على الاول دائما واقتضوا اخر هذا من بيت الوارد بن واضجاى
تصغير اضجاء على غير قياس ولابتا الحوض جانباه اللذان
من حارته حيث يحوى شدة الحر والعطش واصل اللابة
الحرة وهى ارض ايست بحارة سودا وسميت لابتا المدينة
كما تقدم وسحقا سحقا بعدا بعدا والسحق المكان البعيد

ومن باب صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وجوده وجبن ذلك

قوله فزع اهل المدينة اى ذعروا من عدوّ دهمهم وقد قدمنا
ان الفزع يقال على اوجه متعددة ولم تراعوا اى لم يصبكم روع
او لا روع عليكم وقوله وجدناه بحرا يعنى الفرس اى وجدناه
يجرى كشبه اجرياستنا بها كالبحر وقد يعدم ان اصل البحر السعه
والكثره ويقال فرس بحر وشذب وشج ونهبل وبحر اذا
كان سريعا كثير الجرى شديد العدو وقوله وكان مرتبطا
بتقا اى يغسب البطر اليه ويعرف به فلما رجعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادركته بركته فسابق الجياد وصار يعد الفاد
والوجاة المشهورة بتقا بالمثناه فوقيه والموحده من البطء
ضد السرعه وعند الكبرى ثبطا اى بطيئا وهو بمعنى الاول
والفرس العربى الذى لا سرج عليه يقال فرس عريّ وحمل اعراء
ويقال رجل عريان ورجال عريانا وفى هذا الحديث ما يدل على ان
النبى صلى الله عليه وسلم كان يدرجع له من قوة وركوب الخيل والسخاء
والشهامة والانتهاض فى الحروب والعروسبه
واجوادها ما لم يقع عليه احد من الناس ولذلك قال انجاده
عنه انه كان اشجع الناس واجود الناس وافرس الناس ولذلك
قالوا ان الشجاع منهم كان الذى يلوذ لجانبه اذا التحما لحروب
ويأبى به عامة ما ولى فط منهزما ولا حرث احد عنه فط فقرار
ومندوحة اسم علم لذلك الفرس وقيل انه سمى بذلك لانه كان
يسبق بحور الندب وهو الخطر الذى يجعل للسابق وكانه
انما حرث له هذا الاسم بقرار رجعه النبى صلى الله عليه وسلم وقد

ذكر انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرس يسمى سندوبا فيحتمل
ان يكون هذا الفرس انتقل من ملك الى ملكه الى ملك النبى صلى الله
عليه وسلم اما بالهبة او بالابتياع ويحتمل ان يكون فرسا اخر
وافقته فى هذا الاسم والله اعلم وقوله سعد راننا عن يمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بياض
نقاتلان عليه كاشد القتال قال يعنى جبريل وميكائيل
روى ابو سعد رضى الله عنه لفرس المشى وذلك اليوم فراسة
من الله تعالى وصدقها فراسة عمر ان رجلين يسلم اللائكه
عليه واستدل من ظهر بروية الملائكه الذين قتلوا القراءة
القراء وقال الملائكه للكفار يوم بدر ويوم احد لم يحرح
عن عادته القتال المعتادة من الناس ولو اذن الله للملائكه
او بعد الملائكه بان يصح صيحة فى عسكر العدو ويصلخوا
به لحظه واحدة او يخسف بهم موضعهم او اسقط عليهم قطعة
من الجبل المطل عليهم لكان ذلك اهون عليه واقل كلفة
بالنسبة مشاهدة قبيل من سر المكلف للتوجه لهم
ولا تعقيب كما قد صرح الله تعالى بذلك يوم احد وكثيرا اذا قال
يوم بانى بعض ايات ربك او يوم يعلما انما يعلم متى حصل
او حسبة فى انما ساحرا وقوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اجود الناس اى اكرمهم جودا وسخاء هذا هو المعلوم
من حلقه فانه ما سئل قط شيئا فمنعه اذا كان مما يبيح بذله
واعطاه وقوله وكان اجود ما يكون فى رمضان اما كان ذلك

لاوجه اذ هما رغبته فى ثواب سهر رمضان فان اعمال الحرمه
مما عمه الامر وليعم القائمين وليعظم هم تحصل له مثل اجورهم
كما قال ولانه كان يلقى فيه جبريل لمدارسة القرآن فكان
يتجرد ايمانه ويقينه وتعلو مقاماته وتظهر عليه بركاته
فنالك من لقاء ما اكرمه ومن مشاهدة ما اعظمه وعمل انما كانت
عطاياه تكثر فى رمضان لانه كان يفرغ الاحرار من بين يدى
مناجات الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول
فقدموا بين يدى نجواكم صدقة وعنه بعد لانه لو كان نسخ ذلك
لاستبعاد دخول النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا الاية ولبعد دخول جبريل صلى الله عليه وسلم فى قوله
تعالى اذا ناجيتم الرسول واخوه قيد بالنصف على انه خبر كان
وعنه بعد لانه يلزم منه ان يكون خبرها هو اسمها وذلك لا يصح
الا تاويل بعيد والرفع اولى لانه يكون مبتدأ مضافا
الى المصدر وخبره فى رمضان وتقديره اجود اكواته فى
رمضان ويعنى بالاكوان الاحوال والله اعلم وقوله ان جبريل
صلى الله عليه وسلم كان يلقاه فى كل سنة فى رمضان يحمل الدرس
على ان على الابتداء والصحيح عنه اولى لتكون تعليلا لجود النبى صلى الله
عليه وسلم فى رمضان وكان هذا الوجه اولى والله اعلم ولا اذكر
الان كيف قيدتها على من قرأته عليه وقوله كان اجود
من الريح المرسلة اى بالنظر وعنه جواز المبالغة والاغياء
فى الكلام وافى كلمة ذم وتحقير واستقذار واصل الاف

والتف وسخ الاظفار وهما عشر لغات اف بغير تنوين بالضم
والكسر والكسر وبالتنوين للتخفيف ستة الاوجه الثلاثة
وبكسر الهمزة وفتحها وبعدها تى وأفه وفى الصحاح يقال كان
ذلك على اف دلك واف ثانية بكسرها اى حينه واوانه
وقوله انس والله لا اذهب وفى نسخ ان اذهب هذا القول صدر
عن انس فى حال صغره وعدم كمال تمييزه اذ لا يصدر مثله
ممن كمل تمييزه وذلك انه حلف بالله على الامتناع من فعل ما امره
به رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة وهو عازم على فعله
فجمع بين مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الاخبار بامتناعه
والحلف بالله على نفى ذلك مع العزم على انه كان يفعله وفيه
ما فيه ومع ذلك فلم يلتفت النبى صلى الله عليه وسلم لشىء من ذلك
ولا عرج عليه ولا اذنبه بل داعبه واخر تقناه ويعوذ بالخدمة
رفقا به واستلطافا له ثم قال يا انيس اذهب حيث امرتك
فقال له انا اذهب وهذا كله مقتضى خلقه الكريم وحلمه
العظيم وقد اختلفت الروايات فى مدة خدمة انس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل عشر وقيل تسع وذلك لحسب اختلافهم
فى سنه فقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فقال الزهرى
عن انس رضى الله عنه قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وانا ابن عشر وتوفى وانا ابن عشرين سنة قال النسخ
رحمه الله فعلى هذا خدمه عشر سنين ان قلنا انه خدمه اول
مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ويحتمل ان يكون تأخر

حرمته عن ذلك سنه فكون عمره حرمته له تسع سنين وقيل
قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وانس ابن ثمان سنين وقوله ما اعطاه
عما بين جبلين يعني بادي ما من جبلين كانا هنالك وكان بحرا
والله اعلم يوم حنين لكثره ما كان يسأله من غنائم الابل والبقر
والغنم والذراري ولان بحرا الذي اعطي بحرا القدر كان من المؤلفة
قلوبهم الا ترى انه رجع الى قومه وهو عامهم الى الاسلام لاجل
العطا وقوله ان كان الرجل ليسلم ما يريد الا الدنيا يعني انهم كان
يسلم من ينقاد ويدخل في الاسلام لكثره ما كان يعطي النبي
صلى الله عليه وسلم من يتالفه على الدخول فيه فكون قصر ه
بالدخول فيه الرسا وبحرا كان حال اكثر المؤلفة يوم حنين على ما مر
وقوله فما يسلم حتى يكون الاسلام احب اليه من الرسا وما عليها
ظاهر معناه وبحرا الكلام ان اسلامه الاول لم يكن اسلاما صحيحا
لانه كان يبتغي به الدنيا وانما يصح له الاسلام اذا استقر الاسلام
بقلبه فكان اثر عنده واحب اليه من الرسا وما عليها ثم قال
تعالى بل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا وبحرا
معنى صحيح لكنه ليس بمقصود الحديث وانما مقصود انس من الحديث
ان الرجل كان يدخل في دين الاسلام رغبة في كثره العطا فلا يزال
يبقى حتى ينشرح صدره للاسلام ويستقر عنده وتتنور
بانواره حتى يكون الاسلام احب اليه من الرسا وما معها ثم

قوصوم بركل صفوان حتى قال والله لقد اعطاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانه لابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس
الي وهذا الفق لمعظم المؤلفة فلو يسلم وقوله صلى الله عليه وسلم
لجابر لو قد جاءنا مال البحرين لاعطيتك هكذا وهكذا وهكذا
وقال بيديه جميعا هذا يدل على سخاوة نفس النبي صلى الله عليه
وسلم بالمال وانه ما كان يمسكه ويتعلق قلبه كان لا يعده ويقدره
ولا يقدره بمقدار لا عن اختزه ولا عن تذله وهذا منه صلى الله
عليه وسلم كان وعدا لجابر رضي الله عنه وكان المعلوم من خلقه
الوفا بالوعد ولذلك تقدره له امر جابر رضي الله عنه بعد
موت النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كانت خلق ابي بكر وخلق
الخلفا الاربعة رضي الله عنهم الا ترى ان ابا بكر لما جاءه مال كثير عدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر فقال ابا بكر من كان له
له على رسول الله دين او كان وعده شيئا فليات فجاء جابر فاخبره
موصوله وفي ذلك ما كان رضي المثل الذي لم يزل يجري من علي رضي الله عنه
ما هذا وما بيضاء غيري ترضى ما ترضى رسول الله
على الله عليه وسلم للصبيان والعبيان وقوله وانا لان كان الله
نزع الرحمة من قلبك هكذا ومع هذا اللفظ محذوف همزة الاستفهام
وهي مرادة تقديره او انا لك وكذا هذا اللفظ في البخاري
ثابتا بها وهو الاحسن لغلبة حذف همزة الاستفهام وان مفتوحة
وهي مع الفعل بتاويل المصدر تقديرها او انا لك كون الله نزع
الرحمة من قلبك وهذا بعد من كسرها ولم نجد رواية الكسر وعلى

الكلام تقتضي غزارته صلى الله عليه وسلم عن الانبيان بما تنزع الرحمة من قلبه
من الرحمة والرحمة في رقة وحنو يجده الانسان من نفسه عند
مشاهدة مبتلى او ضعف او صغير يحمله على الاحسان اليه والتلطف
به والرفق والسعي في كشف ما به وقد جعل الله هذه الرحمة في
الحيوان كله عاما له وكثيرا قتله منها يعطف الحيوانات على
نوعها وارلادها فتحنو عليها وتلاطفها في حال ضعفها وصغرها
وحكمة هذه الرحمة تسخير القوي للضعف والكبير للصغير حتى
تحفظ نوعه وتتم مصلحته وذلك تدبير اللطيف الخبير ومن هذه
الرحمة التي جعلها الله تعالى في المخلوق في هذه الدار ويحصل عنها
هذه المصلحة العظيمة هي رحمة واحدة من مائة رحمة اذخرها الله
تعالى ليوم القيامة فيرحم بها عباده الموحدين وقت احوالها
وشدائدها حتى يخلصهم منها ويدخلهم جنته وكرامته ولا تفهم
من هذا ان الرحمة التي وصف الحق بها نفسه هي رقة وحنو كما
هي في حقنا لان ذلك لغير موجب للمتصف به الحدوث والله تعالى
منزه ومقدس عن ذلك وكل نفسه التي هي الشهوة والعقل
والمراد لك رافع في حقه الى تنزه ذلك الرافة وما يرشد اليه في اللطف
بالمبتلى والصغير والاحسان اليه وكشف ما هو فيه من البلاء حادث
في حقه سبحانه وتعالى من صفات الفعل لا من صفات الذات
وهذا كما يعدم في غضبه تعالى ورضاه في حق موطن واذا تقرر هذا فمن
خلق الله تعالى في قلبه هذه الرحمة الكاملة له على الوجه الذي يكشف
ضر المبتلى يقول رحمه الله تعالى يدرك في الحال ويحمل ذلك على الله

على رحمته اياه في المثال ومن سلمت الله ولك المعنى منه واسلاه
بمقتضى ذلك من القسوة والفلك ولم يلطف بضعيف ولا اشفق
على مبتلى فقد اشعاه في الحال وجعل ذلك علما على شقوته في المآل
نعوذ بالله من ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن
وقال لا يرحم الله من عباده الا الرحماء وقال لا تنزع الرحمة
الا من شقي وقال من لا يرحم لا يرحم وفي هذه الاحاديث
ما يدل على جواز تقبيل الصغير على جهة الرحمة والشفقة
وفرابة الاستماع من ذلك على جهة الاثقة وسره القبلة
على الفم وبكره مثل ذلك في الكبار اذ لم يخرج ذلك مخرجا في
الصدر الاول ولا يدل على شفقة فاما تقبيل الرأس فجائز
يعني من كثرت عادتهم بذلك فالاب والام واما تقبيل اليد
فكرهه مالك وراه من باب الكبر واذا كان ذلك مكروها
في اليد فاحرى واولى في الرجل وقد اجاز تقبيل اليد والرجل
بعض الناس مستدلا بان اليهود قبلوا يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجليه حين سالوه عن مسايل فاخبرهم بها وبالحجة
في ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم قرر هم الله عن الكفر
واجاز ذلك عليه وليس كذلك عمره وان ذلك انما هو من اليهود
بعظمه واعتقادهم ضرورة حاقوا بهم على ذلك ليتبين للحاضرين
باذلالهم انفسهم له ما عرفهم من سوء فتنهم بصدقه وان
كفرهم بذلك عناد وتجحد ولو فعلت الصحابة رضي الله عنهم
جواز بفعل يده ورجله لكانوا اول سابق الى ذلك فيفعلون ذلك به

وايا وفي كل وقت كما كانوا يتوجون بزاقه وتخامته ويدلكون
بذلك وجوههم ويتبركون بقرقه ويقتتلون على وضوئه ولم نر ولم
نقف عن واحد منهم بطريق صحيح انه قتل له ابا ولا ولدا فصح
ما قلناه والله ولي التوفيق **وقوله** وقال طبيره فتنا
الطير اصله اسم للمرضعة ثم قد يقال على زوجها صاحب البيت
دلك قال الخليل وقال المذكر والمونث وقال ابو حاتم الطير من
الناس والابل اذا اعلقت على ولد غيرها والجمع طوار
قال ابن السكيت لم يات فعال بضم الفاء جمعا الا طوار ثم قال
وطوار جمع طير وعرار جمع عرق وربال جمع رجل وقدار
جمع قدير وهو ولد الكلبة وغنم ربابة جمع شاة ربا قال
ابن دريد وهي حديثة عهد بنتاج وقال ابن الانباري جمع الطير
طوار او اطوار او لا يقال طورة وحكى ابو زيد جمعه طورات
قال الهروي ولا تجمع على فعلة الا اربعة احرف طير وطورة
وصاد وصخبة وفارة وفرقة ورايت ورقه وهي الحمام
الطير سموا به لجمع طوار على فعال مثل ما تقدم وطور وراخبار
والقبر الحفرة والقبر القبر والقبيلة الامة فقيهة حاذق
او عمر مخبيه وقد علك من ظننا المغيبة فقك والجمع القبان
قال زهير رد القبان جمال الحي ما حملوا الى الظعيرة امر ابشم لبد
قال السمح رحمه الله واصل هذه اللفظة من اقتنا اذا شئت
اقتنا اي حبست واقتانت المرضعة اخذت ترضعها ومنه
قيل للماشطة قينة وقيتة لانها تزين النساء شبهت بالامة

اخرجه

لا سما بصلح البيئة وتربيته **وقوله** ان ابرهيم ابني قد مات في الثدي
اي في حال رضاعه اي لم يكمل مدة رضاعه قيل انه مات وهو ابن ستة
عشر شهرا وهذا القول تقرط الشفقة والرحمة والحزن **وقوله** ان له
لظئرين يكملان رضاعه في الجنة هذا يدل على ان حكم حكم
الشهيد قال الله تعالى قد اجرى عليه رزقه بعد موته كما قد اجرى
ذلك على الشهيد احيث بل احيا عند ربهم يرزقون وعلى هذا فمن
مات من صغار المسلمين بوجه من تلك الوجوه السبعة التي ذكرنا
اسباب الشهادة كان شهيدا ويلحق بالشهداء الكبار بفضل الله ورحمته
اياهم وان لم يلفوا اسنانهم ولم يكلفوا تكليفهم فمن قتل من الصغار
في الحرب فان حكمه حكم الكبير فلا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن بثيابه
كما يفعل بالكبير **وقوله** اتى صلى الله عليه وسلم لم يكلب
منه عمس يده في الماء والمحاربة التي كلمته دليل على كمال حسن خلقه
وتواضعه واسعاف من لم يكلب منه ما يجور طلبه وان شق
ذلك عليه ويحمل لهم اجر على نياتهم وبركة في اطعامهم وسقيا
جاياهم وبركات الامة ما تزينه فتخلقه حتى شاة
من المرسنة وهذا كمال لا يعرفه الا الذي خصه به **وقوله** الحشة
ارفق تدى اي يرفقك وهو منصوب بنصب المصدر اي ارفق
برفقك **وقوله** في الام ويحك يا الحشة وتدا سوقك بالقوارير
ويح قال سيبويه ويحك زجر لمن اشرف على الهلاك وويل لمن وقع
فيه وقال الفراء ويح وويس بمعنى ويل وقال غيرهما ويح كلمة لمن وقع
في هلكة لا يستحقها بيرثى له وويح وويل بمعنى ويس تصغير

قال الشيخ رحمه الله وهي كلمات منصوبة بافعال مقدرة لا يستعمل اظهارها
ويجوز ان يكون رويدا هنا اسم فعل الامر اي اَرْوِدْ بمعنى ارفق وسُوقَكَ
بقناء منصوب به او باسقاط حرف الجر اي سُوقًا وقد قال بعض الناس ان القوارير
يراد بها الابل امره بالرفق بها ليلا تعنف عليها في السير بحيث
موته فتهلكها وتقصير الراوي او من تفسير هذا المتأخر فانه قد
تقدم ان الصحابي قال يعني به ضعفة النساء وشبههن بالقوارير لسرعة
تأثرهن لعدم تجلدهن فخاف عليهن من حث السير وسرعته سقوط
بعض او نالمعنى بكثرة الحركة والاضطراب الذي يفضي الى سرعة
والاستحالة وقيل انه خاف عليهن الفتنة وحسن الخلق وطيبه بما
قد قال سليمان بن عبد الملك يا بني امية ايا كم والغنا فانه يزيد رقة الزنا
فان كنتم ولا بد فاعلية فجنبوه النساء ومن يملك شرة حماء الحياء
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه ممدود وانقباض يجلبه الانسان من نفسه
يحمله على الامتناع من ملابسة ما يعاب عليه ويُشتقّ منه ويقبضه
الصلف وهو التصلف في الامور وعدم المبالاة بما يشقح ويعاب عليه
منها وكلا مما جبلي ومكتسب غير ان الناس منقسمون في القدر
الحاصل منهما من الناس من جبل على الكثير من الحياء ومنهم من جبل
على القليل منه ومن الناس من جبل على الكثير من الصلف ومنهم
من جبل على القليل منه ثم ان اهل الكثير من احدهما على مراتب وكذلك
اهل القليل فقد يكثر احد الوصفين حتى يصير نقيضه كالعدم ثم هذا
الجبلي قد يكون في تحصيل المكتسب وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من
جبل من الحياء على الحظ الاوفر والنصيب الاكثر ولذلك قيل منه انه

كان اشد حياء من العذراء في خدرها انه كان يأخذ نفسه بالحياء ويتعمله
ويامر به ويحض عليه ومعلوم الحياء من الايمان والحياء لا يأتي الا بخير والحياء
خير كله ويقول لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء وكان يعرف الحياء
في وجهه لما يظهر عليه من الخفر والخجل وكان اذا اراد ان يعتب
رجلا معينا اعرض عنه ويقول ما بال رجال يفعلون كذا ومع هذا
كله فكان لا يمنعه الحياء من حق يقوله او امر دين ينهى يفعله تمسكا
بقول الحق ان الله لا يستحي من الحق وهذا هو مقابلة الحياء وحماله
وحسنه واعتداله فان من يفرط عليه الحياء حتى يمنعه من الحق فقد
ترك الحياء من الخالق واستحى من الخلق ومن كان هكذا فقد جرح نافع الحياء
واتصف بالنفاق والرياء والحياء من الله تعالى هو الاصل والاساس فان الله
احق ان يستحى منه والعذر الذي لم نقترح عذرتها والخذر اصله
الهودج وهو هنا كناية عن بيتها الذي هي ملازمة له الا ان تخرج
منه الى بيت زوجها والفاحش القبيح على التحقيق وهو الجافي في الاقوال
والافعال والمتفحش هو المتعاطي لذلك والمستقل له وقد برأ الله نبيه
صلى الله عليه وسلم عن جميع ذلك وتنزهه فانه كان رجلا رفيقا لطفا
سهلا متواضعا كريما وصولا محبوبا لا تقتحمه عين ولا تجه نفس
ولا تصدر عنه شيء يكره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وقوله ان من فبارح
احاسنكم اخلاقا هو جمع احسن على وزن افعل التي للتفضيل والتي ان قرنت
بمن كان للمذكر والمؤنث والاثنين والجمع بلفظ واحد وان لم تقرن بمن
وكانت مضافا او بالف واللام ذكرت وانثت وثنيت وجمعت واذا اضيفت
جاز فيها الامران كما احاسنكم وكما قال تعالى اكابر مجرميها

وقد قال ولتجدنهم احرص الناس على حياة وقد روى هذا الحديث اخلاق
موحدا والاخلاق جمع خلق وهي عبارة عن اوصاف الانسان التي بها
يعامل غيره ويخالطه وهي منقسمة الى محمود ومذموم فالمحمود منها
صفات الانبياء والاولياء والفضلاء كالصبر عند المكاره والحلم عند الجفا
وتحمل الاذى والاحسان للناس والتودد اليهم والمسارعة في وجوه الخير
والرحمة والشفقة والكظم في الغيظ والتثبت في الامور ومجانبة
المفاسد والشرور وعلى الجملة فاعتدال النفس بان يكون بحيث ترد على نفسك
متصفا بها ولا تتصف لها مدفوعا عن كمالك وبعلى من حمد والمذموم
منها نقيض ذلك كله وقد جاء في الحديث في غير هذا سلم من زيادة
حسنة فقال فيما رواه احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون
ويؤلفون خيره الخلق وهاؤلا المتخلقون وقد قدمنا في غير موضع
ان اصل الخلق جبلة في نوع الانسان يجوز ان الناس في ذلك متفاوتون
فمن الناس من يغلب عليه بعضها ويقف عن بعضها وهذا هو المأمور
بالرياضة والمجاهدة حتى يقوى ضعيفها ويعدل شاذها فما يضبط
بتعقل في كتب الرياضات وقد تقدم الكلام على قوله انه صلى الله
عليه وسلم كان يتعبد بحراء حتى يفجأه الحق وقول عائشة رضي الله
عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما يعني
انه كان صلى الله عليه وسلم اذا خير بين شيئين يجوز له فعل كل واحد
منهما او عرضت عليه مصلحتان كان يختار ايسرهما ويترك الاثقل
اخذا بالسهولة لنفسه وتعليما لامته كان في احد الشيئين اثم تركه
واخذ الاخر وان كان الاثقل وكونه صلى الله عليه وسلم سقط الى الارض

لما حمل ازاره على عنقه يدل على ان الله تعالى جعله من صغره وتولى
تاديبه بنفسه ولم يكله في شيء من ذلك لغيره ولم ينزل الله تعالى بفعل
ولكله حتى كره له افعال الجاهلية وحماه عنها حتى لم يجر على لسانه
شيء منها قال وذلك لكثرة ما عكف عليه وجمع للمحاسن لديه
وتقدم لها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك
حرمة الله تعالى يعني انه كان يصبر على جهل من جهل عليه ويحتمل جفاه
ويصفح عمن آذاه في خاصة نفسه كصفحه عمن جاء يا محمد اعدل فما عدل
فقيه ما اريد بها وجه الله تعالى وما عدلت منذ اليوم وصفحه
عن الذي جبذ رداءه عليه حتى شفه واثر في عنقه فان مثل ما آذاه
انتهاك حرمة الله فكيف تترك الانتقام لله تعالى بها وقد
وعد قال الله تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم فالجواب
انه صلى الله عليه وسلم ترك الانتقام ممن آذاه استئلافا وترك كالما
تنفر عن القبول منه كما قال صلى الله عليه وسلم لئلا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وقد قال مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن شمه مشمر الى ماء قريبا واذا اقر وقد امر عائشة
رضي الله عنها بقولها الا ان تنتهك حرمة الله فحرمة الله التي لا ترجع
لحق النبي صلى الله عليه وسلم كحرمة الله وحرمة محارمه فانه قال لهم
حدود الله على من انتهك سماها ولا يعفو عنها كما قال في حديث
السارقة لو ان فاطمة سرقت لقطعت يدها لكن ينبغي ان يفهم ان صفحه
عمن آذاه كان بحضوره ما دام قريبا واما بعد ذلك فلا يعفى
عنه بوجه قال القاضي عياض رحمه الله اجمع العلماء على ان سنة النبي

صلى الله عليه وسلم كفروا فعلموا اهل حكمه حكم المرتد بستتاب
او حكم الزنديق لا يستتاب وهل قتله للكفر او للحرابة محصورهم على ان
حكمه حكم الزنديق لا يقبل توبته وهو مشهور مذهب مالك وقول
الشافعي واحمد واسحق وروي ان قتله للحرابة لا لكفر فعلى التوبة لا تسقط
عنه حد الله تعالى ولا يسقط حد القتل عنه وقال ابو حنيفة
والثوري هي كفر ردة وتقبل توبته اذا تاب وهي رواية الوليد
عن مسلم عن مالك واجمعوا في الزنى اذا سبه بغير الوجه الذي يكفر
بمثله العلماء على انه يقتل لحق النبي صلى الله عليه وسلم وابو حنيفة
والثوري والكوفيون لا يرون قتله بما هو عليه من الكفر اشد
واجمع اهل المدينة واصحاب مالك في قتله اذا سبه بالوجه
الذي يكفر من تكذيبه وتجهيل نبوته والاجماع الاشهر قتله واجمعوا
في اسلام الكافر يسبه هل يسقط ذلك القتل عنه ام لا والاشهر
عندنا سقوطه لان الاسلام يجب ما قبله وحكى ابو محمد بن نصر وغيره
القتل عنه وابن القاسم وسحنون وجماعة من اصحاب مالك رحمهم الله
الحكام وولاة الامور في الصفح عمن جهل علمهم وحلمهم والصبر على
اذاهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل وان الحاكم لا يحكم لنفسه
وقد اجمع العلماء على ان الحاكم لا يحكم لنفسه ولا لمن لا تجوز شهادته له
على ما حكاه عياض رحمه الله وصفا بـ محمد رأته رسول الله صلى الله
عليه وسلم
وحسن شعره وشيبه وحسن خلقه قوله جابر رضي الله عنه جلست
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاولى هذا من باب اضافة
الاسم الى صفته كما قالوا صحر الجامع وقد يقع القول فيه بمعنى الصلاة

الاولى صلاة الظهر فانها اول صلاة صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليه
وسلم ويحتمل ان يريد بها صلاة الصبح لانها اول صلاة النهار وقوله
موجزة لبيرة يريد اوجز منها او نحو هذه او الاولى ان يكون بمعنى الواو والشك
لانها لو كانت شكا ما ذا قدر بها اسقاط او بحالم يستتم تشبيه بردة
يريد ما خراجها من جونة عطار وان ذلك لما هو تشبيه للرائحة
ما ذا حملت او يحمل معنى الواو الحاصلة استقام التشبيه للرائحة
والاخبار عن وجدان بردة البيع التي يعرف بها العطر ويحتمل
ان يريد بالبردة بردة اطيب فاسم بعضونه بذلك حما مال الشاعر
وتبرد ثرى رداء العروس بالصيف رقرقت فيه العبيرا ٥
والجونة بضم الجيم وفتح النون هي سفط يحمل فيه العطار متاعه
قاله الخليل وهو معروف وقد يسمل وقال صاحب العين هو
سكيلة مستديرة مقشاة ادما وقوله ما شممت عنبرا ولا مسكا
ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل على
انه كان طيب الريح او لم تطيبهم انه كان يستعمل الطيب ويعجبه
والحق لانه كان يأتي الملائكة ولانه مستلذ الحس الشم كالملاذ
لحس الذوق ولانه مقوي للدماغ ويحرك لشهوة الحمام ولانه
مما يرضي الله تعالى اذا عضوبه القربة والتقي للصلاة وقوله
كان ازهر اللون يعني ابيض اللون وصفا كما قال في الرواية الاخرى
ليس بالابيض الامهق اي المتغلق البياض الذي صفته تشبه بياض
الثلج والجص وقوله اذا مشى مشى تكفيا معروفا قال ابو عمر اي مال
يمينا وشمالا مال الازهري هو احتفاز وهو صفة المختال لا رفق

ملتقى المقابلة

صفته صلى الله عليه وسلم والمعناه انه تميل الى شمنة وتقصر
ع مثنية كما قال في الرواية الاخرى كما يخط من جنبه قال
الشيخ رحمه الله وتبينه ما قدمناه في رواية ثالثة تمشي تقلعا
وقولها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يصلي عندنا
اي نام عندهم والقائيله وصفه دليل على دخوله الرجل على ذوات
محارمه والقائيله وتمشطه معهن وتؤمه على مراشهن وخلف
انه سليم ذات محرم له من الرضاعة قاله القاضي عياض وقولها
فحملت اسلت العرق فيها اي تجمعه في الفارورة كما قدمناه في الرواية
الاخرى وقولها اذ وضع به طيبي بالقاف المعجمة ثلاثا اي اخلطه
وهكذا صحيح الرواية فيه وهو المشهور عند اهل اللغة وحكى
فيه القاف المعجمة ثلاثا وباهما وقد استوفيناه في كتاب الايمان
وقوله كان اهل الكتاب يسدلون اشعارهم وكان المشركون يفرقون
رؤسهم قال القاضي سدل الشعر ارساله والمراد به هنا
عند العلماء ارساله على الجبين واخاذه كالقصة يقال سدل شعره
وثوبه اذا ارسله ولم يجمع جوانبه والفرق تفريق الشعر بعضه
عن بعض والفرق تفريق كل شيء من كل شيء قال الحربي والمفرق
موضع الفرق والفرق في الشعر سنة لانه اري رجع الله
النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر انه توفي لقول انس رضي الله عنه
انه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء فسدل ثم فرق
بعد فظاهره انه للامر من الله حتى جعله يصنع شيئا على خلاف الحوز
السدل والفاخذ الناصية والجمة وقد روي ان عمر بن عبد العزيز

١٢٢

رضي الله عنه كان اذا انصرف من الجمعة اقام على باب المسجد حرسا
يحرسون كل من لم يفرق شعره قال الشيخ رحمه الله وصنيع
القاضي رحمه الله وحكاه يقتضي ان الفارق من مساق الحديث
انما استنزل اما فان يجعله لاجل محبته استمالة اهل الكتاب
لموافقتهم لانه كان يوافقهم فيما لم ينزل له فيه شيء فلما
استمروا على عنادهم ولم ينتفعوا بالموافقة اخذ يخالفهم
ابدا فيما لم ينزل له وصارت مخالفتهم محبوبة له لاجابته
عليه كما كانت موافقتهم وقوله فيما لم يؤمر بعني فيما لم يطلب منه
منه والطلب يشمل الواجب والندب كما قدرناه في الاصول واما
توهم الشيخ في هذا انه لا يلتفت اليه لامكان الجمع كما قدرناه وهذا
بعد تسليم ان محبته موافقتهم ومخالفتهم حكم شرعي فانه
محتمل ان يكون لكل امر مصلحيا هو امر انه لو كان النزل مسوحا
موجبه الفرق لصار الفارق به رضي اسهم اليه او بعضهم وعانه
ما روي عنهم انه كان منهم من فرق ومنهم من سدل فلم يعب الساد
على الفارق ولا الفارق على الساد وقد صح عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال له قال افرقه فرقا والاولى ان هذا السدل على
الرأس اذا غالب حاله لانه لا يذكر مع حلقه او حاقه الرأس
وحلبته التي كان موصوفا بها والصحيح ان الفرق مستحب لا واجب
وهذا الذي اختاره مالك وهو قول اكثر اهل المذاهب والله اعلم
وقوله فكان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه شيء
الامر عند قدومه المدينة في الوقت الذي كان يسدل قبلهم

وان ذلك كله كانت حكمته ألا نبيس لاهل الكتاب حتى يتميزوا
الى ما اتاه به من الحق والاستبلاء لهم الى ان خلوا
الامر فلما غلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك نسخ الله
تعالى استقبال قبلتهم بالتوجه نحو الكعبة وامر النبي صلى الله
عليه وسلم بخالفتهم في غير شيء كقوله صلى الله عليه وسلم
ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وفي امر عمرو بن التغلب
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخضبوا وفرقوا فخالفوا اليهود قال اسناده حسن ورجاله
كلهم ثقات وقوله في الحائض اصنعوا كل شيء الا النكاح حتى
قالت اليهود ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيئا الا خالفنا
فيه فاستقر آخر امره صلى الله عليه وسلم على مخالفتهم فيما لم يحكم
عليه فيكم فاذا ثبت هذا فملاحظة في موافقة عائشة رضي الله عنها
قال صلى الله عليه وسلم لم توافقه اهل الكتاب على ان شرعهم
شرع له فتامل ذلك واختلاف هذه الاحاديث في كيفية
شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو لاختلاف احواله اذ
قد فعل ذلك كله فقد سدل وفرق وكان شعره بلغ وفرة
وجمة وقد روى النسائي من حديث ام هانئ رضي الله عنها قالت
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وله اربع غدائر قال هذا
حديث حسن قال البيهقي رحمه الله والغدائر الضفائر قال امرأ القيس
غدائره مستشزرات الى العلا تضل المدارى في مثنى ومرسل
وقوله البراء رضي الله عنه ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن

من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شعر رجله اكثر من الوفرة والجمة
اذا سقطت على المنكبين والوفرة الى شحمة الاذن واللمة الى المنكب
بالمنكبين وقد تقدم الكلام في الحلة وفيه دليل على جواز لباس الاحمر
وقد اختلف من كره لباسه فكان عمر انه فرخص لباسه في بعض
الاوقات اهل الفسق والدعارة والمجون فحينئذ يكره لباسه
لانه ذريعة الى تشبه بهم وقد قال صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم
فهو منهم لكن ليس هذا مخصوصا بالحمرة بل هو جار في كل الالوان
والاحوال حتى لو اختص اهل العلم والفسق شيء مما اصله سنة
كالخاتم والخفاء والقرق كان شعار اهل الدين الا تتشبهوا
بهم مخافة الوقوع مما كرهه الشرع من التشبه باهل الفسق
ولانه قد يظن به من لا يعرفه انه منهم فيعتقد ذلك فيه وينسبه
اليهم فيطرقه من الشر وما تهم الظنون بسبب
المعونة عليه وقوله كان احسن الناس وجها واحسنه خلقا
الرواية بتوجيه ضمير احسنه وبفتح الحاء وسكون اللام من خلقنا
واما توجيه الضمير فقال ابو حاتم العرب تقول فلان اجمل الناس
واحسنه يريدون احسنهم ولا يتكلمون به قال النحويون يريدون
به الى انه احسن من ثم ثمة واما خلقا فاراد بحسن الجسم بدليل قوله
بعده ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير واما في حديث انس
فروايته بضم الخاء واللام لانه يعني به حسن المعاشرة بدليل سياق
ما بعده من الحديث وقوله كان ابيض ملحا مقصدا ابيض يعني
في صفاء كما جاء انه كان ازهر وكما قال ليس بالابيض الامهق

والله حد اعلى العينين كما تقدم والمقصد القصد في جسمه
وطوله يعني انه لم يكن ضئيل الجسم ولا ضخمه ولا طويلا ذاهبا
ولا قصيرا متردد اكان وسطا فيما وقوله كان شعره رجلا اي
ليس بالجعد ولا بالسبط هو الرواية في رجله بضم الراء وكسر الجيم وهي
المشهورة وقال الاصمعي يقال شعر رجل بضم الراء وكسر الجيم ورجل
بضم الجيم ورجل بسكونها ثلاث لغات اذا كان بين السبوطة
والجعودة قال غيره شعر مترجل اي منشرح وكان شعره صلى الله عليه
وسلم بأصل خلقته منشرح وقول انس رضي الله عنه وقد سئل عن
خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير من الشيب الا قليلا وفي
الرواية الاخرى الوشيب ان اعد شمطات في رأسه لحيته كأنهن
انه صلى الله عليه وسلم لم يختضب كما قدمنا عليه في بقية الحديث
وسيأتي الظاهر ما قاله فقال لم يختضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإليه ذهب ابو عمر بن عبد البر وذهب بعض اصحاب الحديث
الى انه خضب مستدلين في ذلك بما رواه ابو داود عن ابي رمثة قال
انطلقت مع ابي يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاذا له وفرة
وشعر رجع مورجنا وعليه بردان اخضران وروى ابو داود ايضا
عن يزيد بن اسلم ان ابن عمر رضي الله عنهما كان يصبغ لحيته بالصفرة حتى
تملأ ثيابه من الصفرة فقال اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصبغ بها ولم يكن شيء احب اليه منها وقد كان يصبغ بها ثيابه
كلها حتى عمامته ويعتضد بهذا ما روه صلى الله عليه وسلم بتغيير
الشيب كما قال غيروا هذا الشيب واجتنبوا السواد وقال

لم يكن

غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود وما كان صلى الله عليه وسلم
ليأمرنا بشيء ثم يخالفه وأما قول أنس ما تقدم ذلك مارواه البخاري
عن محمد ابن سيرين قال دخلت على ام سلمة فاخرجت الينا شعرا
من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا فاذا ابين شبيه
بالخناء والكتم والاسناد واحد ومما يعتضد به ما ورد في خضاب
الخليفتين فلو علما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يختضب قطعا لما
اختضبا واسما ما قاله بعد ان عمر سنته ولا عن اتباعه
والتفعل لغة لا مرا دبه انس وما ومعاما قال الخطابي لم يرد
منه صلى الله عليه وسلم دوامها ولا في كل حال وانما كان في بعض الاوقات
فلم يلتفت انس لهذه الاوقات القليلة واطلق القول واعلى
من هذا قال انه صلى الله عليه وسلم لما لم ير من شيبه كثيرا
وانما كان في لحيته وصدغيه نحو العشرين شعرة سلم لهن
الخضاب يظهر صفا عاليا والله اعلم وقد اعتذر اصحاب القول
الاول عن حديث ابي رمثة وابن عمر بان ذلك لم يرد خضابا بالحناء كان
تغييرا بالطيب ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما كان يصبغ بالصفرة
ولم يقل بالحناء وصرة الصفرة هي التي قال عنها ابو رمثة رددع
من حنا ولانه شبههما سمتا واما حديث ام سلمة فيحتمل ان يكون
ذلك فعل شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده بطيب او غيره
اخترناه والله اعلم والشمطات جمع شمطة وهي الشعرات
البيض المخالطة للشعر الاسود قال الاصمعي اذا بان الرجل البياض من
سوداه شمط وقد شمط والكتم بالحريدة كحلة بالوشمة

تختضب به ماله في الحاء والخاء المعجمة
موالخالص من الشيء المنفرد عن غيره وقال ابو حنيفة الكتم
الوسمة الخضر والعظلم والنيل والتوسمة وكله يصبغ به
والحناء ممدودة قال ابو علي جمع حناءة والكتم بخفف الميم
المعروف وابو عبيد يقولها بالتشديد وتنبز الرواية فيه بالنون
المفتوحة وسكون الباء اي شيء طلي متبوذ وبدض الناس يقوله
بتذ بضم النون وفتح الباء جمع نتنة كغرفة وغرف وكلهم وكلم
وهذا مستقيم معلا انه كان يلزم منه ان يكون قبيحه نبزا محمدة
2 انفسها معروفة في مواضع عديدة ويلزم عليه ان يكون منه
كثيرا يكون هذا مخالفا لما قاله انس في الاحاديث الاخر
وكراهته صلى الله عليه وسلم منه التشبه انما كان لانه وفاء
كما تقدم روى مالك ان اول من راى الشيب ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال
يارب ما هذا فقال وقار يارب زدني وقارا فولاته نورا بين
اثنامه كما روى ابو داود من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنتفوا الشيب ما من مسلم يشيب
شيبة في الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة وفي اخرى الا كتب الله
له حسنة وحط عنه خطيئة وقول انس رضي الله عنه ما شانه الله
ببيضاء اي لم يخلق شعره كثيرا بيضا حتى تزول عنه بهجة الشباب ورونقه
ويلحق بالسبوخ الذي يخور السمن فيطعم عبيا فانه يدل على تعفن
ومفارقة حلوه النضارة ونشاطه ويحتمل ان يريد ما يحمر على
من التشنج السمرزاده دلك من تغيير الناظر اليه البتة وتوقيرا

ووقارها والشيب القبيح وابرى التبل اخته وارشه احمل فيما
الربيش ويقال انه فذكان قبيح وقوي وعرف وهذا حال المراهق
وقوله فذ شمط مقدم رأسه ولحيته اي خالط الشيب كريته
الموضعين ومقدم اللحية يعني به العنفقة كما قال ابو حنيفة
رايت شعرات منه بيضا يعني عنفقته ومقدمه يعني به الصدغين
كما قال انس انما كان البياض في عنفقته وصدغيه وهذا دل
على ان قوله انس في الرواية الاخرى انه كان في لحية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وراسه عشرون شعرة بيضا انما كان ذلك
منه تقديرا على حسب التقريب والتقليل لا التحقيق وقوله
وقال اذا ادهن لم تتبين واذا شعث تبين يعني انه كان اذا
تطيب يطيب شعره فيه دهن فيه صفرة تخفي شيئا منه وهذه
هي الصفرة التي راى عليه ابن عمر وابو رمثة والله اعلم وشعث
الراس انتفاش الشعر لعدم تسريحه واراد به هنا اذا لم تطيب
وقوله كان وحمه مثل السيف يحتمل هذا التشبيه وجهين احدهما
ان السيوف كانت عندهم مستحسنة محبوبة يحلون بها
والنار فربما شبه وجنة النبي صلى الله عليه وسلم بها لانه مستحسن
محبوب يتحمل به حسن المجالسة ولا يشتهي عنه وثانيهما انه
صلى الله عليه وسلم كان ازهر صافي البياض متلألئ وجهه وقد
روي انه كان يتلألأ وجهه في الجدر فشبه وجهه بالسيف
في صفاء بياضه وبريقه والله اعلم وقوله لا بل مثل الشمس
والقمر هذا اتقى لتشبيه وجهه بالسيف لما في السيف من الطول

قد يحتمل ان رجعه كان طويلا وانها كان يسيرا وبالجملة فليس ولا نه
تقصير في التشبيه فاخبر عن كل وجه من التشبيه ما هو ارفع
وابلغ فقال بل مثل الشمس والقمر وسر التشبيه هو الغاية في الحسن
اذ ليس فيما نشاهده من سر الوجود احسن ولا ارفع ولا انفع
منهما ومما الذان جرت عاده الشعراء والبلغاء بان يشبهوا بهما
ما يستحسنونه **وقوله** وكان كثير شعر اللحية لا نهم من سرا
انه كان طويلها فاراد ان يخبر عنه انه كان كث اللحيه اي كثير
شعرها غير طويلة وكان يخلل لحيته **وقوله** ورايت الخاتم عند
كتفه مثل بيضة الحمامة الالف واللام في الخاتم للتعريف العهد
اي خاتم النبوة الذي من علاماته المعروفة له في الكتب السابقة
وفي صدور علماء اهل الكتاب السالفة ولذلك لما حصل عند سلمان الفارسي
رضي الله عنه العلم بصفاته واحواله وعلاماته وموضع مبعثه
وداربهجرته برز في الكتب حتى ظهر له ولما لقيه جعل يتامل
ظهره ليعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه يريد ان يقف على ما يعرفه
من خاتم نبوته فتنزع رداءه من على ظهره فلما راى سلمان الخاتم اكب
عليه يقبله ويبكي ويقول اشهد انك رسول الله وروى الترمذي عن
ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج
مع عمه ابي طالب الى الشام ونزلوا بقوم عتة راهب فان هناك
وقد سمي في غير هذا الخبر بحيرا فخرج اليهم فلم يخرج اليهم قبل ذلك
لا نهم كانوا يمرون به فلا يلتفت اليهم فلما خرج جعل يخللهم حتى جاء فاخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين

بعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال
انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا له
ولا يسجدان الا لنبي وانا اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروفه
مثل التفاحة وذكر الحديث بطوله وقال في اخره حديث حسن
غريب وعلى هذا فخاتم النبوة معناه علامة نبوة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت الناس في تفاصيله في صفته دلائل الحاكم
فروى جابر بن سمرة وابو موسى ما ذكرناه آنفا وروى السائب بن يزيد
انه سئل زر الحجلة وروى عبد الله بن سرجس انه راه خمصا
عليه خبلان مثل الثاليل وروى الترمذي عن جابر بن سمرة قال
كان بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقي الدين كتفيه عدة
حمر مثل بيضة الحمامة وقال حسن صحيح **قال** الشيخ رحمه الله
وهذه الكلمات كلها تشارك في المعنى مغيرة ان خاتم النبوة كان
شيئا قائما ناتئا محسنا كتفه الابيسر نحو اذا قلب عليه الحمامة
واذا كثر جمع البيوض وهو في الحجاز كان بضعة ناشزة اي مرتفعة
وقوله زر الحجلة الرواية المعروفة زر بتقديم الزاي قال ابو العرم
الحجلي الحجلة بيت كالقبة يستر بالثياب ويحمل له ثلاث سوى فسه
له زر وعروة تشد اذا علق قال الخطابي او الفحل الزر الذي
يعقد به النساء عراء الحجال من الخص فازدار الخص والحجلة بمعنى واحد
الحجال وهي ستور ذات سجوف وقال غيرها الحجلة هي الطائر المعروف
وزر بها بيضا الحمامة **قال** الشيخ والاول
اشهر في اللغة واشد بالمعنى وقد انكر الخطابي رواية زر الحجلة

سقدم الرآء وارادبيضه المحله مال أزرّت الجرادة اى ادخلت ذنبها
ى الارض لتبيض مال الشيخ وهذا الالتفات الله لان العرب لا تشمى البيضه
درّة ولا تو خذ اللغة قياسا مال الحاسى ابو الفضل وهذا الحام
هو اثر شق الملكين من قفيه مال الشيخ هذه عقله من هذا
الامام فان الشق انما كان فى صدر النبى صلى الله عليه وسلم وانما كان
حكما واخذا من صدره الى تراقيه كما هو موصوف عليه فى الاحاديث
السابقه فى كتاب الايمان من كتاب مسلم وفى البخارى وغيرهما ولم
يثبت قط فى رواية صحيحة ولا حسنة ولا غريبة انه بلغ بالشق
حتى نفذ من ورآء ظهره ولو قدرنا ان ذلك الشق كان نافذا الى ظهره
وان ذلك امر لازم للزم ان يكون مستقبلا من بين كتفيه الى قفاه لانه
الذى يحاذى الصدر من مستدق عنقه الى مراق بطنه فتعزيره
عقله رحمه الله ولعل هذا غلط وقع من بعض الناسخين لكتابه
فانه لم يهم عليه فيما علمت وبالغلط الكتب هو ما ترى منه وان يقال
سمى بذلك لنفوذ منه الى تركيبه تنفذ راسه اى خرقه وتغضه
الفناة تعزيزها ومنه قوله تعالى فسينغضون اليك رؤسهم
اى يحركونها استهزآء ويسمى الناغض الغضروف وقد اتى فى روايه
اخرا وقوله خفقا عليه خيلان هو منصوب على الحال اى بطرت الى الكلام
النبوه مثل الخمم مال ابن قتيبه هو جمع الكف يقال ضربه بخمم كفه
اذا جمعها فضربه بها وهو بالضم ويقال بكسرها والخيلان جمع خال
وهى نقط سود تكون على الجسم شبهها لسعتها بالثآليل الا انها
كانت ثآليل وهى جمع ثولول وهى قبيبات تكون الجلد وقوله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم فسره سماك فى الاصل
بانه عظيم الفم وهو معنى واسع الفم كما قاله ثعلب والعرب تمدح
بسعة الفم وتذمه بضده مال الشيخ رحمه الله وكاسم تخيلون
ان سعة الفم يكون معها سعة الكلام والفصاحة وان ضيق الفم يكون
عنه قلة الكلام واللكنة وهذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم بانه
قليل الكلام وتمامه باشراقه اى لسعة شدقيه وعرض نصفه
وهو بضم الميم معنى سمى الرجل اشدق وقوله اشدل الجحفل مال ابو عبيد
الشهله حمرة فى سواد العين والشكله حمرة فى بياض عينها
وهو محمود مال الشاعر ولا عيب فيها غير شكله كما ذاك عتاق الخيل
شكل عيونها مال صاحب الافعال مال شكلت العين بكسر
الكاف شكلة وشهلا كانه بياض فيها حمرة مال الشيخ رحمه الله
وبحوه فى الحام وزاد عين شكلا بينة الشكل ورجل اشكل
وامرأة شكلى اذا كان فيه شاخ وحمرة وهذا هو المعروف عند
اهل اللغة فاما ما فسره به سماك من انه طويل شق العين
فغير معروف عندهم ولم اقف على من قاله غيره وقوله مقعس
الحقيبس هو بالسين المهمله والمعجمه مال ابن الاعرابى يقال رجل
مقعوس القرمبيس ومقعوس القرمس اى قليل لحمها قال سماك
وهو ما خود من التقعس والتقعس مال ابو العباس التقعس انحناء
فى اطراف الاسنان والتقعس فى الاصابع وقوله لبس بالطويل البائن
اى الذى يتباين الناس بزيادة طوله وهو الذى عنى عنه فى الرواية
الاخرى بالمشذب وفى الاخرى بالمتمغط بالعين والغين اى المتباعد

ـه الطول وهو عند العرب التشقق والتشطب وقوله
والقصير المتردد اى الذى تداخل بعضه وبعض وهو المسمى
عند العرب بخيل وافضل منه الجثل وهلا الكرفين متشقق عند
العرب وخير الامور اوسطها وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم
ـه جميع اخواله وقوله ليس بالابيض الامهق اى الشديد البياض
البرص لخالص بياضه حمرة ولا عند العرب تكريهه لانه
تشبيه البرص وقوله ليس بالادم اى الذى تغلب شقرته
السواد كان السمرة بياض الى سواد والشحمة بالسين فوقه
م الحمة فوقه بالصاد وهو غالب لون الحبش والادمة فوقه
وهو غالب الوان العرب والنبى صلى الله عليه وسلم كان بياضه مشربا
حمرة وصفاء وصدق عليه انه ازهر وانه مشرب وهذا
اللون هو اعدل الالوان واحسنها وقوله ولا بالجعد القطط يروى
بضم القاف وكسرها وهو الشديد الجعودة الذى لا يطول الا بالبد
وهو حال شعور السودان وقوله ولا بالسبط يعنى المسترسل الذى
لا تكسر فيه وهو غالب شعور الروم والرجل هو الوسط بين
ذلك وقول انس بقيه الله على راس كل مئة سنة يعنى من مولده
اى عند تمام المئة بقيه الله رسوله وهذا هو اكثر الاقوال وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه بعث على راس ثلاثين واربعين سنة
وهو قول سعيد بن المسيب وقوله فاقام بمكة عشرة يعنى بعد
البعثة وقبل الهجرة وهذا مما اختلف فيه فقيل عشر وقيل ثلاث عشرة
وقيل خمس عشرة ولم يختلف انه اقام بالمدينة عشرا وقوله وتوفاه الله

على راس ستين سنة هذا احد قولى النبى وفى الرواية الاخرى ثلاثة
وستين وافقه على ذلك عبد الله بن عباس ومعاوية وعائشة
وهو اصح الاقوال واصح الروايات على ما ذكره البخارى وورد ذكر
عن ابن عباس خمس وستين سنة وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس والاصل
اله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل وقوله وليس برأسه
ولحيته عشرون شعرة بيضاء قد علمنا ان هذا سنه تقدر على
جهة التقليل وذكرنا ان يشيبه كان اكثر من هذا وقول عمرو
ـه الاصل لعروة ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة مكث عشرا
كذا وقع لبعض الرواة معناه ثم فتره كونه واقامته بها اى بعد
المبعث وقد روى لبث بمعناه وقوله قال ابن عباس يعنى بضع عشرة
قد علم ان الاشتراك فى البضع انما هو من الثلاث الى التسع فيحتاج الجمع بينه
لقول ابن عباس الثلاث عشرة والخمس عشرة قد ذكر عروة ذلك
وقوله تغيره من التغيرة وهو رواية الحلوانى اى قال عفر الله له
وقد روايه ابن ماهان قصره من الصغر اى اشار الى ان ابن عباس
كان صغيرا وذلك الوقت فلم يضبط له صغره قتل انه ولد فى السنة
قبل الهجرة بثلاث سنين وهذا هو المناسب لقول عروة
وقوله انما اخذه من قول الشاعر يعنى به قول ابى قيس بن الاسلت
ثوى وقريش بضع عشرة حجة يذكر لو تلقى صديقا مواتيا
وقول ابن عباس خمس عشرة سنة اقر وقال يعنى انه كان فى تلك الحال
غير مستقل باظهار امره فكان اذا لقى اشره نزكون فامن على نفسه
واذا اعلن امره وافشاه قام يدعو الى الله تعالى وقع عليه فتكاثروا

عليه وتمنوا القتل محافظة على نفسه الى ان اخبره الله تعالى بعصمته
منهم تقدم بيانه فيما قدمناه **وقوله** وسمع الصوت وهو الصوت سمع
سنبس اى اصوات الملائكة والجمادات والحجارة يسلمون عليه بالرسالة
كما اخرجه الترمذي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا وبعض نواحيها فما استقبله جبل
ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله قال ابو احمد حسن
غريب وعبي بالنور نور الملائكة ويحتمل ان يكون انوارا تتولد من تلك
ي اوقات الظلمة يجب عنها غيره ولذلك نقل انه كان يبصر بالليل كما
يبصر بالنهار وبعي ان بعده الحالة ثبتت عليه سبع سنين بعد ذلك
اوحى الله اليه اى جاءه بالوحي وشافهه بالخطاب كما سبق في محل هذا
وكمل له بمكة ممن عشرة سنة **وقوله** معوثة مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وابو بكر وعمر رضي الله عنهما كذا
معطوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يرفعا بالابتداء وخبرهما
محذوف اى وهما كذلك **وقوله** وابا ابن ثلاث وستين الواو للحال ويحتمل ان
يريد انه مات وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وستين
ويحتمل ان يكون ذلك وقت حدثه بهذا الحديث والحاصل انه وصل
الى ثلاث وستين سنة ويدخل في هذا ان معوية استشعر انه يوافق تمام
ي السن معوته وهو ابن ثلاث وستين ليجمع عمر احد من عظماء التاريخ
مان اول ما فعل في عمره يوم توفي انه كان ثمانيا وسبعين سنة واكثر ما فعل
فيه ست وثمانون وهل اثنان وثمانون سنة ومات بوفاته بدمشق وهو
وفق سنه ستين ونصف من رحمها قال ابن اسحق فكان معوية امرا عسرين سنة

وكان خلفة عشرين سنة وثمان سنين فكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة
اشهر وثمانية وعشرين يوما **ومن باب** عدد اسماء رسول الله صلى الله
عليه وسلم **قوله** صلى الله عليه وسلم انا محمد وانا احمد فلا تهما مأخوذ
من الحمد وقد تكلمنا على الحمد واول الكتاب **قوله** محمد منقول من محمد الرجل مشددا
اذا نسبته الحمد اليه كما تقول تجعف الرجل وخلته اذا نسبته ذلك اليه
فمعنى محمد اى المحمود والنبي صلى الله عليه وسلم احق الخلق بهذا الاسم فان الله
تعالى تحمده بما لم تحمده به احد من الخلق واعطاه من المحامد ما لم يعط غيره
احد من الخلق وتليه يوم القيامة من محامده تعالى ما لا يلتئم احد من الخلق
من الخلق فمعنى احمد المحمود من احمد الحامدين **قوله** وانا الماحي الذي يمحي
بي الكفر اى من الارض التي رؤيت له وأري ان ملك امته سيبلغه او بقي
بذلك انه يمحى به معظم الكفر وغالبه بظهور دينه على كل الاديان
بالحجج الواضحة والغلبة العامة الفادحة كما قد صرح به الحق **قوله** الذي
ليظهره على الدين كله **قوله** وانا الحاشر تحشر الناس على قدمي
الحاشر اسم فاعل من حشر اى جمع فمعنى انه الذي يحشر الخلق يوم القيامة
على اثره اى ليس بينه وبين القيامة نبي آخر ولا امة اخرى وهذا احد
قال بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى
وقوله في الرواية الاخرى على قدمي فقيل فيه على سابقتي كما قال تعالى
ان لهم قدم صدق عند ربهم اى سابقة خير واكرام وصل على سنتي وقيل
معناه اى يبعث على اثري يوم القيامة وهذا اشبهها لانه يكون معنا
معنى عقبي لانه وقع موافقه وتلك الرواية وجه توجيهه فقد قاله
قال يحشر الناس على اثر قدمي اى بعدي والله اعلم **وقوله** وانا العاقب

وفي الرواية الاخرى المقفي ومعناهما واحد وهو انه صلى الله عليه
وسلم آخر الانبياء وخاتمهم واخرهم واعقبهم وافضلهم وقفاهم
وقفاهم اي كان بعدهم واتبع الباقين فاراد ان الاخر المقفي المتبع
للنبيين قبله يقال قفوته اقفوه وقفيته اذا تبعته ومثله قفيته
اقفوه ومنه قوله تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى
بن مريم ولا تقف ما ليس لك به علم وقافيه كل شيء آخره وقوله وبني
التوبة اي الذي تكثر التوبة في امته ونعم حتى لا يوجد فيما ملائته
امته الاتابيب من الخمر يقترف معناها من الماضي الا ان ذلك
يشهد لحوما تخمر من الخمر وهذا يشهد بحمد ما تخفى من توبة
امته منه ويحتمل ان يكون معناه ان امته لما كانت اخر الامم كانت
توبتهم اكثر من توبة غيرهم ويحتمل ان تكون توبة امته ابلغ حتى
يكون التائب منهم كمن لم يذنب ولا يوجد لاحد في الدنيا ولا في الاخرة
ويكون مغبرهم بواخذ في الدنيا والم يواخذ في الاخرة والله اعلم
والذي اخرج الى هذه الاوجه اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا
الاسم مع ان كل نبي حاء بتوبة امته فبصدق انه نبي التوبة فلا بد
من ايراد مزية لنبينا يختص بها حاء بنا وقوله وبني الرحمة وبي احرى
المرحمة وبي احرى الملحمة فاما الرحمة والمرحمة فكلاهما بمعنى واحد وقد يفهم
ان الرحمة افاضة النعم على المحتاجين والشفقة عليهم واللطف بهم وقد
اعطى الله نبينا صلى الله عليه وسلم وامته منها ما لم يعطه احدا من العالمين
ويشهد لذلك قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وهو اعظم كل رحمة
وامته القائلة لما جاءه فرحملت على اعظم خلق من بعده الرحمة وشفاعته

يوم القيامة لاهل الموقف امم كل رحمة ولاهل الجنة بابا بابا كل بعد وخاتمة
ولكل شفاعته في ترفيع منازل اهل الجنة واما رواية من روى بني الملحمة
فهذا الصحيح في نعته ومعلوم في الكتب القديمة من وصفه بانه نزاع سباع
انه سبي الملاحم وانه بعثي بالسيف والانتقام من خالفه من جميع الانام
ممن ما جاء في الصحف خبقوق قال جاء الله من التيمن وتقدس من فاران
وامتلأت الارض من تحميد احمد وتقديسه وملأ الارض من قبضته وسبحا
اضاء لظى يشوع الارض وتفرع في قوسه اعراقا وتوى السهام
امرد يا محمد ارتو آ وبغى بالتيمن الجبال اي تنبئه وبني جبال ست القدوس
وتيمن الله تعالى منها عبارة عن اخبار كلامه الذي هو الانجيل على
لسان عيسى وفاران مكة كما قال الله تعالى في التوراة قال جاء الله من سيناء
واشرق من ساعير واستعلى من فاران لمجيء الله تعالى من سيناء كناية عن ظهور
موسى صلى الله عليه وسلم بها واشراقه من ساعير وهو جبال الروم من ادوم
كناية عن ظهور عيسى صلى الله عليه وسلم واستعلائه من فاران كناية عن
الظهور الذي يظهر الله نبينا صلى الله عليه وسلم الذي قتله بالقتل والقتال
وقال في التوراة يا موسى اني اقيم لبني اسرائيل من اخوتهم نبيا مثلك اجعل
كلامي على فمه فمن عصاه انتقم منه واخوة بني اسرائيل العرب
فاسم ولد اسمعيل هم القرشيون وقوله اجعل كلامي على فمه يعني به
القرآن والانتقام ممن عصاه هو القتل والقتال الذي جاء به ورسل هذا
كثير قد ذكرنا منه مواضع كثيرة جاءت في كتب ابناء اسرائيل وكتاب
الاعلام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد جئتكم بالذبح
وقال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا

وسمى الملحمة التي يشتبها عمت الرحمة وثبتت المرحمة وقد تتبع العاصي
ابو القاسم ما في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وما نقل في الكتب القديمة واخلاق الامة اسما كثيرة وصفات عديدة
للنبي صلى الله عليه وسلم عرفت عليه مشتبهاتها وعدت منه معانيها
وعرف تعالى في كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى وعد القاضي
ابو بكر بن العربي في كتاب الاحكام من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم تسعة
وستين اسما من اراد عدها وجدها هناك وعد سماه الله رؤفا رحيما
ليس هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من قول غيره وهو تحامل
والله اعلم الافتراء صف اخبر عنه بكتاب النبيه ولو كان من قوله صلى الله
عليه وسلم لقال وقد سماني الله رؤفا رحيما هذا ظاهر ويحمل ان يكون ولك
من قوله وقد يحرم المتكلم من الحضور الى القيمة كما قال تعالى حتى اذا كنتم
في الفلك وجرين بهم وفي هذا اشارة الى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم
والرؤف اشد الرأفة والرحيم اكثر الرحمة فاردفها للمبالغة وهو حاق الصحيح
في جملة اسما فحصرها بالعدد وذكر الاسما المتقدمة وقد قال ما ذكره
تخصص هذه الاسما الخمسة بالذكر مع ان اسماه اكثر من ذلك وجاب عنه
بان هذه الخمسة الاسما هي الموجودة في الكتب المتقدمة واعرف عند الامم
السالفة ويحتمل ان يقال انه في الوقت الذي اخبر بهذه الاسما الخمسة لم يكن اوحي
اليه في غير هذا شيء بان اسماه انما تلقاها من الوحي والتسمي الا بما سماه الله به
وهذا اسد الجوابين ان شا الله تعالى ه وروى ابو [illegible] قول النبي صلى الله عليه
وسلم اعلم الناس بالله واشدهم له خشية انما كان النبي صلى الله عليه وسلم اعلم
الناس بالله لما خصه الله تعالى به في اصل الخلقة من كمال الفطنة وقوة القريحة

وسداد النظر وسرعة الادراك ولما رفع الله عنه من موانع الادراك
وقواطع التفكر حتى لم يشغله عن هذه الامور شغل عليه
الوصول الى المعلوم النظري وصار في حقه كالضروري ثم ان الله
تعالى قد اطلعه من علم صفاته واحكامه واحوال العالم كله على ما لم
يطلع عليه غيره وهذا كله معلوم من حاله صلى الله عليه وسلم بالعقل
الصريح والنقل الصحيح واذا كان في علمه بالله تعالى اعلم الناس لزم
ان يكون اخشى الناس لله تعالى لان الخشية منبعثة عن العلم وبحسبه
كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد اشار بعض المتصوفة
الى ان علوم الانبيا ضرورية وعلوم غيرهم اكتسابا وهذا كلام فيه اجمال
ويحتاج الى استفصال فيقال لقائله ان اردت بقولها ضرورية انها
حاصلة في اصل فطرتهم وانهم حصلوا علمها حيث لم يشتغلوا في شيء
من تلك الافكار ولا تدرقوا حولها بضمائرهم ولا ابصارهم فمقبول بالكل
مما علم قطعا انهم مكلفون بمعرفة الله ومعرفة صفاته واحكامه
ومامورون بها والضروري لا يكلف به لانه حاصل والحاصل لا يطلب
ولا ينتفي وان الانسان لا يتمكن من ترك ما جبل عليه ولا من فعله وما كان
كذلك لم يقع في الشريعة التكليف به بالنص والاجماع وايا الخلاف
في جوازه عقلا وان اراد به ان تلك العلوم تصير في حقهم ضرورية بعد
تحصيلها بالطرق النظرية والعلم بالوجايب التكليفية فتتوالى
على تلك العلوم فلا تنافي لهم التشكك فيها ولا الانفكاك عنها
فمسلم لكن لم يصح في حق الانبيا فكما وخصوصا في حق النبي صلى الله عليه وسلم
كما هو المعلوم من حاله وحالهم صلى الله عليه وعليهم اجمعين واما الخبر

يحوز ان يكون الله تعالى ابا له بشيء من نوع ذلك لا كن على وجه الندور
والقلة وليس مطردا في كل الاوقات ومن فتح له في شيء من ذلك شيء بعض
الاوقات وبعض المعلومات وخصوص ذلك خرقا للعادات فان سنة الله
جارية في العلوم التكليفية انها لا تتوالى ولا تدوم ويمكن ان تشكك فيما
كان منها معلوما بما شوهد سنة الله الجارية وحكمته الماضية ولن تجد لسنة الله
تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وقوله عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه
وسلم امرا فترخص فيه اي فعل امرا تنزه به التشديد لانه رخص له فيه
كما قال في طريق اخرى ما بال رجال يرغبون عما رخص لي فيه ولعل سبب قول
عائشة رضي الله عنها اشارة لحديث النفر الذين استقلوا عبادة النبي
صلى الله عليه وسلم فقال احدهم اما انا فاصلي ولا انام وقال الاخر وانا فاصوم
ولا افطر وقال الاخر وانا لا اتزوج النساء فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
قال اما انا فاصلي وانام واصوم وافطر وانكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس
مني وقد تقدم في النكاح وقوله ما بال رجال يتنزهون عني اي ترخصت في امر
مكروه وتنزهوا عنه فوالله اني من اعلمكم بالله واشدكم له خشية وقال في موضع

آخر واعلمكم بما اتقي واشدكم له خشية وانما قال ذلك لما فهم من بعض الصحابة
رضي الله عنهم من التشديد في جميع الامور فان دين الله يسر وهو الحنيفية
السمحة واي الله تحب ان تؤتى رخصه كما تحب ان تؤتى عزائمه
وحاصل الامر ان الواجب المسك بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه
وسلم فما شدد فيه التزمناه على شرطه وفعلناه على مشقته
وما رخص فيه اخذنا برخصته وشكرنا الله تعالى على تخفيفه
ونعمته ومن رغب عن شيء فليس على سنته ولا على منهاج
شريعته وفيه حجة على القول بمشروعية الاقتداء به وجميع
افعاله كما تقوله وجميع اقواله الا ما دل دليل على انه من خصوصياته
وقد اوضحنا هذا في الاصول وقوله ما بال رجال الخ وجوب الاذعان لحكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ان خلاس الانصاري خاتم النثر رضي الله
عنه هو شراحيل الحرة وقيل ان هذا الرجل كان من الانصار نسبا ولم يكن
منهم ثصرة ودينا بل كان منافقا لما صدر عنه من تهمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجور في الاحكام لاجل قرابته وانه لم يرض بحكمه
ولان الله تعالى قد انزل فيه قلاوردا ومنورا في محمود فما شجر
بينهم الاية هذا هو الظاهر من حاله ويحتمل انه لم يعن منافقا لكن
اصر رد ذلك منه بادرة تعس وزله شيطان كما قد اتفق لحاطب بن
ابي بلتعة ولحسان ومسطح وحمنة في قضية الافك وغيرهم ممن ورد
منهم سوء ورشحت بعض جوانبه وانهوا نعسانيه لكن لطف بهم حتى رجعوا
عن الزلة وصحت لهم التوبة ولم يؤاخذوا بالحوبة والشراحيل بالشين
المعجمة والجيم ثم شرحبة وهو مسلسل المآل الى النحل والنخر واحافسا

الى الجرة لكونها اسفل والحاصة انما كانت في السقي بالماء الذي يسيل
فيها وكان الزبير يقدم شربه على شرب الانصاري فكان الزبير
يسقي الماء لحاجته فطلب الانصاري ان يسرحه له فلم اشتد شقار
حاجته فلما تراضيا الى النبي صلى الله عليه وسلم سقى النبي صلى الله
عليه وسلم معنى ما شتد الضح فقال له اسق يا زبير ثم ارسل الماء
الى جارك فحفظ على المسامحة والتيسير فلما سمع الانصاري قوله
لم يرض بذلك وغضب لانه فهم ان يريد الا يمسك الماء اصلا وعرف ذلك
بقرائن الحال بدرة المعاملة الفاقرة فقال أن كان ابن عمتك
هذه بمعنى ان الموجودة لانه استفهام على جهة الانكار اي اتحمل
له تعصبا حتى انه قرابتك وعندذلك تلون وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم غضبا عليه وتألما من كلمته ثم انه تعمد ذلك حتى للزبير
باستيفاء حقه فقال اسق يا زبير ثم امسك الماء حتى يرجع الى الجدر
وفي مخبر هذه الرواية ما استوفى للزبير حقه والجدر بضم الجيم
وسكون الدال بني وتاتي وتجمع جدورا وهو الاصل ويعني به هنا
يصل الماء الى اصول النخل والشجر وتاخذ منه حقها وفي بعض طرقه
حتى يبلغ الماء الى الكعبين يعني به والله اعلم حتى يجمع الماء الشربات
وهي الحفر التي تحفر في اصول النخل والشجر الى ان يصل من الوافر
منها الى الكعبين وروي الجدر بكسر الجيم وهو الجدار ويجمع على
جدر ويعني به جدران الشربات فانها ترفع حتى يكون تشبه الجدار
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير على الانصاري وقال
غضبه وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقضي القاضي وهو غضبان فالجواب

لما قدمنا ان هذا النبي معلل بما كان على القاضي من التشويش
المؤدي به الى الغلط في الحكم والخطأ فيه والنبي صلى الله عليه وسلم
معصوم من الخطأ في التبليغ والاحكام بدليل العقل الدال على صدقه
فيما سلفه عن الله تعالى وفي احكامه ولذلك قالوا انك عنك
ع الرضا والغضب قال نعم مدلول ذلك على ان المراد بالحديث من يجوز
عليه الخطأ من القضاة فلم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
العموم **مسئلة** والله اعلى لا احسب هذه الاية نزلت في رجلين تحاكما
الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم على احدهما فقال له الاخر اقض علي
كما يقضي ابن الخطاب وقيل الى ابي بكر وقيل في حكم النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي
على المنافق فلم يرض المنافق مرافعتها عمر بن الخطاب فاخبراه فقال
امهلاني حتى ادخل بيتي فدخل بيته واخرج السيف فقتل المنافق
واتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه رد حكمك **فقال له رسول الله**
صلى الله عليه وسلم فرقت بين الحق والباطل فما كان جواب
عمر انه قال ان المنافق ظلمه ان يرد لان حكم الحاكم اذا صدر
قضية فعل عمر المنافق وقال للنبي لا عذر ان يعرف لانه نزل
ع الجمع والله اعلم وهو ضرب الحرب ابواب من الفتنة فمنها الاكتفا
من الخصوم بما يتكلم عنهم مقصودهم وان لا يكلفوا التقرير على
الدعاوى والتحرير المرعي فيه والاحضاره بجميع صفاته كما
قد تتطلع في ذلك قضاة الشافعية ومنها ارشاد الحاكم
الى الاصلاح بين الخصوم فان مطلوبه والا استوفى للمحق
حقه وبت الحكم ومنها ان الاولى بالماء الجاري الاول فالاول حتى

يستوي ما تحته وهذا ما لم تكن اصله ملحقا للاسفل مختصا به
فليس الاعلى ان يشرب منه شيا وان كان مرتفعا عليه ومنها الصحة
عن فيها الخصوم ما لم يؤد الى منكر حرمته الشرع والاستهانة
بالاحكام فان كان ذلك لاحد فهذا الذي صدر من هذا الرجل
اذ لنبي صلى الله عليه وسلم عظم ولم تقتله النبي صلى الله عليه وسلم
لما قد مناه من عظم حلمه وصفحه وليبلا يكون قتله منفرا لغيره
عن الدخول في دين الاسلام فلو صدر اليوم مثل هذا من احد في حق
النبي صلى الله عليه وسلم للقتل قتلة لا نزاع وقد اشبعنا القول
في ذلك ومنها ان القدر الذي يستحق الاعلى من الماء كما قلناه وعلة
ذلك ان سلم الماء الى الحصر فصل في الشربة كما قلناه وصل في ارض
الحايط وهذه بعد قوله صلى الله عليه وسلم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه
اي لا تتعرضوا على شيء من المنهي عنه وان قل لانه تحصل بذلك المخالفة
لان النهي كله الانتفاء المخلوق والامر المخلوق على النقيض من ذلك
لانه تحصل الامتثال بفعل اقل ما ينطلق عليه الاسم المامور به على فور
اي وقته وتعلق اي زمان قبل وبعضك من ذلك سال بني اسرايل ما سلم
لما امروا بذبح بقرة فلو بادروا وذبحوا بقرة اي بقرة كانت لحصل
منهم الامتثال لكنهم كثروا الاسولة فكثرت اجوبتهم فثقل الموصوف
بعظم الاستحقاق عليهم فعلقوا فخزر النبي صلى الله عليه وسلم امته
عن ان يسالوا بمثل ما سالوا وهو انه قيل انما اهلك الامم قبلكم
كثرة سايلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ساله عن تكرار
الحج بقوله اني كل عام يا رسول الله فقال لو قلت نعم لوجبت ولما

يقرء

استطعتم ذروني ما تركتكم وذكر نحو ما تقدم وما الواجب على هذا
الاصل ان على السامع نفي الشارع الانصاف مطلقا واذا سمع
الامر ان يفعل منه ما تصدق عليه ذلك الامر ولا تستطع ببشر
من السوال يحصل على الاخير والاغلال وهذا استوفينا هذا

ملخص المقاله

المعنى في الاصول ومن باب ترك الاكثار من مسائله
رسول الله صلى الله عليه وسلم توقيرا له واجلالا اهـ قوله سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احفوه في المسالة اي حتى الحق
عليه سال احفى في المساله والحف بمعنى واحد وهذا اشبعنا القول
فيه فيما تقدم في حديث ابي موسى رضي الله عنه وقوله فلما اكثر
عليه غضب كمل ان يكون غضبه النبي صلى الله عليه وسلم من اجل
اكثارهم عليه من المسايل ما ذكر لكن قلل حرمته العالم ويجري
على الاقدام عليه فتذهب انتهاك العالم ووقاره فانه اذا اكثر
المسايل كثرت الاجوبة فحمل جميع ما ذكرناه من المفاسد وكمل ان
يكون غضبه بسبب انه تحقق انه كان هنالك من سال تعنيتا
وتبكيتا قصد التعجيز والتضييق كما كان يفعل المنافقون
واليهود ويدل على هذا قوله سلوني سلوني فوالله لا تسالوني
عن شيء الا اخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا فاراد ان يعلم ان كثرة
جوابا لم قصد التعجيز والتبكيت حتى سئل زجره وكمل كثرته
وتدشه ويحمل ان يكون من سال السايل ما ذكره ثم قال وفي حديث ابي موسى
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كرهها وكما قال عليه
قوله لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ويحمل ان يكون غضبه

لمجموع تلك الامور كلها والله اعلم وسوله فارتج القوم اي
سكتوا واصله من الرتقة وهي الشفة فما سمع احد منهم منهم
فلم يحركوها بلفظة وسوله وتهيبوا ان يقوم من سر فزخفر
اي خافوا ان تقع سم عقوبته عند غضبه وسوله فجعلت الفت
يمينا وشمالا ماذا اكل انسان الا قت راسه وتنويه بشيء من ره حاله
العارض بالله تعالى الخاطر من سطوته وعقوبته لا كما يفعله
جهال العوام والمبتدعة الطغام من التزحيق والنمر ومن التمسو
الذي تشبه نفاق الجبر وضلال الرتعالى ذلك وزعم ان ذلك ورد
وخشوع انك لم تسمع ذلك ان سا وي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا حال اصحابه في المعرفة لله تعالى والخوف منه والتعظيم لجلاله
ومع ذلك فكانت جالسة عند المواعظ القيم اعز الله والشاخوفا
من الله والوقا وحياء من الله وذلك وصف الله تعالى اهل المعرفة به احوال م
تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وصدر الله تعالى
الكلام في سره الاية بانما الحاضرة لما يعرضها الحقة وكانه
قال المومنون على التحقيق هم الذين يخوفون احوالهم عند اعند سماع
ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه ومن لم يكن كذلك فليس على صفة يسم
ولا على طريقتهم وذلك قال الله تعالى في الاية الاخرى واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق
يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين فمدحهم اوصف حالهم وكانه
تعالى لمن كان مستنا فلينتش ومن يعاكي احوال المحاس

والمجون وهو من اخسهم حالا والجنون فنون فان قيل فقد صح عن جماعة
من السلف انهم صرخوا عند سماع القران والمواعظ وقد روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع قاريا يقرا ان عذاب ربك
لواقع ما له من دافع وصاح صيحة خر مغشيا عليه فحمل الى الله
فلم تزل تعاد منها شهرا وروي ان ابن ابزاه من اصحاب
ابي انا قور فصعق ومات في محرابه وقرا صالح المري على ابي جهير
فمات وسمع الشافعي قاريا يقرا هذا اسوم لا ينطقون ولا يوذن
لهم فيعتذرون فغشي عليه وسمع علي بن الفضل قاريا يقرا يوم
يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فالجواب
ان الذي من الصرف والمسك من الجيف سيئات عباس الله
بالجاحدين والمحتقرين بالمتخيرين فمن قرات تشتمه لبعض خلقه فان
تدعي ان على نقتهم فمن تسمو فتشتمه لبعض خلقه فان
الناقد بصير والمحاسب خبير يقال لمن ضرط وقال خطبه الجمعة
ان كنت قد ذهب عقلك حال صعقك وان كنت قد سئلت اذ
قد سئلت عقلك وذهب همك ولحقت بالمخلصين وصرت
كالصبيان والمجانين وهمت سماع الموعظة وشهود الخطبة
وحضور مشايخ الصوفية منعما كان الوارد سانعا من القيام
بفرض وما نعا من خير وموص الشيطان لم يلزم من ذهب عقله
ان ينتقض وضوءه فان صلى بعد تلك الغشية الجمعة ولم يتوضا
كان كمن لم يشاهد الخطبة ولا صلى واي صفقة اخسر من ره
صفقته واي مصيبة اعظم من ره مصيبته وان كان وقت

مراحيه وتعقله بعد تكلم وحال الخطبه وشوش على الحاضرين
سماعها واظهر بدعة في مجتمع الناس وعرضهم لان يجتمعوا
تغييرها فان لم يفعلوا عصوا فقد عصا الله من جهات متعدده
وحمل الناس على المعصية الى ما سنحاف الى ذلك من ريا كاس في القلب
وفسق ظاهر على الجوارح فنسال الله الوقايه من الخذلان وكفايه
احوال الكمال والجنان قوله ثم انشا رجل من المسجد فقال يا ابي يا عبدا
لغير ابيه انشا اخذ في الكلام وشرع فيه ويا ابي تغيير وتذم
بان ينسب الى غير ابيه وينفي عن ابيه وسبب هذا اما كانت الجاهليه
الجاهليه عليه فانها كانت على ضروب كما ذكرناه في النكاح
وكان منها ان المراة يكثر منها الجماعه فاذا حملت قولدت دعى لها
كل من اصابها فيلحق الولد بمن شاء فيلحق به فربما يكون الولد
من خسيس الفدر فيلحقه بكبير القدر فاذا انتفى عن له مقدار
والحق بمن لا مقدار له لحقه من ذلك بعض وعار وكانوا يسالون
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ذلك لينسب لابيه الحقيقي
الذي ولد على فطرته وتزول عنه تلك المعره فسال رجل من الرجلان
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما ابوك خذافة وقال للاخر
ابوك سالم فتحقق نسبهما وزالت معرتهما وقول عمر رضينا بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا كلام يقتضي اعتراف الحق لهما
بما يجب له تعالى من الربوبيه ولرسوله من الرساله اليقينيه والتسليم
لامرهما وحكمهما بالكليه والاعتراف لدين الاسلام بانه
افضل الاديان وانما خص عمر رضي الله عنه كلامه بشورى المجمع

انه سلم على نفسه وعلى كل من حضر سالك من المسلمين وقوله عائذ
بالله من الفتن كذا صحت الروايه عائذ بالرفع اي انا عائذ اني
مستجير والفتن جمع فتنه وقد تقدم ان اصلها الاختبار وانها
تتصرف على امور متعدده وتعني بها هنا المحن والمشقات
والعذاب ولذلك سال سؤال الفتنان من شبهها وشرورها ولما قال
ذلك عمر وهم الى ذلك بقوله انا نتوب الى الله عز وجل كما جاء في
الروايه الاخرى سئل عمر فقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير
بحرف تقم بما اكرمه الله عليه من اسرار الاخره بقال لم ار كاليوم قط
في الخير والشر بين الكلام محمول على الحقيقه لا السوسع والمجاز
بمعنى لا خير مثل خير الجنه ولا شر مثل شر النار وقد نفى الكوفيه
الزمخشري وروينا ها هنا مفتوحه القاف وهو مصدره القاف مشدده
وهي احدى لغاتها وقال بالحقب وقال بضم القاف على اتباع ما قبلها
لحركه القاف وذلك مع الشر يرو التخفيف فاما قف بمعنى حسب بتخفيف
القاف وسكونها وقد تزاد عليها نون بعدها فيقال قطني وقد
كسر النون معها قطني وقد كسرف اما فيقال قطي بكسر القاف
وقد يبدل من القاف الف فيقال قد وقال على ذلك لا وجه لذلها
كله من الصحاح قوله اني طوبت لي الجنه والنار بين اثنا دون
هذا الحائط وفي البخاري لقد عرضت علي الجنه والنار انفا وعرض
هذا الحائط وفي البخاري وهذا الحديث لقد رايت الان منذ صليت
لكم الصلاة الجنه والنار ممثلتين في قبله هذا الجدار كما هو في
الروايات وان اختلفت الفاظها انه صلى الله عليه وسلم راى مثال الجنة

والنار في الجدار التي استقبله محمورين عنه وسر الاحاله عنه
كما تمثل المربيات في الاحسام الصقيلة يبقى ان يقال ما الحامل لهن
لصقيل وجاب بان استراك الصقالة في ذلك ليس بشرط عقلي بل عادي
وذلك محل خرق العاده وقتها فجوز ان يخلقها الله تعالى ليس بصقيل
سرا على مقتضى ظاهر الحرب واما على مقتضى ظاهر احاديث الشفوف
فمحمول اما حقيقته ومنه ليأخذ قطعا من الجنه وراى النار وناظر
محاله ان يصيبه لفحها وراى فيها فلانا وفلانه ومجموع الحرشي
بحمل الله تعالى اطلع ربته صلى الله عليه وسلم على الجنه والنار
مرئيين امرا ما وصلاه الكسوف اطلاع رويته فيما وصلنا ه
ع الكسوف وثانيهما هذه الاطلاعه وقاتت وصلاه الكسوف
كما تقرر في بعض طرق حديث انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم صلى بهم بعد ما زاغت الشمس وصلى بهم الظهر ثم قام فخطب
وذكر نحو ما تقدم وقد نص عليه البخاري كما نقلته عنه انفا وتخرص
الشيء بالضم ما يليه وصفحه والقرص بالفتح خلاف الطول وقوله فاتى
على كلمه تقرير وعبير واذا كررت قال التقرير اعلم كما قال تعالى
انزلك ما زلت وسر المقام الذي قامه النبي صلى الله عليه وسلم قال
مقاما ما بلا مخوفا ولذلك قال انس في بعض الطرق الواقعه
ع الايام بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحابه شيء فخطب فقال
عرضت علي الجنة والنار فلم ار كاليوم في الخير والشر ولو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فما اتى على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشد منه قال غطوا رؤوسهم ولهم خنين والرواية

المشهورة بالحاء المعجمة وقد رواه العذري بالحاء المهملة فالمعجمة معناها
ابعد مع تردد الصوت وقال ابو زيد الخنين ضرب من الخنين وهو الشديد
من البكاء وقوله في هذه الرواية انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
اصحابه شيء اي عن بعض اصحابه وذلك انه بلغه والله اعلم ان بعض
من دخل في اصحابه ولم يحقق ايمانه تهم ان يتجسس النبي صلى الله عليه وسلم
بالاسئله ويتشرع عليه منها بالحجره وسر اخبار ان المنافقين
وبعض من ارتد بعد اسلامه ولدين الاسلام فاسم كانوا يريدون ان يكفروا
نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ولذلك
لما هم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عاتبه الله في سر المجلس سلوني فلا
سوا الله لا تسالوني عن شيء الا انبأتكم به فكل من ساله في ذلك المقام
عن شيء اخبره به احبه او كرهه ولذلك اثر الله تعالى في ذلك قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الآية فاديب الله تعالى
بترك السؤال عما لم يقع وخصوصا عما يسوء من احوال الحاظين
التي ستر عفا الله عنها وغفر لنا ولما سمعت الصحابه رضي الله عنهم
سرا لله انتهوا عن سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على امر
لا بد لهم منه ولذلك قال انس فما يسرني بها ان يسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا ان يجيء الرجل العاقل من اهل البادية
فيسأله ونحن نسمع وقوله صلى الله عليه وسلم ان اعظم المسلمين جرما
ع المسلمين من سال عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من اجل مسالته
قال ابو الفرج الحوري هذا محمول على من سال عن الشيء عنتا وتعجبا

وعوقب لسوقصده بتحريم ماسال عنه والتحريم تغم قال الشيخ رحمه الله
والجرم والجريمة الذنب وهذا صريح فى ان السوال الذى يكون على
هذا الوجه وحاصل المسلمين عنه هذا الحرج فهو من اعظم الذنوب ٥
وفى باب بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخفاء
بما بلغه عن الله تعالى ٥ معنى هذه الترجمة معلوم من قال النبى
صلى الله عليه وسلم وفيها دليل المعجزة ودليل ان النبى صلى الله عليه
وسلم لما قال للناس انا رسول الله اتاهم بالعظيم ما ارسلنى به اليهم
من الاحكام والاخبار عن الدار الاخرة وعن غيرها وانا صادق فى كل
ما اخبرهم به عنه وستدل على هذا بما ايدنى به من المعجزات ثم وقفت
المعجزات مقرونة بتجديه بها على القطع وانبتات استحالة
الخطاء والكذب عليه فما الظن بالله لما ان المعجزة تنزلت منزله
قول الله تعالى لنا صدق اولا نها تنزل على ان الله تعالى اراد تصديقه
فيما قاله عنه ودلالة قرائن الاحوال وعلى الوجهين يحصل العلم
الضرورى بصدقه بحيث لا يجوز عليه شئ من الخطاء فى كل ما يبلغه
عن الله تعالى بقوله واما امور الدنيا التى لا تعلق لها بالدين فهو
فيها وامر من البشر فما قال انا بشر انتى فيما تتعاونون فيه وما قال
انتم اعلم بامر دنياكم وانا اعلم بديننا وقد تقدم القول فى الابار
وتلقيحون مضارع التخ النخل الناقة والريح السحابة ورياح لواقح
ولا يقال ملاقح وهو من الشواذ وقد قيل الاصل فيه ملقحة ولانها
لا تلقح الا وهى تحمل الا قح وقيل لكثرة الناقة بالفحل وتلقيحا
تابير النخل على لاقح والتفاح انضاج الثمر بالنار التخلة

وقوله ما اغنى ذلك بشئ اغنى به الاثار اما قال النبى صلى الله
عليه وسلم هذا لانه لم يقع عنده علم باستمرار هذه العادة
فانه لم يقل ممن عانى الزراعة والفلاحة ولا باشر شيأ من ذلك
فخفيت عليه تلك الحالة وتمسك بالقاعدة الكلية المعلومة
التى هى انه ليس فى الوجود ولا فى الامكان فاعل ولا خالق ولا مؤثر
الا الله تعالى فاذا اثبت شيأ الى غيره نسبته التاثير بذلك النسبة
مجازية عرفية لا حقيقية فصدق قوله صلى الله عليه وسلم ما اظن
ذلك يغنى شيأ لان الذى يغنى فى الاشياء وعن الاشياء بالحقيقة هو
الله تعالى غير ان الله تعالى قد اجرى عادته بان سخر تاثير قدرته
فى بعض الاشياء باسباب معتادة فجعلها مقارنة لها ومفضاة
بها اليوس من سبقت له السعادة بالغيب ويبخل من سبقت له
الشقاوة بالحمل والتبيب لسلك من سلك عن بينه ويحيى من حيى
عن بينة وقوله اما ظننت ظنا وقوله فى الاخرى اما انا بشر
سالته منه صلى الله عليه وسلم استخبارا لمن صدق عقله مخافة
ان يزله الشيطان فكذب النبى صلى الله عليه وسلم فيخبر والا
مما جرا شئ يحتاج منه الى تحذير وعاتبه ما جرا مصلحة دنيوية
خاصة تقوم مخصوص لم يعرف ما اسر لم يباشرها ولا عان من اطلعها
المباشر من اهلها واوضح ما فى هذه الالفاظ المعتذر بها فى هذه
القصة قوله انتم اعلم بامر دنياكم وقال مال وانا اعلم
بامر دنياكم وقوله اذا حدثتكم عن الله فخذوا به امر جزم مرجوع
الاخذ عنه فى كل احواله من الغضب والرضا والمرض والصحة

وقوله فلن اكذب على الله اى لا نقم منه فيما سلفه عن الله كذبة واحدة سهوا او عمدا وقد قلنا ان عصمته في ذلك هو سر قبول المعجزة واما الكذب المحض فلم يقع قط منه في خبر من الاخبار واجريت عليه شتى فنه انشاه الله تعالى والى ان توفاه تعالى وهو راض عنه معروفا بالصدق والامانة ومجانبة اهل الكذب والخيانة حتى انه كان يسمى بالصادق الامين تشهد له بذلك كل من عرفه وان كان من اعدائه وخالفه وقوله اذا امرتكم شيئ من رأيي فانما انا بشر يعني به في مصالح الدنيا كما دل عليه سياق هذه القصة ونصه على ذلك ولم تتناول هذه اللفظة ما حكم به باجتهاد اذ انتشر لنا على ذلك لان ذلك امر دنيوي تجب عصمته منه كما اذا ظهر نصا او كاد لكن تبليغ شرعه وبيان حكم دينه وان اختلفت مآخذ الاحكام كما هو واضح في الاصول وقوله فانما انا بشر اى بعد متلبس في البشرية ومساو لهم فيما ليس من الامور الدينية ومنه اشاره الى قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي فقد ساوى البشر في البشرية وامتاز عنهم بالخصوصية الاهية التي هي تبليغ الامور الدينية وقوله فنقصت او تنقصت كما مره الله شك من بعض الرواة اى الملفظ بها ويحتمل ان يكون او بمعنى الواو اى تنقص ثمرها وتنقص في جملتها ويدل على هذا قوله في الرواية الاخرى محرم ثمرها وهو البلح الذي لا تعقد كما هو ولا يكون منه حلاوة اذا ابسر وسقط اكثره فيصير حشفا

باب وجد جبال يأتيه الوحي

وبعدم الكلام على الوحي لغة وقوله فيما يأتيه الوحي عن ربه في سؤال الوحي عن الملك واراد بالوحي هنا ما يلقى للنبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والاحكام ما جاب صلى الله عليه وسلم بان ذلك يأتيه على حالتين احداهما ان يتمثل صوتا شديدا

متتابعا يشبه صلصلة الجرس وهو اشد ما يوحى او يشبهه وهو الذي يعلق العرب في اعناق الابل لصوته وقال بعض العلماء وعلى هذا النحو تتلقى الملائكة الوحي عن الله كما جاء في الحديث اذا قضى الله الامر في السماء صربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كان على صفوان قال الشيخ رحمه الله والذي عندي في هذا الحديث ان هذا تشبيه لاصوات حفيق اجنحة الملائكة تبغي اسماعه متتابعه منلاحقه ان الله تعالى يتكلم بصوت قال كلامه تعالى ليس بحرف ولا صوت كما هو مقرر في موضعه قال اراد هذا القائل ان كلام الله تعالى القائم به صوت يسمع كحاسة الاذن هو غلط فاحش وما هذا اعتقاد اهل الحق وان اراد ان الملائكة تسمع كلام مثل آخر يسلمه عن الله بصوت فصحيح كما تقرر ذلك في حق جبريل مما كان يسلمه الى الله عز وجل وقوله وهو اشده علي لما كان اشده لسماعه صوت الملك الذي هو غير معتاد وربما كان شاهد الملك على صورته التي خلق عليها كما اخبر بذلك عن نفسه في غير هذا الموضع وكان يشق عليه ايضا لانه كان يريد ان يحفظ عن نفسه مع حدوثه صوتا شديدا تعاسر عجبا ولذلك كان يتغير لونه وينفصد عرقه وتعتريه مثل حال المحموم ولولا ان الله تعالى سواه على ذلك ومكنه منه لتفرزنه لما استطاع شيئا من ذلك ولعله عبر مشافهه الملك اذ ليس في قوى البشر المعتاده تحمل ذلك بوجه والحالة الثانية وهي ان يتمثل له الملك في صورة رجل فيخاطبه بخلاف المعتاد من الحركات شيئا من المشقات والشدائد وهذا ما اشار اليه قوله معه حيث تمثل له في صورة الاعرابي سأله عن الايمان والاسلام والاحسان وكما كان يأتيه في صورة دحية من خليفة وكانت صورته حسنة والحاصل من هذا الحرف ومن قوله تعالى ممثل لها بشرا سويا ومن غير ذلك من الكتاب والسنة ان الله تعالى قد مكن

الملائكة والجن والتشكل في الصور المختلفة والتمثل بها مع ان النوعين
في انفسهما خلقا عامة بما خلقهما الله تعالى عليها كما قال صلى الله عليه وسلم
لم ار جبريل صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلق عليها غير مرتين والحديث
كيفية ذلك التمثيل بحث لبسوراه تحصيل والواجب التصديق بما جاء به لك
من الوقوع وجود الملائكة والجن متمثلين في الصور بعد كفر وقوله فينبذ
عني وروعيت عنه اي يذهب عني وتقلع يقال نقم وانقم بالعا ومنه
قوله تعالى لا انفصام لها اي لا انقطاع والنقم بالفا انصداع من غير تفرقة
وبالقاف انصداع مع بينونة هذا اصلهما ثم يتوسع في كل واحد منهما
ووعيت بمعنى وحفظت يقال وعت العلم واوعيت المتاع والوعا
رباعيا واصلهما مر جلة الشيء في الوعا غير ان استعمالهم فرق بينهما
كما قلنا وهذا اقتصر في هذا الحديث على ذكر طريق الوحي ولم يذكر الرويا
وهي من الوحي كما تقدم لانه سئل عن اسباب انه انما سأل عن كيفية تلقيه
الوحي من الملك والله اعلم وقوله فان اذا انزل عليه الوحي كربت لذلك
وجدناه بتقييد من يرثو بتقييده منينا لما سمع فاعله اي اصيب بالكرب
وهو الالم والغم وتربد وجهه هالرا عكته زبرة وهي لون بين السواد والغبرة
ومنه قيل للغمام زبد جمع زبدا كحمرا وحمر وتفيس الى صلى الله عليه
وسلم راسه لثقل ما القي عليه ولشدة ما يجده من الكرب وتفيس اصحابه
وسكن عند ذلك استعظاما لذلك الامر وهيبة له وقوله فلما انجلي عنه
رفع راسه اصل الرواة في هذا الحرف قال القاضي عياض رحمه الله هذه
كذا او عند الله من عيسى الجياني بضم الميم وشناه فوق ساكنة ولام مكسورة
مثل اعطى وعند العذري من طريق بشكوال

الاسدي بفتح الثاء الثلثة اجلي مثل غزي وكان عند شيخنا الحافظ ابي علي بالجيم
مثل اعطى اصلا وعند ابن ماكولا انجلى بالنون وهذا رواه الخاني وماكان
الرواة ان اصابوه اي انكشف عنه وذهب وفرج عنه يقال انجلى عنه الهم
واجليته اي فرجته فتفرج واجلوا عن قتيل اي بزحوا عنه وتزحزحوا
ورواه البخاري في كتاب الاعتصام بلما صعد الوحي وهو صحيح وفي البخاري
في سورة سبحان بلما نزل الوحي وذاني مسلم في حديث سؤال اليهود في
وعدا وهم بينه ورواه ابن ابي خيثمة بلما اجلي عنه اي نجي عنه كما قال
او جعل اجل حتى اي شخص فثلثة من فتاب مشارق الاسوار للقاضي وقوله
والذي نفس محمد بيده لما يتين على ادهم سوء كما ترى احب الله اهله
وماله مسلم هذا صحيح الرواية ومعنى هذا الحديث اخباره صلى الله عليه
وسلم بانه اذا افتقر تغيرت الحال على اصحابه من عدم مشاهدته وفقد
عظيم فوائدها وما ظهر اعلمهم من الخلاف والحزن والكرب والفتن وعلى
الجملة فساعة موته اختلفت الارا وبهتت الامور وكاد النظام يختل لولا
ان الله سارع وتعالى تداركه بثابت اثبت واصل العقد والحل وقوى عزم اصحابه
عن مقتضاه ذلك التغير لما يعلم ما سكنا اضطراب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انكرنا قلوبنا فلما حصل واحد منهم في كربة من ذلك الكرب
وذاته راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما معه من اهل ومال وتشتيت
ذلك لتذكره ما ناله من بركات مشاهدته ولما حصل بعده من فساد
الامر وتغير حاله ه ومن باب ذكر عيسى صلى الله عليه وسلم
قوله صلى الله عليه وسلم انا اولى الناس بعيسى بن مريم اي احق واقرب
واقعد فقوله صلى الله عليه وسلم فلا تزلي عضيه اي لا تقرب واحق وقوله

ـ الاولى والاخرة اى فى الدنيا وفى الدار الاخرة **قوله** فسئل ما رسول الله
سؤال عن وجه الاولوية بقوله تعالى فى الحواب الانبياء اخوة من علات امهاتهم
شتى ودينهم واحد وليس بينى وبينه نبى وفى لفظ اخر اولاد علات
علات وفى الصحاح بنو العلات هم اولاد الرجل من نسوة شتى سميت بذلك
لان الذى تزوجها على اولى كانت قبلها ثم علّ من بعده والعلل الشرب
الثانى يقال علل بعد نهل وعلّه بفتله اذا سقاه السقية الثانية
وقال عمرو بنو ذلك لانهم اولاد ضرائر والعلات الضرائر وشتى
مختلفون ومنه قوله تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى قال العاصى
ابو الفضل معناه ان الانبياء مختلفون فى ازمانهم وبعضهم بعد الوقت
من بعض فهم اولاد علات اذ لهم جميعهم زمان واحد فكما لم يجمع اولاد العلات
بطن واحد وعيسى لما كان قريب الزمان منه على امر عيسى وسلم ولم
يكن بينهما نبى كانا كاخوين فى زمان واحد فكانا بخلاف غيرهما قال
السهيلى رحمه الله تعالى اشبه ما قيل فى هذا الحديث وستفاد منه ابطال
قول من قال انه قد كان بعد عيسى انبياء ورسل بعد قال بعض الناس ان
الحواريين كانوا انبياء واسم ارسلوا الى الناس بعد عيسى وصوبه
القشيرى فى تفسيره وذكره فى كتاب الاعلام **قوله** ودينهم واحد اى
توحيدهم واصول اديانهم وكما عتهم لله تعالى واتباعهم لشرائعه
والقيام بالحق كما قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية
ولم يرد فروع الشرائع فانها تختلف ونسخ كما قال تعالى لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا **قوله** ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل
صارخا من نخسة الشيطان يعنى به اول وقت الولادة حين يستهل اول استهلال

قوله فى ابو هريرة اقرءوا ان شئتم يولد اى حين يولد والمراد تحقيق
الوقوع وتقريبه الى الفهم والحين كما قال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اى حين يرون وكما يقوم فى العرصة قبل ان يدخلوا احدهم يوم
لا يرانى اى يرى ومعشر يوم يحشرهم وخاش التخشش من الشيطان اشعارا
منه بالتحقير والتسليط وحفظه الله تعالى لمريم وابنها من تخسته تلك التى
هى اثر التسليط سره اجابة دعوة امها حين قالت واتى اعيذها **الوجه**
بك وذريتها من الشيطان الرجيم فاستجاب الله لها كما حضر فى وذلك من
صدق الالتجاء الى الله تعالى وحسن التوكل واسمها فى اسرائيلية حنة
حنة بنت فاقود وكانت لما حملت نذرت واوجبت على نفسها ان تجعل
ما فى بطنه محررا منقطعا للعبادة لا تشتغل بشئ مما فى الوجود على
شرع يقتضى فى الرهبانية وملازمة معابد الكنائس والتقاء عهم فعاملها الله
تعالى بالقبلية ولذلك ما ولدتها انثى قالت وليس الذكر كالانثى اى مما
نذرته له من الرهبانية **قوله** كل مولود وما من مولود كما هو فى
العموم والاحاطة ولما استثنى عيسى ومريم وابنها التحق بالخصوص لسما
مع النظر الى ابويناه فاد هذا ان الشيطان يخس جميع ولد ادم حتى الانبياء
والاولياء الا مريم وابنها وان لم يرد هذا بخصوصه نصا ولا عموم من سبا
ان يخس الشيطان يلزم منه اصلال المنخوس اذ الخواوه قال ولذلك فاسد
وهم قد يعرض الشيطان للانبياء والاولياء انواع الافساد والاخوا ومع ذلك
يعصمهم الله منه وسه الشيطان كما قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان بعد ما مع ان
كل واحد من بنى ادم هو وكل به قرينه من الشياطين كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى هذا مريم وابنها وان عصما من نخسه فلم يعصما من علل منه

لهما وسقارنته وقدح الله نبيا صلى الله عليه وسلم تحمل عليه سما العامه
بان اخانه على شيطانه حتى يحج اسلامه فلا يكون عنده شر ولا يامره الا بخير
وهذه خاصة لم يوجد احد يخبره لا عيسى ولا امه وفي يخبر شابه بسبب
ذهب الشيطان ليطعن في حاضرته وطعن في الحجاب اي في الحجاب الذي
حجب به عيسى صلى الله عليه وسلم فاما حجابه منه واما حجاب بينه وقوله
صاح المولود نزغة من الشيطان هو رواية المعروفة نزغه بالنون
والزاي ساكنة والغين المعجمة من النزغ وهو الوسوسة والاخر ابا الفساد
ووقع لبعض الرواة نزحه بالنون والحاء المهملة من النزح وقوله
راى عيسى صلى الله عليه وسلم رجلا يسرق فقال اسرقت قال كلا والذي
لا اله الا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت نفسي اي صدقت من حلف بالله
وكذبت ما ظهر من ظاهر السرقة فانه يحتمل ان يكون الرجل اخبره بالله انه
حق او يكون صاحبه قد اذن له في ذلك ويحتمل ان يكون اخذه ليقلبه وينظر
اليه ويستفاد من هذا ترك الحد بالشبهة ومن باب دعا ابرهيم
صلى الله عليه وسلم قوله صلى الله عليه وسلم للذي قال له يا خير البرية
ذاك ابرهيم هو البرية الخلق كلهم ويقال لا يهمز وقد مرى بهما واختلف في اشتقاقها
فقيل هي ماخوذة من البرا وهو التراب فعلى هذا لا يهمز وقيل هي ماخوذة
من برا الله الخلق بالهمز الذي خلقتم وعلى هذا فيهمز وقد يخفف من هذا ويسهل

يهمز تقا كما سهلوا شمرة فانبيه وهي من خيانة سمور او البرية في الوصف
فعله بمعنى مفعولة وقد عارض هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم وما قاله من غير ما موضع من الكتاب والسنة واقوال
السلف والامة انه افضل ولد آدم وقد انفصل عن هذا بوجهين احدهما
ان ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم على جهة التواضع وترك التطاول على الانبيا
كما قال انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم ولد آدم على
ربي يوم القيامة ولا فخر وخصوصا على ابرهم الذي هو اعظم اباه واسرهم
وثانيهما انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل ان يعلم بمنزلته عند الله
سبحانه انه اعلم بانه اكرم وافضل فاخبر به كما امر الا ترى انه
كان اول امره يسال ان يبلغ درجة ابرهم من الصلاة عليه والرحمة
والبركة والخلة ثم بعد ذلك اخبر بان الله تعالى فوق ذلك
كله فاخبر ان الله تعالى اتخذ ابرهم خليلا كما اتخذ ابرهم خليلا ثم بعد ذلك
اخبر ان الله تعالى فضله وشرفه وكرمه وفضله على جميع خلقه وقد اورد على
هذا الحديث ما يورد على الوجهين استشعاد فالوارد على الاول ان هذا يخالف
ما صح عن الصادق المصدوق الخبر عن النبي بخلافه ما هو عليه لاجل
التواضع والادب والوارد على الثاني ان ذلك خبر عن امر وجودي
والاخبار الوجودية لا تدخلها النسخ والجواب عنهما ان نقول ان ذلك
ليس اخبارا عن النبي بخلاف ما هو عليه فانه تواضع بمجموع الكلام ذلك
اللفظ عليه وتادب مع ابيه باضافة ذلك اللفظ اليه ولم يعرض للمعنى
فانه قال لا تفضلوا هذا اللفظ على ابي ابرهم او ما معناه
وامر امته ولو صرح بهذا لكان صحيحا غير مستبعد لا عقلا ولا نقلا

بلغ معارضته

وهذا كما قال لا تفضلوني على موسى اى لا تقولوا انا افضل من موسى
مخافة ان يخيل نقص في المفضول كما مر منا، وياتي هذا الحديث
ان ذلك راجع الى مع الخلائق ومباحثته فذلك خبر عن الحكم الشرعي
لا عن المعنى الوجودي واذا ثبت ذلك جاز رفعه ووضعه وصح الحكم
به وسخه من نحو تعرض للنسخ والله اعلم قوله انه خبر عن امر وجودي
اي لا نسلم ان كل امر وجودي لا يتبدل بل منها ما يتبدل ولا يلزم
من قوله تناقض ولا محال لانه لا نسخ في الاخبار عن الامور الوضعية
وبيان ذلك ان معنى كون الانسان مكرما وشفيعا انما هو ذلك بحسب ما قدم
به وتفضل على غيره فمتى وقت يكرم بما يشاء وفي غيره يخيره ومتى وقت
يزاد على ذلك القدر ومتى وقت يكرم بشيء لم يكرم به احدا وهذا معنى قوله
في المنزلة الاولى مكرم مقرب وفي الثانية منها مفضل يقبل وفي الثالثة
مفضل مطلقا ولا يلزم من ذلك تناقض ولا نسخ ولا محال وهذا واضح
وبهذا ما عنيته به وتشد عليه يدا قوله اختتن ابراهيم صلى الله عليه
وسلم بالقدوم وهو ابن ثمانين سنة اختلف الرواة في تخفيف دال القدوم
وتشديدها وبقي له آلة النجار وهو قول اكثر اهل اللغة هي آلة
النجار وروي بتقديم مشددا وفسره بعض اللغويين بانه موضع
معروف بالشام ومنهم من قال بالتشديد وحكي عن ابي معمر اللغوي
قدوم المكان مشدد معرفة لا تدخله الالف واللام قال ابن سيده
في حديث ابراهيم صلى الله عليه وسلم مخففا ما نعلمه الا لآلة التي يجرد بها
وفي الصحاح القدوم التي ينجت به مخففا قال ابن السكيت لا تقل قدوم
بالتشديد والجمع قدم قال الاعشى ما به ساشور الجبوة قدوم يضرب

وجمع القدوم قدام مثل فلوس وفلس وقدوم ايضا اسم موضع
مخفف قال الشيخ ويحصل من اقوالهم ان القدوم اذا اريد به الآلة
فهو مخفف واذا اريد به الموضع فيه التشديد والتخفيف ويحتمل
ان يراد بالقدوم في الحديث الموضع قوله وهو ابن ثمانين سنة
وفي عمر كنا نسلم انه اختتن وهو ابن ثمانين سنة وعاش مائة
وعشرين سنة قال الحافظ عساكر رحمه الله وقد جاء هذا الحديث
من رواية مالك والاوزاعي وفيه اختتن ابراهيم وهو ابن مائة
وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة الا ان مالكا وسائر من تابعه
وقفوه على ابي هريرة قال الشيخ رحمه الله فتقدم ان ابراهيم
اول من اختتن وان ذلك كان سنة عامة معمولا بها في ذريته
واهل الاديان المنتمين الى دينه ويصدق التوراة على بني اسرائيل
كلهم ولم تزل انبياء بني اسرائيل يختتنون حتى عيسى صلى الله عليه وسلم
عيسى كما ثبت من النصارى ولم يأت في التوراة من ذلك بيان
المقصود زوال كلفة القلف لاجله اذ قد تركوا المشروع من
الختان نظيره من القرآن وليس هذا اول حكم لا نفع فيه نسخ
وحكم يتعبد به ذلك الحكم زادوا على انبيائهم في الفهم وعلموهم
ما علموا عليه وقصوا به من الحكم وقد اسبغنا القول في هذا في شأن
الاعلام قوله لم يختتن ابراهيم الا بعد ثمانين سنة صلى الله عليه وسلم الا ثلاث
كذبات اشتمل على ذات الله قوله اي سقم وقوله بل فعله كبيرهم
هذا واحرة في شأن شارة موهم الظلام في كتاب الايمان على
هذه الكذبات وقد قيل انها اربع ربما نبهنا قوله للكوكب

هذا ربي ولم يذكروا في هذا الحرب مع انه حابلفظ الحصر فينبغي
ان لا يقال عليها كذبه وحق ابريم اذ قد سماها الرسول صلى الله عليه وسلم
بهذا الحصر وانما لم يعد عليه كذبه وهي اذ دخل في الكذب من هذا
الثلاث لانه والله اعلم حرج مال ذلك في حال الطفولية ولست
حال تكليف ويقوي هذا المعنى قول من شكى عنه ذلك في الاخبار
قوله اشتريه ذات الله اي في الرفع عن وجود الله وسار بحتمه
على ان المستحق للالهية هو الله تعالى لا غيره فاعتذر بما ادعوه الله
من الخروج معهم بانه سقيم موري بهذا التعريف وهو يريد خلاف ما فهموا
عنه كما ساه في الاخبار حتى تخلوا بالاصنام فكسرها بفعل دليل
وترك كبير الاصنام ليفهمهم الله كسرها هو لا يدفعهم به
ما فهم لما رجعوا من عيدهم موجروا الاصنام مكسرة قالوا
من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين هذا يعصم سمعنا فتى
يذكرهم يقال له ابريم وكان هذا الذكر بموضوع ابريم يقولون الله
لاكسرن اصنامكم بعد ان يولوا مدبرين فلما احضروه قالوا انت
فعلت هذا بآلهتنا ما حاسم بقوله بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم
ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم اي رجع بعضهم الى بعض
رجوع المنقطع عن جهة المتفطن لخطأ حصه فقالوا انكم انتم
الظالمون اي بعبادة من لا ينطق بلفظه ولا يملك لنفسه لحظة
فكيف بمن عبادته وبرغم عليهم الناس من لا يرد عن راسه النفاس
ثم نكسوا على رؤوسهم اي عادوا الى جهلهم وعنادهم فقالوا لقد علمت
ما هاؤلاء ينطقون فقال فاعلموا لما به يعذبون ويفتحمون فيما

يقولون افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم
اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون قوله ذات الله
يعني به وجود الله المنزه عن صفات المحدثات والمقدس عن
ذوات المخلوقات وفيه دليل على جواز اطلاق لفظ الذات على وجود الله
تعالى المقدس فلا تلتفت لانكار من انكر اطلاقه على المتكلمين قوله وواحدة
في شان سارة هذه الواحدة هي من ابريم صلى الله عليه وسلم مدافعة
عن دين الله تعالى الذي هو حريم سارة على الجبار والثنتان المتعذر شان
مدافعة عن وجود الله تعالى فما افترقا فلذلك عرفتي الاخبار
بين النوعين قوله ان يعلم ابدي اسراتي تقتلني عليك فقل انك
دلك الجبار فانت سيرته انه لا يغلبه الا اخ على اخته ولا يكلمه سواه
وكان يغلبه الزوج على زوجته وعلى هذا يدل ما في هذا الحديث والا
فما الذي فرق بينهما في حق جبار كالم قوله فان سالك فاخبريه انك
اختي فانك اختي في الاسلام هذا اصح ما فسر به وانكر شيء وهذا
كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة لقول لما قال الا ستيقظ اعلم من
لفظ الاخوة انما هي اخوة النسب فارس باب المعاريض ان كان
اللفظ يوهم شيئا وغيره اظهر منه وقبل عليه كذب توسعا
واطلق النبي صلى الله عليه وسلم عليها كذبا لان الله تعالى هو الذي علمه ان ابريم
يتخلص بذلك على يديه من الجبار كما تقدم في كتاب الايمان وانما
ملينته بذلك على ان الانبياء منزهون عن الكذب الحقيقي لا سيما اذا
كانوا يتقربون من يتقل بهذه المعاريض الى الجاهلين بمعاني الله
وعن رتبته وهي من باب الواجب وبعد علمهم كان اجدى واولى

ان لا يصدر عنهم شئ من الكذب الممنوع وفي هذا ما يدل على جواز المعاريض والحيل في التخلص من الكلمة بل يقول انه اذا لم يخلص من المظالم الا بالحرب الصراح جاز ان يقدم عليه بل قد يجب في بعض الصور بالاتفاق فيجب الفرق فتدبر ثم يحتمل شيئا او قائلا ممن يريد قتله او ائما من المسلمين من عدو ونحو ما يدل على ان العمل بالاسباب لا تنافيه التي يرجى بها دفع مضرة او جلب منفعة لا تقدح في التوكل خلافا لما ذهب اليه جمال التوكل وفيه كثير من نحو هذا وقول الحبار لسارة حين قبضت يده عنها ادعي الله لي يدل على ان هذا الحبار كان عنده معرفة بالله تعالى وبان لله من عباده من اذا دعاه اجابه ومع ذلك فلم يكن مسلما لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال لسارة ما اعلم على الارض مسلما غيري وغيرك وقول الحبار لك الله الا اضرك اورده لله بالنصب لا نحو عمرو وهو قسم ومقسم به ومقسم عليه ونحو حذف بتبيين بالتقدير بقولك اقسم بالله على الا اضرك فحذف الحافض فتعدى الفعل فنصب ثم حذف فعل القسم وبقي المقسم به وهو الله تعالى منصوبا وذلك المقسم عليه وهو الا اضرك يعني منصوبا نحو الا وتحو لا اضرك رفع الا على ان يكون ان مخففة من الثقيلة ويجوز فيها النصب على ان يكون ان الناصبة للفعل المضارع وقول الحبار للذي جاءه ببشارة ايما اتستمني بشيطان ولم تأتني بانسان كلام ناقض فقوله ادعي الله لي مشعر بانه لم يعد ان كفر له كرامتها على الله او اخذا لحالها لئلا تتحدث بما كفر عليها من اكرامه عند قومه وفي هذا الناس وتتبع فليس على السامع بقوله ايما اتيتني بشيطان وقول

ابراهيم صلى الله عليه وسلم مقيم قال الخليل هي كلمة لاهل اليمن جاهلية معناها ما اقدرا وفي الصحاح في كلمة ستقيم بها معناها ما حالك وما شانك ونحوه قال الطبري وقوله فانه خيرا هو منصوب بفعل مضمر اي فعل الله خيرا ثم فسرت الخير بقولها كبت الله يد الفاجر واخزم تمادى اي عصمها الله منه بما اكرمه من كرامتها واعطاها الله هاجر وبقي هاجر وقال الاخر بالعمرة سر لوسا من الصا وفيه جواز قتل بعض المشرك وبعدم القول فيها وقول ابي هريرة ملك اعجم ما ني ما انتما ملك اشارة الى هاجر والخاطب العرب قال الخطابي سموا الرجل لانتجاع علم المطر وسماء السما للرعي وقال عمرو سموا الرجل لجلوس شبعهم وصفايه وشبعه بما السما قال النضر ابو الفضل والاعجم عندي ان المراد به الابصار لسبهم الى حديهم عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد وقال يعرف بما السما وهو شمهورش الابصار فسمي بذي حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر المزيقياء والله اعلم

ومن باب ذكر موسى صلى الله عليه وعلى جميع الانبياء وسلم

قوله كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وهو اما كانت بنو اسرائيل يفعل بين اعاذه للتزيم وتخالفه لموسى صلى الله عليه وسلم وهو من جملة عتوبهم وقلة مبالاتهم بما ساع سرع موسى الا ترى ان موسى صلى الله عليه وسلم قال بسبب عدم الغسل فلم فاخبرا اصل توقيق وعقل اسعوه بهم لم يكفهم مخالفتهم له حتى آذوه بما نسبوا اليه من ادرة الاحمر فاظهر الله تعالى

ابرآئه مما قالوا بطريق خارق للعادة زيادة في ادلة صدق موسى
ومما لغيه في قيام الحجة عليهم وفي هذا الخبر ما يدل على ان الله تعالى
قبل انشاءه خلقا وخلقا ونزعهم في اول خلقتهم من العادات والتفاوت
المتفرعة عن الاقتدار اسم المعجزة عنهم ولذلك لم يسم الله شيئا
من الانبياء والرسل من خلقه الله تعالى اعمى ولا اعور ولا اقطع ولا اعرج
ولا اجذم ولا احدب ذلك من العيوب والآفات التي يعرض نقصا وعيبا
وموجب لمن اتصف بها شينا وذما وممن تضمح اخبارهم وعلم احوالهم
علم ذلك على القطع وعن القاضي رحمه الله في الشفا ان ما ابتلي
واثره ولا يعترض علينا بعمى يعقوب وبما ابتلي ايوب فان ذلك كان كاريا
عليهم محبة لهم وليختبرهم بهم من ابتلي بتلائهم وصبرهم وفي
ان ذلك لم يقطعهم عن عبادة ربهم بل ان الله تعالى اكمل كرامتهم
ومعجزتهم بان اعاد ليعقوب بصره عند وصول قميص يوسف اليه
وازال عن ايوب حزنه وبلاءه عند اغتساله من العين التي انبع الله
تعالى له عند ركضه الارض برجله فكان ذلك زيادة في معجزاتهم
وتمكينا في كمالهم ومنزلتهم والادرة بضم الهمزة وسكون الدال وهي عظم الخصيتين وانتفاخهما وقوله
فجمع موسى وانثره اي اسرع في مشيه خلف الحجر ليأخذ ثوبه
والحموح من الخيل هو الذي يرفع راسه في اسراعه ولا يثنيه
شيء وهو عيب فيها واما الخلق على اسراع موسى خلف الحجر جميعا
لانه اشتد خلفه اشتدادا لا يشبه شيء عن اخذ ثوبه وهو مع
ذلك ناد ثوبي حجر ثوبي حجر كل ذلك استعظاما لعثور عورته

سبيقا الحجر الى ان وصل الى جمع بني اسرائيل فنظروا الى موسى وقد برأه الله
مما قولهم وعاينت محنته عليهم وقوله موسى صلى الله عليه وسلم
ثوبي حجر ثوبي حجر منصوب بفعل مضمر ومحرف منادى مفرد محذوف
حرف النداء وتقدير الكلام اعطني ثوبي يا حجر او اترك ثوبي
محذف الفعل لدلالة الحال عليه وحذف حرف النداء هنا استجلا
للمنادى وهو جار في كلام العرب حذف حرف النداء مع النكرة كما قالوا
اطرق كرا وافتد مخنوق وهو قليل واما نادى موسى الحجر نداء
من يعقل لانه صدر عن الحجر فعل من يعقل وفي وضع موسى ثوبه
على الحجر وحوله الماء دليل على جواز ذلك وهو مذهب الجمهور
ومنعه ابن ابي ليلى واصح بحديث لم يجز وهو قوله صلى الله عليه وسلم
لا تدخلوا البيوت الا بمئزر وقال القاضي وهو ضعيف
عند اهل العلم وجاء في الام فان اغتسل بمئزر ثوبه هو تفسير ما
بمئزر رواية العذري وروايا اكثر الرواة المشربة بضم الميم
والراء واصله موضع الشرب واراد به الماء والمشربة هنا ايضا
الارض الليئة واما المشربة التي هي الغرفة فمثال بضم الواو وضما
كما تقدم وكقول من امثال المغاربة فجعل واخذ ومثال بضم الباء
وكسرها والندب الاثر بضم الدال وقوله مررت على موسى ليلة
اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو مصلى في قبره الكثيب هو الرمل
من الرمل وجمع قبها وهذا الكثيب هو بطريق مكة المقدس حيا
سيأتي وهذا الحديث يدل مما هو على انه صلى الله عليه وسلم رأى
موسى رؤية حقيقية في يقظته وان موسى حاي في قبره حيا

وعبره بعضنا بانه رد وكان عالما فاضلا واما قتله وشوه وجهه
موان امراه تعجب الاحبار وقتل ابن اخته وقول ابن عباس رضي الله
عنهما خذت عدو الله قول اصدره غضب على من يعلم مما لم يعلم
موان الملاك ورد عليه وقد صار بعيد موسى الى ما قاله تؤفك لكن
الصحيح ما قاله ابن عباس على ما حكاه في الحديث وقوله قام موسى
صلى الله عليه وسلم خطيبا فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله
عليه اذ لم يرد العلم اليه فتشاق هذه الرواية مع اكمل ما
سيق في هذا الحديث عليه فلتبحث منه وكما عتب هذا اللفظ الذي
عتب الله تعالى على موسى انما هو ان قال انا اعلم ما كان العلمية
اليه ولم يقل الله اعلم بمن هو اعلم الناس فيفوض ذلك الى الله وكون
هو اس تورع ما عتبه النبي صلى الله عليه وسلم على تورعه صلى الله عليه وسلم
حيث قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد وسيأتي تكميل هذا
المعنى في كتاب التفسير ان شاء الله تعالى وقال الاول يعني موسى صلى الله عليه
وسلم ان رسول الله اعلم بمن هو اعلم الناس لئلا يعلم في زمانه رسولا
آتاه الله كتابا فيه علم كل شيء وتفصيل الاحكام سواه فاراد لذلك عتب
ما كان في علمه لكنه لم يرض منه بذلك لكمال معرفته بالله تعالى وعلو منصبه
وفي بعض طرق الحديث ان السائل قال لموسى هل في الارض اعلم منك قال لا فعتب الله
عليه اذ لم يرد العلم اليه قال الشيخ رحمه الله ويحتمل ان العتاب
متوجه العتب على موسى منهما وقد روي بالفاظ اخر يبعد توجه العتب
عليهما فقد روي انه قال لا اعلم في الارض خضرا ولا اعلم شيئا وفي اخرى
هل له من يعلم احدا اعلم منك فقال لا وسيأتي الغطاء بذلك فيما

يصلي عليه الصلاة التي كان يصلي في الحياة وسواء كان ميتا او احاله
في بقية منه ويحتمل ان الشهداء احياء بدليل قوله ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء الآية فاذا كان هذا في الشهداء كان في الانبياء
احرى واولى فان قيل كيف يصلي بعد الموت وليس بذلك الحال حال تكليف
فالجواب ان ذلك ليس بحكم التكليف وانما ذلك بحكم الاكرام لهم والتشريف
وذلك انهم كانوا في الدنيا حببت اليهم عبادة الله والصلاة بحيث
كانوا يلازمون ذلك ثم توفوا وهم على ذلك فشرفهم الله بعد موتهم
بان ابقى عليهم ما كانوا يحبون من ذلك وما عرفوا به وهو عبادة من
العبادات كعباده الملائكة لا تكليفية وقد وقع مثل هذا للشاب
البناني رضي الله عنه فانه حببت اليه في حال نموه الدعاء ان كنت
اعلمت احدا صلى لك في قبره فاعلمني ذلك فراه ملازمه لقبره بعد
ما سوي عليه لحده فانما صلى في قبره وقد دل على صحة ذلك قوله
موانبيا صلى الله عليه وسلم بموت المرء على ما عاش عليه ويحشر
على ساعات عليه وقد جاء في الصحيح ان اهل الجنة يلهمون التسبيح كما
يلهمون النفس فمن ثابت بقية موسى منع الخضر صلى الله
عليهما وسلم قوله ان توفا البكالي لم يختلف في ان توفا هو صحيح النقل
واسكان الواو وصح انها منونة واما البكالي فروايتنا فيه بكسر الباء
وصح الدال وكسرها على كل من قراءته عليه في البخاري وسلم وهي
المعروفة وقد ضبطها الخشني وابو بحر بصم الباء والدال وتشديد
الدال والاول الصواب ويقال بطن من حمير وقيل من همدان
واسم بسنده توفا هذا وهو توفا بن فضالة على ما قاله ابن دريد

مما اعلم مما سيل عنه عن نفسه وهو حق صحيح وتبرى صريح لكشف يتوجه
على من قال ذلك عثمة او ينسب الى تقصير والصحيح من حيث المعنى ان الامر
صدر من موسى صلى الله عليه وسلم سعى الفطرة كما يقتضيه حاله
جزم بما انه اعلم اهل الارض وهو محل العتب على مثله فانه
كان الاولى به ان يفوض علم ذلك الى الله تعالى وهذا دليل على صحة ما قلناه
مما تقدم من ان الذنوب المنسوبة الى الانبياء المعدودة عليهم انما هي
من باب ترك الاولى وخوطبوا عليها حسب مقادير مراتبهم فان حسنات
الابرار سيئات المقربين وقوله تعالى ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين
هو اعلم منك وفي الرواية الاخرى بل عبدنا الخضر اسم الخضر
بلبان ملكان على ما قاله بعض المفسرين وسمي الخضر لانه
كان اذا صلى اخضر ما حوله وفي الترمذي من حديث ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت
خضراء فاذا هذا حديث حسن صحيح ومجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم الذي هو البحر
الملح وبحر فارس هو البحر الذي يلي بلاد العرب والهند ويسمى بحر
ابي هما فرقبه القرطبي بالحجة وحكي عن ابن عباس ان مجمع العلم
الخضر وموسى وكان هذا لا يصح عنه والله اعلم وقوله هو اعلم منك
اي باحكام وقايع معقلة وحكم نوازل معينة لا مطلقا ودليل قول
الخضر لموسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه انا واني على علم علمنيه
الله لا تعلمه انت وعلى هذا يصدق على كل واحد منهما انه اعلم من الاخر
بالنسبة الى ما علمه كل واحد منهما ولا تعلمه الاخر فلما سمع موسى هذا
تشوقت نفسه الفاضلة وهمته العالية لتحصيل علم بالم يعلم فلقاء

وهو ايضا في صحيح البخاري كسنه محمد بن مسلم

وهو الذبل

من قبل فيه انه منك اعلم فعزم فسال سؤال التذلل كيف السبيل فامر بالارتحال
على كل حال وسئل له احمل معك حوتا فالحاوي مختل فجمشتي وتفقده فقد السبيل
فانطلق هو فتاه لما وافاه مجتهدا طالبا ثابتا لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين
او امضي حقبا والحقب بضم الحاء القاف الدهر والجمع احقاب وبضم الحاء
وسكون القاف ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك والجمع حقاب والحقبة
بكسر الحاء واحدة الحقب وهي السنون من الحمام وهو من الفقه يرحله العالم
الى طلب الازدياد من العلم والاستعانة على ذلك بالمحابر والصاحب
والاهتمام لقاء الفضلاء والعلماء وان بعدت اقطارهم وذلك كان دأب السلف
الصالح ويستحب ذلك ويصل المرتحلون الى الحكة الراجح وحملوا على السعي
الناجح فرسخت في العلوم اقدامهم وصح لهم من الاجر والاجر افضل الاقسام
ثم ان موسى ازمع الطلق فانطلق مغمورا بما خبره من الشوق والحرق
يمشي مع فتاه على السنة ولا يبالي بمر حقبا لا بجر نصبا ولا يخطى سببا
الى ان وصلا الى الصخرة فاما وطئاها قال بعض المفسرين وكانت على مجمع
البحرين وتحتهما ماء الحياة حتى معناه الترمذي عن سفيان بن عيينة
فانتضح منه على الحوت فحيي واضطرب فخرج من المكتل فاضطرب
حتى سقط في الماء فامسك الله جرية الماء عن الموضع الذي حوله حتى
كان مثل الطاق وهو النقب الذي يدخل منه وقوله وكان
للحوت سربا اي مسلكا عن مجاهد قال قتادة عجبا للسرب
وقوله وقال لموسى وفتاه عجبا يعني لما تذكرا فرجعا فتحيرا من قدرة الله
على احياء الحوت ومن امساك جرى الماء حتى صار كهيئة السلك منه وقوله
فانطلقا بقية يومهما وليلتهما يعني بعد ان قاما من نومهما ونسيا

وحكاه البخاري ايضا

حوتهما اى غفلا عنه ولم يطلباه لاستعجالهما وقيل نسى يوشع الحوت
وموسى امر امره فنسى وقيل نسى يوشع ذكر تتبع السمك للمجمع
كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وعلى هذا القول يدل قوله
في الحديث وعسى صاحب موسى ان يخبره ويظهر منه ان يوشع اكبر سنا
من الحوت ونسى ان يخبر موسى بذلك الوقت **وقوله** فلما اصبح قال موسى
لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا هو دليل على انهما
كانا تزودا وقيل كان زاد هما الحوت وكان يحملهما قال الشيخ رحمه الله
والظاهر من الحديث انه حمل الحوت معه ليكون فقده دليلا على موضع
الخضر كما تقدم من قوله تعالى لموسى احمل معك حوتا في مكتل فحيث
تفقد الحوت فهو ثم وعلى هذا فلم تزود اشيئا آخر غير الحوت
والنصب التعب والمشقة وقيل يعني به ههنا الجوع وفيه دليل على جواز
الاخبار بما يجده الانسان من الالم والامراض وان ذلك لا ينافي الرضا
ولا التسليم للقضاء اذ لم يصدر ذلك عن ضجر ولا تسخط وقوله ولم
ننصب حتى جاوز المكان الذي امر به اي لم يجد موسى الم النصب الا بعد
ان جاوز فلعل الفقر اسبب تذكر ما كان من الحوت ومن ههنا قيل ان السفر
هو الجوع **وقوله** ارأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت هذا
قول يوشع جوابا لموسى واخبار له عما جرا ومعنى اوينا انضممنا وعنى
هنا بضمير التثنية لانه لازم وقد يعدى بذكر الخلاف والتعدي في قصره
وبعده ونسبة النسيان الى نفسه سنة عادية لا تحتمل فيه
وقوله وما انسانيه الا الشيطان انه ذكره ان مع العسر يسرا وقيل المصدر
وهو منصوب بدل اشتمال من الضمير في انسانيه وهو بدل الكل من البعض

وقد اتخذ ذكره يوشع في معرض الاعتذار وذلك ان في الخبر ان موسى
قال لفتاه لا أكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فاعتذر بذلك
وقوله وما انسانيه الا الشيطان سبب للنسيان او للغفلة عما يورده
وقوله وعسى ذلك ان الشيطان سبب للنسيان او الغفلة عما يورده
على القلب من الخوض في تخير المعنى المكلوب ومن المعلوم ان النسيان لا صنع
فيه للانسان وانه مخلوق لله ولذلك يؤاخذ الله تعالى به وانما
محل المؤاخذة الاتيان بالسبب والانصراف عن الامور المهمة الى ما ليس
بمهم حتى ينسى المهم وهذا فعل الشيطان ان يشغل ذكر الانسان بما ليس بمهم
ويزينه له حتى ينصرف عن المهم بتوزع على ذلك وبعاقبة يحصل مقصود
الشيطان من الانسان **وقوله** واتخذ سبيله في البحر عجبا اي اتخذ الحوت
كرينه في البحر سبيلا يعجب منه يوشع ومحمد به غيره ممن شاهده
او سرب قضيته ونبغي نطلب وارتدا رجعا وقصصا تتبعا لاثار رجلهما
والصخرة هي التي كانا اويا اليها والمسجى المغطى ومستلقيا على القفا
اي مباشرا بظهره وقفاه الارض مستقبلا بوجهه السماء كفتشا لمت
وقوله او على حالة من القفا شك من بعض الرواة وحلاوة القفا
يعني بفتح الله اعلم ان بعده النجفة مما تشتهي لاجله استراحه فكانه
قال او حلاوة نجفة القفا وبضم الحاء وفتحها وحلاه وحاليهم والمزوبر
بالقصر وكان بعده النجفة من الخضر كانت بعد تقب عباده وآثر بعده
النجفة لما يعاين تزود البصر في المخلوقات ورويه بجانب السموات
وكان الخضر عليه السلام في حال بعده النجفة منفرج عن الخليقة مملوء
بما لاح له من الحق والحقيقة ولذلك لما سلم عليه موسى صلى الله عليه وسلم
كشف الثوب عن وجهه وقال وعليك السلام من انت **وقوله** اني بارضك

السلام معناه من انتى تعرف السلام سوى الارض التى انت فيها وهذا
محتمل وجهين احدهما ان ذلك الموضع كان تقرأ فيه تحيته احد بتحيته ولا انيس
بقتله ويحتمل ان يكون اهل ذلك الموضع لا يعرفون السلام الذى سلم به
موسى اما لانهم ليسوا على دين موسى واما لانه ليس من كلامهم
وانى تاتى بمعنى حيث وجيء وابن ومتى حكاه الفارسى وهذا من الفقه
تسليم القائم على المضطجع وهذا القول من الخضر كان بعد ان رد عليه
السلام لانه قبله كما قدمنا ذكره ومساق هذه الروايه يدل على ان اصحاب
موسى بالخضر كانوا على البر عند الصخرة وهو كما هو قوله حتى اتيا الصخرة
فراى رجلا مسجى وفى بعض طرق البخارى حتى اتى الصخرة فاذا رجل
مسجى يعطفه بالفاء المعقبة واذا المفاجئة عن ابيه فورد فى البخارى
ما يقتضى انه رآه فى غير البحر ودلك انه قال فيها موجدا خضرا
على طنفسة خضراء على شط البحر مسجى بثوبه وجعل طرفه تحت رجليه
وطرفه تحت راسه وشط البحر وسطه وهذا يدل على انه اضجع
به فى البحر ويحتمل ان يكون موسى مشى على الماء تلقاء عليه وهذا
لا يبعد على موسى والخضر كان اذن خرق اعم من العادة اكثر
من هذا واعظم وعلى هذا فسده الزيادة ثم الى الروايه المتقدمه
ويجمع بينهما بان يقال ان وصول موسى للصخرة واجتماعه مع الخضر
كان فى زمان متقارب او وقت واحد لطى الارض وتسخير البحر والقدرة
صالحة وهو الحال خارقة للعادة والخارق لا يتخير عنها بصيغ التعقيب
والاتصال والله اعلم وقوله نعم هو خرج جواب فى الجواب مكانه قال
انا موسى بنى اسرائيل فعرفه فى الوقت فى تعريف وعلى من قال بقوله ونعم

الخير البيضاء وقوله تحيى مما جاء فيها ان يا هان بالضم والتنوين
وعلى هذا تكون تحيا صفة لحى وهى التى يكون للتعظيم والتفخيم كقولهم
لا ارينك ها هنا وقوله من تسود ٥ ولا ترى عينه الا وهو ٥ يكون
معناه يحيى عظيم وامر عظيم حمله على ان تركته ما كنت عليه من امر
بنى اسرائيل واهجمت الاسفار وقطع المفاوز والقفار ومراده
بعض الرواة ان الخضر قال له وعليك السلام انا مارضنا نبى بنى اسرائيل
اما كان لك فيهم شغل قال لا ولكنى امرت ان اتحبب اليك مستفهما منه
ما جاب بجوابه المعلم المسترشد من يرى العالم المرشد ملازما للادب
والحرمة ومعظما لمن شرفه الله بالعلم واعلى رتبه فقال جئت لتعلمنى مما
علمت رشدا قراءة الجماعة بضم الراء وسكون الشين ومراده يعقوب وابو عمرو
بالفتح فيهما وعاصم فيما ان وقال رشد بالفتح يرشد رشدا بالضم ورشد
بالكسر يرشد رشدا بالفتح ومعنى الرشد الاستقامه فى الامور واصابة
وجه السداد والصواب فيهما وضده الغى وهو منصوب على المصدر
وقيل فى موضع الحال ويجوز ان يكون مفعولا من اجله وفيه من الانقياد
التذلل والتواضع للعالم وحسن ادبه واستئذانه فى سؤاله والمبالغه
فى احترامه واعظامه وحسن لم يفعل هذا فليس على سنة الانبياء والعلماء
معهم كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم لحسن سياسته لمحل كبر ورحم
صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه وقوله انك على علم من علم الله علمكه لا اعلمه
واما على علم من علم الله علمنيه لا اعلمه انت ٥ ظاهر هذا ان الخضر كان
لا يعلم التوراه ولا ما علمه موسى من الاحكام وهذا هذا الكلام فى بعض
روايات البخارى بعد هذا اللفظ وزيادة فيه فقال ما يقنعك ان التوراة

بين يديك وان الوحي يأتيك يا موسى ان لي علما لا ينبغي لك ان تعلمه وان لك
علما لا ينبغي لي ان اعلمه **قال** الشيخ رحمه الله ولا تعد فيما ظهر
من رواية مسلم لان الخضر ان كان نبيا فقد اكتفى بما تعتده الله به من الاحكام
وان كان غير نبي فليس متعبدا بشريعة بني اسرائيل اذ يمكن ان لا يكون منهم
والله اعلم وسياتي في القول في نبوته واما مساق رواية البخاري
فهو مساق حسن لا يرد عليه من هذا الاستبعاد شيء لان مقتضاه ان لكل
واحد منهما علما خاصا به لا يعلمه الاخر ويجوز ان يشتركا في علم التوراة
او غيرها مما شاء الله ان يشتركا فيه من العلوم ويظهر لي ان الذي خص به
موسى صلى الله عليه وسلم العلم بالاحكام والمصالح العامة التي تنتظم بها
مصالح الرسالة اذ ارسل الى عامة بني اسرائيل **وقوله** موسى هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا اي بعض ما علمت رشدا حتى اعلم مثل ما اجابه
به ما يقتضي ان ذلك ممكن لولا المانع الذي من جهتك وهو عدم صبرك تعال
عن ذلك جازما في قضية لما علمه من حالته انك لن تستطيع معي صبرا ثم رخصة
عذره بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا معناه انك لا تصبر عني
لانكارك السؤال وانت في ذلك كالمعذور لانك لم تشاهد امورا كثيرة
ولا تعرف بواطنها واسرارها وانتصب خبرا على التمييز المنقول من
الفاعل وقيل على المصدر الملاقي في المعنى لان قوله لم تحط معناه لم تخبره
فكانه قال لم تخبره خبرا والله اشار بالشاهد والخبير بالامور هو العالم
بخفاياها وما يحتف منها **وقوله** ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك
امرا هذا مفوض الى الله تعالى في الصبر وجزم بنفي المعصية وانما كان منه
ذلك لان الصبر امر مستقبل ولا يدري ما يقدر له فيه ونفي المعصية

معزوم عليه حاصل في الحال ما لا استثناء فيه فلذلك جزم عليه والله اعلم
ويمكن ان يفرق بينهما بان الصبر ليس منفسا لما يخالف فعل المعصية
وتركها بان دل كله مكتسب لنا **وقوله** قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء
حتى احدث لك منه ذكرا سرا من الخضر تاديب وارشاد لما يقتضي
دوام الصحبة ووعد بانه يعرفه باسرار ما يراه من العجايب
للوصبر وذات لوى العجب لعنه اكثر من الاعتراض ينفسر السراق
والاعتراض **وقوله** فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يعني الخضر وموسى
ولم يذكر معهما فتى موسى يدل على انه لم يكن معهما او انه تخلف عنهما
ويحتمل انه اكتفى بذكر المتبوع عن التابع **وقوله** ركبوا السفينة فعرفوا الخضر فحملوهما
بغير نول اي بغير شيء نالوه اصحاب السفينة منهما اي بغير جعل
والنول والنائل والنيل العطاء ومنه ما نال على قول الرجل الصالح
ما حرمه به من يعتقد فيه صلاحا ما لم تشبه ريبة او اظهار صلاحه
لذلك مقصود فاعل يدينه وذلك كرم وربما **وقوله** لتغرق اهلها
قرأه حمزة والكسائي بالمثناة تحت مفتوحة واهلها بالرفع على
انه فاعل يغرق والباقون بمثناة فوق مضمومة اهلها بالنصب
على الاول بنزع اللام للتعليل كما مال بالتفكه آل بزعون لمفعول
لهم عروا وحزنا وعلى الثاني ظرف نشأت له انه اراد الاعراف وعلى الوجوه
الثانية بنزع اللام اي حتى يغرق اهلها انسب اليه انه فعل ذلك
اعتراضهم وحمله على ذلك عزة الشفقة عليهم ولانهم قد احسنوا
الا يعاملوهم بالاساءة ولم يعلل لتغرقني لان الذي علم عليه والحال هذه
الشفقة عليهم ومراعاة حقهم **وقوله** لقد جئت شيئا امرا اي منكرا

الحجة قال رجل امرأى ضعف الرأى وايمنه يحتاج الى ان يوسر
قال معناه ابو عبيد ٥ حاسر سفرا سفارا يحيا الاخفش قال
اسرا اسره ناسر اسرا اى اشتد والاسم الاسر قال الراجز ٥
فتلقى الاقران منى بكرا ٥ ذا بيبة ونقتا اذا اسرا ٥
ومنه من الفقه العمل بالمصالح اذا الحق وجمعها ومواز اصلاح
كل المال لفساد بعضه قوله لا تواخذنى بما نسيت اى بشىء عمدت
فتكون ما مع الفعل بتاويل المصدر اى بنسيانى وغفلتى وصوق
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا
قوله ولا ترهقنى من امرى عسرا اى تغشينى مما تركته قاله
الخطابى وقال غيره لا تكلفنى ما لا اقدر عليه من التحفظ عن النسيان
قوله واذا غلام يلعب مع الغلمان مر بيان ان الغلام من الرجال
قال على من لم يبلغ ويقابله الجارية من النساء قال الخليل اسم هذا الغلام
شمعون وقال الخطابى حشود وقال وهب اسم امه سلاس واسم امه
رحمى وقال ابن عباس قال شابا مقطع الطريق قال الشيخ
ويظهر من كلام ابن عباس هذا انه كان بالغا وانه لم يبلغ سن التكليف
وليس هذا معروفا فى اطلاق اسم الغلام فى اللغة وسياق الحديث يدل
على انه لم يبلغ سن التكليف وقد روى هذا الحرف لم يحج عن ابن عباس
بل الصحيح عنه انه كان لم يبلغ كما ياتى قوله فذبح موسى بحذف هذا
ذكره شديدة اى فرع فزعا شديدا هذا عند هذه الفعلة
التى هى قتله الغلام وعند ذلك لم يمالك موسى ان ذكر بالانكار
ثانيا كالاعتذار قال فعلت نفسا زاكية بغير نفس لغير حق

وتخفيف النون ○ وبسكون الدال وانشاء مها الضم
وتخفيف النون ○ ابو بكر عن عاصم ○ بضم الدال وتشديد

وما صدر عنه من تغليط الانصار وقوله الم اعهد اليك ان لا تدخل لي منزلا طبع معي صرانما ذكر ذلك في هذه المرة ولم يذكر ما في الاولى مقابلة له على قلة احترامه في هذه الكرة فان مقابلة ذلك مع كافة حكام المغرب بشعر بقلة احترامه والله اعلم وقوله ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني هذا القول اسوء من موسى استحياء من مخالفة ونقديره لنفسه عذرا مع وعيدا لا عذر اخر بالمفارقة وقوله قد بلغت من لدني عذرا اي قد صيرت عندي معذورا وقد تقدم الفرق بين لدى وعند وانني لدى لغات وقرئت من لدني بضم الدال وتسكين النون وتسكين الدال وحذف النون والاول لنافع والثالثة للباقين وقوله فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية لئام فاستطعما اهلها قال قتادة هي انطاكية وليام سألحلا والسوم في الاصل هو الحمل مع دناءة الامر والاستطعام سؤال الطعام والمراد به هنا اسألا الضيافة ودليل قوله فابوا ان يضيفوهما ما يستحق اهل القرية ان يذموا وينسبوا الى اللوم كما وصفهم بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ويظهر من ذلك ان الضيافة كانت عليهم واجبة وان الخضر وموسى انما سألا ما يجب لهما من الضيافة وهذا هو اللائق بحال الانبياء والفضلاء وتعيران يذم من ترك المندوب هذا اللوم مع انه يحتمل ان يقال ان الضيافة لما كانت من المكارم المعروفة المعتادة عند اهل المروات في ذم المتخلف عنها عاقبة كما قد قالوا شر القرى التي تخل بالقرى ويحتمل ان يكون سؤالهما الضيافة عند حاجتهما الى ذلك وقد بينا ان من حاع

وجب عليه ان يكلف ما يرد به رمقه فعلى هذا يدل على جواز المخالفة بالصافة كما فعل صلى الله عليه وسلم اذ انزلهم بعوم فلم يضيفوهم فاكلوا مما سمح حتى اضيف وبعد هذا القول في الضيافة واحكامها وعفو الله عن الجرمي بانه تشحشح وهو الانة وبخل فاستدل بها على الحديبية والاجماع منعقد على ان ذلك ليس بعيب على فاعله ولا نقيصة عليه بل ما زادت مما في الرد شحشحة عليك قد رد موسى فعل الخضر وهذا العذر ما دعى واسلال عن احترام النبيين صلى شحشحة ادبيه وعفوه سخا فيه ورحم الله السلف الصالح فقد بالغوا في وصيته كل ذي عقل راجح فعلوا سمى فتنة لاعما شيء فاما ان بلغت بريئة وقوله فوجدا جدارا يريد ان ينقض فاقامه الجدار الحائط وينقض بسقط ووصفه بالارادة مجاز مستعمل وقد فسره في الحديث بقوله فعول مائل فقام فيه دليل على وجود المحال في القرآن وهو مذهب الجمهور ومما يدل على استعمال دلك المحال وسيرته قول الشاعر يريد الريح صورا في تزاور ويرغب عن دماثي عقيل وقال اخر

لان تهمر انك شملي بسلمى لزمان تهم يا الاحسان ○

وقد قلت له هاهنا فلقت العود بين اذا اردت فصولا ○

والاصول هنا الثبوت في الارض من مولهم اصل السهم اذا ثبت في الرمية فشبه وقع السوط على ظهر مسلم بموقع القوس في الارض الشديدة قال الناس يعم فصاقبلت ولا يجاد بحرج وقد استوفينا مباحث هذه المسالة في الاصول وقوله قال الخضر هذا فراق بيني وبينك اشار اليه تفخيما له انه اشار اليه فقام فيه دليل على كرامات الاولياء وقد كان قد اوصاه

وقيل موجود في اقصى البلاد جاء موقوفا على

من احوال الخضر في هذا الحديث كلها امور خارقة للعادة هذا اذا
تنزلنا على انه ولي لا نبي وهو الذي ذهب اليه ائمة اهل السنة والظاهر
من سياق قصته واستقرار احواله مع قوله وما فعلته عن امري انه مبني
بوحي اليه بالتكاليف والاحكام كما اوحي الى الانبياء عليهم السلام
برسول وقوله لو شئت لتخذت عليه اجرا هو قراءة ابن كثير وابي عمرو
ويعقوب وقراءة عاصم لاتخذت وبالقطان لمعنى واحد من الاخذ والاتخاذ
صورت من موسى سوالا على جهة العرض لا الاعتراض من بعد ذلك قال
له الخضر هذا فراق بيني وبينك اي هذا وقت ذلك لحكم ما شوهدته
على بعضكم وبعضهم ما يخبره بحكم تلك الاحكام فقال اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر قراءة المتواتره بخمسة السبق جمع مسكين
سموا بذلك على جهة الشفقة والترحم وقيل كانوا مسلمين اجراء وروي
عن ابن عباس انه قرأها مساكين بتشديد السين جمع متاد لاسماهم
السفينة قيل كانوا عشرة خمسة منهم يعملون في البحر وخمسة زمنا
وقد يعدم الفرق بين المسكين والفقير في الرتبة وقوله وكان وراءهم
ملك ياخذ كل سفينة غصبا وراء اصلها بمعنى خلف قال بعض المفسرين
انه كان خلفهم وكان يجوعهم عليه والاكثر على ان وراء اسم
وهذا العمل العلي لقراءة سعيد وكان اسمه وليما قاتي وبقية الحديث
وقال بعضهم وراء من الاضداد قال الشاعر

اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا ٥

اي امامي واصل هذا ان كل ما توارى عنك صورا وقيل اسم هذا
الملك هدد بن بدد من حمير وقال الكلبي الحلس والقضب اخذ ملك القرن

على جهة التمرد والحماقة وقد بين وجه الحكمة في خرق السفينة
في الرواية الاخرى بقوله فاراد اعيبها الذي سخرها وهو بها فتخرقه
فتحاوزها فاصلحوها بخشبة وحاصل من هذا الحض على الصبر على الشدائد
وهم في طي ذلك المغفرة من الفوائد وهذا معنى قوله تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقوله واما الغلام فكان كافرا هذا
حديث مرفوع من رواية ابي بن كعب وفي رواية الاخرى طبع يوم طبع
كافرا وقد روي ان ابنا كان بقرا اما الغلام فكان كافرا وكان ابواه
مؤمنين وهذا محمول على ان ابنا مشترك اقرأ قرأ كل الاسامي شبتها
في المصحف وهو من جملة كتبته والجمهور على ان هذا الغلام لم يكن
بلغ سن التكليف وقد ذكر ابن جبير الى انه بلغ سن التكليف
وقد حكي ذلك عن ابن عباس كما تقدم وانما صار ابن جبير الى ذلك لقوله
صلى الله عليه وسلم فكان كافرا والكفر والايمان من صفات المكلفين
والمخلوق على غير مكلف الاحكام اتبعه لابويه وابوا الغلام
كانا مؤمنين بالحق فلا يصدق عليه اسم الكافر الا البلوغ فتعين
ان يكون ابواه البيه وقد يطلق الغلام على الشاب اذا كان قريبا من زمان الغلومية
نوسعا وهو موجود في كلام العرب كما قال لبيد الاخيلية

شعاعا ما ادرا الضحال ابن سعد كلام اذا هز القناة سقاها ٥

وقال صفوان لحسان تلق ذباب السيف عني فاشي غلام اذا هوجيب لست ساعره

قال الشيخ رحمه الله وما صار الله الجمهور اولى بسبقا لحقيقة لفظ
الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم واما الغلام فطبع يوم طبع كافرا
اي خلق قلبه على صفة قلب الكافر من القسوة والجهل ومحبة الفساد

هذا الحديث ليس في نسخة الشارح المطبوعة في بولاق ولا في نسخة الشارح المطبوعة في الهند ولا في نسخة الشارح المطبوعة في مصر

وضرر العباد وقوله ولوادرك لارهقن ابويه طغيانا وكفرا اى لو بلغ ولما علم الله ذلك منه اعلم الخضر بذلك وامره بقتله فيكون قتله من باب دفع الضرر كقتل الحيات والسباع العادية لا من باب القتل المترتب على التكليف وسر الاشكال على اصول اهل السنة فيه قال الله تعالى الفعال لما يريد العاد وعلى ما شاء لا توجه عليه وجوب ولا حق ولا شيء لاحد عليه لوم ولا حتم واما على اصول اهل البدع القائلين بالتحسين والتقبيح وما تولد على ذلك من الاصول العاشرة من الجوب بالعدل والاكتساب على الله تعالى فلا للمقتضي البتة ولا يعرج عليها لظهور فسادها كما بيناه في الاصول

قوله وكان ابواه مؤمنين عليه اى اجباه واقبلا عليه لشفقتهما وحبهما فخاف الخضر لما اعلمه الله تعالى حالة ان يطغيا ويرهقاه على ما يصير عنده من الكفر والعناد فيكفران بذلك وسر امر موله فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وعلى سر فيخشى فخشينا من كلام الخضر وهو الذي يشهد له سياق الكلام وهو قول كثير من المفسرين وذهب بعضهم الى انه من كلام الله تعالى وفسر خشينا بمعنى علمنا وحكي ان ابيا قرأها فعلم ربك وبعني برهقهما للحق بهما ما يشق عليهما وتعبهما والطغيان هنا الزيادة في المعاصي

قوله فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما وهذا قول الخضر وطعا ونحو لشهد بان قوله فخشينا من قوله ويبدلهما فرى مشددا ومخففا وهما لغتان وزكاة منصوب على التمييز بمعنى نماء وصلاحا ودينا ورحما معطوف على زكاة اى رحمة يقال رحم ورحمى بالف التانيث ومذكره

رحمن

رحيم وقيل ان الرحمى بمعنى الرحم قرأها ابن عباس واصل رحما

اى رحما وحكي عنه انهما رزقا جارية ولدت بنتا وقيل كان من

لسلمها سبعون نبيا وبنحو هذا تعبر الصايب فقد الاولاد

وان كانوا طغاما من الاكياد ومن سلم للقضا سلمت عاقبته

عن ابن البيضا وقوله واما الجدار وكان لغلامين يتيمين

في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم وقد يعرف ان اليتم في الناس

من قبل قد الاب وفي بعض من الحيوان من قبل الام وقوله وكان

تحته كنز لهما اى تحت الجدار وكان ابن الانباري انه مال مكنوز اى مجموع

وقال ابن جبير كان صحف العلم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب

مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن

عجبت لمن يوقن بالرزق كيف تنعب عجبت لمن يوقن بالموت كيف

يفرح عجبت لمن يوقن بالحساب يغفل عجبت لمن يعرف الدنيا

وتقلبها باهلها كيف يطمئن لا اله الا الله محمد رسول الله

وقوله وكان ابوهما صالحا قال اهل التفسير انه كان جدهما السابع

وكان يسمى كاشحا فقيه ما يدل على ان الله تعالى يحفظ الصالح في نسله

بعد موته وان بعدوا وقد روي ان الله تعالى يحفظ الصالح في سبعة من ذريته

وعلى هذا يدل قوله تعالى ان ربك الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى

الصالحين وقوله فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اى قوتهما وهو ما

بين ثمان عشرة الى ثلاثين سنة واصل الكنوز على هو واحد على

بنا الجمع كالقلوب والاكتر لهما من نفقتهما وكان سببه قول بعض

جمع واحده شدة قال الكوفيون وهو صحيح في المعنى لانه يقال بلغ

العلام شرته ولكن لا تجمع بقلة على افعل واما انعم فمسموع لغم من موسى
سوم بوس وسوم نعم واما مول من مال فاحره سترٌ مسل لقد وا قلب
فاما موقنا س كما فانواو واحر الا بابيل أثولٌ وما ساعلى عجول
وليس هو شي سهم من العرب ومراصاف الخضر عليه السلام قصته
استخراج قنر الغلاس لله تعالى واضاف عيب السفينه الى نفسه
تنبيها على انه ادب في اخلاق الحمانة على الله تعالى فاضاف الله
ما يحسن منها ويطلق عليه والاضاف ما يستقبح منها اليه وهذا
كما قاله تعالى بيده الخير واقتصر عليه ولم ينسب الشر اليه وان
كان بيده الخير والشر والنفع والضرار هو على كل شي قدير ويدل
على ذلك قوله وما فعلته عن امري وتنع على حرف السفينه لم تقر
من البحر، في البحر تعالى الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص
هذا العصفور، وحرف السفينه طرفها وحرف كل شي طرفه
وشفيره وحده ومنه حرف الجبل وهو اعلاه المحدد والحرف الامر
حروف التهجي والحرف الكلمه والحرف اللغه كما تقدم والحرف
الناقة الضامرة والحرف الحمه الواحده ومنه قوله تعالى ومن
الناس من يعبد الله على حرف اي يعبده في الرخاء لا يعبده في الشده
والحرف ما خوذ من الانحراف وهو الميل والعلم هنا بمعنى المعلوم كما
قال ولا يحيطون بشي من علمه اي من معلوماته وهذا من الخضر تمثيل
اي معلوماتي ومعلوماتك في علم الله لا اثر لها كما ان ما اخذ هذا
العصفور من ماء البحر لا اثر له بالنسبه الى ماء البحر وانما مثل له
ذلك بالبحر لانه اكثر ما شاهده مما من الدنيا وهو اكبر ما قاله

تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
والا فلا يلزم النقص هنا لجواز قصده التمثيل والتفهيم او الاقتصاص
على علم الله تعالى وكلماته ومعلوماته وهذا اورد المحاري هذا اللفظ
من رواية ابن جريج على لفظ احسن مما قاله ابن عباس وابعد عن الاشكال
تعالى ما علمي وعلمك وجنب علم الله الا كما اخذ هذا العصفور بمنقاره
من البحر وهو مفسر للفظ مسلم والله اعلم وفي هذا الحديث تنبيه على
اصول كثيرة منها ان الله تعالى يحكم ويفعل ويملكه ان يفعل ما يريد
ويحكم في خلقه ما شاء مما ينفعنا او يضرنا فلا مدخل للعقول في افعاله
ولا معارضة لاحكامه بل يجب علينا الرضا والتسليم فان ادراك العقل
لاسرار احكام الربوبية قاصر فليتنبه لما ننوه عليه في تعليل الخضر
كما لا ننوه عليه في نظائره ان وجدت وفيها ان العقل لا يحسن
ولا يقبح وان ذلك راجع الى الشرع فما حسنه او قبحه فهو حسن
وما صححه او الزم عليه فهو القبيح ومنها ان الله تعالى فعل ما يجريه في
اسرار اخلاقه ومصالح خلقه الى غير ذلك اعتبرها كل ذلك بمشيئته
وارادته من غير وجوب عليه ولا حكم عقلي يتوجه اليه بل ذلك بحسب
ما سبق في علمه وما قدره كما اطلع عليه من ذلك الاسرار عرف
وما لا فلا يعقل عنه بقدره وحذار من الاغترار فان مآل
ذلك الى الجهنمية وعذاب النار وسببها انه عالم بما كان وما يكون
وما لا يكون ان كان كيف كان يكون وفوائد هذا الخضر كثيرة وعلومه
غزيرة وفيما ذكرناه كفاية والله الموفق للصواب تنبيه على
مغلطتين الاولى وقع لبعض الجهال ان الخضر افضل من موسى بتمسكا

هذه القصة وما اشتملت عليه وسرا انما يعرف ممن قصر نظره على هذه
القصة ولم ينظر في شيء من احوال موسى صلى الله عليه وسلم والا فما خصه الله
من الرسالة وسماع كلام الله تعالى المنزه عن الحروف والاصوات
واعطائه التوراة التي فيها علم كل شيء وان انبياء بني اسرائيل كلهم
داخلون تحت شريعته ويحكمون باحكام توراته حتى عيسى صلى الله
عليه وسلم الا ترى ان الله تعالى قال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور
يحكم بها النبيون الذين اسلموا والانجيل وان كان هذا فليس فيه
من الاحكام الا القليل ولم يحي عيسى صلى الله عليه وسلم ما نسخ الاحكام التوراة
بل بعثه الله رسولا اليهم احكاما كما قال تعالى حكاية عنه ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم والحكمة والتوراة والانجيل وعلى هذا فصوابنا نعلم ولم نعلم
واعلمهم واعلمهم ونحوه من كل قوله تعالى يا موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي وان موسى من اولي العزم من الرسل وان
اول من تنشق عنه القبر نبينا صلى الله عليه وسلم فيجد موسى صلى الله
عليه وسلم متعلقا بساق العرش وانه ليبعث يوم القيامة
اكثر من امته بعوامة نبينا صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من فضائله
واما الخضر صلى الله عليه وسلم فلم يتفق على انه نبي بل هو امر مختلف
فيه بل موسى اولى منه ان كان نبيا فليس برسول وان تنزلنا على انه
رسول فرسالة موسى اعظم وامته اكثر فهو افضل وان قدر ان الخضر
كان وليا فلا اشكال ان النبي افضل من الولي وهذا امر معلوم به عقلا
ونقلا وانصاره الى دلالة ظاهر فانه امر معلوم من الشرايع بالضرورة
ولانه واخر من امد موسى لعشرة من الانبياء وفي كل امة افضل منها

وكلما اخذا وجمعا وانما كانت قصة موسى مع الخضر امتحانا لموسى
لينهاد ويعتبر فما ابتلى عشرة من الانبياء بانواع من المحن والبلاء
الغلطة الثانية وهذه هو من زيادته ايانا فنبيه الى سلوك
طريق يلزم منه نسخ الاحكام الشرعية فانها توجد الاحكام الشرعية
انما تحكم تعالى على الانبياء والعامة واما الاولياء واهل الخصوص
فلا يحتاجون الى تلك النصوص بل انما يراد منهم ما يعلم في قلوبهم
ويحكم عليهم بما تعلقت علمه من خواطرهم فالواردات لكل اصفاء قلوبهم
عن الاكدار وتجلوها عن الاغيار فتتجلى لهم العلوم الالهية والحقائق
الربانية فيقفون على اسرار الكائنات ويعلمون احكام الخبيات
يستغنون بها عن احكام الشرايع الجليات كما اتفق للخضر فانه
استغنى بما تجلى له من تلك العلوم عما كان عند موسى من تلك العلوم
وغرضنا مما ينقلون استنقاذ قلوبهم وانقاذ المقلوب ٥
قال الشيخ رحمه الله وهذا القول زندقة وكفر نقل قائله
والاستتابة لانه انكار ما علم من الشرايع فان الله قد اخبر في سنته
وانفرد حكمته بان احكامه لا تعلم الا بواسطة رسله السفراء
بينه وبين ذلك وهم المعنون عنه رسالاته وكلامه المبينون
شرايعه واحكامه اختارهم لذلك وخصهم بما شاء كما قال
الله تعالى من الملائكة رسلا ومن الناس وقال الله اعلم حيث
يجعل رسالاته وقال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا وامر بطاعتهم في كل ما جاؤا به واخبر ان الهدى

ـه كاعتصم والاقتداء به في عمر موضع من كتابه وعلى لسنه رسله
كقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقوله وما ارسلنا من
رسول الا ليطاع باذن الله وقال اه ايها الذين امنوا الله ورسوله
اقدره وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال صلى الله عليه وسلم
تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة
نبيه ورسل هذه الامة كثيرة وعلى الجمله فهو حصل العلم القطعي
واليقين الضروري باجماع السلف والخلف على الاطريق لمعرفة
احكام الله تعالى التي دعا اليها امره ونهيه ولا يعرف شيء منها
الا من جهة الرسل فمن قال ان هناك طريقا اخر يعرف بها امره
ونهيه غير الرسل بحيث يستغني بها عن الرسل معلوما فهو ضال
ولا يستتاب ولا يحتاج معه الى سوال ولا جواب ثم هو موصول باثبات
انبيا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم الذي فهو جعله الله خاتم انبيائه
ورسله فلا نبي بعده ولا رسول وسائر ما لزمه من قال باخذ
عن غيره وان ما وقع منه هو حكم الله وانه يعمل بمقتضاه وانه
لا يحتاج في ذلك الى كتاب ولا سنة فقد اثبت لنفسه خاصة
النبوة فان هذا هو الحوم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح
القدس نفث في روعي وقد سمعنا عن بعض المتخرقين
المنتظمين بالدين انه قال انا لا اخذ عن الموتى وانما اخذ عن الحي
الذي لا يموت وانما اروي عن قلبي عن ربي وهل هذا كفر سبحان الله العظيم
والعصمة مسلوبة طريق سلف هذه الامة ولا حول ولا قوة الا بالله

قوله وفاة موسى صلى الله عليه وسلم قوله

حاشية عبينا

حاشية موسى صلى الله عليه وسلم فقال احب ربه ملك موسى
عن ملك الموت فتقاما فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد
الموت وهذا هو الحديث ان ملك الموت تمثل لموسى في صورة شاب
رآه ودعاه لقبض روحه وان موسى عرف انه ملك الموت وانه
لطمه فقاه على عينه فتقاما ولما كان هذا من امر الحرب شعشته
الحيرة وقالوا ان هذا كله محال ولا يصح وقد اختلفت اقوال علمائنا
في تاويل هذا الحديث فقال بعضهم متخيله لا حقيقة وسنهم من
قال هو عن معصوبة وانما تقاما بالحجة وبيان الدلائل لا بالقبضة
انتهى الظهور فسادهما وخصوصا الاول لانه موذ الى ان ما تراه
الانبيا من صور الملائكة لا حقيقة له وهو قول باطل بالنصوص
المنقولة والادلة المعقولة وسنهم من قال كان ذلك ابتلا وامتحانا
لملك الموت هل الله يمتحن خلقه بما شا وهذا السر كواب فانه انما
وقع الاسعاف في صدور سبب هذا الامتحان من موسى وكيف
كان وقوع مثل هذا واشبه ما قيل فيه ما قاله الشيخ الامام ابو بكر
بن خزيمة وهو ان موسى صلى الله عليه وسلم لم يعرف ملك الموت وانه
راى رجلا دخل في منزله بغير اذنه يريد نفسه فرامع عن نفسه
فلطم عينه فقاها ما يجب اذا فعله في هذا القبل ممن هذا وجهه
حسن غير ان هذا اعتذر عنه بما في الحديث وهو ان ملك الموت
لما رجع الى الله قال يا رب ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فلم يعرفه
موسى وانما دافعه عن نفسه لما صدق هذا القول من ملك الموت قال
الشيخ رحمه الله وقد اظهرنا في هذا الطول والاطناب وجها حسنا لحسن ما هو

الاشكال وهو ان موسى عرف انه جاءه ليقبض روحه لانه جاء مجيء الجازم بانه قد امر بقبض روحه من غير تخيير وعند موسى فقد نص عليه نبينا صلى الله عليه وسلم من ان الله تعالى لم يقبض روح نبي حتى يخيره فلما جاءه على غير الوجه الذي اعلم به بادر بشهامته وهو قوته نفسه الى ادب ملك الموت فلطمه فاقتلعت عينه امتحانا لملك الموت اذ لم يصرح له بالتخيير وما يدل على صحة هذا انه لما رد الله ملك الموت مخيرا من الحياة والموت اختار الموت ولم يستسلم وهذا الوجه ان شاء الله احسن ما قيل فيه واسلم وقد تقدم القول في تمثل الملائكة بني آدم للتحقيقه عقلا وثبوته وتوجيه ذلك نقلا وقوله قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن هي ثم هي ما الاستفهامية لما وقف عليها راعى حكم ما الاستفهامية وهي لغة العرب اذا وقف على اسما الاستفهام بحو بم وفيم وفيم فاذا وصلوا حذفوا منها وقالوا الآن ظرف زمان عند سيبويه وهو اسم لزمان الحال الذي يقول المتكلم عليها وهو الزمان الفاصل بين الماضي والمستقبل وهذا دليل على ان موسى لما خيره الله بين الحياة والموت اختار الموت نسوقا الى لقاء الله عز وجل واستحبابا لما اعده الله من الثواب والخير والاستراحة من الدنيا الكدرة وهذا كما خير نبينا صلى الله عليه وسلم بين موته فعال اللهم الرفيق الاعلى وقوله فسأل الله تعالى ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر اي مقدار رمية ومعنى مصوب على انه ظرف مكان والارض المقدسة هي البيت المقدس واما سؤال موسى ذلك نشرفا بأن يكون في تلك البقعة والبيد فرع من صفا من الانبياء والاولياء والاصل الارض المحشر على ما قيل وقوله ولو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب

الطريق تحت الكثيب الاحمر ثم سفتوحه التاء اسم بيت يبار به الى موضع فاما ثم بضم الثاء فحرف عطف ويعني بالطريق طريق بيت المقدس وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم مر في طريقه الى بيت المقدس ليلة اسري به بقبر موسى وهو عالم بحاله وهذا دليل على ان قبر موسى اخفاه الله عن الخلق ولم يجعله مشهورا لعبيده ولعل ذلك لعلة يعلمها الله اعلم وقد وقع في الرواية الاخرى الى جانب الطور مكان الطريق والكثيب الحمل بالسريانية وقال الحاكمي الرواية الاخرى ما تواترت بوجه مكان عضت يد رجل بمعناه والثاء فيه زائدة لا بمعناه والله اعلم

ومن باب ذكر موسى ويوسف وادريس عليهم صلوات الله وسلامه على جميع النبيين وسلم

قوله لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى اي لا يصلح ولا يجوز ولعبد منون منكر اي لعبد من عباد الله وفي الرواية الاخرى لعبد ما اضافته الى الضمير فتكون اضافته غير محضة كما قال الشاعر وسائل بثمر يجتبى عن وطئي ما ضاق عني جنانه ولا نبا به منزل ورب على سائلي مع انه مضاف الى ياء المتكلم دليل على انه لم يرد به سائلا واحدا مكانه قال ورب سائلي وذلك الوطن في قوله عن وطئي لان الحلة ابى عنه عنه له اي عن وطئي لم ينب عني جنابه اي عبر نابه ويجوز ان يكون اضافته عندي محضة ومعرفة ويعني به عندي المكرم عندي كما قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي عبادي المكرمون عندي والمشرفون لدي وقد سمعت لهذا المعنى ما ورد في كتاب اي داود وبعد الحديث لا ينبغي لنبي ان يقول انا خير من يونس كما قد روي انما ما ينبغي لعبد مسلم ان يقول انا خير من يونس وعلى هذا فتقييد عبد بمسلم لا معنى ان غيره افضل من يونس وعلى هذا فتقييد مطلق

الرواية الاولى تقتضي هذه الرواية مكروه معناه لا ينبغي لعبد شئ ان يقول
انا خير من يونس وهذا هو الاولى لان من لسن يلبغي له ان يفضل نفسه
ان يقول انا افضل من النبي لانه من المعلوم الضروري عند المتشرعين
ان درجة النبي لا يبلغها ولي ولا غيره وانما يحصل للكل الا نبيا الاسم
قد ساووا في النبوة وتفاضلوا فيما بينهم بما خص به بعضهم
دون بعض فمنهم من اتخذه الله خليلا ومنهم من اتخذه الله حبيبا
ومنهم اولوا العزم ومنهم من كلم الله على ما هو المعروف من اخبار الله
وقد قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمن تتبع اذا كانوا
متفاضلين في انفسهم فكيف ينهى عن التفضيل وكيف لا يقول من هو
في درجة علما انا خير من فلان لمن يعتقد انه على خلاف ذلك الا ان يحمل
الخبر على الخبر الصحيح فالجواب ان مقتضى هذا الحديث المنع من الخلاف وذلك الفعل لا المنع
من الاعتقاد ومعناه اذا سمع يونس وتخيل ان يفضل في يونس نفسه
في اخلاق لله الله وانما خص يونس صلى الله على نبينا وعليه وسلم بالذكر
في هذا الحديث لانه لما دعا قومه الى الدخول في دينه ما يقبوا عليه فخير
واستعجل بالدعاء عليهم وعذبهم بالعذاب بعد يلات وقد علم فرأى
قومه دخانا ومقدمات العذاب اتى وعدهم به فامنوا به وصدقوه
وتابوا الى الله تعالى فردوا المظالم حتى ردوا محاجن معصونة كانوا ابتزوها
من اسم فرعون الاصفاة واولادهم ودعوا الله تعالى وبجوا بالدعاء
والصوت وخرجوا كما بين يونس يلم يخرج فلم يزالوا كذلك حتى كشف الله
تعالى عنهم العذاب وسمعهم الى حين وهم اهل نينوى من بلاد الموصل
على ستة اميال دخلة ثم ان يونس ركب في سفينة فسخنوا في بحر فقال اللهم

فعم اي فقال انا هو فناسوا ان يكون هو الابق فقارعهم فخرجت القرعة
عليه فرمى في البحر فالتقمه حوت كبير فاقام في بطنه ما شاء الله وقد
اختلف في عدد ذلك من يوم الى اربعين ويعوي بذلك المدة يدعو الله تعالى
ويسبحه الى ان نجاه الله عنه فلفظه الحوت في ساحل لابنات نبيه
وهو كالفرخ فانبت الله عليه من حينه شجرة اليقطين فسترته
بورقها وحكى اهل التفسير ان الله تعالى قيض له اروى ترعاه
الى ان قوى فيبست الشجرة فاغتم لها وتألم فقيل له اتغتم وتحزن
لساق شجرة ولم تغتم على مائة الف او يزيدون وهو داع على محمة
ما ذكر قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون
الاية الى اخرها وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان النبوة
اثقلت كان يونس بن متى تحتها كما تضع الربيع اوكما قال قال الشيخ
رحمه الله ولما ذكر يونس صلى الله عليه وسلم واخلق الله تعالى انه
سلم اي اتى بالسلام عليه قال الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينبغي
لعبد ان يقول انا خير من يونس لان ذلك يوهم نقصا في نبوته وقد ذكرنا
في ترجمته وقد بينا ان لفظ ما يعني لشئ وقد قيل انه محمول على غير
الانبياء ويكون معناه لا ينبغي لاحد من امتي ان يبلغ من العلم والفضل
والمنازل الرفيعة والمقامات الشريفة الغاية التي بلغ
مرتبة يونس لان اقل مراتب النبوة لا يحتقر من ليس من الانبياء وهذا
المعنى صحيح والذي صدرنا به الكلام احسن والله اعلم وقول السائل ما اسم
الناس معناه من اهل هذا الاسم ولذلك اجابه النبي صلى الله عليه وسلم
بجوابه الذي قال انقاسم وهذا مشتق من قوله ان اكرمكم عند الله

انما هم لما قالوا ليس عن هذا سألك نزل عن ذلك الى ما تقابله
وهو الخصوص بشخص معين فقال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
لانه شيء ابن نبي ابن نبي ابن نبي وان هذا لم يجتمع لغيره من اولاد آدم فهو
احق الناس المعينين بهذا الاسم فلما قالوا ليس عن هذا سألك تبين له
انهم سألوه عمن هو احق بهذا الاسم من العرب فاجابهم بقوله معدن
العرب سألوني اي عن اكرم اصولها وقبايلها وتقدم ان المعدن
هو ما خوذ من عدن اي اقام والمعدن الاقامة ولما كانت اصول
قبائل العرب ثابتة سمت معادن فكان خيارهم في الجاهلية خيارهم
في الاسلام اذا فقهوا ومعنى هذا ان من اجتمع له فضائل شرف ومن الجاهلية
من شرف الاباء ومكارم الاخلاق وصنايع المعروف مع شرف دين
الاسلام والتفقه فيه فهو الاحق بهذا الاسم ومقتضى ان الكرم
كثرة الخير والنفع ولما كان رضوان الله تعالى هو الذي يحصل به خير الدنيا
والاخرة مطلقا كان الموصوف به احق بانه اكرم الناس لمن بعده
تنبيه عامة فلما نظر النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يعرض عليه الوجود
بعد الصفة ظهر له ان الانبياء احق بهذا المعنى اذ لا يليق احد دونهم
وان اعظم ذلك من كان مقرونا في النبوة وليس ذلك الا يوسف كما
ذكر ويخرج منه الرد على من قال ان اخوة يوسف كانوا انبياء اذ لو
كانوا كذلك لشاركوا يوسف في ذلك المعنى انه لما نظر النبي صلى الله
عليه وسلم بين الاعم والاخص ظهر ان الاحق بذلك المعنى نوع من الانواع
المتوسطة بين الجنس الاعم والنوع الاخص وظهر له اشراف العرب
ورؤساءهم اذا تفقهوا في الدين وعملوا وعلموا فجازوا كل الوقت

الفاخرة اذ اجتمع لهم شرف الدنيا والاخرة وفيه ما يدل على شرف
الفقه في الدين وان العالم يجوز له ان يجيب بحسب ما يفهم له ولا يلزمه
ان يستفصل السائل عن تفصيل الاحتمالات الا ان كان على السائل
خلل او سوء فهم فيستفصله كما مر في الاصول وقوله كان زكيا
كذا ما يدل على شرف التجارة وعلى ان التحرف بالصناعات لا ينقص من
مناصب اهل الفضايل بل يعلو بان الحرف والصناعات غير اوجبته
زيادة في فضيلة اهل الفضل بحصل لهم بذلك التواضع في النفس والاستغناء
عن غيرهم وحسن الحلال الخلي عن الامتنان الذي هو خير المكاسب
كما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ان خير ما اكل المرء
من عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده وقد نقل عن كثير من الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم انهم كانوا الحاكة ولولا الاحتمال لقلت ادم
عليه السلام علمه الله صناعة الحراثة ونوح عليه الله عليه وسلم علمه الله
صناعة النجارة وداود علمه الله صناعة الحدادة وقيل ان موسى عليه الله
عليه وسلم كان رعاة كان يكتب التوراة بيده وقلمه مرعى الغنم فتامل
قال الله عليه وعليهم اجمعين وسلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم
الخير وامر الانبيا اي لا تقولوا فلان خير من فلان وفي الرواية
الاخرى لا تفضلوا الى لا تقولوا فلان افضل من فلان تعال فخير فلان بين
فلان وفلان وفضل مشددا اذا قال ذلك واختلف العلماء في تاويل
هذا الحديث على اقوال فمنهم من قال ان هذا كان قبل ان يوحى
الله اليه بالتفضيل ومنهم من قال ان الحديث معارض لقوله تعالى تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولما ثبت عنه ذلك من الاحاديث وان القران

ناسخ للمنع من الافضل وهذا لايصح حتى تتحقق المعارضة حتى لايمكن
الجمع بوجه وحتى يعرف التاريخ وكل ذلك غير صحيح على ما مائى مجلس
وهذا القول بصحيح ومنعلم من حال اما قال ذلك النبى صلى الله عليه وسلم
على جهة التواضع والادب مع الانبياء وهذا منه بعد ان سبب
الذى خرج بصاحبه هذا النهى يقتضى خلاف ذلك فانه انما قال ذلك
ردعا وزجرا للذى فعل الا ترى انه قد غضب عليه حتى احمر وجهه
ونهى عن ذلك وهذا يدل على ان التفضيل حرم ويوجان من باب الادب
والتواضع لما صور منه ذلك ٥ وسلم من قال انما نهى عن الخوض
فى ذلك لان ذلك ذريعة الى الحرام فذلك فيجوز الى ان يذكر منهم
ما لا ينبغى ان يذكر وبعد اختراعهم عند المباراة وهذا كما نهى عنه
من الحرام فى القرآن والمباراة ٥ وسلم من قال مقتضى هذا النهى
انما هو المنع من تفضيل بعض من الانبياء على بعض او على ما تضمنه
بعض وان كان الله عالما بان ذلك قد يفضى منه بعض الى المفضول
فيما بينا فيما تقدم قال الشيخ رحمه الله ويدل على ذلك انه قد جا
فى بعض روايات هذا الحديث فى الكلام لا تفضلونى على موسى ويدل قوله
ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى فان قيل فالحديث يدل على
خلاف هذا قال السعودى وصل موسى على البشر والسلم قال والذى
اصطفى محمدا على البشر وعلى ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا
بين الانبياء ولا تخيروا بين الانبيا فمقتضى ذلك المنع من التفضيل مطلقا
معينا وغير معين فالجواب ان مراد السعودى كان اذ ذاك ان يصح
قال موسى افضل من محمد لانه لم يقدر على ذلك خوفا على نفسه الا ترى

ان المسلم منهم ذلك عنده فما مابه بما تقتضى ان محمدا افضل من موسى عليهما
انه قائل لقد السعودى بمثله وقد تبين ذلك عامة الناس قوله
صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على موسى فمعناه عن ذلك لم انا
فروحنا نبينا صلى الله عليه وسلم قال انا اكرم ولد ادم على ربى
ولا فخر وانا سيد ولد ادم ولم يرد احد من العلما الى ان هذا منسوخ
ولا مرجوح قال الشيخ رحمه الله وهذا الوجه وان كان وجها
قائلا منه ان يحمل الحديث على ظاهره من منع اطلاق لفظ التفضيل
من الانبيا فلا يجوز فى المعين منهم ولا غيره فلا يقال فلان النبى
افضل من الانبيا كلهم ولا من فلان ولا خير منهما وهو ظاهر هذا النهى
لما فيه من توهم النقص فى المفضول وان كان غير معين فان النبوة
خصلة واحدة لا تتفاضل بها وانما تتفاضلوا بامور غيرها كما بينا
قبل هذا الباب ثم ان هذا النهى يقتضى منع اطلاق ذلك اللفظ
لا منع اعتقاد ذلك المعنى قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومنهم
من كلم الله ورفع بعضهم درجات وقال تعالى بلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومنهم
فقد علمنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم قد خص بخصائص من الكرامات
والفضائل بما لم يخص به احدا منهم ومع ذلك فلا يقول نبينا
خير من الانبيا ولا من فلان اسنى اجتنابا لما نهى عنه وبادبا
بادبه وتحفظا مما تضمنه القرآن من التفضيل ورفعا
لما توهم من المعارضة بين السنة والتنزيل وقوله انه ينفخ
فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شا الله
اصل الصعق والصعقة الصوت الشديد المنكر كصوت

الرعد وصوت الحمار وقد يحدث معه موت لشدته وهو المراد
بقوله فصعق من في السموات ومن في الارض وقد يحدث معه
غشية وهو المراد بقوله وخر موسى صعقا فان كان معه
نار فهو الصاعقة والعرب كلها يقدم العين على الفاء
الا بني سهم فانهم يقدمون الفاء على العين فيقولون الصاعقة
حكاها الفارسي عنهم وقد اختلف في المستثنى بمن هو فقيل
الملائكة وقيل الانبياء وقيل الشهداء والصحيح انه لم يرد في تعيينهم
خبر صحيح والعقل محتمل والله اعلم والصور قيل انه جمع صورة والصحيح
ما صرح به في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصور قرن ينفخ فيه
وسماه في الحديث قرنا وقد اختلف في عدد النفخات فقيل ثلاثة
نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث وقيل ان النفخات اربعة
نفخة الفزع هي نفخة الصعق لان الامر بالشيء امر بما يتم به والله اعلم
وقوله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من بعث او في اول من يبعث
هو الشك من الراوي تنزيله الرواية الاخرى التي قال فيها فاكون
اول من يفيق وذلك الحديث المتقدم الذي قال فيه انا اول من تنشق
عنه القبور وبعث حي بعد موته وهو الذي عبر عنه في الرواية
الاخرى بالافاقة وان كان المعروف ان الافاقة انما هي من الغشية
والبعث من الموت لكنهما لتقاربهما يطلق احدهما ويراد
الاخر وكمل اريد بالبعث الافاقة على ما مر في بعض الروايات
وقوله فاذا موسى متعلق بالعرش هذا من موسى تعلق فرع
بصل المطلع وذلك مختص بذلك المحل الشريف وسيمتاز بالفضل المنيف

وقوله فلا ادري اكوسيت بصعقة الطور او بعث قبلي هذا
مشكل بالمعلوم من الاحاديث الدالة على ان موسى صلى الله عليه وسلم
قد توفي وان النبي صلى الله عليه وسلم قد رآه في قبره وبان المعلوم
المتواتر انه توفي بعد ان كمل دينه وكثر اتباعه ودفن في الارض
ووجه الاشكال ان نفخة الصعق انما يموت بها من كان حيا في هذه
الدار واما من مات فيستحيل ان يموت مرة اخرى لان الحاصل لا يتحصل
ولا يتحقق والما ينبغي في المعنى نفخة البعث وموسى قد مات فلا يصح
ان يموت مرة اخرى ولا يصح ان يكون مستثنى ممن صعق لان المستثنى
انما هم الموتى لا الموتون فلا يصح استثناء من الموتى وقد رام
بعضهم الانفصال عن هذا الاشكال فقال يحتمل ان يكون موسى ممن
لم يمت من الانبياء وهذا قول لما قال عما ذكرناه قال القاضي
يحتمل ان المراد بقوله صعقة صعقه فزع عند النشر من تنشق
السموات والارض وتستقل الاحاديث الامات قال الشيخ
وهذا غفلة عن سياق الحديث فانه يدل على بطلان ما ذكر دلالة
واضحة قال النبي صلى الله عليه وسلم قال انه من يخرج من القبر
فالقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا قاله عند نفخة البعث
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى موسى يقع له تردد في موسى هل
كان ممن استثنى الحديث هل مات عند نفخة الصعق المتقدمة على نفخة
البعث فيكون قد بعث قبله او لم يمت عند نفخة الصعق لاجل
الصعقة التي صعقها على الطور فجعل له بذلك عوضا من بعثه
وعلى هذا فكان حياته نفخة الصعق ولم يصعق ولم يمت وحينئذ

يعني الانتقال اذ لم يحصل عنه انفصال بالموت بل النوم وابن بزيمة
ان شاء الله تعالى ان ذلك الموت ليس بعدم وانما هو انتقال من حال
الى حال وقد ورد ما يدل على ذلك فكان اسمه ذا بعد ذا بعد قبل
وهو يعلم احيا عند ربهم يرزق فرحين مستبشرين وهذه صفات
الاحياء في الدنيا واذا كان هذا في اسمه فكان الانبياء بذلك
احق واولى مع انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض
لا تاكل اجساد الانبياء وان النبي صلى الله عليه وسلم قد اجتمع بالانبياء
ليلة الاسراء ببيت المقدس وفي السماء وخصوصا بموسى وقد اخبرنا
النبي صلى الله عليه وسلم بما يقتضي ان الله يرد عليه روحه حتى يرد السلام
على كل من سلم عليه الى غير ذلك مما ورد في هذا المعنى وهو كثير
حيث تحمل من حملته العظم بان موت الانبياء انما هو راجع الى
انهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين احياء وذلك
كالحال في الملائكة فانهم موجودون احياء ولا يراهم احد من بني آدم
الا من خصه الله بكرامته من اوليائه واذا تقرر ان اسمه احيا فهم
بما مر ان السموات والارض عاديا في الصور بنفخة الصعق صعق
كل من في السموات والارض الا من شاء الله ما ما صعق غير الانبياء
بموته واما صعق الانبياء فالاظهر انه غشية فاذا النفخ في الصور
نفخة البعث قمن ماتت حييت ومن غشي عليه افاق ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم فاكون اول من يفيق وفي رواية صححه وحسنه فاذا انا بموسى
متعلق بالعرش فلا ادري افاق قبلي او كان ممن استثنى الله ومن المحال
ان يموت احد من الخلق ثم يحيا قبل النفخة الا الانبياء فقط ومن هذا الحديث
ان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يحصل

اول من يفيق واول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم الا انا وعدم
الا موسى فانه حصل له صعقة من صعقات الطور او نحو ذلك
الى ان يعلم هل نفخة الصعق وعلى اي الحالتين كان فهي فضله
عليه لموسى صلى الله عليه وسلم ليست لغيره والله اعلم

ومن باب مقابيل ابي بكر الصديق رضي الله عنه

واسمه عبد الله وقيل عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
بن كعب بن لؤي يجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرة بن كعب وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصديق وروى
عنه علي بن ابي طالب وسماه بذلك لكثرة تصديقه وسمي بعتيق وفي
تسميته بذلك بلا به اقوال احدها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد
ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى ابي بكر رواه عائشة
والثاني انه اسم سمته به امه قاله موسى بن طلحة والثالث
انه سمي بذلك لجمال وجهه قاله الزبير بن بكار وقال ابن قتيبة لقبته
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لجمال وجهه وهو اول من اسلم من الرجال
وقد اسلم على يديه من العشرة المشهود لهم بالجنة جمعه عثمان
وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص مات الامام
الحافظ ابو الفرج بن الجوزي جمله ما حفظ له من الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ اربعين حديثا اخرج
له سبعة في الصحيحين بما يزيد عشرة فقال الشيخ رحمه الله ومن المعلوم
انتفعي والمقرر ضروري انه حفظ من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم سالم يحفظ احد من الصحابة وحصل عنده من العلم ما لم يحصل

لا عن سنهم لانه كان الحامل لهم والحامي الملازم لم يفارقه سفرا
ولا حضرا ولا ليلا ولا نهارا ولا شدة ولا رخاء وانما لم تتفرغ للحرب
ولا للرواية لانه اشتغل بالاهم فالاهم ولان عمره قد قام عنه من
الرواية بالجم واذا تقرر ذلك فاعلم ان الفضائل جمع فضيلة كرغائب
جمع رغيبة وكبائر جمع كبيرة وهو فعيلة واصلها الخصلة الحميدة
التي بها تحصل للانسان شرف وعلو منزلة وتقديم ذلك الشرف
وذلك الفضل اما عند الخلق واما عند الخالق اي الشرف المعتبر
والفضل المطلوب على التحقيق انما هو الذي هو شرف عند الله تعالى
واذا تقرر ذلك فاذا قلنا ان احد اصحابه رضي الله عنهم فاضل
فمعناه ان له منزلة شريفة عند الله تعالى وهذا لا سبيل الى
العلم به الا من جهة الشرع فانه لا مجال للعقل فيها ولا لغير الرسول
صلى الله عليه وسلم فاذا اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك
تلقيناه بالقبول فان كان قطعيا حصل لنا العلم بذلك وان لم يكن
قطعيا كان ذلك كسبيل المجتهدات على ما تقدم وعلى ما ذكرناه
في الاصول واذا لم يكن طريق الى معرفة ذلك الا بالخبر فلا يعلم
احد بان شيئا صدرت منه افعال دينية وخصال محمودة كان ذلك
مدلولا عند الله منزلة الفضل والشرف فان ذلك امر مغيب
بالخواتيم والخاتمة مجهولة والموقوف على المجهول مجهول كما اذا
رأينا من اعانه الله على الخير ويسر له اسباب الخير وهو له حصول
ذلك المنزلة عند الله تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله
بعبد خيرا استعمله قبل الخير ووفقه لعمل صالح وماتا في الشريعة

من ذلك ومن كان كذلك فالذي انه لا يجب ولا يقطع على المغيب
واذا تقرر هذا فالمقطوع بفضله والتفضيل له بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند اهل السنة وهو الذي يقطع به من الكتاب
والسنة اعني ابا بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم كذلك في كل واحد
من ائمة السلف وعلماء الخلف وما هو ال اهل السنة والجماعة
اهل البدع فاعلم ان من كفر بعض رعيته ومن يبتدع يفسق
لا يقتل كالمبتدع ويرخص بخمسة وهو اصل مذهب اهل السنة في علي
وعثمان رضي الله عنهما فالجمهور منهم على تقديم عثمان وقد روي عن
مالك انه توقف في ذلك وروي عنه انه رجع الى ما عليه الجمهور
وهو الاصح ان شاء الله والمسالة اجتهادية لا قطعية ومستندها
الكلي ان هؤلاء الاربعة ثم الذين اختارهم الله تعالى للخلافة
في نبيه واقامة دينه ثم اتبعهم عمر اتبعهم عشرة كسب ترتيبهم في
الخلافة الى ما انتهت اليه ما يشهد لكل واحد منهم من شهادات
النبي صلى الله عليه وسلم له مرتبة مرتبة وتفصيلا على ما ياتي
ان شاء الله تعالى وهذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا اشرف
عمره وهذا قرباكفاية والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب
رضي الله عنه وصرت الى اقدام المشركين على رؤسنا ونحن
في الغار فكان من قضية ان المشركين اذا سمعوا بقتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبيتوه ودارة فامر كليا ترقد على فراشه
وقال له انه لن يضرك فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم على بابه فاخذ الله ابصارهم عنه فلم يروه ووضع على راس

كل واحد منهم ترابا وانصرف عنهم فاربا الى الغار ثور فاختفى فيه
فاقاموا لذلك حتى ايسوا منهم بخبر انه قد رجع عليهم وانه وضع على
رؤسهم اقتراب فجعلوا ايديهم الى رؤسهم فوجدوا التراب
قد خلوا الدار فوجدوا عليا على الفراش نائما تغرضوا له بهم فرجعوا
الى قريش فطلبوا النبي صلى الله عليه وسلم وتتبعوا اثره بقايف
كان معروفا عندهم الى ان وصلوا الى الغار فوجدوه وقد نسجت
عليه العنكبوت من جهته وفرخت فيه الحمام بقدرة الله
تعالى فلما رأوا ذلك قالوا الى هذا الغار ما دخله احد منهم اصعدوا
الى اعلى الغار فجعلوا يرى ابو بكر اقدامهم فقال بلسان مقاله
مضعفا عن ضعف حاله لو نظر احدهم الى قدميه ابصرنا فاجابه
من تكفل قدرته بما يذهب عنه الخوف والغضا بقوله لا تحزن ان الله
معنا اي بالحفظ والسلامة والصون والكرامة ثم ان النبي صلى الله
عليه وسلم اقام في الغار ثلاثة ايام حتى يحصر عنه طلبه الى
المدينة وكل ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ثقة بوعد الله وتوكل
عليه ودليل على خصوصية ابي بكر من الكل وبيان هذا لصحبة
او فان الشرف بما لم يسبق اليه ومولاه صلى الله عليه وسلم عند
جبره الله سبحانه وتعالى بزهرة الدنيا وبين ما هو خير فاختار
ما هو خير هذا قول فيه انعام فضربه النبي صلى الله عليه وسلم
اختيار انعام اصحابه وكيفية تعلق قلوبهم به وكيف ان ابا بكر
كان غيره من كل عالم بكل عالم احد منهم ولما فهم من ذلك عالم يفهموا
يا در بقوله مرحبا بك يا ابا بكر واهلا ولذلك قالوا ما كان ابو بكر

اعلمنا وسر ادل من كل بكر رضي الله عنه ان قلبه ممتلئ من محبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومستغرق فيه وشدة الاختفاء بامور
كلها من اقواله واحواله كحثه لاشارته وذلك امر ولما
علم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه وصدوره ذلك الوقت ذلك العلم
عنه اختصه بالخصوصية العظمى التي لم يظهر شيء
في الاولى والاخرى مثال ان اكثر الناس علي صحبته وماله
ابو بكر ولو فتح متجرا جليلا لاكثرت اما جر قليلا فقد تضمن
هذا الكلام ان لابي بكر من الفضائل والحقوق ما لا يشاركه
فيه مخلوق وورد ان اقل من المنة بمقتضى الامتنان اي اكثر
منة ومعناه ان اباكر له من الحقوق ما لو كانت لغيره لامتن بها
وذلك انه رضي الله عنه بادر النبي صلى الله عليه وسلم بالتصديق
والناس كلهم معترضون ومنفقه الاموال العظيمة والناس
يبخلون وبالملازمة والمصاحبة والناس ينفرون وصومع ذلك
بانشراح صدره ورسوخ علمه بعلم ان لله ولرسوله الفضل والاحسان
والمنة والاحسان لكن النبي صلى الله عليه وسلم بشر خلقه وجعل بشريته
اعترف بالفضل لمن صدر عنه وشكر الصنيعة لمن وقعت منه عملا
بشكر المنعم لنفس وتعليم وهذا مثل ما جرى له يوم حنين مع الانصار
حيث جمعهم وخطبهم بمالة عليهم من المنن ثم اعترف لهم بما لهم من
الفضل الجميل الحسن وهو معلوم في ادراكه وهو ذكر البرمذي من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا

سار رضي الله عنه يوم القيامة وما نعني مال أكثر مما نعني
مال أبي بكر ومر الحديث ومال هو حسن غريب وقوله ولو كنت
متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، متخذا اسم فاعل من اتخذ وهو
فعل يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر محذوف يعني اختيارا
واصطفى فما قال والخطاب قوم موسى من بعده من قومهم عجلا جسدا
وسر سنة ساعة أحد مفعوليها وهو الذي وقع عليه حرف الجر
وثانيه مال لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت منهم أبا بكر
وليست الخلة في كل علم النحو وحاصله أن اتخذ استعمل على
ثلاثة أنحاء أحدها أن تتعدى لمفعولين بنفسها وثانيهما سعدى
لأحدهما بحرف الجر وبالنفس سعدى لمفعول واحد وكل ذلك موجود
في القرآن ومعنى هذا الحديث أن أبا بكر رضي الله عنه فاق بالفضل
وتخذه النبي صلى الله عليه وسلم خليلا لو لا المانع الذي منع
النبي صلى الله عليه وسلم وهو أنه لما امتلأ قلبه بما كان له من معرفة الله
تعالى ومحبته ومراقبته حتى كان لو فرض أخذ قلبه لوجد الله
قلبه لخليل آخر يشغل بذلك عنه وعلى هذا لا يقدح الخليل الآتي ذكره
وسلم بنيته إلى ذلك ممن يعلق القلب به من محبوب ولو كان ذلك
لأبي بكر وعائشة أحب الناس إليه وفي عمرو الخلة وعلى
هذا ما كان فوق المحبة وقد اختلف أرباب القلوب في ذلك
فذهب الجمهور إلى أن الخلة أعلى من المحبة كما ذكرناه وهو متمسك قوي
كما مر وذهب أبو بكر بن فورك إلى أن المحبة أعلى واستدل على ذلك
بأن الاسم الخاص لمحمد صلى الله عليه وسلم الحبيب وما رتبه الخليل ودرجة

نبينا أرفع فالمحبة أرفع وقد قرر العارفي عباس هذه المسألة في
كتاب السعادة واستوفى فيها البحث فلتنظر هناك وقد قررنا
اختلاف الناس في الخلة في كتاب الإيمان وقوله الا أني أبرأ
إلى كل خليل من خلته الرواية المعروفة بكسر الخاء من خلة قال
العارضي والصواب أن يقال الله بضمها والخلة والخلل والخالة والمخالة
والخلالة والخلولة الإخاء والصداقة قال الشيخ رحمه يعني
أن خلة في الأصل بمعنى مصدر ومصادر هذا الباب تجيء على ذكرها
وليس فيها ما فعال بكسر الفاء سوى النخاع وهو عرق هذا الكلام
نثرها بقي أخر يسيرة فقال أبي أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا ومر الحديث وقوله
سلم هما الخبر بتقديم خليلا وهذا دليل على أن الله تعالى بلغ درجة
نبينا في الخلة ما تقدم صلى الله عليه وسلم غير أنه سبقه فيها
ما لم يسبق فيها بتقديم دليل قول من قدم أما كنت خليلا من وراء وراء
كما تقدم في الإيمان وقوله لا تبقين في المسجد خوخة الا خوخة
أبي بكر : الخوخة بفتح الخاء المعجمة باب صغير بين بيتين وقيل
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتحوا بين بيوتهم وبين المسجد
خوخات اعتنا بالملازمة المسجد والمكوث فيه مع النبي صلى الله
عليه وسلم وكان فيه عائما الا أنه لما كان ذلك يؤدي إلى الحاد
المسجد طريقا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بسد كل خوخة قال
مالك واستثنى خوخة أبي بكر إكراما له وتخصيصا له لأنها
كانت لا تقترن عائما وقد استدل بهذا الحديث على تحقيق إمامته

واشتغاله للصلاة وعلى خلافته بعده وقوله من احب الناس اليك
بعد السؤال احرصها الحرص على معرفة الاحب اليه لتقتدي به في ذلك
يحب ما احب فان المرء مع من احب وقوله في الجواب عائشة ابو بكر
جواز ذكر مثل ذلك وانه لا تباعة على من ذكره اذا كان المقول له من اهل
الخير والدين ويقصد بذلك مناصحة المسلم وامر النبي صلى الله
عليه وسلم بذكر محبة عائشة او لانتفاء محبته جبليه ودينية
وعبر بها دينيه لجبليه مستبق الاصل على الطارئ ثم امر بذكر
ثم عمر يدل على تفاوت ما بينهما في الرتبة والفضيلة ويدل على
صحة ما ذهب اليه اهل السنة وقوله صلى الله عليه وسلم من
اصبح منكم الصوم صائما قال ابو بكر هذا الحديث يدل على ما كان النبي
صلى الله عليه وسلم من التفقد لاحوال اصحابه وارشادهم الى كل
الخير على اختلاف انواعه وعلى ما كان عليه ابو بكر من الحرص
على فعل جميع انواع الطاعات وتتبعه ابوابها وانقسامها واوقاتها
وقامه ما كان له هم الا في طلب ذلك والسعي في تحصيل ثوابه وقوله
ما اجتمعن في امرء الا دخل الجنة ظاهره ان من اجتمع له فعل هذه
الابواب في يوم واحد دخل الجنة ما به قال منها كذا الصوم
الصوم وانما اخصه ابو بكر رضي الله عنه انه فعل تلك الامور
كلها في ذلك اليوم شرعا انه من اهل الجنة لاجل تلك الامور
والمرجو من كرم الله تعالى ان من اجتمعت له تلك الاعمال في عمره
وان لم تجتمع في يوم واحد ان يدخله الله الجنة بفضله ورحمته
الصادق وقول الصوم الذي جئ به انما اي لم اخلق لعبا انما خلقت

للحرث دليل على ان البقر لا تحمل ولا ترتكب وانما هي للحرث والاكل والنسل
والرسل وفيه ما يدل على وقوع خرق العوايد على جهة الكرامة
او على جهة التشبيه لمن اراد الله به الهداية وفيه ما يدل على
علم النبي صلى الله عليه وسلم بحقيقة ايمان ابي بكر وعمر وتيقنهما
وانه قام بشر لهما منزلة نفسه وتقطع على يقينهما وهذه خصوصية
عظيمة ودرجة رفيعة وقول الذئب من لها يوم السبع في الرواية
الصحيحة التي قرأناها وقرأناها على مشايخنا بضم الباء الاخيرة ومعناه
مفسرا بما في الحديث اذ قال فمن لها يوم ليس لها راع غيري فانه ابدل يوم
ليس لها راع من يوم السبع وكانه قال من يستنقذ هذه الشاة يوم
تنفرد السبع بها ولا يحول بينها راع ولا من يمنعها منه وكانه والله
اعلم يشير الى نحو ما تقدم في الحج من حديث ابي هريرة مرفوعا قال تتركون
المدينة على خير ما كانت لا يغشاها الا العوافي يريد السباع والطير
ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة فينعقان بغنمهما فيجدانها
وحشا حتى اذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما محامل يريد ان
اهل المدينة يجلون عنها فلا يبقى فيها الا السباع وسلك من حولها
من الاعراب فتبقى الغنم متوحشة منفردة فتاكل الذئاب ما شاءت
وتشرد ما شاءت وهذا لم يسمع انه وقع ولا مرض وقوعه وقد قيده
بعض اللغويين بسكون الباء ولست بروايه صحيحه وقد اختلف
في معنى قوله في حديثنا ولا معنى لذكرها واشبه ما قيل في ذلك
ما حكاه الحربي ان سكون الباء لغة فيه قال وهذا الحرف ربما اكل السبع
لسكوسا وقول السائل لعائشة رضي الله عنها من كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف بدل على ان من العلوم عندهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احدا وقد قال عمر رضي الله عنه
لما طعن وقيل له الا تستخلف فقال ان اترك فقد ترككم من هو خير مني
صلى الله عليه وسلم وان استخلف فقد استخلف ابو بكر رضي الله عنه وعدا
بحضرة الصحابة وعلي والعباس رضي الله عنهم ولم ينكر احد منهم على
عمر ولا فرا احد من الناس بصاحبه الاستخلاف على احد فكان ذلك اجماعا على قرب
من ادعى شيئا من ذلك اذ العادات تحيل ان يقع عندهم امر على احد في ذلك
الامر العظيم المهم فيكتمونه مع تكليم بعضهم بعضا بالدرس وعلى تقييدهم بامر
خاص لا ناخذهم بالله لومة لائم وكذلك اتفق لهم عند موت النبي
صلى الله عليه وسلم فانهم اجتمعوا وتشاوروا فيه مناوحة من لا تتقي
شناعة الخلاف احدا حتى قالت الانصار منا امير ومنكم امير ولم ينكر
احد منهم ذلك ولا ادعى احد منهم انه نص عليه ولو قال عندهم من ذلك
شيئا لعلموا انهم احق بمعرفته وتنفيذه ولما اختلفوا في شيء من ذلك ومن
العجب ان لا يكون عند احد من هؤلاء نص على ذلك ولا يذكره مع
قرب العهد وتوفر الدواعي والحاجة ودعا الحاجة الشريدة الى
ذلك وباقي بعدهم ازمانا متطاولة وبلغوا ثقات مختلفة وقائع
وعرض لهم من يرتجى ان يعنده من العلم بالنص على قاعدة شيعي سالم يكن
عند ابي لا يدين الله الا الحق ولا يسع سنيا ان يحمل الكذب الذي
لا تقبله سليم العقل لان علة التقية والاموات لا ضرر صاحبها
منها وقد ذهبت الشيعة على اختلاف فرقها الى انه نص على خلافة علي
رضي الله عنه وذهبت الزيدية الى انه نص على خلافة العباس رضي الله عنه

واطلق كل منهما من الكذب والزور والبهتان ما ابرئ به من في قلبه حبة
خردل من الايمان وما ذكرناه من عدم النص على واحد بعينه هو مذهب
جمهور اهل السنة من السلف والخلف الا على ابي بكر وعمر عند اهم
استندوا الى استحقاق ابي بكر رضي الله عنه للخلافة الى اصول كلية
وقرائن دالية ومجموع ظواهر جلية حصلت لهم العلم بانه احق
بالخلافة واولى بالامامة يعلم ذلك من استقرا اخباره وتضاعيفه
وسيقع التنبيه على بعضها ان شاء الله وقول عائشة رضي الله
عنها في جواب السائل ابو بكر ثم عمر ثم ابو عبيدة فقد فانه
عن نظرها وظنها لان ذلك كان ينتشر عندها عن النبي صلى الله عليه
وسلم ولعلها استفادت من عمر وابي عبيدة لقول ابي بكر يوم السقيفة
رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر وابا عبيدة وفي حق ابي عبيدة
شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بانه امين هذه الامة ولذلك قال عمر
رضي الله عنه حين جعل الامر شورى لو ان ابا عبيدة حي لما خالجني
فيه شك فلو سألني عن عهده قلت سمعت نبيك يقول لكل امة امين
وامينها ايتها الامة ابو عبيدة بن الجراح ويعلم من قول عمر وعائشة
جواز انعقاد الخلافة للفاضل مع وجود الافضل فان عثمان وعليا
رضي الله عنهما افضل من ابي عبيدة رضي الله عنه بالاتفاق ومع
ذلك فقد حكما صحة امامته عليهما اذ لو كان حيا وقد اختلف
العلماء في هذه المسالة وذهب الجمهور الى انعقاد له اعني
للمفضول وخالف في ذلك عباد من سليمان والكاعبي فقالا لا ينعقد
للمفضول على الفاضل ولا ينعقد كلاهما لما ذكرنا في الاصول والصحيح

ما ذهب اليه الجمهور وقوله صلى الله عليه وسلم للمراة ان لم تجدني فاتي
ابا بكر زعم من لم يحقق عنده من المتاخرين ان المراد النص على خلافته ابي بكر
رضي الله عنه وليس كذلك وانما تتضمن الخبر عن انه يكون بعد
الخليفة بعده لكن باي طريق تعتقد له هل بالنص عليه او بالاجتهاد
هذا هو المطلوب ولم يدع احد في الحديث وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
ادعى ابا بكر اباك واخاك حتى اكتبه لكتابا الحديث الى قوله
ويابى الله والمؤمنون الا ابا بكر ليس نصا في استخلافه وانما يدل
على ارادة استخلافه ولم ينص عليه الا من لم يفهمه ولم يعرف
والحاصل ان هذه الاحاديث ليست نصوصا في ذلك لكنها قرائن
قوله اذا اضاف الشيء الى شيء استقرأ ما في الشريعة مما يدل على ذلك
المعنى علم استحقاقه للخلافة وانعقادها له ضرورة شرح نخبة
والقادح في خلافته متطوع بخلافه وتفسيقه وقيل يكفر
اذا لم يحمله فيه والاكفر بتكفيره لمن استقرأ ما في الشريعة
مما يدل على استحقاقه لها والله اعلم وقد اولى بها سماه بعد العقد
اجماع الصحابة على ذلك ولم يبق منهم مخالف في شيء مما جرى لهذا الملك
وفاته وفاة ابي بكر رضي الله عنه على ما قاله ابن اسحق يوم الجمعة
لسبع ليال بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة وقال غيره
انه مات عشية يوم الاثنين وقيل عشية يوم الثلاثاء لثمان بقين
من جمادى الاخرة هذا قول اكثرهم قال ابن اسحق وقيل على رأس ستين
وثلاثة اشهر الا خمس ليال واثنتي عشرة ليلة من توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال عمره وعشرة ايام وقيل وعشرين ومقت

خلافته سنتين وثلاثة اشهر الا خمس ليال وقيل وثلاثة اشهر وسبع
ليال واختلف في سبب موته فقال الواقدي انه اغتسل في يوم بارد
فحم وضرض ثمانية عشر يوما وقال الزبير بن بكار كان به خرف من السل
وروى عن سلام بن ابي مطيع انه سم فالله اعلم وقد قدم انه
مات وهو ابن ثلاث وستين سنة رضي الله عنه وعن جميع الصحابة رسوله
اجمعين ومن باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وبهذا اسناد حفص وهو ابن الخطاب بن مثنى بن عبد العزيز بن رياح بن عبد الله
بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي كنيته ابو حفص
رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه اسلم سنة ستة من النبوة وقيل
سنة ثلاث من عمار بضع وثلاثين رجلا واحدى عشرة امرأة وقيل وثلاثة
وثلاثين رجلا وقيل انه تمام اربعين وسمي الفاروق لانه فرق بالظهار
اسلامه بين الحق والباطل وقال الكفار علانية يوم اسلم ونزل
جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد استبشر اهل
السما باسلام عمر حفظا له من الحديث خمسا وثمانين وسبعة وثلاثين وروى
احمد له مناقب الخمسين احد وخمسون وروى رضي الله عنه متونا
قبله اولوه فيروز غلام المغيرة بن شعبة لثلاث بقين من ذي الحجه
سنة ثلاث وعشرين لكهف العلج ستين ذراعا طويلة وقيل
معه اثنى عشر رطلا مات منهم ستة ثم رمى على العلج رجل من اهل
العراق برمحه فوجأ به وقيل خلافة عمر رضي الله عنه
عشر سنين وستة اشهر وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة كما تقدم
وقوله ووضع عمر على سريره فاكتنفه الناس يدعون ويصلون

للروض والسرور بهذا التفتش وتكشفه الناس اى صاروا تفتشه
أى جانبيه والكشف والتفتيش الجانب ويطلق عليه نزجمون
عليه ولم ترانى اى يفزعنى ويشفقنى واصل الروع الفزع
وهذا الحديث رد من على رضى الله عنه على الشيعة مما تتقوله
عليه من بغضه للشيخين ونسبته اياهما الى الجور فى الامامة واغتصابه
وهو اكله فيئ واقرار على رضى الله عنه بأن العلم
مرجاله معهما تعظيمه ومحبته لهما واعترافه بالفضل لهما عليه
وعلى غيره وحرثه هذا نص على هذا المعنى وقد نص على على ان عمر
رضى الله عنهما واعتذاره عن تخلفه عن بيعته ومحنة صابت له
وانقياده له مختارا لها طائعا سرا وجهرا وذلك معلوم عند
رضى الله عنهم اجمعين وكل ذلك تكذيب الشيعة والروافض فى دعواهم
لكن الاهواء والتعصب اعماهم وقوله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم
واذا الناس يعرضون على اذ جاء الناس المعرضون على وعليهم الله
صلى الله عليه وسلم بالتوسم فلم ير احد فى الفضيلة فلم يرحل
فيسلم او يحرم ولو عرض ابو بكر عليه فى غيره ابو بكر لكان قد صله
اهون فان فضله اعظم ومقامه اكبر على ما تقدم بيانه وتلك
القميص يأتى ما فيه من قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير
يعنى عن الفضل والعفاف والثياب كما قال شبابه بنو عوف
طهارى نقية وقول النبى صلى الله عليه وسلم لعمار رضى الله
عنه ان الله سبحانه قمصك فما اراد ان تخلعه فلا تخلعه
عبر عن الخلافة بالقميص وهى استعارة حسنة معروفة

وتأويله صلى الله عليه وسلم اللبن بالعلم تأويل حسن لظاهر المناسبة وذلك
ان اللبن يغذو استكمال به صلاح الابدان وهو اول ما يرد من اول فطرتها
وينشو ما خلق عن الاضرار والمفاسد والعلم كذلك يحصل به صلاح
الابدان والاديان وسائر الرسل والاخرة مع استكمالها فى نفسه
ويدل على التعبير على دوام الحياة اذ به كانت ويدل على
الثواب لانه مذكور فى اشعار الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم
عمر ارتنى انزع فى دلو وجره على قليب ٥ انتزع استقى واصل
النزع الجذب والقليب البئر المطوية وهى التى عرعنها فى الرواية
الاخرى بالحوض والحوض يجتمع الماء والبئر الحفيرة المستترة
التى تدور بالحبل وقوله فما اوردت فنزع ذنوبا او ذنوبين ٥ الذنوب
الدلو والنزع
الجذب وفى نزعه ضعف والله يغفر له ٥ الذنوب الدلو والغرب
اكبر منها وقوله ذنوبا او ذنوبين يوشك من بعض الرواة
وهو ما يعرشك ذنوبين فى الرواية الاخرى وهى احسن وهو
الرواية فى مثل هذا مع الله على يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويدى
الخليفتين بعده من الاسلام والبلاد والفتى هاهنا النبى صلى الله عليه وسلم
وهو سر الاسر وعمر منه وابو بكر رضى الله عنه بعده عمر ان مقدار
ما فتح الله على يديه من بلاد الكفر قليل لا يعرف حقيقته كانت
سنتين وبعض اشهر انتقل الى معظمها نضال اهل الردة لما
فرغ منها اخذ فى قتال اهل الفرس فتح وبلاد الروم لما
بعض الشام ومات رضى الله عنه فتح الله على يدى عمر رضى الله عنه
سائر البلاد واتسعت فتوحه الاسلام شرقا وغربا وبحرا

وشاما وعظمت الفتوحات وكثرت الخيرات والبركات التي نحن
فيها حتى اليوم نعجز عن شكر خلافته الى عمر رضي الله عنه بالمؤنس
وعن قلة الفتوحات فسها بالضعف وليس ذلك وهنا في عزيمته
ولا نقصا في فضله على ما هو المعروف من همته والموصوف
من حالته وقوله والله لقد له لا يكن جاهل بحال ابي بكر رضي الله
عنه ان هذا الاستغفار لاي بكر كان لذنب صدر عنه او لتقصير
حصل منه اذ ليس في المنام ما يدل على شيء من ذلك وانما هذا دعاء
للغلام وسناد وصله وقد تقدم في الحديث انها كانت قليلة
تقولها المسلمون فعل كذا والله يغفر لك وهو الجاري قولهم تربت
يمينك وانت وقاتله الله ونحو ذلك مما نستعمله العرب
في اضعاف كلامها على ما تقدم وقوله ما سخالت بي بره غنما
اي الابل الصغيرة علوت بي بره ذكورا كبيرة وقوله فلم ات
عبقريا من الناس يفري فريه قال الاصمعي سالت ابا عمرو بن العلاء
عن العبقري فقال سالت عبقريا قومه فقولهم سيد قومه
وكبيرهم وقويهم قال ابو عبيد واصله انه ينسب الى ارض
تسمى العبقر صارت مثلا لكل منسوب لشيء فضم ويقال
هي ارض يعمل فيها الوشي والبرود تنسب اليها الوشي العبقري
ومنه قوله تعالى وعبقري حسان وقال ابو عبيد العبقري الرجل
ليس فوقه شيء وتقري فريته الرواية المشهورة بكسر الراء
وتشديد الياء وروي بتسكين الراء وتخفيف الياء والفري الخلق
التقطيع وفعله فابله ومعناه يعمل عمله وفقوي قوله واصل

الفري القطع يقال فلان يفري الفري اي يعمل العمل البالغ ومنه
قوله تعالى لقد جئت شيئا فريا اي عظيما بالغا في قبحه يقال مر بنا
الاديم اذا قطعته على حسب الاصلاح لامر ته اذا قطعته على
حسب الافساد وقوله حتى يرعى الناس وضرعا العطن اي يرووا
ابلهم واصله انهم يسقون الابل تعطن وتها اي تتركونها
حول الحياض لتستريح ثم يعيدون شربها يقال منه عطنت
الابل تعطن عطونا وعواطن وعطنتها انا عطنا وهو ان الابل
ترد الحياض عطنا فاذا وردت عطنا وهو ان تعطن اذا الغسته
الماء والطين والعلق لينغمس فوه ويستريح وعطن الاهاب
بالكسر تعطن عطنا فهو عطن اذا انتن وسقط في العطن
وقيل العطن والعطن والعطن واحد كالعدن والمعادن وبني
مبارك الابل عمر الما لتشرب عللا بعد نهل وعطنت الابل
بالفتح تعطن وتعطن عطونا اذا رويت ثم رددت سقي ابل عاطنة
وعواطن وتدضرب بعطن اي تردت اليه قال ابو السكيت وذلك
تعول بعد اعطن الغنم ومعطنها لمرابضها حول الما قال الشيخ
وقد جاء معنى بعده الرواية مفسرا في الرواية الاخرى الى مال وسما
بحا عمر ما خلفه ميتي بعيد الدلو قلما ان تزح رجل قوة اقوى منه حتى تولى
الناس والحوض ملان يتفجر وفي بعده من الزيادة ما يدل على ان عمر
رضي الله عنه لقوتي فيبقى النصر والفتح بعده متصلا وذلك كان
رضي الله عنه وقوله في الاصل دخلت في الجنة تنوضا الى جانب
قصر بعد الرواية الصحيحة المعروفة وقد ذكر ابن قتيبه

ما هذا المراة

وقال امرأة رشوها مكان تشوفنا ويسرها بالحسنة وذكر على
عن ابن الاعرابي ان الشوهاء الحسنة والقبيحة ضد وهي الاضداد وضد
هذه المرأة في الخبثة انما هو لتردد حسنا وسوء الا ليترك وسخا
ولا قدر الى الخبثة سترهه عن ذلك وبهذا قال في الحديث الاخر
انما طعم الدهر وسخا مريم الالوة على ما مات وقوله استاذن
عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسوة من قريش
تكلمنه ويستكثرنه اي من نفقاته ويحملن اليه يسالنه حوائج
كثيرة وقوله عالية اصواتهن يحتمل ان يكون هذا قبل نزول
قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويحتمل ان ارتفاع
اصواتهن لكثرتهن واجتماع كلامهن لا انهن رفعن اصواتهن
قال الشيخ ويحتمل ان يكون نفس من كن حضورات الاصوات لا تقدر
على خفضها كما كان ثابت بن قيس بن شماس وابن ام وقوله
ما تنكر الشيطان سالكا فجا الا سلك عمر فجا غير الفج الطريق
الواسع وهو انها الطريق بين جبلين والكامر بقاف هذا
اللفظ على كاهره ويكون معناه ان الشيطان يهابه ويجانبه
لما يعلم من هيبته وقوته في الحق ويفر منه اذا لقيه ويكون هذا
مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر ان الشيطان ليتعرق
منك ما عمر وتعني بالشيطان جنس ابليس اعني ويحتمل ان يكون ذلك صلة
لمعرفة عنده وانه لا سبيل له عليه والاول اول وقوله فتركان
يكون في الامم قبلكم محدثون فان الاول هي الامر والشان اي كان
الامر والشان وهي نحو ليس في قولهم ليس خلق الله مثله ونحوه

الثانية ناقصة واسمها محدثون وخبرها في المجرور ويجوز ان تكون
تامة وما بعدها احوال ومحدثون بفتح الدال هي الروايته
اسم مفعول وقد فسر ابن وهب المحدثين بالملهمين اي محدثون
من الهام بالحديث صحيحة هي من نوع الغيب فتظهر على نحو
ما وقع لهم وهذه كرامة يكرم الله بها من يشاء من صالحي عباده
ومن هذا النوع ما يقال عليه فراسة وتوسم كما قد رواه
الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه
ينظر بنور الله ثم قرا ان في ذلك لايات للمتوسمين وقد تقدم
القول في نحو هذا وقد قال بعضهم ان معنى محدثين يتكلمون
اي تكلمهم الملائكة قال الشيخ رحمه الله وقد راجع لما
ذكرته غير ما ذكرته انهم قد يخلق الله الاحاديث بالقلب
في القلب ابتداء من غير واسطة ملك وقال بعضهم ان معناه انهم
مصيبون فيما يظنونه واليه ذهب البخاري وهذا يخرج الاول
غير ان الاول اعم وقوله فان يكن في امتي احد منهم فعمر دليل على قلة
وقوع هذا ونذوره وعلى انه ليس المراد بالمحدثين المصيبون
فيما يظنون لان هذا كثير في العلماء والائمة الفضلاء وفي عوام
الخلق كثير ممن تقوى حدسه فتصح اصابته فتر تفع خصوصيه
الخبر وخصوصية عمر رضي الله عنه بذلك ومعنى هذا الخبر قد يخفف ويعد
في عمر قطعا وان كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجزم فيه بالوقوع
ولا صرح فيه بالاخبار لانه انما ذكره بصيغة الاشتراك

قف على ضبط محدثون وانه بفتح الدال

وتدل على وقوع ذلك لعمر رضي الله عنه كلمات فشرة عنه كقصة
الجبل بساريه وعمره واحكم ما يدل على ذلك سماعه النبي صلى الله عليه
وسلم لعمر اكل كما رواه الترمذي عن ابن عمر مرفوعا ان الله جعل
الحق على لسان عمر وقلبه وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما نزل بالناس
امر قط فقالوا فيه وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال فيه
عمر قال البزار بن بسند حسن صحيح ومن دلائل قول عمر رضي الله عنه
وافقت ربي في ثلاث الحجاب ومراد عما بعد الحال كشرة اهل
المحال الذين تشهد بالفصحة سوابق صحبته ومولده وافقت ربي في ثلاث
بمعنى انه وقع له في قلبه حرفا بلك الامور فانزل الله تعالى القرآن
على نحو ما وقع له ودلك انه وقع له ان مقام ابراهيم محل شرفه الله
تعالى وخرمه بان قام فيه ابراهيم صلى الله عليه وسلم للدعاء والصلوات
وجعل فيه ايات بينات وغفر لمن قام فيه الخطيئات واحاب فيه
الدعوات وقد تقدم في الحج ذكر الخلاف فيه ودلك وقع له
شرف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلو منا صبهن وعظم
حرمتهن وان الدين ناسب حاتمهن ان يحجبن عن الاجانب فقال
اطلاعهم عليهن انتزال ونقص يدخل حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
وحرمتهن فقال لنبي صلى الله عليه وسلم احجبهن ساق قائص يدخل
البر والفاجر وقد استوفينا الكلام على هذا في الدماج ووقع له
ان قتل اسارى بدر واشار على النبي صلى الله عليه وسلم به واسار
عليه ابو بكر رضي الله عنه بالابقاء والفداء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
الى ما قال ابو بكر رضي الله عنه فانزل الله تعالى القرآن على نحو ما وقع

لعمر رضي الله عنه في الاسرى الثلاثة فكان ذلك دليلا قاطعا
على انه محدث بالحق فلتتم لوجه الصواب وبعدم القول بالعلاه
على عمر الله بن ابي وفي قتيبه بدر بني الجماد ومن ما
فتنا بيل بن هشام رضي الله عنهم وهو عثمان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس
بن عبد مناف بن قصي بن ابي عمرو وابا عبد الله وابا ليلى بالوجهين
له واشتهر بكناه ابو عمرو ولقب بذي النورين لان النبي صلى الله عليه
وسلم زوجه ابنتيه رقية وام كلثوم واحدة بعد اخرى وقال صلى الله
عليه وسلم لو كانت عندنا اخرى لزوجتها له اسلم قديما قبل دخول
النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر الى ارض الحبشة ثم الى المدينة
ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر خلفه على ابنته رقية
بمرضها وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره وكان
ممن تخلف وقتل كان يموت في نفسه مرضا الجدري وبايع عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في يده في بيعة الرضوان وقال
هذه لعثمان وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان احد اعز على الله
بعد النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان لزوجه الله ابنته فبايع
النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بسبب ذلك وفي بقاء النبي صلى الله عليه
وسلم متكشف الفخذ حتى اطلع عليه ابو بكر وعمر دليل على ان النجس
ليس بعورة وقد تقدم الكلام فيه وفيه دليل على جواز معاشرة
كل واحد من الزوجين بحسب حاله الاتي انبساطه واستر ساله مع
الغير على الحالة التي كان عليها مع اهله لم يغير منها شيا فانه لما
دخل عثمان رضي الله عنهم غير تلك الحالة التي كان عليها فغطى فخذه

وتهتأ له بما سبل عن وكل مال لعثمان حل لي وان شئت ان اذيت
له على بلك الحال الا يبلغ الى حاجته وفي الرواية الاخرى الا اسقي
من رحل تسخني منه الملابجه اي حياء النوفير والاجلال ولكنه منقبة
عظيمه وخصوصيه شريفه لبست لغيره اعرض قتله عثمان عنها
ولم يعرضوا عليها وقوله فدخل ابو بكر فلم تغتش له ولم تبال له يروى
تغتش بالتاء باثنتين من فوقها ويروى بحذفها وفتح الباء وهو الانشاط
وهي الخفه والافتيار ازوالانشاط عند لقاء من تفرح بلقائه يقال
تغش وتتش وتتشبش لها بمعنى ولم تبال اي لم تفتر بامره واصله
من البال وهو الاحتفال بالشئ والاعتناء به والتعرف منه يقول جعلته
من بالي وهي هنا هو المعترضه في الرواية الاخرى بقولها لم اود
فزعت له اي لم تقبل عليه ولم تتفرغ له وقوله خرج وفده نافيا
الرواية المشهورة وفده بفتح الجيم مشددة على انه فعل ماض وضبطه
ابو ذر وفجة بسكون الجيم على ان يكون ظرفا والعامل فيه خرج
اي خرج في وقت الجمعه وقوله ماذا امره وجلس على البئر اريس وتوسط
قفها وكشف عن ساقيه وادلاهما في البئر والقف بضم القاف اصله
الغليظ من الارض يعلو الرجل فيه ابن ذر نفسه ويخبره وعلى هذا القف الذي يشرف
للجماعة ان يجلسوا عليه ويدلوا ارجلهم في البئر هو حاذيها المرتفع
على الارض وكل ما قبل منه خلاف هذا فيه بعد ولا مناسبة مساق الحديث
وقوله على رسلك هو بكسر الراء وهو المعروف ومعناه تفهما اي استمر وارفق
كما قال على هينتك وقوله فجلس وجاهه هو بكسر الواو ويقال
بضمها اي مقابله وقبالته وهذا الحديث يصرح ان ابا بكر وعثمان

رضي الله عنهم في الجنه ودرجات احاديث تشهره بصحته وحسنه في الامهات
بغير محمد وبعضها التصريح بان الخلفاء الاربعة مقطوع لهم بانهم من اهل
الجنة وقوله على بكرتي تصيبه هذا من انس صلى الله عليه وسلم اعلام
لعثمان بما يصيبه من البلاء والمحنة في خلافته وتوطين الانصار
ما يدل على تفصيل ما يجري عليه من القتل وغيره ومن ذلك ما خرجه الترمذي
عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا عثمان لعل الله
يقمصك قميصا فان اراد وك على خلعه فلا تخلعه لهم وقال حديث حسن غريب وقوله
وروى ابو عمر بن عبد البر عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادعوا لي بعض اصحابي قلت ابو بكر قال لا قلت
عمر قال لا قالت قلت ابو عبيدة عليا قال لا قلت له عثمان قال نعم
فلما جاء قال لي بيده فتنحيت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يناجيه وقوله فتنحيت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يساره ولعل عثمان تغير فلما كان يوم الدار وحصر قال له الثائر
عهد الله الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا
وانا صابر عليه فهذه الاحاديث وغيرها مما يطول تتبعه تدل على
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بتفصيل ما جرى عليه واراه سلم نفسه
لما علم من ان ذلك قدر سبق وقضاء وجب ولذلك منع كل من اراد القتال
دونه والدفع عنه ممن كان معه في الدار وفي المدينة من نصرته
وتفصيل كيفية قتله وما جرى معه مذكور في التواريخ وجملة
الامر ان قوما من اهل مصر وغيرهم غلب عليهم الجهل والهوى والتعصب
فتقدموا عليه امورا اكثرها كذب وسلبوه ماله فنها اوجه حز المعاذير

وليس بماشي يوجب خلقه ولا قتله فتحرسوا واتقوا بالمدينة
وحاصروه في داره فقتل شهرا وقيل تسعة واربعون يوما وصلى
وقيل لهم وتذكرهم حقوقه وتتضل بما تشبثوه اليه ويعتذر منه
ويصرح بالتوبة ويحج عليهم بحجج صحيحة لا محيص لهم عنها ولا جواب
عليها فحتم عليهم الامور المتقابلة انتقاما فدخلوا عليه وقتلوه مظلوما
كما تشهد له بذلك السيرة صلى الله عليه وسلم وصاحة اهل السنة فالقي على جماعة
من تلقاء ما قام فيها ثلاثة ايام لم يقدر احد على دفنه حتى حماعة بالليل
خفية محمولة على لوح وصلوا عليه ودفن في موضع من البقيع يسمى
حش كوكب وكان بما اختطه مروان داره في البقيع وكان اذا مر فيه
يقول يدفن فيه رجل صالح فكان هو المدفون فيه وعمى قبره لئلا يعرف
وقد نسب اهل الشام قتله الى علي رضي الله عنهما وهي نسبة كذب وباطل
وصح عنه انه كان في السحر وقت دخل عليه في الدار ولما بلغه ذلك
قال لقتلنه قتلا لم آخر الدهر يعني انه قد تبرأ من ذلك وانتم عليه
وقال من تبرأ من دم عثمان فقد تبرأ من الايمان والله ما اعنت على
قتله ولا امرت ولا رضيت لانه لم يقدر على المدافعة بنفسه وقد كان
عثمان معتصم من ذلك وكان مقتل عثمان في ارسك ايام التشريق على
ما قاله ابو عثمان النهدي قال ابن اسحق على راس احدى عشرة سنة واحد عشر
شهرا واثنين وعشرين يوما من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
وعلى راس خمس وعشرين سنة من مبتوفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال الواقدي قتل يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة يوم التروية
سنة خمس وثلاثين وقيل لثلاث بقين من ذي الحجة قال ابن اسحق وسبع له

بالخلافة يوم السبت غرة محرم سنة اربع وعشرين بعهد من عمر بن الخطاب
وكانت خلافته احدى عشرة سنة الا اياما قتل وسنه على حسب ما
قيل بينا وقد كان انتهى من الفضل والعلم والعبادة الى الغاية
القصوى كان يصوم الدهر ويقوم الليل يقرأ القرآن في ركعة
الوتر رضي الله عنه وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي ابو بكر وعمر وعثمان
وقال فيه صحيح حسن وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه
شهيد ومن اهل الجنة وقتلته يخلدون فيها قد قدموا على
ما قدموا وقول عثمان اللهم صبرا والله المستعان اي اللهم صبرني
صبرا واعني على ما قدرت علي فيه استسلاما لامر الله ورضا بما قدر الله
وقوله مجلس وقاسم من الشوى الحزة الشوى الجانب يعني انه جلس في مقابلة
الذي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وقول سعيد فاولت ذلك وقولهم هذا
من سعيد هو باب الفراسة ومن باب ما وقع في قلوب المحدثين الذين وردوا
في كريم الامر باب تاويل الرؤيا اذا كان ذلك في اليقظة وذلك انه لما اخذت
بخيشومه خلوس الملائكة في جمعة واحدة من القفر وعثمان في مقامه الذي
وقع في قلبه ان ذلك كان اسعارا بخيشومه فقتل كما كان والله اعلم

باب مقاتل علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويكنى ابا الحسن رضي الله عنه واسم ابي طالب عبد مناف وقيل اسمه كنيته واسم
هاشم عمرو وسمي هاشما لانه اول من هشم الثريد لقومه على فاطمة ابنة اسد
بن هاشم وهي اول هاشمية ولدت لهاشم بن عبد مناف وولدت له اسعدا
اسعادا جعفرا وعقيلا وطالبا فكان اكبر من جعفر بعشر سنين

وكان جعفر اصغر من عقيل بعشر سنين وكان عقيل اصغر من طالب بعشر
سنين وروى عن سلمان وابي ذر والمقداد وخباب وجابر وابي سعيد
الخدري وزيد بن ارقم ان علي بن ابي طالب اول من اسلم بعضهم من الرجال
والاصح اتفق الجمهور على ان اول من اسلم والحاكم انه صلى الله عليه وسلم
خديجة الله خويلد وقد تقدم من قال ان اول من اسلم ابو بكر رضي الله عنهم
وقد روى ابو عمر بن عبد البر عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يرد علي الحوض اول من
اسلاما علي بن ابي طالب فاول اسلم وهو ابن سبع سنين واول ايمان
واول ابن عشر واول ابن ثلاث عشرة واول ابن خمس عشرة واول ايمان
عشرة وروى سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين العرني قال سمعت عليا
رضي الله عنه يقول انا اول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد عبدت الله قبل ان يعبده احد من هذه الامة خمس سنين وروى عن
علي رضي الله عنه انه قال مكثت كذا وكذا سبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صلى معه احد غيري الاحرجه واحمدوا انه صلى القبلتين وانه سمد
ردا واحدا ومشا هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها الاخيرة
تبوك قال المي صلى الله عليه وسلم امره ان تخلف في اهله وقال له اما
ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى وزوجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيدة نساء اهل الجنة فاطمة واخا بينه وبينه وقال صلى الله
عليه وسلم فيه لا يحبه الا مومن ولا يبغضه الا منافق وقال فيه النبي
صلى الله عليه وسلم انه يحب الله ورسوله وانه يحب الله ورسوله
وقال رضي الله عنه قد خصصت من العلم والشجاعة والحلم والزهد والورع

وكرم الاخلاق بما لا سبعة كتاب ولكونه حصر حساب يربع له بالخلافة
يوم قتل عثمان واجمع على بيعته اهل الحل والعقد من المهاجرين والانصار
الا نفرا منهم فلم يجر بهم وسيل عنهم فقال اولئك قوم خذلوا الحق
ولم ينصروا الباطل وكلف عن بيعته معويه ومن معه من اهل الشام
وجرت عند ذلك خطوب لا تحصر حصرها والتحمت حروب لم يسمع بمثلها ولم تزل الويته منصورة عالية على الفئة الباغية الى
ان جرت قضية التحكيم وخرج معاوية والفئة الباغية وحينئذ خرجت
الخوارج وحذروه وقاتلوه وقال من معه وقالوا حكمت الرجال في دين الله
والله تعالى يقول ان الحكم الا لله فاجمعوا وشنوا غارة المسلمين وصدوا
راية الخلاف وسفكوا الدما وقطعوا السبيل فخرج اليهم علي من معه
وراموا رجوعهم فابوا الا القتال فقاتلهم بالصبر والتقليم واستاصل
جمعهم ولم يفلت منهم الا اليسير وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم
يقتلهم اولى الطائفتين بالحق اقتربه الله رجل من بقايا الخوارج
قال له عبد الرحمن بن ملجم قال الزبير قال من حضر ما اصابه دما فسلم
فلحق الى مراد فقسم الدهم فدخل عليه في مسجده فاشتوه فقتله ليلة
الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان
عشرة وقيل في اول ليلة من العشر الاواخر من رمضان سنة اربعين
واختلف في موضع قبره قول على عدم العلم به وانه مجهول وقول اخلف
سنة بوم قيل لقبل ابن سبع وخمسين الى خمس وستين وكانت مدة
خلافته اربع سنين وستة اشهر وستة ايام وقيل بلاه وقيل اربعة
عشر يوما فاخذ عبد الرحمن بن ملجم فقتل اشقى هذه الامة وكان على

احدا عشرا

رضي الله عنه اذا راه يقول اريد حياته ويريد قتلي عز برد فقتلي عز برد خليفة من مراد
ويقال ناعثم اشقاها او ما ينتظر اشقاها ان تخضب هذه من هذا
والله لتخضبن هذه من هذا وشار الى لحيته ورأسه فخضبت دما لاحظات
حيناً والكبير وقد روى الساعي وكبيره من حديث عمار بن ياسر رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه اشقى الناس
الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذا ووضع يده على رأسه في يخضب
هذه يعني لحيته وتأخر موته رضي الله عنه عن ضربه نحو الثلاثة
الايام حمل ما دفعه له من الحربة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة
حربة وسبعة وثلاثون حربة مثل احادث عمر رضي الله عنهما احرم له
منها في الخمس اربعة واربعون حربة وقول معوية لسعد بن ابي وقاص
ما منعك ان تسب ابا تراب فقال ان ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله صلى الله عليه
وذلك كان منهم لما وقع في انفسهم من انه اعان على قتل عثمان والله اعلم
لمن قتله بنا منهم على انه كان بالمدينة وانه كان متمكنا من نصرته وكل
ذلك كذب وتأويل باكل عفى التعصب منه وجه الصواب وقد قدمنا
ان علياً رضي الله عنه اقسم بالله انه ما قتله ولا امر على قتله ولا رضيه ولم يدخل
احد من اهله فكيف ولا يسع من احد ان علياً كان مع القتلة ولا انه دخل معهم
الدار عليه واما ترك نصرته لعثمان رضي الله عنه اسلم نفسه ومنع من نصرته
كما ذكرناه في بابه وما تشبثوا به انهم تسببوا على الى ترك اخذ القصاص
من قتلة عثمان فالى انه منعهم منهم وانه قام دونهم وكل ذلك اقوال كاذبة
انتجت كذبا عبر صاحبيه ترتب عليها ذلك البلاء كما سبق به القضاء وقوله
وبعض سفاريه فقد قلنا انها كانت عزوة سوك حنين التي صلى الله عليه وسلم

الى اهله واستخلفه على المدينة فما قال وما خلفه على علي رضي الله عنه
تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه سعيه الى صلى الله
عليه وسلم وانه يقول له اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى
وذلك ان موسى صلى الله عليه وسلم لما عزم على الذهاب لما وعده الله
به من المناجاة قال لهرون اخلفني في قومي واصلح وهذا استدل بهذا
الحديث الروافض والامامية وسائر فرق الشيعة على ان النبي صلى الله
عليه وسلم على ان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف عليا رضي الله عنه
على جميع الامة واما الروافض فقد هجروا الصحابة كلهم لانهم عندهم
تركوا العمل بالحق الذي هو النص على استخلافه على رضي الله عنه
واستخلفوا غيره بالاجتهاد ومنهم من كفر عليا لانه لم يكفر حفنة
وعمارا الاسدي يقولهم لان من كفر الامة كلها واصدر الاول
بعد اكمال نقل الشريعة وهدم الاسلام واما غيرهم من الشيعة فلم
يرتكب احد منهم هذه المقالة الشنعاء القبيحة القضاء وان ارتكبها
منهم اكفناه من تقدم في التكفير وسواه حكمهم ونفس الامر وعلى
الجملة فلا يحمد لاحد منهم ولا هذا الكذب قال النبي صلى الله عليه وسلم
انما استنابه في امر خاص وفي وقت خاص كما استناب موسى هارون
في وقت خاص لما رجع موسى من مناجاته عاد هرون الى ما كان
على انه قد كان هرون شريكا مع موسى في اصل الرسالة فلا يلزم
لهم فيما اسوقوه دلالة وعمدة هذا الحديث ان يدل على ان النبي صلى الله عليه
وسلم انما استخلف عليا رضي الله عنه على المدينة فقط فلما رجع النبي صلى الله
عليه وسلم من غزوة تبوك بعد مقعده وعاد على الى ما كان عليه قبل وهذا مما

استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن ام مكتوم وغيره ولا يلزم
من دلك استخلافه دائما الا اتفاق وقوله غير انه لا ينبغي بعدي ايما قاله
النبي صلى الله عليه وسلم تحذيرا مما وقعت فيه طائفة من علماء
الرافضة قاتلهم الله قالوا ان عليا ينبغي ان يرجع اليه وعدتنا هي بعض
ع العقول الى ان صار ذلك من علامات النصارى في المسيح فقالوا
انه الا اله وقد حرق علي رضي الله عنه من قال له ما قلتن بدلك
جماعة منهم وزادهم ضلالا فقالوا الان تحققنا انه الله لانه لا يعذب
بالنار الا الله وقد حرقه فلما اقوال العوام جهال يخطأ العقول
لاسافل الحرم بما يقول فلا ينفع سمع البرهان لمن اساء والسنان
وقوله لا عطين الراية رجلا يحب الله ورسوله الكلام الى اخره
فيه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي اخباره
عن غيب وقوعه على نحو ما اخبر وفيه رمز عظيم على رضي الله
عنه على قول دعا النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث بسلم
انه صلى الله عليه وسلم مسح على عيني علي رضي الله عنه ورقاه وفيه
من الفقه جواز المدح بالحق اذا لم يخش على الممدوح فتنة وفيه
الدليل ع محبة الله ورسوله ما يدل على ان الاول يرفع الراية اليه
من اجتمع له الرياسة والشجاعة وكمال العقل وقوله فبات الناس
يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها اي يشغلون بحيث اختلطت اصواتهم
فمن يعطاها يقال بات القوم يدوكون دوكا اي في اختلاط ودوران
وقولهم في دوكة ليلة الدال وضمها وانما تعلوا ذلك حرصا على مثل
هذه الرتبة الشريفة والمنزلة الرفيعة التي لا شيء اشرف منها

وقول علي رضي الله عنه اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا معناه حتى يدخلوا
ع ديننا فيصيروا مثلنا فيه وقوله انفذ على رسلك حتى تنزل
بساحتهم اي امض لوجهك متوقفا متثبتا وقوله فوالله لان يهدى بك
احدا خير لك من حمر النعم وفي بعض النسخ لك واساءة
الناحية وقوله ثم ادعهم الى الاسلام واعلمهم بما يجب عليهم
من حق الله فيه دليل ان الدعوة قبل القتال الى يقدم القول بها
ع الجملة وقد فسرها في الرواية الاخرى ع الام فان نصرح على
يا رسول الله على ماذا اقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا فقد منعوا منا دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فيه ان من وفق الله للرشد
ع الرواية المتقدمة وقوله . موا على رسلك اي سر على سهل رجلا
واحدا خير لك من حمر النعم فضل عظيم على معلم العلم وناشره في الناس
وعلى ابوته واقتدى به ناله الاجر والخير وفيه ان اكرام صلى الله
عليه وسلم في الحرب الاحرار الله وملائكته يصلون على معلمي الناس
الخير والهداية الدلالة والارشاد والنعم بفتح الاول وضمها
هي خيارها حسنا وقوة ونفاسة لانها افضل عند العرب وبهي
به والله اعلم ان ثواب تعليم رجل واحد ورشاده للخير اعظم من ثواب
هذه الابل النفيسة لو فاتلك تصدقت بها لان ثواب ذلك لا تنقطع
تنفع بموتها وثواب العلم والهدى لا تنقطع الى يوم القيامة
كما قال صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة
وذكر منها علما ينتفع به ، وفي قوله علي رضي الله عنه في المسجد واقرار

النبي صلى الله عليه وسلم له على ذلك دليل على جواز ذلك للتماثل الذي
له منزل وبه قال بعض اهل العلم وكرهه مالك من غير ضرورة واجازه
للغرباء لاسيما لحاجة وضرورة وقد تقدم ذلك في كتاب الصلاة وسمع
النبي صلى الله عليه وسلم جنب علي رضي الله عنه من التراب وهو مسول
ثم اما التراب فدليل على محبته له وشفقته عليه
ولطفه به ولذلك كان ذلك الاسم احب الي علي من كل ما مدحي به فيما يجيبا
من بني امية كيف صبروا الفضايل رذايل والمناقب معايب
لكن غلبة الاهوا تعوض الظلمة من البصاير وقد ذكر ابو عمر بن عبد البر
باسناده الى ضرار الصدائي وقال له معوية صفلي عليا فقال
اعفني يا امير المومنين قال صفه قال اما اذ ولابد من وصفه فكان
والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا ينفجر
العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه مستوحش من الدنيا
وزهرتها وانس بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة
يقلب كفه على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكا الحزين ويقول
يجيبنا اذا سالناه ونحن نهابه ونحن نقربه
ايانا وقربه منا لا ادعاء نخلة بهيبة له بعظم اهل الدين ويقرب
المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييتاس الضعيف من عدله واشهد
لقد رايته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت
نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكا الحزين ويقول
يا دنيا غري غيري الي تعرضت ام الي تشوقت هيهات هيهات
قد بتتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل آه من قلة

اثر ابو عمر السفر وخشونة الطريق فكان معوية وقال رحم الله ابا حسن
كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح واحدها
لم تجر بها قال فاسح رحمه الله وهذا الخبر يدل على معرفة
معوية بفضل علي ومنزلته وحكم حقه ومكانته وعند ذلك يسعد
علي معوية ان يصرح للعنه وسبه لما كان معوية رضي الله عنه موصوفا
له من الفضل والدين والحلم وكرم الاخلاق وما روي عنه من ذلك ما ذكره
ابو عمر لا يجمع ما سمعناه وله لسعد بن ابي وقاص ما يمنعك ان تسب
ابا تراب وهو اسم ينصرح بالسب وانما هو سوال عن سبب استناده
ليستخرج ما عنده من ذلك او من نقيصة تمامه ظهر من جوابه ولما
سمع معوية ذلك سكت واذعن وعرف الحق لمستحقه ولو سلما ان لفظ ابا تراب
من معوية حمل على السب فالله كمل ابا تراب كله منه تقصير واعتداد
في اسلام عثمان لقاتليه او في اقدامه على الحرب والقتال للمسلمين
وما اشبه ذلك مما يمكن ان يقصر مثله من اهل الحل واما التصريح
باللعن وذلك القول كما فعله حمال بني امية وشغلتهم بحاشي والحلم
معوية منه ومن كان على مثل حاله من الحجه والدين والحل والعلم
والله اعلم

ومن باب فضايل سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه

واسمه مالك وقيل وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة
يكنى ابا اسحق اسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنه وقال مكثت
سبعة ايام وانا ثلث الاسلام وقال انا اول من رمى بسهم في سبيل الله
سعد المشار له كلما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي الولايات
العظيمة من قبل عمر وعثمان رضي الله عنهم وهو احد اصحاب الشورى

واخر المسود لسلم بالجنة توفي رضي الله عنه في قصره بالعقيق على عشرة
اميال من المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو والي المدينة
يومئذ من قبل معاوية ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين وقيل
سنة خمس وستين وهو ابن بضع وستين وقيل ابن اثنتين وثمانين وروى
عنه من الحديث مائتان وسبعون اخرج له منها في الصحيحين مائة
واثنان وثلاثون وقوله ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرتين
المدينة ليلة اي سمع عند اول قدومه على المدينة في كل ليلة من الليالي
ثم قال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة فعل ذلك هذا من
النبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر قبل ان ينزل عليه والله
يعصمك من الناس كما في الصحيح رحمه الله ويحتمل ان يقال ان قوله
تعالى والله يعصمك من الناس ليس فيه ما ينافي احتراسه من الناس
ولا ما منعه كما ان اخبار الله تعالى عن نصره واكفائه لدينه ليس
فيه ما يمنع الامر بالقتال واعداد العدد والعدد والاخذ
بالحذر والحزم والحرب وسر ذلك ان هذه اخبار عن عاقبة
الحال ومآله فقد حصل لكل الطائفتين عن هذا مقاما وعن ذاك
لم تتعرض لذلك الاخبار له فليبحث عنه في موضع اخر ولما تحدث عن ذلك
وحدثه الشرعية كما فهمه بالامر له وغيره بالتحفظ واخذ الحذر من
الاعداء وما يتعلق بالفعل والقتال واعداد الاسلحة والآلات
وعمل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واخذه بلا تعارض في ذلك والله الموفق

لسلم بالمنام لك وتخشخشة السلاح وتقعقعته فمرت مرة بعضه
بعض وصول سعد ونم في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحينئذ احرسه دليل على صيانة نبينا صلى الله عليه وسلم
وكرامته على الله وانه قضى امنيته وحقق في الجبل كلمته
وفيه دليل على ان سعدا رضي الله عنه من عباد الله الصالحين
المحدثين الملهمين وتخصيصه بهذه الحالة كلها ودعاء رسول الله له
من اعظم الفضائل واشرف المناقب وبذلك خص رسول الله
صلى الله عليه وسلم له ابو به وفداه بهما خاصة من خصائصه
اذ لم يجمعهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لغير احد من الناس
ابويه جميعا غير سعد هذا وعمر ما ياتي في حديث ابن الزبير
ويقدم ان الواو اخر اخر الاصر ليس واوها تعال على الصواحب
واوها المغيبة في هذا الحديث ما سماني التي تمنى ان ينظر اليها
غالبا في حال الضحك وكان صلى الله عليه وسلم اجل ضحكه التبسم
فاذا استغرب بعاية ما يظهر منه ضواحكه مع ندور ذلك
منه وقلته وقوله فار رجل من المشركين هذا اخر قتى المسلمين اي
اصاب منهم كثيرا واتلفهم حتى كانه تعمل منهم ما تفعله النار من
الاحراق وقوله فترعب له بسهم ليس فيه نصل اي رميته
بسهم لا حديد فيه وقد تقدم ان اصل الترعيب الخرب والجندل وكان
محمد النبي صلى الله عليه وسلم سهم وراميا فداه بعد الاعوان
العورة فانه المنزه عن ذلك وقوله ما بيت جنبه بالحاء والنون
كذا لاكثر الرواة وفي روايته وقيده القاضي السميد جنبته

بالحا المهملة والمؤخرة يعني به بحبة قلبه وفيه بعد **وقوله**
فحاموا اذا اراد وان يحموها شحروا فاما يعقى بم او حروها
بالشين والجيم اى فحوا بمها وادخلوا فيه ابعدا لئلا تعلقه
حتى يوجروها الغدا والوجور بفتح الواو ما نصب من وسط
الفم واللدود بفتح اللام ما يصب فى جانب الفم ويقال وجرته
واوجرته ثلاثيا ورباعيا وقد رواه بعضهم شجحوا فاما بحا
مهملة وواو من حمر راء وهو قريب من الاول اى وشعوه والشحو
التوسع فى المشى والرائة الشحوا الواسعة الخطو ويقال
شحا اذا وشحا حوه بعدا ولازما اى فحه ووصية الله تعالى
بميره الوالدين المشركين والاحسان اليهما وان بالغا فى
وجر تضن على حمل الولد على الكفر بدليل قوله فلا تطعهما على عظم
حرمة الابوين وتاكد حقوقهما وقوله تعالى وان جاهداك على ان
تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما اى لان جاهداك على الشرك
والكفر فلا تطعهما وان بالغا فى ذلك وانعيا اليهما فيه
فان الشرك بالله تعالى باطل ليس له حقيقة فتتحكم فيما قال تعالى
قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى
عما يشركون والقبض بفتح الباء اسم لما يقبض وقد اجمعوا هنا
والقبض بسكونها مصدر قبضت وقد تقدم فى الحمد الكلام
على قوله تعالى يسالونك عن الانفال وفى ابوها يا على وجيه سعد
وما تعلق بها والجيش يستثنان النحل ويقال بضم الحاء وفتحها وجمع
على جيشان وقد يعنى بالجيش عن موضع الخلية لانهم كانوا يتخذون

ما يجتمع فى البساتين وجاش النحل جاءه النحل **وقوله** فغزره وقال
انه سغزر اى هو يتقدم الرائى مخفقة اى شفته والمغرور المشفوق
وكنى الجمل بسبع الحاء مواجر فنى فمه وبما كتبنا له على واشغل وابن
بمعنى واحد وقد يضرب به هو الاشغل وقد تقدم القول فى قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس الاية فى الاشربة **وقول** المشركين للنبى صلى الله عليه وسلم
اهرد هاؤلاء اهتدوا لا نجتزى وعلينا فان هاؤلاء المشركون اشراف
قومهم وهل كان منهم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس اتبعوا
من هاؤلاء ضعفاء اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كخباب وسلمان
وعمار وبلال وسالم ومهجع وسعد هذا ابن مسعود وعبد الله
من هاؤلاء على مثل حالهم استنكافا لهم وكبرا عليهم واستقذارا
لهم فانهم قالوا ابعد وننا بهم وفى بعض كتب التفسير اسم
عرضوا ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم اى قالوا له اجعل لنا
يوما ولهم يوما وقالوا ان بقيت لهم بذلك فهم النبى صلى الله
عليه وسلم بذلك ودعا عليا للكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحيه
فانزل الله الاية **قال الشيخ** ولم اشار سعد بقوله
موتع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقع وقال
النبى صلى الله عليه وسلم انما مثل الى دلكهما فى اسلامهم واسلام
قومهم ورجاء ان ذلك لا يفوت احدا به شيا ولا ينقص لهم قدرا
مما لهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى يريدون وجهه فنهاه عما هم به من الطرد لانه اوقع

اوقع الضرر وصف اولياءه باحسن اوصافهم وامره بان يصبر
نفسه معهم بقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ذلك يصلي صباحا يوم عاتبني الله فيهم واذا جاء المسلم
منهم عنهم حتى يرضوه ثم الذين يتعرون بالقيام وقوله يدعون
ربهم بالغداة يطلبون التوفيق والتسبيح بالعشي يطلبون
العفو عن التقصير وقيل معناه يدعون الله بعد صلاة الفجر
وصلاة العصر وقيل يصلون الصبح والعصر وقال ابن عباس يصلون
الصلوات الخمس وقال يحيى بن ابي كثير هي مجالس الفقه بالغداة
والعشي وقيل يعني به دوام الجالسة وعبادتهم وانما خص
هذين الوقتين بالذكر لان من عمل في وقت الشغل كان في وقت الفراغ
من الشغل اكمل وقوله يريدون وجهه اي يخلصون في عبادتهم
واعمالهم لله تعالى ويتوقعون اليه ذلك لا لغيره ويجوز ان يقال
تقصدون باعمالهم ربوبيته وجهه الكريم اي وجوده المنزه المقدس
عن صفات المخلوقين وقوله ما عليك من حسابهم من شيء اي
من حسابهم ولا حسابك رزقهم اي جزاؤهم ورزقهم وجزاؤك
ورزقك على الله تعالى لا على غيره وكانه قيل واذا كان الامر
كذلك فاقبل عليهم وجالسهم ولا تطردهم مراعاة لحق من ليس
على مثل حالهم في الدين والفضل مما لعلك كنت كالمأمور بمثله
من قبول ذلك منه وانما هذا بيان للاحكام وليلا تقع
مثل ذلك من عمر من اهل الاسلام ومما يحقق قوله تعالى ليس

اذا راهم
والعشي على يعبدون ربهم بالغداة

اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله منه انه لا يشرك ولا يحبط عمله
وقوله ليكون من الظالمين نصب بالنفي وجواب النفي ومعناه
ان الظلم اصله وضع الشيء في غير موضعه ويحصل من مواقعة الاثم
والحديث النهي عن ان يعظم احد الجاهد وابويه وعن ان يحقر احد
لجهله ورثاثة ثوبيه وذكر بعد ذلك مناقب جماعة من
عبد الله بن عثمان بن نوفل بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي
رضي الله عنه سمع سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسافر فلما
الاسرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قارئته وسعد بن زيد
تجسسا خبر عير قريش فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم
منصرفه من بدر وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمهما
واجرهما وقالا فمن شهدها وسهماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوميد فلحق الخبر يوم ذات العشيرة فلحقه العباس ويوم
حنين فلحقه الجعرانة وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وقتل
النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقتل اصبعا وجرح يوميذ اربعا
وعشرين جراحة ومن احد العشرة المشهود لهم بالجنة وحمله ما روى
عنه من الحديث ثمانية وثلاثون حديثا اخرج له منها في الصحيحين ستة
وقيل يوم الجمل وقال يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الاخرة سنة ست
وثلاثين وقال ابن سعد اتاه سهم غرب فقتله فقال بسم الله وقال
امير الله قدر اعقوبا وقال ابن عبد البر ابن الحمق قتله ودفن بالبصرة
وهو ابن ستين سنة وقيل اثنتين وقيل ابن اربع واما الزبير
رضي الله عنه فكنيته ابا عبد الله وامه اكراد

وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب
امه صفيه بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم
واسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين وقيل ابن ست عشرة سنة فعذبه
عمه بالدخان الذي يرجع عن الاسلام فلم يفعل وهاجر الى ارض
الحبشة الهجرتين ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو اول من سل سيفا في سبيل الله وكان عليه
يوم بدر ريطة صفرا تتراءى بها وكان على اليمنه فنزلت
الملائكة على سيماه وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
وبايعه على الموت قتل رضي الله عنه يوم الجمل وهو ابن خمس وستين سنة
وقيل خمس وستين وقيل بضع وستين مولده لثمان مضين من
اصحاب على ما ذكر علماء رضي الله عنه وذلك قال بشر قاتل ابن صفيه
بالنار وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنه وروى عنه من الحديث
شل ما روى عن طلحة وله في الصحيحين مثل ماله سواء

واما ابو عبيدة رضي الله عنه فاسمه عامر بن عبد الله بن الجراح
بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر بن مالك بن النضر
بن كنانه اسلم قديما مع عثمان بن عفان رضي الله عنهما وهاجر
الى الحبشة الهجرة الثانيه وشهد بدرا والمشاهد كلها
وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ومنح بيوم بيد
بثنيتيه الحلقتين اللتين دخلتا في وجنتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم موقعت ثنيتاه فطاب انفه وكان من احسن الناس
ثغرا ثنته نقيه وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنه وولي

فتح الشام وخرج هاربا مات في طاعون عمواس بالاردن وقبره بفيسان وهو
ابن ثمان وخمسين سنة وهو اول من عثمان النصارى لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض تلك الايام التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم غير
طلحة بن عبيد الله وسعد يعني بذلك يوم احد وقد منا ان طلحة رضي الله
عنه شلت اصبعاه وقي النبي صلى الله عليه وسلم بيده فشلت اصبعاه
وجرح يومئذ اربعا وعشرين جراحه وقوله عروة شهدا من قول
الراوي عن ابن عثمان وهو المغيرة بن سلمة يعني به ان ابا عثمان انما
حدث بثبوت طلحة وسعد عنهما لانه شاهد معهما ثبوتهما فانه
يعني لا محالة ولا انه حدث بذلك عن عمر بما ذكر عنهما ما حدثاه بذلك
واتفق لطلحة رضي الله عنه وذلك اليوم ان النبي صلى الله عليه وسلم اثقل بالجراح
وكان عليه درعان فنهض ليصعد على صخرة كانت هنالك فلم يستطع لحمه
طلحة ظهره حتى صعد النبي صلى الله عليه وسلم على ظهره
حتى بقي على الصخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة اي اوجب
له ذلك العمل الثواب الجزيل والمنزلة الشريفة عند الله تعالى والمنزلة
الشريفة وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن
عبيد الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم لطلحة بن عبيد الله حين قضى نحبه
الى عمن توفي بنذره وما هو اعلم به وقوله ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس ما تندب السرايا بعثهم في الجهاد وحضهم عليه ما جات السرية مرات
وبعد ذلك ما زاله النبي صلى الله عليه وسلم يقول هو حواري وحواري الزبير اي خاصتي
والمفضل عندي وناصري ومن تقدم باتباب القول فيه في الايمان والاحكام

بضم الهمزة والكاف المعجمة هو الحص وجمعه اكام مثل سبب واسباب وشبهها مثل
اكام وآكام وقوله فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوبه يوسيد
بفتح الهمزة وكسر الكاف وتشديد الياء وفتح الدال المهملة وآخره دال
وهذا الحديث يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابي بكر سعد بن ابي وقاص
وحينئذ يمتثل ما رواه الترمذي من قول علي رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جمع ابويه لاحد الا لسعد قال له يوم احد ارم فداك ابي
وامي ويرتفع الاشكال بان يقال ان عليا رضي الله عنه اخبر بما في علمه ويحتمل
ان يريد انه لم يذكر ذلك في يوم احد لحضور غيره والله اعلم وحراء جبل بمكة وهو يذكر
ويؤنث ممدود ويذكر مصروف ويؤنث فلا يصرف وتراحفا من زحف اذا مشى ونحوه
وقوله فتحرفت الحجارة قال اهدأ ما عليك فراح هذا اللفظ للمبالغة
الهمزة على انه امر من هدأ المذكر وعليه بنى كاف خطاب المذكر مع انه افتتح
الكلام بذكر الحجارة فكان حق الكاف ان يقال الذي ما عليك فحاذت
حلقات الموت لانه لما فاتت تلك الحجارة قبلا حاطها خطاب المذكر وقوله
مثل هذا كثيرا وقوله مما عليه الاسى او حزنوا وتشهدوا والى بمعنى التقسيم
والتنويع فالمعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه
والشهداء من بقي رضي الله عنهم وهذا من دلائل صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهم لو لم يقتلوا شهداء اما عمر فقتله العلج واما عثمان
فقتل مظلوما وعلي رضي الله عنه غيلة واما طلحة والزبير فقتلا يوم الجمل
مصروفين عنه تاركين له واما ابو عبيدة رضي الله عنه مات بالطاعون
والموت له شهادة وقول عائشة رضي الله عنها فان ابوك من الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح استجابوا اجابوا الى قوله انا زادتاك

لعروة

كما قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم تستجبه عند ذاك مجيب
اي لم تجبه والقرح الجراح واشارت عائشة رضي الله عنها الى ما جرى في غزوة
حمراء الاسد وهو موضع على نحو ثمانية اميال من المدينة وكان من حديثها
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع الى المدينة من احد وبث فيمن انجحر اصحابه
والكثير منهم جرحى وقد بلغ منهم الجهد والمشقة بحيث انه صلى الله عليه وسلم امرهم بالخروج
في اثر العدو مرتحلين فقال لهم وقال لهم الامر كان مشهدا احد الخروج على ما
بهم من الضعف والجراح وربما كان مهم المثقل بالجراح لا يستجيب المشي
والجهد مرضوا وربما حمل على العناق فكان ذلك امتثالا لامر رسول الله
ورغبة في الجهاد والشهادة حتى وصلوا الى حمراء الاسد فلقيهم نعيم بن مسعود
ما خبرهم ان ابا سفيان بن حرب ومن معه من قريش قد جمعوا جموعهم واجمعوا
رايهم على ان يرجعوا الى المدينة فستاصلوا اهلها فقالوا ما احسبنا الا
به عنهم حسبنا الله ونعم الوكيل وبينما قريش قد اجمعوا على ذلك اذ حانهم
معبد الخزاعي وكانت خزاعة جلفا النبي صلى الله عليه وسلم وعيبة نصحه
وكان قد رأى حال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليه ولما رأى عزم قريش
على الرجوع واستبصال اهل المدينة حمله خوفه لذلك وخالص نصحه للنبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه على ان خوف قريشا بان قال لهم اني قد تركت محمدا
واصحابه بحمراء الاسد في جيش عظيم قد اجتمع له كل من تخلف عنه وهم قد حرقوا
عليهم وكانهم قد اقدروكم فالنجا النجا واشتد هم شديدا لعظم من جيش محمد
وبشرهم وهو مذكور في كتب السير فقذف الله في قلوبهم الرعب
ورجعوا الى مكة مسرعين حاثفين ورجع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
الى المدينة ظافرين منصورا كما قال تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل

لم تمتسكم سوء واتبعوا رضوان الله والمراد و فضل حكم وقوله سالم
الذي مارايتم الناس ان الناس قد جمعوا الخ ما خشوم يعني به نعيم بن مسعود
الذي خوف اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ان الناس قد جمعوا لكم
يعني به قريشا وقوله صلى الله عليه وسلم ان لكل امة امينا وامينها
ايتها الامة ابو عبيدة بن الجراح . الامانة ضد الخيانة وهي
عبارة عن قوة الرجل على القيام بكف ما وكل الى حفظه وتخلي بينه
وبينه وهي مأخوذة من قولهم ناقة امون اي قوية على الحمل والسير
فكان الامين هو الذي يوثق به في حفظ ما وكل الى امانته حتى يؤديه
لقوته على ذلك و كان ابو عبيدة قد خصه الله من قواه بالحظ الاوفر والنصيب
الاكثر حتى سماه له ذلك المعصوم وصار له ذلك الاسم العلم المعلوم
وقد ظهر ذلك من حاله للعيان حتى استوى في معرفته كل انسان وذلك
ان عمر رضي الله عنه لما قدم الشام متفقدا احوال الناس والامراء دخل
منازلهم وبحث عنهم اراد ان يدخل منزل ابي عبيدة وهو امير على الشام
فوجد عنده ملابسه وتزاد فت عليه فتوحاته وجبرانه واجتمعت له
خزائنه واموالها فلما رآه عمر وذلك قال له يا امير المومنين والله لقد
دخلت منزلي لتعيرني بحبسك فلما دخل منزله لم ير منه شيئا بوجد النصر
اكثر من صلاحه واداة رجل بعيره فبكا عمر رضي الله عنهما وقال صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امين هذه الامة او كما قال وقال النبي
صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عن كل واحد من اعيان الصحابة بما خصه عليه
من اوصافه وان كانوا كلهم علما محتارين لمختار وقال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الترمذي من حديث انس بن مالك رضي الله عنه ارحم امتي بامتي ابو بكر

واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان واعلمهم بالحلال والحرام معاذ
وافرضهم زيد واقرؤهم ابي وكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة
وفي حديث عبد الله بن عمرو وما اقلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق
لهجة من ابي ذر وقوله ايتها الامة بهوسنادي مفرد محذوف حرف النداء
والامة نعت مرفوع والاصل منصوبا على الاختصاص وحكي سيبويه
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة بالنصب وقوله لا بعث ابيج رجلا امينا
حق امين بهو بالنصب حق امين على انه مصدر مضاف وهو من موضع الصفة
تقديره امينا محققا في امانته وقوله ما تشرف لها الناس اي تتشوفوا
وتعرضوا لمن هو الموقعة عندهم وكلهم يحرص على ان يكون هو المعني اذ كل امير
سلم امين . ومن باب مقاتل الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهما

واسمائهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع بنيه الحسن ابا محمد
والحسين ابا عبد الله وولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة
والحسين ابا عبد الله وولد الحسين لخمس خلون من شعبان سنة اربع من
هذا الجمع ما فصل بين ولادتهما الا نحو من ثلاثة اشهر وقال علقت به فاطمة رضي الله
عنها بعد مولد الحسن بخمس ليال ومات الحسن عموما وربيع الاول من سنة
خمسين بعد ما مضى من خلافة معوية عشر سنين وقيل لاثنتي عشرة سنة احدى
وخمسين ودفن ببقيع الغرقد الى جانب قبر امه وصلى عليه سعيد بن العاص
وكان امير المدينة يومئذ فقدمه الحسين وقال لولا انها سنة ما قدمتك وكان
وصى ان يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اذنت ولم تعارضه عائشة فاذنت
في ذلك ومنع من ذلك مروان وبنو امية وروى ابو عمر باسناده الى علي رضي الله
عنه قال لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اروني ابني

ماسميتموه قلت حربا قال بل هو حسن فلما ولد الحسين قال ارونى ابنى
ماسميتموه قلت حربا قال بل هو حسين فلما ولد الثالث قال ارونى ابنى
ماسميتموه قلت حربا قال بل هو محسن وعق ابنى صلى الله عليه وسلم
عن كل واحد من الحسن والحسين يوم سابعه بكبش ويكبش وامر ان يحلق
كل واحد منهما وان يتصدق بوزن شعرهما فضة وقال على رضى الله
عنه قال الحسين رضى الله عنه اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بين الصدر الى الراس والحسن اشبه الناس بالنبى صلى الله عليه
وسلم ما كان اسفل من ذلك وتواردت الاثار الصحاح عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال للحسن ان ابنى هذا سيد وعسى الله ان يبقيه حتى يصلح
به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ولا اسود من سوده رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشهد له بذلك وقال حلما ورعا فاضلا دعاه
ورجحه وفضله الى ان ترك الملك والدنيا رغبة عما عند الله وعملا على ما
ذلك وعلى صدق النبى صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ما فر اشتهر من
حال الحسن وتواتر من قضية خلافته واصلاحه بين المسلمين ودلك انه
لما قتل على رضى الله عنه بايعه اكثر من اربعين الفا وكثير ممن خلف عن ابيه
ومن بعث ببيعته فبقى بخوسعه اشهر خليفة بالعراق وما وراءها
من خراسان ثم سار الى معوية من اهل الحجاز والعراق وما وراءها من خراسان
ثم سار اليه معوية من اهل الشام فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن
من ارض السواد بناحية الانبار كره الحسن القتال لعلمه ان احدى الطائفتين
لا تقلع حتى يستاصل اكثر الاخرى فيستاصل المسلمون فسلم الامر لمعوية على
شروط شرطها عليه منها ان يكون الامر له من بعد معوية فالتزم ذلك
معوية واجتمع الناس على بيعته فى النصف من جمادى الاولى من سنة احدى

واربعين وهذا اصح ما قيل فى ذلك ولما فعل ذلك الحسن عجت عليه اصحابه
ولاموه على ذلك حتى قال له بعض اصحابه يا عار المومنين فقال العار
خير من النار وقال له شيخ من اهل الكوفة يدنا يا عامر لما قد سمانا
السلام عليك يا مذل المومنين فقال له لا تعذل لك يا يا عامر فانى
لم ار الموت بين وذلى رهبت ان اضطم وطلب الملك فتكسر
فاما قوله سيد المرسلين فان الحسن سيد وان الله اصلح به بين فئتين من
المسلمين فان حشيا من طول عمره سئم حياته من عوده ونقل اثقاته النسم
انه لما سمع لفظ فطمها من ثديه، وحينيذ قال لقد سقيت ثلاث مرات
لم اسق مثل هذه المرة فقال له الحسين يا اخى من سقاك قال وما تريد
اليه قال اريد ان اقتله قال نعم قال لئن كان الذى اظن فالله اشد نقمه
ولئن كان غيره ما احب ان اقتل بى بريا ولما ورد البريد بموته على معويه
قال يا عجبا من الحسن شرب شربه من عسل فمازومة فقضى نحبه، واما
الحسين رضى الله عنه وكان فاضلا دينا كثير الصوم والصلاة والحج قال
مصعب الزبيرى مج الحسن خمسا وعشرين مجة ماشيا وقد قال النبى صلى الله
عليه وسلم فيه وفى الحسن انهما سيدا شباب اهل الجنة وقال عمار بحياتنا
من الدنيا وقال النبى صلى الله عليه وسلم اداراهما عش لهما وربما احتزما كما
رواه ابو داود انهما دخلا المسجد وهو يخطب فتقطع حقبتهما ونزل فاحتزمهما
وصعد بهما وقال رايت هذين فلم اصبر وقال بعض الحكماء لعشر خلون من محرم سنة
ثمان وخمسين ومئة رحمه مع الحمة لعشر خلون من محرم سنة
احدى وستين بموضع يقال له تحزيلة بقرب موضع يقال له الكحف نقرة من
الكوفة قال اهل التواريخ لما مات معوية وافضت الخلافة الى يزيد وذلك

سنه ستين وردت بيعته على الوليد بن عتبة بالمدينة لما اخذ البيعة
على اهلها ارسل الى الحسين بن علي والى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم
ليلا فاتى بهما فلم يبايعا ولم يثلثا ليبايع سرا ولحقا بمكة فيبايع على رؤس الناس
اذا اصبحنا فرحا الى منزليهما وحرج من ليلتهما الى مكة وذلك ليلة الاحد
لليلتين بقيتا من رجب فاقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا
وذا القعدة ثم حرج يوم التروية يريد الكوفة فبعث عبد الله بن زياد جيشا
لقتل الحسين واسر عليهم عمر بن سعد فادركه بقرب قتل الحسين
وقتل معه من ولده واخوته واهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا رضي الله عنهم
وذلك يوم عاشوراء من السنة المذكورة وكان من قضاء الله تعالى وتجيل
عقوبته لعبيد الله بن زياد ان قتل يوم عاشوراء سنة سبع وستين قتله
ابراهيم بن الاشتر وضربه فبعث برأسه الى المختار وبعث به المختار
الى ابن الزبير فبعث به الى علي بن حسين واحلف بن بن الحسين يوم قتل
قتل سبع وخمسون وقتل يمان وقتل اربع وقال جعفر بن محمد توفي علي
رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين وقتل الحسن وهو ابن ثمان وخمسين وتوفي
علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين وتوفي محمد بن علي وهو ابن ثمان وخمسين
قال سفيان وقال لي جعفر بن محمد وانا يومئذ ابن ثمان وخمسين وتوفي
سنة رحمه الله عليهم اجمعين وروي عن ابن عباس انه قال رايت النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم اشعث اغبر بيده
قارورة فيها دم فقلت بابي انت وامي يا رسول الله ما هذا قال هذا
دم الحسين لم ازل التقطه منذ اليوم فوجد قتل ذلك اليوم واما الحسن
رضي الله عنه فتوفي سنة يوم مات ستة واربعين سنة وقيل سبعا واربعين روى
الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الدعاء في القنوت قوله انا ان محمدا كل

لنا الصدقة وروى الحسين عن ابيه صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه قوله صلى الله عليه وسلم من ابتلي فاختفى فمات
من اليوم فمات تحت سقف شد اختفاء قوله حتى خبأ فاطمة رضي الله
عنها اي يتستر واصل الخبأ ما خبأته وقد صار بحكم العرف
العربي عبارة عن بيوت الاعراب قوله صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله
عنه انم لكع يعني به الصغير وهي لغة يمنية وسئل بلال بن جرير عن اللكع
فقال هو الصغير في لغتنا واصل بنيته اللغة انما يستعمل للتحقير والتجهيل واللكع
العبد الوغد والرذل العقل ويقال للانثى لكعاء ويقال له يا لبدا الى
لكاع وقد يعدم العول منه ويحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم ممازحا
له بذلك اللفظ وموبخا كما يقول الرجل لابنه الصغير يقال يا كليب
وكما قالت العربية لابنها وهي تزوجه خرقة عين بقة والسخاب
خيط فيه خرز يسكم ويجعل في عنق الصبيان والسخاب ما خوذ من
الشخب وهو اختلاط الاصوات وارتفاعها وقال بعضهم الخرزات
لها اصوات مختلفة عند احتكاك بعضها ببعض وقيل السخاب
من القلائد ما اتخذ من القرنفل والمسك والعود وشبهه دون الجوهر
وفيه من الفقه الحافظة على النكاية وعلى تحسس الاخبار وتتبع
وحوصها عند لقاء من يعظم ويحترم قوله حتى اعتنق كل واحد منهما
صاحبه فيه ما يدل على تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته بالصغار
واكرامه ومحبته للحسن بخلاف ما اتسب الى موازعناق الاصغر
كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم واما اختلف في عناق الكبير في حالة السلام
فقد منعه مالك واجازه سفيان وغيره واصح سفيان على مالك وذلك بعناق النبي
من عيينة ج

صلى الله عليه وسلم جعفر رضي الله عنه لما قدم عليه معاذ بذلك يخصوص
جعفر ومال سفين بالخص جعفر انتهى فسخت مالك وبدل سكوت مالك
على انه ظهر له ما قاله سفيان من جواز ذلك قال القاضي عياض ومن
الحق حتى يدل دليل على تخصيص جعفر بذلك والعاتق ما بين المنكب الى
العنق وقيل هو موضع الرداء من المنكب ومنه من الفقه ما يدل على
جواز حمل الصبيان وترك التحفظ مما يكون منهم من المحاه
والبول ونحو ذلك فلا يجتنب من ذلك الا ما خيف عينه او تحقق
او تفاحش وقال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يعملون على مقتضى
الجنيفية السمحة يمسحون خفافهم في الطين ويجلسون بالارض ويقومون
على الثياب التي ليست نجسة ويعفون عما يعم وتفجعه
عموم الحال ويعفون عما من ذلك ولا يتوضؤون منه ودل دليل
على علاقة منوسوسة الصوفية النوم فانهم يعولون على يقظة
القلوب والثياب وهو اعلم وسخه وقوله لقد غرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين بفلقة هذا يدل على جواز ركوب
ثلاثة على دابة لان اذا لم تثقلها وقد روي عن علي رضي الله عنه وكرم
كراهة ذلك وروي عود ذلك تنفي عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن محمله
والله اعلم على ما اذا اثقلتها وقرحتها وفي باب فضائل
اهل البيت قوله سرط مرجل الميزر الكساء وجمعه سروط والمرجل
يخرج بالحاء يعني به صور الرجال ويروى بالجيم اي به صور الرجال
او صور المراجل وهي القدور يقال ثوب مراجل وثوب مرجل هذا
قول الشارحين قال الشيخ رحمه الله ويظهر لي ان المرجل هنا يراد به

د

المشوك خمله وزيره كما قال امرؤ القيس
خرجت بها تمشي تجر وراءنا على اثرنا ذيل مرجل
وهذا اولى لان النبي صلى الله عليه وسلم كسا علي الثوب الذي
صور فيه الرجال مع انه نهى عن الصور وهتك الستر الذي كانت
فيه وغضب عندما رآه كما تقدم في اللباس ورآه النبي صلى الله
عليه وسلم هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا دليل على ان اهل البيت المعنيون في الاية هم المخطوبون
بذلك الميزر في ذلك الوقت والرجس اسم لكل ما استقذر وقال
الازهري والمراد بالرجس الذي ذهب عن اهل البيت هو مستخبث
الخلق المذموم في الاحوال الرديئة وطهارتهم عبارة عن تجنبهم
ذلك وانتظامهم بالاخلاق الكريمة والاحوال الشريفة وقوله
قام فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بذلك ماء موضع
اكنا المحمة وهو موضع معروف وهو الذي اشرت الشقة واهل
الامر آنيه من الغدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في استخلافه عليا
ورضيته اياه ولم يجئ من ذلك كله شيء الا مجرد الخبر وقوله وانا تارك
فيكم ثقلين يعني كتاب الله واهل بيته قال ثعلب سميا ثقلين لان
الاخذ بهما والعمل بما ثقيل والحث يقول لكل شيء خطير نفيس ثقيل
قال الشيخ رحمه الله وذلك لخطره الشيء النفيس وصعوبة وصول
الوصول اليه فكأنه صلى الله عليه وسلم انما سمى كتاب الله واهل بيته
ثقلين لتفاستهما وعظم حرمتهما وصعوبة القيام بحقهما وقوله
في كتاب الله هو حبل الله اي عهد الله الذي عهده لعباده وسببه القوي

الذى من تمسك به وصل الى معصوده وقوله ذكر هذا المعنى باشيع من هذا
مما تقدم وقوله واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى ثلاثا هذه الوصية
وهذا انما كيد العظيم يقتضى وجوب احترام ال النبى صلى الله عليه وسلم
واهل بيته وابوازم وتوقيرهم ومحبتهم وحوب الفرق من الموجود
الذى لا عذر لاحد فى التخلف عنها فهذا مما علم من خصوصيتهم بالنبى
صلى الله عليه وسلم وبانهم خبر ذرية عاسم اصوله التى نشأ منها وفروعه
التى تشعبت عنها كما قال فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى
ما اذاها ينو امية عظم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق فسدوا
من اهل البيت دينا وسبوا اسلامهم واسروا احفادهم وحربوا ديارهم
وخربوا شرفهم ومجدهم واستباحوا سبيهم ولعنهم كما لعنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى وحيه وتابلوه بنقيض مقصوده واهانته
من اخلهم اذا وقفوا بين يديه وبافصحهم يوم يعرض عليه وقوله
من اهل بيته الى آخره يشبه هذا السؤال ان يقال ظاهر
لفظ البيت قال الزوجة على اصل من قال ان الرجل ادخل فى مسمى وتلازمه
وتقوم مصالحه ولذلك اجابه زيد بان قال نساؤه من اهل بيته اى بيته
المحسوس وليس هو المراد هنا ولذلك قال فى الرواية الاخرى فى حواب
السايل لا اى ليس نساؤه من اهل بيته المعنى هنا وبتم اهله وعصبته
الذين حرمت عليهم الصدقة اى الذين يحرم عليهم ادخر فات
الشرعية على الخلاف الاتى فى ترجمته فى كتاب الزكاة ومن عبيهم بعينها
ويلحق معه الاشتمال بعالهم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضى الله
عنهم بعقل له اهل هذا الاخير الصدقة كما يعم ويدخله بعض المتاولين

ما سبق له كما يأتى لبسط ذلك فى كتاب الزكاة ان شاء الله تعالى

فى سر الله الى اسر اد زيد به الذين سمعوا خطابى ابيه صدقة
النبى صلى الله عليه وسلم مما كان فرضه الله له الى كانت تقسم على امام
الخلفا الاربعة وغيرانه بعدر الاول اكثره

ر

ومن باب فضايل زيد بن حارثة رضى الله عنه وفضايل ابن ابنه اسامة بن زيد الكلبى

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما اما اسامة بانه اسامة
بن زيد وكان اصابه سبيا فى الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة
بنت خويلد رضى الله عنها فوهبته للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك
قبل البعثة بمكة وزيد اس يومان سنين فاعتقه وتبناه النبى صلى الله
عليه وسلم فكان يقول له على حلقى فدعى وصار يقال انى وارثا
ومورثا فاستمر هم على ذلك ٥ وذكر عن الزهرى انه قال ما علمت
احدا اسلم قبل زيد وروى عن الزهرى من وجوه ان اول من اسلم وجبه
وقيل زيد مولاة من ارض الشام سنه عمان بن الحرث وقال النبى صلى الله
عليه وسلم امرت فى تلك الغزاة وقال ان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر
فعبد الله بن رواحة فقتل الثلاثة فى تلك الغزاة ولما اتا رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعى زيد وجعفر بعا وقال اخوانى ومونساى
ومحبانى وقوله ما كنا ندعو ازيد بن حارثة الا زيد بن محمد وكان
النبى معمولا به فى الجاهلية والاسلام فتوارث به وبتبنا هم
الى ان نسخ الله ذلك بقوله ادعوهم لابايهم هو اقسط عند الله
اى اعدل فرفع الله حكم التبنى ومنع من اطلاق لفظه وارشد
بقوله الى الاولى والاعدل ان ينسب الرجل الى ابيه نسبا فلو نسبت
الى امه من التبنى مارية على جهة الخطاء هو ان سبق اللسان الى ذلك

من عمر تحصل الاثم والمؤاخذة لقوله تعالى وليس عليكم جناح
فيما اخطأتم به اى لا اثم فيه والمجرى هذا المجرى ما غلب عليه اسم
التبنى كالمقداد بن عمرو فانه قد غلب عليه اسم التبنى
التبنى فلا يكاد يعرف الا بالمقداد بن الاسود فقال الاسود
بن عمر تبنته فصار يدعى به فى الجاهلية وعرف به فلما نزلت
الاية قال المقداد انا ابن عمرو ومع ذلك فبقى ذلك الاطلاق
عليه ولم يسم بهذا مضى من غير نكير فدل على جوازه وان كان
متقدما وكذلك الحال فى زيد بن حارثة فانه لا يجوز ان يقال فيه
زيد بن محمد فان قاله احد سمع اعتمادا لقوله تعالى ولكن ما تعمدت
قلوبكم اى تعمدتم فيه الجناح والله اعلم وكذلك قال بعده وكان الله
غفورا رحيما اى يغفر الخطأ ويرحم مع اسم الخطأ ومعنى قوله
ادعوهم لابائهم اى انسبوهم اليهم وكذلك عداه باللام ولو قال
الدعا بمعنى انتموا لعداه بالباء وقوله فان لم تعلموا ابائهم فاخوانكم
فى الدين ومواليكم اى فانسبوهم اليهم نسبة الاخوة الدينية
الى قال الله تعالى فيها انما المؤمنون اخوة والمتولوية التى قال
فيها والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقد تقدم انه
تعالى نزل على المعتبر والمتعارف ولم يلتفت الى النادر وقوله بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وامر عليهم اسامة بن زيد
رضى الله عنهما، هو البعث الى الله اعلم سواى حميزه رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع اسامة وامره عليهم وامره ان تغير صباحا
وهى الغزوة التى حضرته الموضع الذى قتل فيها زيد

(و اسامة فامره ان يأخذ ثأر ابيه وطعن بعضهم فى امارته
من حيث انه من الموالى ومن حيث انه كان صغير السن لانه كان اذ ذاك
ابن ثمان عشرة سنة مات النبى صلى الله عليه وسلم وهو بهذا البعث
على المدينة ولم يشغل تعزعنها فنفذه ابو بكر رضى الله عنه بعد
موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ان تطعنوا فى امارته
فقد كنتم طعنتم فى امارة ابيه قبله هو الخطاب منه صلى الله عليه
وسلم لمن وصل له ذلك الطعن لا كنه على قوم حاضرين لم تقتضهم سترا
لهم اذ مقتضيته كانت كذلك كما تقدم وكان الطعن فى امارة
زيد من حيث انه كان مولى شهدنا النبى صلى الله عليه وسلم لاسامة
وابيه رضى الله عنهما ناسيا ما كان للامارة لما تعلم من علتيهما
لعل وان كونهما مولين لا ينقص من مناصبهما ولا يقدح فى اهليتهما
للامارة والاحلاف اعلم وجواز امارة المولى والمفضول وقد
يقدم القول فى استخلاف المفضول والامرة روينا عن ابن عمر
بمعنى الرواية وقال ابو حميد يقال لك على امرة فلان بمعنى
الامرة وكذلك حكاه القتبى ومعنى واحد الامر قال
الشيخ رحمه الله وهو اعلى ما سمع فى جلسه وجلسه فالفتح للمصدر
والكسر للهيئة والخليل والكوفى والفتح والكسر فيهما سواء
وقوله وان كان لمن احب الناس الى هو ان عمر النصوص عليه
من التقبيله واللام الداخلة بعدها هى الفارقة بين ان المخففة
ومن ان الشرطية وعمر الطوسى ان نافية واللام بمعنى الا
وهو كقوله شلت يمينك ان قتلت لمسلما فتشتمل عفوه المتعمد

تقولوها عند البصريين لانك قتلت مسلما وعند الكوفيين ما قلت
الا مسلما وهو اسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبر عن محبته
لزيد لم اخبر عن محبته لاسامة فقال وان هذا لمن احب الناس
الي بعده وكان اسامة احبهما اليه وذلك كان يدعى ويحلى
حتى عمر بن الخطاب للقرام بالحق وعرفه لاهله ودلك انه فرض
لاسامة في العطاء خمسة الاف ولابنه عبد الله الفين فقال له
عبد الله فضلت علي اسامة وقد شهدت مالم يشهد فقال ان اسامة
كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك وابوه كان احب
الى رسول الله من ابيك فآثر حب رسول الله صلى الله عليه
على حبيبه وهذا يجب ان يحب ما احب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتتقص ما انقض وقد قابل مروان بهذا الواجب بتقبيحه
ودلك انه مر بابا سامة بن زيد وهو على عتبات بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له مروان ايما اردت ان تعدي مكانك فقد
رانا مكانك فقال اسامة بلى ومعلوم لا فصحا فقال له اسامة اند
اذيتني وانك فاحش متفحش وقد سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما يبغض الفاحش المتفحش فاذكر مآثر العطاس
وفضائل الناس فلقد اذى سنوا امية رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه وناقضوه في محاربه **تنبيه** روى موسى
بن عقبة عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال احب الناس الى اسامة مما حاشا فاطمة ولا عنهما
وهذا يعارضه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم ان احب الناس

الله عائشة من الرجال ابوها وبين المعارض من وجهين احدهما
ان الاحاديث الصحيحة المشهورة انما قالت في حبه لاسامة ثم الى
للتبعيض كما قدمنا عليه بقوله انه لمن احب الناس الي وقد رواه
مسلم بمعناه عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اسامة
من زيد احب الناس الي او من احب الناس الي فعلى هذا الحمل ان
يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب الناس الى اسامة فاستظهر
بعض الرواة والوجه الثاني على تسليم ان صح الروايتين بعتبر من
غير تعارض بان كل واحد من ابويها وان احب بالنسبة الى عائشة
وبان ذلك انه صلى الله عليه وسلم ما كان يحبها ولا من جنسها لصور
الظاهرة فان اسامة كان اسود افطس وانما كان يحبهم من حيث
المعاني والخصائص التي كانوا موصوفين بها فقال ابو بكر رضي الله
عنه احب اليه من حيث انه كان له من اهلية النيابة عنه
والخلافة وامامته ما لم يكن لعمر وكانت عائشة رضي الله عنها
احب النساء اليه من حيث ان لها من العلم والفضيلة ما استحقت به
ان تفضل على سائر النساء كما تفضل الثريد على سائر الطعام وكان
اسامة رضي الله عنه ايضا احب اليه من حيث انه كان يرجى
لفضائل ومناقب استحق بها ان يكون احب الموالي الله ما به
اعلم واحكم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اوصيكم به خيرا
فانه من صالحيكم فاخذ الوصية به منبه على الموجب لذلك ومنبه
ما علمه من صلاحه وفضله وقد ظهر ذلك منه فانه رضي الله عنه
لم يدخل في شيء من الفتن صانه الله من ذلك المحن الى ان توفي في خلافة
مولاه سنة سبع وخمسين وسنه اربع وخمسون رضي الله عنه

ومن باب ذكر فضائل عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهما

هكذا اما جعفر واسمه اسماء بنت عميس ولدته بارض الحبشة وهو اول مولود من المسلمين ولد بها وتوفي بالمدينة سنة ثمانين وهو ابن سبعين سنة وكان عبد الله كريما جوادا ظريفا حليما عفيفا سخيا يسمى بحر الجود قال ابو نعيم اسلم امه بعد الاسلام اسمى منه وعوتبه في ذلك فقال ان الله عودني عادة وعودت الناس عادة وانا اخاف ان قطعتها قطعت عني واجازه في الجود سبعون الفا وفضائله كثيرة وحمله ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين حديثا اخرج له منها في الصحيحين حديثان **وقوله** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلتقي بضعة اهل بيته لما يعلمونه من محبته لهم ومن يتعلق قلبه بشيء يكثر ذكره ولثغته فرخ الصغار يرونه ولثغتهم نوادر **وقوله** فسبقوني اليه فحملني بين يديه يدل على ان عبد الله من اهل البيت اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا **وقوله** وقبل على بعبد الله الى صلى الله عليه وسلم لعبد الله وعلى شكره تفهمه له واكرامه له وكان صلى الله عليه وسلم يحب ولد جعفر زيادة اكراما واحتراما لبيرهم وشفقة عليهم اذ كان ابوهم جعفر قتل بموته شهيدا رضي الله عنه وفي هذا الحديث الدليل على وجوب صلاته على وآله **وقوله** ارديفي رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم فاسر الي حديثا لا احدث به احدا دليل على علو مكانته عند النبي صلى الله عليه وسلم وكمال فضله واهليته لان يخبره النبي صلى الله عليه وسلم بموضع سره وهذه اهله شريفة وفضله منيفة ٥ ومن باب

فضائل حركة بنت ابي تمام واسمه عبد الله واسم ابي تمام عبد الله الحرشة الاسدية

كانت تحت عامر الجاهلية الجاهلية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ثيبا بعد زوجين ابي هالة هند بن النباش التميمي ولدت له هندا وعتيق بن عائذ المخزومي ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت اربعين سنة واقامت معه اربعا وعشرين سنة وستة اشهر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ تزوج خديجة ابن احدى وعشرين سنة وقيل ابن خمس وعشرين وهو الاكثر وقيل ابن ثلاث واجمع اهل النقل انها ولدت له اربع بنات كلهن ادركن الاسلام واسلمن وهاجرن زينب وفاطمة ورقية وام كلثوم واجمعوا انها ولدت له ابنا يسمى القاسم وبه كان يكنى واختلفوا هل ولدت ذكرا غير القاسم فقيل لم تلد له ذكرا غيره وقيل ولدت له ثلاثة ذكور عبد الله والطيب والطاهر وقيل بل ولدت له عبد الله والطيب والطاهر وقيل بل ولدت له عبد الله والقاسم والطيب والطاهر ومات القاسم بمكة اسمان له والخلاف في ذلك كثير والله اعلم ومات القاسم بمكة صغيرا قبل انه بلغ الى ان تمشى وقيل لم يعش الا اياما يسيرة ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولد من عمر حديجة الا ابراهيم ولدته جارية القبطية بالمدينة وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم ومات بنات النبي صلى الله عليه وسلم كلهن قبل موته الا فاطمة فانها توفيت بعده بستة اشهر وقيل حركة رضي الله عنها امرأة شريفة عاقلة فاضلة جازمة ذات مال وقد تقدم انها اول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه صلى الله عليه وسلم تبقى يوم الاثنين فطلت معه اخر ذلك اليوم وماتت

عونا لنبي صلى الله عليه وسلم على حاله كليه ورد له تثبيته
على امره وتصديقه فيما يقوله وتصبره على ما يلقى من قومه
من الاذى والتكذيب وسلم عليها جبريل وبشرها بالجنة وروى
من طريق صحيحة انه صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه عنه ابو هريرة
خير نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية ابنة مزاحم
امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة رضي الله عنهن
ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم
بنت عمران وآسية بنت مزاحم امراة فرعون وفي طريق آخر
عنه سيدة نساء اهل الجنة بعد مريم فاطمة وخديجة وكان
النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول رزقت حبها ولم تتزوج
عليها الى ان هاجرت رضي الله عنها اهل فاتت وفاتها قبل مهاجر
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بسبع سنين وقيل بخمس وقيل
باربع وقيل بسنتين وهو اصحها واشهرها ان شاء الله وتوفيت
بمكة وابو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة واحدة وقيل
كان بينهما ثلاثة ايام وتوفيت بمكة ايضا وقد قيل بالعكس
وقوله خير نساءها مريم اشبه عمران هذا الضمير عائد على غير
مذكور لفظه لفسره الحال والمشاهدة يعني به الدنيا وفي رواية
واشار وضبع الى السماء والارض يريد الدنيا كانه يفسر ذلك
الضمير بحائله قال فخير نساء الدنيا مريم بنت عمران وهذا الحديث
ابن عباس المتقدم الذي فاوفنه خير نساء العالمين مريم وسيدة

فان قلت كيف
الجمع بين هذين
الحديثين الشريفين
وهما حديث
الفضلة بعيدا
بالعبودية والحديث
المسلوب فيه ذكر
العبد اذ هو في
صريح التعارض
قلت يمكن
ان يجاب بان يقال
في صحة دليل ضمن
التعارض ان
الحديث المهمل
على صفة المجمل
فانه ذكر فيه مجرد
فضل هذه الاربعة
المنوه على نساء العالم ذلك التساوي
القائم لا يلزم ان يكونوا
منهم في الفضلية بل جائز ان يكون كما يشعر بذلك
درجات متفاوتة في بعض

ما ذكره ان الراجح بعد
ولكن لا يصار الى هذا
الا على القول بان مريم
الصديقة ليست نبية
واما على القول بانها نبية

قلت وقال بذلك
واختاره ابن عطية
رضي الله عنه في تفسيره
والله اعلم

هذه الاحاديث في تفضيل مريم على الله عز وجل حكاية عن قول
الملائكة لها ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على
نساء العالمين فظاهر القرآن والاحاديث تقضي ان مريم
افضل من جميع نساء العالم من حواء الى آخر امراة تقوم على هذه
الساعة ويقتضد هذا الظاهر ايضا صديقة ونبية للغتها
الملائكة الوحي عن الله تعالى بالتكليف والاخبار والبشارة
وعدد لها كما تلقته سائر الانبياء في اذا نبيه وسواء ولي
من يقول من حال نساء غير نبية واذا ثبت ذلك ولم يصح ما
الصحيح ان في النساء نبيه غير بها فهي افضل من كل النساء الاولين
والآخرين اذ اسي افضل من الولي بالاجماع وعلى هذا فهي افضل
من ذكرنا بعدها في الفضيلة فاطمة ثم خديجة ثم آسية
وبذلك رواه موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة
ثم خديجة ثم آسية وهذا حديث حسن رافع لاشكال بعض
الاحاديث فاما من يرى ان مريم صديقة وليست بنبية فليس
له تاويل هذه الاحاديث طريقان احدهما ان معناها ان
كل واحدة من اولئك النساء الاربع خير عالم زمانها
وسيدته وقضاؤنا بينهما ان هاجر والنسوة الاربع بعد اهل
نساء العالم وان كن قد انفردن على مزايا متفاوتة مرتبة
متفاضلة وقد ذكرناه اوجز والله اعلم **وقوله**
شرح خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب

قال الهروي وعبره القصب هنا اللؤلؤ المجوف المستطيل
والبيت هو الدر قال السيخ رحمه الله وهذا الحرف قوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر ان في الجنة لخيمة من لؤلؤة
مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية اخرى درة بيضاء
كل منها ستون ميلا وسماني ان بها الدر تعالى والقصب
اضلاع الاصوات ويقال بالسين والصاد والقصب التعب
والمشقة ويقال نصبت وتصبا فحزن وحزن اي لا يجيء بها
ذلك لان الجنة منزهة عن ذلك كما قال تعالى لا يمسهم فيها
نصب وما هم منها بمخرجين وقيل معناه ان هذا البيت خالص
لها لا تنازع فيه منحب عليها فيه وذلك من وصل الله
عليها لا نصبها في العباد، ولا اجتهادها في ذلك والملاح
الملك لسان الله تقرأ عليها السلام وضله عظيمه وهو وصفه
شريفه لم يسمع بمثلها لمن ليس بنبي الا لعائشه رضي الله عنها
على ما ياتي وقول عائشه رضي الله عنها ما غرت على امراة ما غرت
على خديجة لما كنت اسمعه ذكرها اي بمدحها وثني عليها وبذكر
مناقبها وذلك لغرة محبته اياها ولما اتصل له من الخير
بسببها وفي بيتها ومن اجل شانها اكثر من ذكرها ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم اني رزقت حبها وحبه صلى الله عليه وسلم
تقرب للخلائق حبه دليل على كرم جبلته وحسن محمدته ولذلك
كان يرتاح لهالة بنت خويلد اذا راها وينبسط اكراما
لها وسرورا بها وقولها فعرف استبذال خديجة اي تذكر

عمرا مستبزلا هالة خديجة وكأن نغمة هالة فاتة تشبه
نغمة خديجة واصل بعرا الله ان من احب محبوبا احب محبوبا
وما تعلق به وما شبهه وقوله اللهم هالة بجوز في هالة
الرفع على خبر الابتدا اي هذه هالة فاخرمها واحسن انشا
والنصب على اضمار فعل اي اكرم هالة واحفظها وما اشبه
ذلك من التقدير الذي يليق بالمعنى وقول عائشة وما تذكر
من مجور من مجاسر قريش الحديث الى آخره قولا احرجه من عائشة
غيرة الغيرة وخفة انشا ب والدلال والدلال سكر علمها
النبي صلى الله عليه وسلم شيئا مما قالته وهذا تعرض العلما
من هذا الحديث ان القرين لا تواخذ بما تصدر منها وقال عمر رضي
الله عنه لكما اخرا يحيى لان الغيرة ساخر السبب لاهل السبب
وذلك ان عائشة رضي الله عنها اجمع فضائل الامور الملائمة
وذلك انها كانت احب نسائه الله فخرجه قالوا له الصحيح
عندها على بعض هذه الامور دون بعض بحكم الاعمال انما يقع
استنادا الصحيح الى القدر لا سما من التي نصت عليها عائشة
فقالت تقربت لانا نقول لعل سلمنا ان غيرها وحدها هي الموجبة
للصحيح عندها بل يحتمل ان يكون الغيرة وحدها ويحتمل ان يقترن بها في
الاوصاف لا سما ولم ينص النبي صلى الله عليه وسلم على المسقط ما
هو بل هي الامر محتمل للامرين فلا يكون فيه حجة على ذلك والله اعلم
وقولها حمرا الشدقين مثل معناه انها سخا الشدقين والعرب
تسمي الاسنان حمرا لغلبة في اسم الشاعر لانه تشبه الثغر

اذا جعلنا ذلك العمل بالجمع
ان يكون غيرها وحدها

وهذا انما قاله صلى الله عليه وسلم لعائشة ياحميرا لانها قليل
الطمث فانه يرتفع سريعا الوجه يعني بياضا قال الشيخ
وهذا فيه نظر وفي هذا الموضع فلو قال الامر فيه لك لقالت
عائشة للاحمر الشرقس بضم الشين يائه قال يعقوب اللغ في
التقبيح وعائشة انما ذكرت هذا الكلام تقبيحا لمحاسن خديجة
وتزيينا لنفسها وانما معنى هذا عندي والله اعلم انها نسبتها
الى انها حمراء السرقس من الكبر وذلك ان من جاوز سن الكهولة
ولحق بسن الشيخوخة وكان فوقه في بدنه صحيحا غلبه على لونه
الحمرة المائلة الى السمرة والله اعلم وقولها فذاك لك الله
حمراء منقاء تعني بخيرا حمل واشيب وتعني بقولها الا انها خير منها
عند الله وعند رسوله لما تقدم من الاحاديث الى ذكرناها
في صدر الكلام وقوله صلى الله عليه وسلم لم تتزوج على خديجة
الى او ماتت بدل على علم قدرها عنده ومحبته لها وعلى فضل
خديجة انها لا يمكن ان اختصت برسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشاركها فيه احد صيانه لقلبه من التكدير والغيرة
ومن ما يكره الضرة وزينب بنت ابي سلمة فقابل عائشة
ابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما تكنى ام عبد الله بن الزبير
وهو ابن اختها اتاها لها النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزوجها
لانه تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد موته خديجة وقبل
الهجرة بثلاث سنين وهو اول ما تزوج بعد خديجة وبنى بها سنة ست
وابتنى بها بالمدينة وبنى بها بنت تسع وقال ابن سعد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوج بها في شوال قبل الهجرة بثلاث سنين واعرس

بها في المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجره الى
المدينة وروى عنها انها قالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا بنت ست وبنى بي وانا بنت تسع وقبض عني وانا بنت ثمان
عشرة وتوفي سنة ثمان وخمسين لسنة الثنتا عشرة وحلت
في رمضان وامرت ان يدفن ليلا فدفنت بعد الوتر بالبقيع وصلى
عليها ابو هريرة ونزل في قبرها خمسة عبد الله وعروة ابنا
الزبير والقاسم ومحمد ابنا محمد بن ابي بكر وعبد الله بن محمد
بن علي بكر وعائشة رضي الله عنها فاضلة عالمة كاملة قال
مسروق رأيت مشيخة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاكابر يسألونها عن الفرائض وقال عطاء كانت عائشة رضي الله
عنها افقه الناس واحسن الناس رأيا في العامة وقال عروة
ما رأيت احدا اعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة وقال
ابو الزناد ما رأيت احدا روى لشعر من عروة فضل له ما رواه
ما عدا الله قال وما رواته عن رواية عائشة ما كان ينشد بيتا
من الا استزادته فيه سمعها قال الزهري لو جمع علم عائشة الى علم
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء كان علم عائشة
افضل وحملة ما روت نحو ربع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفا ومئتين
وستة واحد وعشرة احاديث اخرج منها في الصحيحين بلاث وما
الا بلاثة احاديث وقوله في يد الملك هي سرقة من حرير بضم الراء
مسروق هذه امرأتك السرقة بضم الراء واحدة السرق وهي
شقق الحرير البيض وقيل الجيد من الحرير قال ابو عمر واحسبها
فارسية واصلها وهو الجيد وانشد ابو عمر لابي عمر الحجاج

وتسجّ لوامع الحرور سَبَابِتًا كسَرَق الجوهر ٥ والسبابيب
بالصم والباء هي مارق من الثياب كالخمر ونحوها يال السلب
السَّرَق كالقِلة والبرفع والاول هو المعروف وفيه دليل على
ان للرؤيا مثلًا مثل الصور في النوم كما قدمناه عن بعض
العلما وقوله اريد من عبد الله نمّيصه كما مرّ له الشك في صحة هذه
الرؤيا فان كان هذا منه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فلا اشكال
فيه لان حكمه حكم البشر واما ان كان بعد النبوة اذ رؤيا الانبيا
وحي كما تقدم والوحي لا شك فيه وهذا يحمل على هذا ان قيل
ان شكه لم يكن في صحة اصل الرؤيا وان لكن الله ولكن في تعبير هذه
الرؤيا على ظاهرها فلا يحتاج الى تعبير او للمقصود منها معناها
فيحتاج الى تعبير او في كونها امراته في الدنيا او في الاخرة ولعل لم
يكن علمه بذلك او ذلك بل كان يحققها لكنه اتى به على صورة الشك
وهو غير مراد كما قال الساحر اما كيبة او خشاش جبل وبين النفي
والاثبات آلة ام سالم ٥ وهو نوع من انواع السلاحة معروف عند اهلها
يسمى بجاهل العارث وهو شبيه بمزح الشك بالبقيس ونحو منه قوله
تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان تقرون الثناء من
قتلة ونحوه قوله تعالى وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين بانه
صلى الله عليه وسلم لم يشك في شيء من ذلك لكن اتى به على التقرير لا التحقيق
وقوله فاذا انت اي انه راها في النوم كما راها في اليقظة وكان
المراد بالرؤيا كما مر بها وقوله اني لاعلم اذا كنت على راضيتي وراذا
كنت علي غضبانة غضب عائشة رضي الله عنها على النبي صلى الله عليه وسلم

الاسباب التي ذكرناها في حديث خروجه او بعضها والغالب انه كان
للغيرة التي تملك المراة معها قال القاضي عياض يعفى عن النساء في
كثير من الاحكام لاجل الغيرة حتى قد عفا الله عز وجل عن محلها المرتبة
الى اسقاط الحد عن المراة اذا رات زوجها يالزنا وقولها أكل والله
ما ايجبر الا اسحد ٥ اكل بمعنى نعم وتعني بذلك اسعاد ان اعرضت عن
ذكر اسمه في حالة غضبها فقلبها معمور بمحبته صلى الله عليه وسلم
لم تتغير منها شيء وفي هذا دليل على ما كانا عليه من صفا الخلق حسن
العشرة وفيه ما يدل على ان الاسم غير المسمى وفي مسالة اختلف فيها
اهل السنة والمتكلمون والكلام فيها موضع آخر وقولها كنت العب
بالبنات وهن اللعب في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ اللعب
جمع لعبة وهو ما يلعب به والبنات جمع بنت ومن الحيوان والصنعة
اللعبة للبنات لا تمنع من اتخاذ الحيوان بصفتها وبعض بعلوه بعدم القول
في جواز ذلك وفي ما ذكرته وانه مستثنى من الصور الممنوعة ادلة
مواظبته تدريب النساء صغيرهن على التدبر لانفسهن وبيوتهن وابنائهن
وقد اجاز العلما بيعهن وشرائهن بعد ما لك ما كره ذلك وحمله
بعض اصحابه على كراهة الاكتساب بذلك وقولها فمن يقبض بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صواحبها كن يقبضن ويستترن
بالبيت حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقبضنه وقولها فكان
يسرب من الي فيسلمن اليها ويسكتهن ويرسلهن حتى يدخل
علي فكان اصابني منه ما يرجعن بمثله معها حتى دخل
عائشة وزينب على اسي صلى الله عليه وسلم وهو مع عائشة في مرطها

دليل على جواز مثل ذلك اذ ليس فيه كشف عورة ولا ما يستقبح على من يعمل
ذلك مع خاصته واهله وخدمه ازواج النبي صلى الله عليه وسلم منه
العمل بينهن وبين عائشة ليس على معنى انه حار عليهن فيهن حقا
معلوما له صلى الله عليه وسلم مشترطا لهن ذلك ولانه لم يجب العدل
بينهن واجبا عليه كما قدمناه في النكاح وان صرد ذلك منهن يقتضي
الغيرة والحرص على ان يحصل لهن مثل ما كان لعائشة من اهدا الناس
له اذا كان فيما يبعد نقص وهاتهن اردن ان يامر من اراد ان يهدي له
شيئا ان لا يتحرى يوم عائشة ولذلك قال وقال الناس يتحرون بهداياهم
يوم عائشة ويحتمل ان يقال انهن كلمن ان يسوي بينهن في الحبة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنتي تحبين ما احب فقالت بلى قال فاحبي
هذه وقال الاسرين لا يحب العدل بين الضرائب فيه اما الهدية فلا تطلب
من المهدى فلا نفس لها وقت واما الحب فغير داخل تحت قدرة الانسان
ولا كسبه قولها وهي التي كانت تساميني في المنزلة عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعني زينب وتسامي بمعنى وترافعني وهو ماخوذ
من السمو وهو العلو والرفعة يعني انها كانت تتعالى ان تكون لها
من الحظوة والمنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما كان
لعائشة عنده وقيل انه ماخوذ من قولهم سامه خطة خسف اي كلفه
ما شق عليه وثقله وفيه بعد من جهة اللسان والمعنى قولها ولم ار
امراة خيرا في الدين من زينب الخ الى قولها ولا اشد ابتذالا لنفسها
في العمل الابتذال مصدر ابتذل من البذلة وهي الامتهان بالعمل
والخدمة وكانت رتقلة رضي الله عنها تعمل بيدها عمل الناس الغزل والنسج

وغير ذلك مما جرت عادة النساء بعمله والتكسب به وكانت تتصدق بذلك
وتصل به ذوي رحمها وهي التي قالت اهون لهن بدا بالعمل والصدقة
وسياتي ومنه ما يدل على جواز صرفه المراة مما تكتسبه في بيت زوجها
من غير امره قولها ما عدا سورة من بيرة كانت مما شرع منها
الفتنة ما حدا وما خلا من صيغ الاستثناء ومما مع ما فعلان ينصبان
ما بعدهما في المشهور الاصح ومع عدم ما يخفضان ما بعدهما الا مما
حرفان من حروف الخفض على الاخر في الاشهر والسورة بضم السين
الشدة والثوران ومنه سورة الشراب اي قوته وحدته اي يقتربها
ما يعتري الشارب من الشراب ويروى بهذا الحرف ما عدا سورة حدة
بفتح الحاء المهملة ثانيته اي سرعة غضب والفيئة الرجوع تريد انها
سريعة الغضب سريعة الرجوع ولاجل هذه الحدة وقعت بعائشة
واستهانت عليها اي اكثرت عليها من القول والعتب وعائشة
ساكتة تنتظر الاذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانتصار
فلما علمت انه لا يكره ذلك من قرائن احواله انتصرت لنفسها فجاوبتها
وردت عليها قولها حتى افحمتها وكانت زينب لما بدا انها ابا العتب
واللوم كانت حاذقة كاملة فجاز لعائشة ان تنتصر لقوله تعالى
ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل قولها وقعة بي ماخوذة
من الوقيعة التي هي معركة الحرب وهل هو ماخوذ من الوقع وهو الم الرجل
من المشي ومنه قولهم كل الحيث اجزى الحافي الوقع بكسر القاف
وسكونها علم انتشبهان اي تحميه عليها هذا الوجه انه اثابته بالعود
والحاء المهملة وايانا ما شئن من تحتها وسقاه اي اصبته منها بالذم

ما يولمها فاسما اصابت منها مفصلا وفي الصحاح اثخنته على
خلقه بالكسر اي غرضته وحينيذ يرجع معنى هذه الرواية لمعنى
الرواية الاخرى التي اثخنتها اي اثقلتها بحراح الكلم وهو ماخوذ
من قوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق اي اثقلتموهم
بالجراح او اكثرتم فيهم القتل ولم انهكها اي لم اضعفها ولم
ابلغ حتى اوقعت بها واصله من نهكته الحمى او نحوها اذا
ثبتت به واحتبس منه او سببه وقوله انها امانة اي بكر تنبيه
على اصلها الكريم الذي نشات عنه واقتنت الخزانة والبلاغة
والفضيلة منه وقطف الفروع تقطف عنوقها وغضاريها من غير قصد
كما قال قطيف الفروع من الاهول لم يرع فرع يطيف واصله الزقوم
فتيه بروحانية وابيها رضي الله عنهما وقوله فلما كان يوم توفي
قبضه الله بين سحري ونحري الرواية الصحيحة سحري بين مفتوحة
غير معجمة والسحر الرية والنحر اعلى الصدر واراد انه صلى الله
عليه وسلم توفي وهو مستند الى موضع سحرها وهو الصدر كما جا
في الرواية الاخرى وهو مستند الى صدرها وحكى عن عمارة بن عقيل
بن بلال انه قال انما هو شجري بالشين المعجمة والجيم وشك بين احاديه
وراوي قال انما ضمته الى صدرها مشيكة بزرتها عليه وتقدم
القول في الرفيق وان الاولى منه انه الذي دل عليه قوله تعالى وما ولاد
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا وتخيير الله للانبيا عند الموت مما لغة في اكرامهم
وفي ترفيع مراتبهم عند الله تعالى وليستخرج منهم شرة شوهم ومحتهم

له تعالى ولما حذره وقد تقدم من هذا في باب ذكر موسى صلى الله عليه
وسلم وقولها ما شخص بصره اي حدد نظره الى سقف البيت كما يفعل
المتوفى وقولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج اقرع بين نسايه
تقدم اذا خرج الى سفر واما كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مما لغة
في تطييب قلوبهن اذ لم يكن القسم عليه واجبا على الخلاف المتقدم
وليبيت القرعة هو واجبة عند مالك لانه قد يكون لبعض النسا
من المنفعة والصلاحية ما لا يكون لغيرها فعين الصالحة لذلك
وان تنوزعت القرعة عليها لا تجبر على السفر مع الزوج الى الغزو
والتجارة وما اشبه ذلك واما القرعة بينهن في ايام تخيير العشرة
اذا اراد ذلك وكن طالبات له وقال ابو حنيفة ما لحاب القرعة
في هذا وهو احد قولي الشافعي ومالك احرانها هنا من الحرمنت
وقولها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بالليل سار مع عايشة
رضي الله عنها كاسرة انه لم يقسم لعايشة وحفصة في السير والجرية
وان ذلك كان مع عايشة دايما دون حفصة ولذلك تحيلت حفصة
حتى سار وجرت معها محمل ان هذا القدر لا يجب القسم فيه اذ الطريق
ليس بمحل خلوة والاصل فيه اختصاص ويحمل ان يقال ان القدر الذي
تقع به التسامح من السير والجرية مع احدهما هو اسي البسير كما تفعل
في الحضر فانه يتحدث ويسال ويشتري من صلحة بيته التي لا تكون في يومها
وليس لا يشترين ذلك ولا يطلبه وعلى هذا فحمل النبي صلى الله عليه وسلم
انما اراد ذلك لان اصل القسم لم يكن عليه واجبا والله اعلم ولم تحلف انها
عن الحاضرة لاحتساب المسافرة عما مضى لها من زوجها في السفر وذلك

لا يحلفون في انه لقسم بين الزوجات في السفر كما يقسم بينهن في
الحضر وقد ذكرنا الاحتمال الذي في التبرز والحديث وقول حفصة
لعائشة الا تركبين بعيري وارى بعيرك تنظرين وانظر جيلة
منها تمت لها على عائشة لصغر سن عائشة وسلامة صدرها عن
المكر والحيل اذ لم تجرب الامور بعد ولا ادرك على حفصة فيما فعلت
من حمية انها اخذت حقا هو لعائشة لان التبرز والحرية لم يدخل
في القسم بين عائشة فيه سواء اراد ت حفصة ان يكون لها
حصة من الحرب والسير معه وان كان ذلك جايزا فقد توصلت الى ما كان
لها وانما تكون بحصتها الورد من حيث انها فارقت مراد النبي صلى الله
عليه وسلم وحرمته فقد يريد ان تحوز عائشة حرمتا تشربه انفسها
او تختص بها فسمحت حفصة وهذا الحوار بالاتفاق لقد حملها على اقتحام
ذلك العقبة الى تورث صاحبها الدهش والحيرة وقول عائشة بارب
سلط علي عقربا تلدغني دعا منها على نفسها بعقوبة لما لحقها
من الندم على ما فعلت ولما تم عليها من الحيلة ولما حصل لها من الغيرة
فصور دعا باللسان بحر مراد بالقلب وقولها رسولك ولا استطيع
ان اقول له شيا كاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف القضية وانها
تمت لحفصة حيلتها عليها والله اعلم مع انه يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه
وسلم علم ذلك بالوحي او بالقرايين وتغافل عما جرا من ذلك اذ لم يجر
منهما شي يترتب عليه حكم ولا يستقبح له اتم والله اعلم ورسولك منصوب
باضمار يعلم بقدره انظر رسولك ويحتمل الرفع على الابتداء واضمار الخبر
وقوله تحمل في الرجال كثير ولم يجمل من النساء غير مريم وآسية الجمال هو

التناهي في التمام وهو في ما وجد تحمل بضم الميم وضمها وتحمل في معارفه
بالضم وجمال كل شي بحسبه والجمال المطلق انما هو لله خاصة والاشك
ان افضل بني الانسان الانبياء ثم الاولياء وفي بعض النسخ بعض الصديقين
والشهداء والصالحين واذا تقرر هذا فعلى ان الجمال المذكور في الحديث
يعني به النبوة فيلزم ان يكون مريم وآسية نبيتين وقد قيل بذلك
والصحيح ان مريم بنته لان الله اوحى اليها بواسطة الملك كما اوحى الى سائر
البشر واما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها دلالة واضحة بل على
حد تقديرها وفضلها فلو صحت لنا نبوتها لما قام في الحديث
استدلال بانه قال يكون معناه ان الانبياء في الرجال كثير وليس في النساء
نبيه الا هاتين المراتبين وسكوتا عما سواهما من فضلاء النساء صديقات لا نبيات
وحينيذ يصح ان يكون افضل نساء العالمين والاولى ان يقال ان الجمال
المذكور في الحديث ليس منصورا على جمال الابتهال بل يندرج معه جمال الاولياء
فيكون معنى الحديث ان نوعي الجمال وجد في الرجال كثيرا ولم يوجد منه
في النساء المتقدمات على زمانه صلى الله عليه وسلم من جمالين المراتبين
ولم يتعرض النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث لاحد من نساء زمانه
الا لعائشة خاصة بانه فضلها على سائر النساء ويستثنى من الاربع
المذكورات في الاحاديث المتقدمة ومن مريم وحدها وفاطمة وآسية
فاما افضل من عائشة بدليل الاحاديث المتقدمة وبابي حدها
وبعد ايجاب الجمع وبرفع التعارض ان نساء الجنة وان كان الثريد افضل الاطعمة
لسارة مؤنته وسهولة اساغته وشظف عيشته ولانه قال صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان لعوا بهم واما عصرهم فتدرون خير الثريد

عنده اكمد وافضل وذلك حسب العوائد في الاكمد والله اعلم وقوله
ان جبريل امرا علمك السلام يعني اقرائه السلام وهو يقيد بذلك
السلام رباعيا فتفهم تا المفاعلة منه فاذا قلت يقرأ عليك كان
مفتوح حرف المضارعة لانه ثلاثي وهذه فضيلة عظيمة لعائشة
غير ان مادة من تسليم السحر وحل على وجه اعظم لان دلك سلام من الله
وهو اسلام من جبريل وقوله وعليه السلام ورحمة الله محمد لما اختار
ان يجوب رد السلام بمثله او بمثله دعا ان يخبر رضي الله عنها بقوله
ام زرع الصحيح في هذا الحديث انه كله من قول عائشة الا قوله الصبي
على اسعليه وسلم لعائشة كنت لك كابي زرع لام زرع هذا هو المتفق
عليه عند اهل الصحيح وقد رواه سعيد بن سلمة المدني عن هشام بن عروة
عن اخيه عبد الله عن ابيه عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع ثم انشا يحدث بحديث ام زرع وهو احدى
قال احمد احدى عشرة امراة وقد ذكر الحديث قوم من اهل العلم ان هذا
الحديث كله من قول ابي صلى الله عليه وسلم فنسبه اليه وجعله من قوله
وهو وهم محض قال القاضي انشا حدث هو هشام بن عروة عن اخيه
عن ابيه انشا يعود لذلك القول المتقدم يحدث بالحديث وقوله فجلست
احدى عشرة امراة فتعاهدن وتعاقدن ان لا يكتمن من اخبار ازواجهن
شيئا هكذا هو الصحيح الرواية ومشهور بها وعند الطبري بالنون التي هي علامة
جمع المؤنث على لغة من قال اكلوني البراغيث وعليها قوله صلى الله عليه وسلم
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وقد حمل عليها قوله تعالى
واسروا النجوى الذين ظلموا وقوله تعموا وصموا ثم عموا وصموا كثير منهم

وعلى هذا قول الشاعر ولكن دياني ابوه وعمه يحورا بغيضون السبيل اقارنه ٥
وقد ذكرت بعض المحوسين رد هذه اللغة الى اللغة الفصحى وهي ان الحق
هذه العلامة في الفعل اذا تقدم الاسم وردت هذه اللغة لا معنى لهذا
كله ولا احتاج اليه اذ قد صحت هذه اللغة نقلا واستعمالا ادعا
جارية على قياس الحاق علامة تانيث الفاعل بالفعل على ما تحقق
في علم النحو وقول الاول روحي لها حمل تحث على راس جبل وغير كتاب
سلم وتحتي اسهل فترتقي واسهل فتنحدر وغيرها سلم فينتقي
بدل فينحدر الرواية الصحيحة بفتح تحث على الصفة للحمل وقوله
بضم الراء على الصفة للحمل والفتة الشوبر الهزال الذي يشتفت
من فزاله اي يشترك ويشغره ماخوذ من غثة الجرح غثا وغثيثا
اذا سال منه المدة والقيح واشغثه صاحبه والوحش الجبال الصعبة
المرتقى ليوعوثته وهو ان يكون بحيث تتوحل منه الاقدام فلا يعاد
يخلص منه وقد سرية قوله لا سهل فيرتقى اي لا صعود منه
لصعوبته وينتقل من الانتقال اي هو الجمل لهزاله لا ينقله احد
زهرا فيه ولكونه موضع لا يخلص منه وشتقي اي لا نقي له والنقي
المخ يقال منه نقوت العظم ونقيته وانتقيته اذا استخرجت مخه
قال الخطابي وصفت زوجها بسوء الخلق وقلة الخير ومنع الرفد والاذى
في العاشرة وقول الثانية زوجي لا ابث خبره اي اخاف ان لا اذر ان اذكره
اذكر مجره ومخره وبث الخبر نشره واظهاره ومعنى اذره اذعه
ولم يستعمل العرب من هذا الفعل الا مضارعه فيما نقل يقال سمعت ولا اعمل
ولا ناعل ولا انقل استغنوا عن ذلك بترك فعله سمع وقنع وقنع

وهو قليل والبحر جمع بحرة والبحر جمع بجرة يعني بزلك يعيره قال
الاصمعي يقال عسر مول على رجل اسعده استكوا الى الله بحري وبجري
اي همومي واحزاني واصل البجر العروق المتعفنة في البطن خاصة
وقال ابن الاعرابي وقال ابن السكيت البجرة نفخة في البطن عاذا
كانت في السرة فهي البجرة ثم ينقلان الى الهموم والاحزان والضمير
في بجره يعود الى زوجه وكذلك هو كاسر البطن في بجره
وبجره ومعنى البيت ان وصفت حال زوجها ذكرت عيوبه وان فعلت
ذلك خافت من مرافقة وهي تكره مرافقة المطلق التي يسمها وعلى
هذا فيكون لا الى ان لا اذكره زائدة كما زيدت في قوله تعالى ما منعك
ان لا تسجد اي ان تسجد ويحتمل ان يقال ان لا ليست زائدة وانها تخاف
ان لا تتركه معها يمسكها على بغضتها ويقال ان البطن يعيره بجره وبجره
عليه الى الخبر يعني ان عوشه درس طويل فيه عقر لو تحدث به لشتما
لم يحدث به لحوسها ولم يشتت عن مال وهما الجملة للفقر الذي جعلته
على نفسها لانها ومالت الى شيء من ذلك وعلى القول الاول فمعنى
قال له امورا تعاب وهو الثالثة زوجي العشنق ان نطيق الخلق وان اشتكت
اعلقه العشنق الطويل الخارج بطوله الى الحر المستكره وقال علقه
القشتة بالكاف بدل السين عنده اخبر عن طوله بلا نفع فهو منكر بلا خير
ان ذكرت عيوبه طلقني وان سكت عن ذلك تركني معلقة لا ايما ولا ذات
زوج كما قال تعالى فتذروها كالمعلقة وهو الرابعة زوجي كليل
تهامة لا حر ولا قر هو صرح منها لزوجها لانها عرفت له سلالة
تهامة لانه معتدل ولس بمحر يؤذي ولا برد يؤذي وكذلك كان زوجها

والقر البرد في قوله ولا يخافه ولا يساءه اي لا يخاف منه اذى وليس
منه مساءة اي ملال والرواية المشهورة بخ ما قلا وبئا ما بعدها
نصبهما وجرهما او نصب بوم ما بعدها وتنوينه في المواضع كلها
على الابتداء واضمار الخبر وهو الخبر وهو الخبر وهو لا حول ولا قوة الا بالله ما شاء
شور مجتمعها ومعناها مع الاول ومع الثاني وكشر لك وسهل لك وطلب
التحقيق وقول الخامسة زوجي اذا دخل فهد واذا خرج اسد ولا يسأل عما
يعهد الرواية فيهما اسد بكسر العين وفتح اللام على اسم الفعل ما اصاب
ما خوذ من اسم الفهد والاسد يريد ان اذا دخل بيته نام
يوم الهد تحته يكثره النوم يعاني من الثقل يعرا النوم من فهد
واما اذا خرج للحرب ففعل فعل الاسد وصفه بالشجاعة يقال
اسد الرجل واستاسد اذا تشجع ويقال استفعل من اي اوس اذا دخل
فهد اي وثب على فرائسه الهد يحتمل ان يريد بذلك حزنها او المبادرة
لما يهمها قالت الشيخ والاول اكثر وقولها ولا يسأل عما عهد
اي لا يحتشم له من سؤال ولا اهتمام وبينه يحتمل ان يكون لكثرة خير
نفس يكون عندها ويحتمل ان يكون لكثرة عقله وقلة سفاهه يكون
ذهلا وقول السادسة زوجي ان اكل لف وان شرب اشتف يصف
بكثرة الاكل مع التخبث في المأكول ويوصف كل ما يحدث من الاخلاط
وشرب كل ما يجد من الاشربة يقال اشتف ما في الاناء اذا شربه
ما فيه من اشتفانه وهي النبقة وهو وصف دم وقولها واذا
اضطجع التف يعني انه نام وحده ملتفا في ثوبه يحتمل ان يكون لكبره
اعراضا عنها اذ لا ارب له فيها يعني لولك خبيثة خزية وناسبه

لا يسع فيه ولا خلة
ولا يساءه وهو
مولد ؟

فصل

قولها نعوه ولا موخ الكف ليعلم البيت اى لا يمر به اى ليعلم ما اتاه له
من الخير لاعراضه عنها ويحمل انه انما فعل ذلك تشاغلا وتعجزا
قال بعده نومه العجزان الكسلان وعلى هذا فجمع بينه وبين اول
شروب نؤوم لا رغبة له فى شئ غير ذلك واعلم فى معنى قولها
ولا موخ الكف ليعلم البيت ما شاء ان الاعرابى لما اول فانه قال
انما اراد ت انه اذا زجر الفحل ناقته ليحلبها منعها ليعلم
ما عندى من يحتلبها غيره ولا شك انها لا تحتلبها الا نؤوم منه فشبهت
وقال بعض اهل البيت من جهته يكون وقال ابو عمر احسب انها كان
تحسر ها عيب فقال لا تحلب يده وتؤذيها كرما وقال غيره لا يمس
عوريتها كان ذلك تؤذيها على بعض الاوجاء ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم فى الحديث حتى تستحد المغيبة وقال احمد بن عبيد معناه
لا تفتقد امورى فتعلم ما اذ ريده فيريد له تمال ما ادعاه فى هذا
الاعرابى لم تفقده قال الشيخ رحمه الله وقول ابن الاعرابى
اشبهها وما ذكريه اشبهها وعلى هذه الاقوال فلها محو شبهها
كله ذم واما على قول ابى عمر ما يعاب فهو مدحته بالاعراض
والتغافل عن الاطلاع على ما تكرهها من عيب فيها وقد
استبعد ابن قتيبة ان يكون تذمه ما وصفت من التفقد من وجه
ثالث قال الشيخ وسيرد الاشارة فيه ما يسر يعاد ون الاعراض
عن احوال الزوجات من سبب ان زوجها موسوم الاحوال
كلها ومنهن من كان زوجها ممدوح الاوصاف كلها ومنهن من جمع
الامرين فاعرف كل واحدة بما يحل به وقول الشاعر ووحى عيايا

كبانا الرواية التى لا تعرف عنها بالعين المهملة وعيايا بالغين المعجمة
وهو الشك وبعد شك وقع من بعض الرواة فوقع لابى عبيد وغيره
الغين المعجمة وقالوا صوابه عيايا وقالوا وهو الغبين وهو
الذى تغلبه مباضعه النساء وقد لك هو فى الابل الذى لا درصر
ولا يلقح قال الشيخ ويظهر من كلام بعاء ولا الائمة انهم قصروا
عيايا على الذى يعجز عن الجماع والضراب والصحيح من اللسان انه
يقال على ذلك وعلى من لم يقم بامور منى الجماع يقال فحل عيايا اذا
لم يعتد للضراب ورجل عياما اذا تحيى بالامر والمنطق وعلى هذا
يكون وصف المرأة فزوجته بذلك واما انكار عيايا فليس
بصحيح قال العاصى ابو الفضل ولم يظهر له وجه حتى لا سماء والشر
الرواة اثبتوه ولم يشكوا فيه وهو ان يعلو ما خوذ اس الغاية به
وهو كل ما اكل الانسان فوق راسه وكانه غطى عليه وسترت
اموره ويكون من الغى وهو الانهماك فى الشر او من الغى وهو
الخيبة قال الله تعالى فسوف يلقون غيا اى خيبة والمعروف
فى اللغة انه بمعنى الهيابا وهو الذى تنطبق عليه الامور والشر
الحوهرى وقول جميل بن معمر طبا قام لشهر حصورا ولم يقدرنا الى
وطل ويروى عيايا وهو بمعنى واحد قال الباهلى وحكى ابو على واظنه
للاعرابى عن بعضهم انه قال هو المقبل الصدر الذى ينطبق صدره
على صدر المرأة عند الجماع انتهى وهو من هذا الرجل وقال
الخليل عيايا طبا فا اخبر تعن حمله ناتيا النساء وعجزه
وانه اذا سقط عليها انطبق عليها والساتر هو صدر الرجال

التقبل خ

على حضور من دونها كلا دآله دآ اى هو موصوف بجميع الاوصاف محمود
وعجيبه وقولها شحذ اوفلك اوجع كلا كل ه الشجاج الجراح فى الراس
وتعنى بقلك انى وحيدك بالضرب ماخوذ من قل السعف فلولا
اذا انثلم وقيل معناه كسر اسنانها وآ و ثنا للتنفس يعنى انه
وقت نضربها فيتنفس راسها ووقت يوثر فى حبرتها وفى اخر
كم كل ذلك على ما قولها وقول الثامنة الريح ريح زرنب والمس مس
ارنب ه الارنب واحد الارانب يعنى به انه لين الحس عند المس
ناعمه كمس جلد الارنب ويحمل ان تثنى بذلك عن خلقه وحسن
معاشرته والزرنب نتقدم انرای على ان اصله من النبات طيب
الرائحه وزنه نفعل واسدوا بايامى انت وقوله الاتنقب
كما ما در عليه الزمرتب اورتحسل عما نى مكتب ه وظاهره
انها اوادت ابه يسعمل الطيب كثيرا تطرفا وتخافه ويحمل ان يثنى
بذلك عن خلقه الشاعليه اوعن خلقه حوشه وحسن معاشرته وقول
الثامنه روحى وصح العماد طويل النجاد ه كما مره انها وصفته
بطول البيت وعلوه فان بيوت الاشراف والثروة كذلك مما يدل على علوها
وبصر سوتها فى المواضع المرتفعه لمصرم النهار مورد المعتفون وبيوت
عسرهم مغار وربما يحمى بذلك فعل مغار البيوت لا ترى ضوءها
من الظلم خشاشة من عنز الشرابيه ه وقيل كنت بذلك عن شرفه ورفعه
قدره والعماد جمالة السنام يريد انه طويل القامه كما قال شاعرهم
قصرت جماله عنه فقلصت ولعب يخلط بينهما فاخطاها ه وكانت
العرب تمادح بالطول وتذم بالقصر وذلك موجود فى اشعارهم وقولها
عظم الرماد تعنى ان نارها ترى للاضياف لا طفا فرماد داره كثير

عظم كما قال منى تاتو تعشوا الى ضوء نار تجد خضما جزلا ونارا تاججا ه
وقال اخر له نارتشب على يفاع اذا النهار البست القناعا ه والندى
وقولها عزيز البيت من الناد الذى تجلس القوم وتنه قوله
تعالى فليدع ناديه اى اهل مجلسه يصفه بالشرف والسودد فى قومه
يعم اذا تفاوضوا او اشتوروا فى شئ اتوه مجلسوا فرسا من بيته
ما عتمدوا على رايه ويحمل ان يريد ان النادى اذا اتوه لم يصب
عندهم لقاره اى لا يحتجب عنهم ولا يتباعد منهم بل يقرب منهم
ويلقاهم سرجتا هم ومبادرة الاكرامهم وقضى دونها انها
انها وصفته بالسماحه والكرم وحسن الخلق وطيب المعاشره
وقول العاشره روحى مالك وما مالك بل العظيم لزوجها
وقد على نحو قوله تعالى والحاب اليمن ما الحاب اليمن والحاقه
ما الحاقه وقولها مالك حسن وكل قولها فاجل من ان اصفه لسنمره
عظله وكثره حشره وقولها له ابل كثيرات المبارك قليلات
المسارح مبارك الابل مواضع بروكها واحدها مبرك
ومسارحها مواضع رعيها واحدها مسرح واصله فى معناه
على ما بناه لقول احدهما انه اذا سرح وكها واهل تسرحها
محافه ان ينزل به ضيف وفى عاشره ذكره ابو عبيد والثانى
انها اذا اسرحت كانت كثيره لكثره فرکدها واذا اسرحت
كانت قليله لكثره ما يجزر منها للضيفان قاله ابن ابى اويس
وتالها انها اذا اسرحت كانت كثيره لكثره من يسرح انعامها من اهلها
لجمها ولسقايها واذا سرحت كانت قليله لقله من يسرح انعامها

وقولها اذا سمعن صوت المزمر الفتر ابهن هو الذكر المزمر كمنبر
موعود العما وهو معروف عند العرب ومذكور فى اشعارها
وقد احطا من قال انه مثل مزمر بضم الميم وكسر العا وفسره لموقد
النار فى الرواية والمعنى اما الرواية فلا يجوز منعها الا ما ذكرناه
وهو بكسر الميم وفتح العا واما المعنى فعلل فيه قولان احدهما انه
سلق ضيفانه بالغنا مبالغة فى التزجيب والاكرام واظهار الفرح
والثانى انه يغنى ضيفانه بالشراب والغنا فاذا سمعت الابل صوت
المزمر ايقنت بخروج الماء لاضافة وذلا الفولس امرح ومعناهما
واضح وقول الحادثة عشرة اناس من دلى اذنى تزير كلا بنى
مرتكه وشنوفا تئوس باذنى اى تتحرك والنوس حركة
كل شى متدل يقال منه ناس ينوس نوسا وانا سه عشرة
اناسة وسمى ملك ابين ذانواس لتضفرتس ذوائبه
تنوسان على عاتقه وقولها وملاس سمح عضرى اى يمنعنى بالاحسان
وكثرة المائل وحضت العضرس لا سما اذا سمنا من جمع الحسل
وقولها فتجنى فتجبت الى تقسى الرواية فتحمد بضم الحم والحا
وسكون الواو وبالى مشددة البا وروى بسى فاعله يتجبت
وقد رواه ابو عبيد فتحة بضم الحم وسكون الحا وبالمضومة
بنى ضمير المتكلم الفاعل وبالى ساكنة حرف جر تقنى مجرور
ومعنى تجنى قربنى ورفقى تقربت وتربعت يقال ملان
بتشديد الى تربع وتفخر قال الشاعر وهو الراعى
وشا الفقر من ارض العشيرة سافنا اليل ولكنا نعرد تنجل ٥

اى تربع وتفخر وقولها رحبى فى اهل غنية يشوه الاكثر الا عرف
فى الرواية بكسر السين وتعريفه اوعسد بضم الشين قال المحرشون
يقولونه بالكسر والضم الصواب وهو موضع وقال ابن الانبارى
هو بالضم والكسر واحتلفوا الذين كسروا منهم من قال هو
شق جبل اى تخيم فيه قبيله ومنهم من قال هو
جبل يعارض الا شق الانفس وقولها تحملنى فى اهل كهيل واطيط
الكهيل جمعة الخيل والاطيط صوت الرحل والابل من ثقل
احمالها يقال اتتك ما اطت الابل وذلك صوت الحوف
من الجوع وقولها وداس وشق داس اسم فاعل من داس الطعام
يدوسه دياسه فالداس هو والموضع مداسة والمدوس
مايداس به اى يدق ويدرس ويقال داس الشى برجله يدوسه
دوسا اذا وطئه وشق بكسر الرواية فيه بضم الميم وفتح الشين
اسم فاعل من شق الطعام والشى يشقيه تشقيبه وهو شق بمعنى
ان بعض زرعا بداس ويبقى وقاله ابن ابى اويس بكسر الشين قال وهو
تقبيق اصوات المواشى والانعام قال الشيخ رحمه الله وهذا
ليس بشى لانه لا يقال لشى من ذلك شق وانما يقال شق العقرب
والصندع والدجاجة وهذا يقال شق البعير وهو قليل ولذلك
قال النسابورى تزيد الدجاج وهو بعيد لان الدجاج لا تمتدح بها
العرب ولا تذكرها فى الاموال والمقصود قولها بقرا انها كانت
فى قوم فقرا فنقلها الى قوم اقوياء اغنيا وقولها فعرد
اصل فلا افتح اى لا يعاب لها قول ولا رد بل يستحسن ويمتثل

وقولها وارفدني تصح اى ادم النوم الى الصباح لاوقظها اجر
لاعاده كرمه وكنيه الحرمة والعمل وقولها فانفخ يروى بالمم وبالنون
مكانها والروانيان بمعروفتان عبران ابا عبيد لم يعرف روايته
النون فاما انفخ بالمم فمعناه انزوى حتى انفخ السراء من البرد
يقال باته قامح واذا قاح اداريقه روسها عند الشرب
وكقوله تعالى مسم مفمحون واما بالنون فمعناه الزيادة على
الشرب بعد الري يقال فنحت من الشراب افنح فنحا اذا شربت
بعد الري وقال ابن السكيت معناه اقطع الشرب واسرب قليلا
قليلا وقولها عكومها رداح العكوم جمع عكم وهو العيدل
ورداح مملوة من الامتعه تعني انها كثيرة التماس والاثاث
ويقال امراة رداح اذا كانت عظيمة العجل وقولها وبيتها
فساح اى واسع يقال بيت فسيح وفساح وكقولهم انه لفسيح الفنا
وكمثل الربع فناتة عما يفعل فيه من الخير والمعروف وقولها
مفخعة كمثل شظيته الشظية هي نبع الشئ واصلها ما سكب
من حرير الحمل وذلك انه شق عليه فيضان دافق يسح منها الحصر
وقال ابن الاعرابي وغيره الشظية هنا العصب تشل من غنم وقولها
وتشيعه براعم الجفرة وهي الاني من ولد المعز والذكر جفر وادا
اتى على ولد المعز اربعة اشهر وفصل عن امه واخرجي للرعي قيل
عليه جفر مرحته بعله اكله وقلله لحمه وسمانه ومرحان يقال
الشاعر تنفيه خزة وتاز ان الم بها من الشوا او تزوى شزنه العنبر
وقولها ملى كساسها اى ممتلية الحسم وقولها صفر دامها اى

خالية والصفر الشئ الفارغ قال الهروي اى ضامرة البطن والردا
ينتهي الى البطن وقال غيره يريد انها خفيفة اعلى البدن وهو
موضع الرداء ممتلية اسفله وهو موضع الحسل والازرة ويؤيده
قولها في بعض روايات الحديث يملئ ازارها قال القاضي والاول انه
اراد ان امتلا منكبيها وقيامها بيرفضان الرداء على
جسدها وهو لا يمسه فهو كالفارغ منها كلاف اسفلها كما
قال الشاعر ابت الروادف والثدي لقيصها متن ابيض وان تمس كعوبا
وقولها وغمز جارتها تريد ان ضرتها يغمزها ما تراه من حسنها
وجمالها ويحقرها وقولها ويحقر جارتها الرواية الصحيحة بعين
مهملة مفتوحة وقاف من القعر وهو الجرح او الهلاك يعني
ان ضرتها تموت من اجلها حسرا وغما او تنقعر قلبها وفي
قولها يملئ كساسها وصفر ردائها وغمز جارتها دليل لسيبويه
على صحة ما اجازه من قوله مررت برجل قرشي وتميمي وهو رد
على المبرد والزجاج فانهما منعا ذلك وعلل الزجاج المنع بانه
الشئ الى نفسه وذكر سيبويه فاجازه ذلك وقال انما اجازه
سيبويه وحده وقد احكى الزجاجي وهذا النقل في مواضع انها
في المنع وفي التعليل وفي تخطئة سيبويه وفي قوله انه لم يعلل به
غير سيبويه وقد قال ابو الحسن بن خروف انه قال به كما نقله الحضرمي
وفي قوله ان جميع الناس خطؤا سيبويه وليس بصحيح وصف بحكا
في اللسان من تمسك بالسماع الصحيح كما جاء في هذا الحديث المتفق على
صحته ومن جاء عن بعض الصحابة في وصف النبي صلى الله عليه وسلم بقال
شثن اصابعه وقد اتفق اهل اللسان على صحة قول الشاعر

ايس دمشتين عرم الرمث لسما حتل الرحا من فرعها فلا سما
اقامت على رتيمها جارتا صفا ثمنا الاعالي بوتنا مفطلا سما
وقد يعسف المانع بتاويل هذا السماع بما تجه الاسماع ولتفصل
ذكر مسوغات النحو ومن تمسك بالسماع فمرده حجته لا نشتقاع
وقولها لاتبث حريشا تبثيثا روى بالباء بواحره من البث
وهو الاظهار والاشاعه فتضمنا لكتمان ما سبعه من الحديث
وذلك دال على غلظها واما تنعها وروى بالنون وهو بمعنى الاول
يقال نث الحديث اذا افشاه وفي الصحاح بث الخبر وابثه اذا
افشاه ونثه بالنون بثثه بالضم ذلك وانشد د
اذا جاوزنا الاثبين سر بايه بث ونشر الوشاة فيمن د
وقولها ولا تثقث مبرتنا تثقيثا اصل التثقيث الاسراع
يقال حرت انقث بالضم اي اسرع السير وكذلك التقث والمبرة
ما ممتار من موضع الى موضع من الاطعمة واراد انها امينة
على دفع ما وجافظة له وقولها ولا تلا بيتنا تعشيشا يروى
من العش المعمله والمعجمه من العشاء ومعناه الخفاء
الكتمان المخبوء بل تعمده بان تطعمها منه اولا فاولا ونلا
على بعد التعسير المازني ومن امانتهتي على روايته من رواه ولا تنسد
مبرتنا تعشيشا واما على رواية ما جح مما مر قولها ولا تملا
بلا استقم واما معناه انها تتعهد بيتها بالنظافة والحسن
ولا تترك كناسة في البيت حتى يصير كعش الطاير واما رواية
الغين المعجمة معوس الفرش والجبانة اي لا تحوتنا مني من ذلك

التريين

ولا تترك النجيجه في صنعته والاوكاب جمع وقب وهو من الجوع
النادرة فان فعلا في الصحيح قياسه ان ياتي اسم الفاعل على افعل
وفي الكثرة على فعول وفعال وهي استقية اللبن وتخص بالجرد
ليستخرج زبدها وقولها بطمار من تحت خضرمار ماتس مال
ان اي اويس تعني بالرماتس قريبها قال ابو عبيد ليس
هذا موضعه وانما معناه انها عظيمة الثقل فهي اذا استلقت
طار بينها وبين الارض فجوة تجري فيها الريح قال الفاضي وسما
ايضا ابو عمر الشيباني واشبه اسما وقد روى من تحت صدريها
ومن تحت درعها ولان العادة لم تجر من الصبيان ان يمان تحت
اصلاب اسماعهم ولا ما سفل فقال النسا كذلك حتى تشا وقد ذلك
منس الرجال والاشبه اسمار ماتنا الحذوي شبه سمارها بذلك
لتمود ما وذلك على صغر سنها وقولها فمكثت بعده رجلا
شهرا رتد شريا واخر خبيا واراح على نعما شر باه الشيري
بالنس السهله هو النسر الشريف ومنه قوله تعالى وذللناها
تحتهم سرنا على قول الحسن وشراه على شيبا ره وشرواه
الناس كبراهم وحتى بمعنى بعد ومنه انتس المعجمه وقولها
ورتد شريا اي فرسا سريعا يقال استشرى الفرس اذا الح في
شوره ومضى فيه ويقال فرس شيري خبا ر وهو بالمعجمه
الاخير والكثير الوحي منسوب الى موضع بالبحرين يقال له الخط
والنعم الابل وشريا كثيرة فالشري وهو التراب واراد انها
اتى بها الى شراتها وهو موضع ضيعتها وقولها واعكاني

من كل ما يحه زوجا ، وأصله مأخوذ الاسم فاعل من راح يعني أنه أحكامها
من كل صنف من الابل البقر والغنم والزوج الصنف كما قال تعالى
وكنتم أزواجا ثلاثة وقد يراد بالزوج اثنان يقال هذا زوج وزوج
وزوج المرأة بعلها وهي زوج له وقد جاز وجة ويقال هما زوجان
للاثنين وهما زوج كما يقال هما سيان وهما سوآء قاله الجوهري
ويقال عشرة ولا موضع الزوج على الاثنين إلا قال الله عز وجل
وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى وقد روينا عنه الكلمة ذات
المال المحمة من الزرع وقوله فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة
راضية أي مرضية تعني أنه أحكامها من كل شيء ينزع وقوله
وعلى أم زرع وصرى الملك أباح لها أن تأكل ما شاءت
من طعامه وأن تبعث منه ما شاءت لا علما مبالغة في إكرامها
وفي الاحتفال بها ومع ذلك فكانت حوالة كلما عندها
محتقرة بالنسبة إلى أبي زرع لزلك قالت فلو جمعت كل
شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع وسبب ذلك
أن أبا زرع كان الحبيب الأول كما قال الشاعر

ثكل مواد حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

وقوله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها كنت لك كأبي
زرع لأم زرع تصغير لقلبها وهنالك قد خفي عشر نسوة
ومعناه أنا لك وهذا نحو قوله تعالى كنتم خير أمة أي أنتم
يمكن بقاؤها على خاطرها أي كنت لك في علم الله السابق
ويمكن أن يجري على ظاهرها الدوام كما قال تعالى وكان الله سميعا

وعليم أم زرع بعد هذه أحكام ومنها جواز محادثة الأجل وإن شاء تستمتع
بما لا ممنوع منه وفيه جواز إعلام الزوج زوجته بمحبته إياها
بالقول إذا لم يؤد ذلك إلى مفسدة في حاليه كحث تحجر
وتجني عليه وفيه ما يدل على أن ذكر عيوب من ليس بعيب
لا يكون غيبة وفيه جواز الانبساط بذكر طرف الأخبار
ومستطابات الأحاديث وتنشيط النفوس لذلك وجواز ذكر
محاسن الرجال للنساء وذكر محاسن النساء للرجال إذا كان
كما ليس بخلاف المعين فإن ذلك هو المنهي عنه بقوله صلى الله
عليه وسلم لا تصف المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر
إليها وفيه ما يدل على جواز الإطناب بالألفاظ الغريبة والأسجاع
وإن ذلك لا يكره وإنما يكره تكلف ذلك في الدعاء

ومن باب فضائل عائشة رضي الله عنها

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين رضي الله عنها
وعن أبيها في أصح روايات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أبو عمرو الذي يستحق اسم الله أن ينتسب إلى الأول رقية
ثم أم كلثوم ثم فاطمة ولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة إحدى والرابعة من مولده صلى الله عليه وسلم وتزوجها علي
رضي الله عنهما بعد وقعة أحد وقيل بعد أن انتهى إلى صلى الله عليه
وسلم بعائشة رضي الله عنها بأربعة أشهر ونصف سنة ثم توفي بها
على رأس تسعة أشهر ونصف وكان سنها يوم تزوجها
رضي الله عنها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف ورسم على وبيد

احدى وعشرون سنه وستة اشهر وولدت له الحسن والحسين وام كلثوم
وزينب وتوفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير قتل
بمانيه اشهر وقيل بستة وقيل بثلاثة وقيل بسبعين يوما وقيل
بماه يوم وهي اصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه
واكرمهن عليه وسودة نسا اهل الجنه على ما يعلم في بات حرائجه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر تبدأ بالمسجد
فيصلي فيه ركعتين ثم يبدأ ببيت فاطمه فيسأل عنهما ثم يدور على بيوته
اكراما لها واعتناء بها وهي اول من سمي تفتنا في الاسلام
وذلك انها لما اختطب اليه لاسما بنت عميس ابى هو ان يتزوجها
ما يفعل بالبنات انه يطرح على المراة الثوب رضيها يقال
اسما ما اتيته رسول الله الا ذات شباب انه في الجنه فذكرت
ذلك لابيه رخيبه فخشيهم كررت عليها ثوبا وقالت فاطمه
ما احسن هذا واجمله يعرف به المراة من الرجل فاذا انا مت
فاخطبيني اليه وعجلي ولا تذهلي احدا فلما توفيت خاطبته
ليتزوجها فقالت اسما لا تذهلي يستحث الى ابي بكر وقالت ان هذه
الحبشية تحول بيننا وبين بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
جعلت لها مثل هودج العروس فجاء ابو بكر موقف على الباب
فقال يا اسما ما حملك على ان صنعت ارواح النبي صلى الله عليه وسلم تدخل
على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جعلت لها مثل هودج العروس
فقالت امرتني ان لا تدخل عليها احد وان تتخذ هذا الذي صنعت
فامرتني ان اصنع ذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه اصنعي ما امرتك

به انصرف وعلمها على واشارت ان يدفنها ليلا ويصلي عليها
العباس وقيل علي وقبرها هو وعلي والعقل وتوفيت وهي بنت
ثلاث وستين وقيل بنت خمس وثلاثين وقوله صلى الله عليه وسلم
ان فاطمه بضعه مني يريبني ما اراباه ويوذيني ما اذاها البضعه بفتح الباء القطعه
من اللحم وجمعها بضاع فقصفة وضياع وهي ما حوذه بين القطع
وهو القطع وقد سماها في الروايه الاخرى مضغه وهي قدر
ما يمضغه الماضغ ويعني بذلك انها كالجزء منه وقوله ما انما
ويريبني بمعنى واحد اي يشق علي وقوله يعني بفتح الياء وكسر الذال اذا اتت
منه ما يكرهه ثلاثيا والاسم منه الريبه وقيل يقال ارابني
رباعيا والمشهور ان الثلاثي انما هو بمعنى صار ذا ريبة فصوب بعضهم
ارابني بمعنى شك والريب الشك وقولها سرا على باحا انتصب
اي جعل هذا الروايه باحا انتصب على الحال لان الكلام قبله
مستقل بنفسه لان قولها سرا الي هو الكلام الذي يدل معه
الكلام لو وقف عليه هو المقصود بالافاده وعلى توطئة له وقوله
صلى الله عليه وسلم لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن نا كد لمنع الجمع بين
فاطمه وبين ابنة ابي جهل لما خاف ابي صلى الله عليه وسلم على فاطمه
من الفتنة من اجل الغيره ولما توقع من مناكده بنده الضرة
لان عداوة الاباء قد تورث بين الابناء وقوله واني لست احرم حلالا
ولا احل حراما ضرب في ان الحكم بالتحليل والتحريم من الله تعالى وانما
الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ ومستند له من منع اجتهاد
النبي صلى الله عليه وسلم في الاحكام ومن منع جواز تنويع الاحكام

الى النبي صلى الله عليه وسلم لان اجتهاد المجتهد لا يوجب الاحكام
ولا تثبيتها وانما هو مظهر لها كما اوضحناه في الاصول وقيد
بقوله ان حكم الله على علي وعلى عمه التخيير في نكاح ما
من النساء الى الاربع ودخل النبي صلى الله عليه وسلم انما سمع علياً من دلك
لما خاف على ابنته من المفسدة في دينها من صهر عمر او ونفسه
انها فتنة في نفسها فنادى النبي صلى الله عليه وسلم نفسها
وادى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فحرم ما دون الله فقوله انفل
يعم الدرايع واعمال المصالح وان حرمه النبي صلى الله عليه وسلم
اعظم من حرم عمه ونظهر فايده دلك فيمن جعل نفسه
محرم له لعله لا يمنع منه وان نادى بدلك لعل الحرمة ولس دلك
في التاسع النبي صلى الله عليه وسلم بل يحرم علينا مثلها فعل كل شيء
نادى به النبي صلى الله عليه وسلم وان كان في اصله ساحا لقوله ان
ادى الى اذى النبي صلى الله عليه وسلم ارتفعت الاباحة ولزم التحريم
وقوله ما يدل على جواز خطبة المرء على خطبة اخيه وولده وحرمه
وعلى الحرص على دفع ما دون الى ضرر يعم اذا كان دلك موجود
جايز وقوله ما يدل على جواز خطبة الامام الناس وجمعهم لامر يحدث
وقوله والله لا يجتمع ابنة نبي الله وابنة عدو الله عند رجل واحد
الى اخره دليل على ان الاصل ان ولد الحبيب حبيب وولد العدو عدو
الى ان يتبين خلاف دلك وفي استيذان علي فاطمة مع نكاح
الامة على الحرة وليس بحجة لانه يلزم عليه منع نكاح الحرة الكتابية
على المسلمة ومنع نكاح امة المرتد على من ليس اهلا لدلك والاقابل

له بما اعلم فدل دلك على ان دلك الحكم مخصوص بفاطمة اي جعل
وطاهم رضي الله عنهما وقوله مرتد على الحيطة يعني لابنه اي جعل
رعيتها ولم تتزوج عليها ولا تتسرى علي بما فعلت رضي الله عنها
وقوله صلى الله عليه وسلم ان ابا العاص بن الربيع حدثني فصدقني
وعدني فوفى لي ابو العاص بن الربيع زوج ابنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم رضي الله عنها واسمه لقيط على الاكثر وقيل
مقسم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وامه
هالة بنت خويلد اخت خديجة لامها كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد انكحه اياها قبل ان يوحى اليه وبقي معها ثمان عشرة سنة وكان
محبا لها وارادت منه قريش ان يطلقها مرارا فيمتنع له النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك لما له فيها من الرأي السديد ماسير
وحمل الى المدينة بعثت منه زينب بقلادة فرقت عليها واشتاق
لها وقال وعد النبي صلى الله عليه وسلم ان يرسلها اليه ففعل وهاجرت
زينب وبقي بعدها على شركه الى ان اسر في بدر فمن عليه لقريش فاجرا
وذلك قبل النهي بيسير معرض لذلك الخبر زيد من حارثة في سرية
من الصحابة رضي الله عليهم فاخذوها واقلت ابو العاص
هاربا الى ان اتى المدينة فاستجار بزينب فاجارته وقام النبي صلى الله
عليه وسلم الناس فوردت جميع ما اخذ من دلك السرية فتفرقوا
وقال انه يرد اموال قريش وسلم فعل ذلك شكره النبي
صلى الله عليه وسلم وقال وفى لي فصدقني ووعدني فوفى قالت وقول
عائشة رضي الله عنها من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عمره

بنادر منهن واحدة الى لم تترك ولم تعمل غير واحدة ضمن وهو انها
لما اشتد مرضه ومرض في بيت عائشة رضي الله عنها وعنهن والسرار
السرور يسارره مسارة سرارا وسرارا ومسارة وسارها فاطمة رضي الله
عنها في اول مرة فصار حزنا على النبي صلى الله عليه وسلم لما اعلمها بقرب
اجله وضحكها ثانية فرحا بما بشرها به من السلامة من بعده الدار
وقرب الاجتماع به وبالفور بما لها عند الله من الكرامة وكفى بذلك
ان قال لها انها سيدة نساء اهل الجنة وقد تقدم الكلام على هذا في باب
حزنه وضحكه صلى الله عليه وسلم فارجع اليه صلى الله عليه وسلم يعارضه
القرآن كل سنة مرة بدل على استحبابه عرض القرآن على الشيخ
ولو مرة في السنة ولما عارضه جبريل القرآن في اخر سنيه مرتين
استدل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على قرب اجله من حيث مخالفة
العادة المتقدمة والله اعلم وفارق النبي صلى الله عليه وسلم فشرع عليه
الوصية السنة التي توفي فيها صلى الله تعالى من امره ووحيه ما شاء
ان يفعله ٥ ومن فضائل ام سلمة رضي الله عنها روح النبي صلى الله عليه
واسمها هند بنت ابي امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسم ابيها
حذيفة وعرف بزاد الراكب وكان اكرم اجواد العرب المشهورين بالكرم
وفاة صلى النبي صلى الله عليه وسلم تحت ابي سلمة بن عبد الاسد
واسلمت بمكة وهاجرت معه هجرتيه الى ارض الحبشة وقيل ان ابا سلمة
اول من هاجر اليها ثم رجعا الى مكة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة هاجرت معه فمات ابو سلمة بعد وقعة بدر وبعث عليها
في شوال وانتهى يومئذ شوال قال ابو عمر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سنتين من الهجرة بعد وقعة بدر وبعث عليها في شوال وابتنى بها في شوال قال ابو عمر عبد الله بن علي الرشاطي بعد اوهم شيخنا

بعد

ودلك ان زوجها ابا سلمة سعد اخوا رضاعة احد في شوال سنة ثلاث فخرج
مهاجرا حاملا ام سلمة فتوفي عنها لثلاث خلون من جمادى الاخرة
سنة اربع وبنى بها عند انقضاء عدتها قال وقد ذكر ابو عمر هذا في صدر
الكتاب وحامله على الصواب وتوفيت ام سلمة في اول خلافة يزيد
بن معاوية سنة ستين وقيل بل توفيت في شهر رمضان او شوال سنة تسع
وخمسين وصلى عليها ابو هريرة وقيل سعيد بن زيد ودفنت بالبقيع واما
زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم
بن دودان بن اسد بن خزيمة وهي التي كانت تسامي عائشة في المنزلة
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اثنت عليها عائشة بما وصفها
الحسنة المذكورة في باب عائشة وكانت تفخر على ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم وتقول لهن انكحكن اولياؤكن وان الله انكحني نبيه
صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات يعني بقول الله عز وجل رضينا بها
توفيت سنة عشرين في خلافة عمر رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين عاما
استفتحت مصر وقيل توفيت سنة احدى وعشرين وصلى عليها عمر الاخضر به
وكانت زينب بعده اول ازواجه اللاتي توفي عنهن لحاقا به وكان
النبي صلى الله عليه وسلم زوجه اخرى تسمى زينب بنت خزيمة الهلالية وتدعا
ام المساكين لحنوها عليهم وهي من بني عامر بن صعصعة وصار رسول الله صلى الله
عليه وسلم سنة ثلاث ولم تلبث عنده الا بيسير اشهرين او ثلاثة
وتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش
قتل عنها يوم احد ٥ وقول سلمان رضي الله عنه انكوس ان استطعت
اول من يدخل السوق وآخر من يخرج منها فيها معركة الشيطان

وان لهم فى انفسهم صورا خلقهم الله تعالى عليها وان الايمان بذلك كله واجب لما دل عليه
السمع الصادق وكان دحية بن خليفه رجلا حسن الصورة فلذلك تمثل بصورته
جبريل صلى الله عليه وسلم وهو دحية بن خليفه بن فروه الكلبى وكان من كبار
الصحابة رضى الله عنهم لم يشهد بدرا وشهد احدا وما بعدها وبقى الى خلافة معويه
وارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر فى سنة ست من الهجرة فآمن قيصر
وابت بطارقته ان تؤمن فاخبر دحية بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال
ثبت الله ملكه وقوله صلى الله عليه وسلم اسرع لحاقا بى اطولكن يدا هذا
خطاب منه صلى الله عليه وسلم لزوجاته الاترى انه قال لفاطمة رضى الله عنها
انت اول اهل بيتى لحوقا بى وكانت زينب اول ازواجه وفاة بعده و
فاطمة اول اهل بيته وفاة ولم يرد باللحاق به الموت فقط بل الموت والكون
معه فى الجنة والكرامة وتطاول ازواجه بايديهن مقاساة لما يجرى بين بعضهن بعض لا ينفى
حمل الطول على اصله وحقيقته ولم يكن مقصود النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وانما
كان مقصوده طول اليد باعطاء الصدقات وفعل المعروف وتبين ذلك انه
لما كانت زينب اكثرهن واجدا فعلا للمعروف والصدقات كانت اولهن موتا
فظهر صدقه صلى الله عليه وسلم وصح قوله زاده الله رفعة
وشرفا آمين وبلغه بمقلوب الصحيفه ومن باب
فضائل ام ايمن رضى الله تعالى عنها آمين

BIBLIOTECA NAZIONALE CENTRALE VITTORIO EMANUELE

باب ما جاء فى الاسواق

كذا بعنى مسلم هذا الحديث موقوفا على سلمان وقد رواه ابو بكر
البزار مرفوعا الى صلى الله عليه وسلم من طريق اخر وهو الذى يليق
بسياق الخبر لان معناه ليس مما يورد بالرأى والقياس وانما يورد
بالوحى واخرجه الامام ابو بكر البزار فى مسنده مسندا عن ابى بكر
عبد الغنى بن سعيد الحافظ مرفوعا عن ابى عثمان النهدى
عن سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن
اول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان
وفرخ والمعركة موضع القتال سمى بذلك لتعارك الابطال فيه
ومصارعة بعضهم بعضا فشبه السوق وفعل الشيطان باهلها وتبله
بسبب ما يحصل عليه من الشر والخديعة والتساهل فى البيوع الفاسدة
والحلف والايمان الكاذبة واهلاك الاموات وغير ذلك مما يعرفه
المحترفون ومن يصرع فيها ومعنى قوله وبيضها نصب وانتصابه اعلام بالمانع
من الاسواق وجمع اعوانه اليه فيها وبفرخ من الحرية ان الاسواق
اذا خلت من الشياطين وهم انشاطهم ومواضع اهلاك الناس فيها بنى للانسان
ان يدخلها الاحكم الضرورة ولذلك قال لا ينبغى ان يكون اول داخل
من اهل السوق ولا آخر من يخرج منها ولان من كان اول داخل فيها او آخر
خارج منها كان ممن اشتغل عليه الشيطان بصرفه عن امور دينه وحمل
همه السوق وما يحصل فيها فاذا كان هذا خوف من ابتلاه الله بالسوق ان يتحير
بباله انه قد دخل محل الشيطان ومحل جنوده وانه ان اطاع هواه كان هلاكه
ومن كانت هذه حاله اقتصر منه على قدر ضرورته وتحرز من سوء عاقبته
وغائلته وقد تقدم الفعل فى تمثل الملائكة والجن فى الصور المختلفة